

الدكتور محمد الجوادى

عبد اللطيف البغدادى

شهيد النزاهة الثورية



شهيد النزاهة الثورية
الناشر: دار الخيال
الغلاف: محمد الصباغ
الطبعة الأولى



عبد اللطيف البغدادى

شهيد النزاهة الثورية

د. محمد الجوادى

مطبوعات دار الخيّال

عبد اللطيف البغدادي

شهيد النزاهة الثورية

عبداللطيف البغدادى

شهيد النزاهة الثورية

الطبعة: الأولى ٢٠٠٦

رقم الإيداع: ١٥٧٧ / ٢٠٠٦

دار الخيّال: ٠١٢٣٢٩٠٦١٨ / ٠١٢٧٣٤١٥٠٧

فاكسيملى دار الخيال : ٧٩٦٢٢٤١

E- mail: Dar el Khial - egypt @ hotmail. com

□

دار الخيّال

□

تصميم الغلاف: محمد الصباغ

خطوط الغلاف: لمعى فهيم

المشرف على الإنتاج: شريف صلاح نصر

عربية للطباعة والنشر

٧-١٠ شارع السلام أرض اللواء المهندسين - تليفون : ٣٢٥٦٠٩٨ - ٣٢٥١٠٤٣

إهداء

إلى الأستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان مفكراً سياسياً ، ومؤرخاً وطنياً .

محمد الجوادى

● عبداللطيف البغدادى لم يتناول حياته الأولى فى مذكراته المنشورة فى كتاب (١٩٧٧) بأى قدر من الحديث ● انتقل إلى المنصورة فى طفولته لكى يبدأ دراسته الابتدائية ● قبوله فى كلية البوليس بالواسطة ● أم كلثوم كانت هى واسطته ● وجهة نظر والده «العمدة» المفضلة لالتحاقه بكادر البوليس والمفضلة لأن يكون مستقبله فى هذا الكادر على أن يكون فى كادر الجيش ● قصة قبوله بالكلية الحربية ● لم يكن فى حياته الوظيفية أو العسكرية قبل الثورة ما هو جدير بالتفرد أو بالتأمل أو التعليق، فقد عمل شأن زملائه فى المطارات العسكرية حتى تولى قيادة القاعدة الجوية ● التوجه المبكر نحو العمل من أجل حرية وطنه وتحرير هذا الوطن بكل ما هو ممكن من عمل سرى «ءوب ● قصة المصير المؤسف الذى تعرض له الطيار أحمد سعودى حين حاول الهرب بطائرة «جلاديتور» فى الصباح المبكر لأحد الأيام واتجه بها نحو منطقة مرسى مطروح غرب الإسكندرية ● قصة الطيار رضوان الذى وصل إلى مركز القيادة الألمانية فى مرسى مطروح وتمكن الحلفاء من القبض عليه عند دخولهم برلين فى نهاية الحرب ورحل إلى مصر لمحاكمته عسكرياً ● التنظيم السرى الذى شارك البغدادى فى تأسيسه ● يشير إلى أن هذا «التنظيم» لم يقف فى نشاطه عند حدود سلاح الطيران، وإنما تعدى هذا إلى أسلحة الجيش الأخرى ● المؤلف يلاحظ أن عبد العزيز على لم يشر إلى اسم البغدادى بقدر من التفصيل فى مذكراته التى نشرت بعنوان «الثائر الصامت» ● وصول البغدادى وزملائه إلى خطوات متقدمة فى ممارسة العمل السرى ● قصة اللغم الذى أطلق عليه اسم «التيتل» ● أدوار فؤاد سراج الدين ، جمال سالم وعبدالحكيم عامر ● محاولة جادة لضم تنظيمهم إلى تنظيم الضباط الإخوان ● البغدادى كان واعيا لضرورة البقاء بعيداً عن تيار كبير يمكن أن يذيب جماعته ● ذهبت لمقابلة حسن البنا للتنسيق بين تنظيمنا والإخوان ● فيما بعد: لم يكن مندفعاً كأقرانه إلى الانتقام من الإخوان ● يعترف فى مذكراته بجوهر السياسة الميكيافيلية المبكرة التى استقر مجلس قيادة الثورة على الأخذ بها فى التعامل مع الإخوان ● يذكر تفصيلات كثيرة تتعلق بموقف الإخوان المسلمين من اتفاقية الجلاء عن مصر وأن الأستاذ الهضيبى أعلن أن هذه الاتفاقية خيانة وطنية للبلاد ● ظل على

التاريخية التى بين أيدينا حتى الآن تعرضاً لكثير من الفترات التى حفلت بالصراعات (التاريخية) فى العهد الأول للثورة ● فى المذكرات تفصيلات يومية تصل إلى حد تسجيل الحوارات الثنائية ●المذكرات تنفرد بإلقاء الضوء على الرؤى الحاكمة لمنهج تنظيم المجتمع المصرى بعد الانفصال (١٩٦١) ● المذكرات حافلة بكثير من المواقف التى تصور لنا الجو المسرحى الذى تمت فيه كثير من القرارات المصيرية ● البغدادى كان حريصاً على أن يصل بنا إلى الحقيقة أضعاف ما كان حريصاً على تلوين هذه الحقيقة ● كان الأسبق بين أقرانه جميعاً إلى تسجيل مذكراته، وبهذا تمكن من أن يفرض بصماته على تاريخ الثورة حتى من دون أن يدرى الناس هذا المعنى بطريقة واعية ● القارئ يشعر بالرضا الشديد وهو يقرأ مذكرات البغدادى لأنه يطلع بسهولة وفى سلاسة على كثير من دقائق الأمور ● البغدادى رجل سوى إلى أبعد الحدود ، لا هو حريص على تضخيم ذاته ، ولا هو مضطر إلى ذلك ● يطرح رؤيته الذاتية من دون أن يكون مضطراً إلى الاعتذار عن الذاتية ● كان كثيراً ما يخاف على يومياته ، أمثلة على هذا الخوف ● التزامه بنقل الوقائع من يومياته التى سجلها، وبأن هذه الوقائع ليست إلا ما شاهده أو اشترك فيه ● لمذكرات عبد اللطيف البغدادى قيمة أدبية كبيرة من حيث هى تعبير متميز عن مشاعر حقيقية ● على الرغم من أنه كان فى وسع عبداللطيف البغدادى أن ينتهى بكتابة مذكراته عند استقالته فى ١٩٦٤ أو عند نهاية عهد عبدالناصر ١٩٧٠، إلا أنه آثر الانقياد لضميره الوطنى الذى اعتبر حرب ١٩٦٧ بمثابة النهاية «الدرامية» لهذه المذكرات

● مشاركته الفاعلة برؤية متوازنة ومتميزة فى صياغة السياسات الحاكمة لتطورنا الاجتماعى الاقتصادى فى عهد الثورة حتى وإن لم يؤخذ «كلية» برؤيته فى ظل الاندفاع إلى التحول الاشتراكى ● محمد عبد السلام الزيات يستشهد بتصريحات البغدادى الذى يصنفه اليسار المصرى على أنه يمينى التوجه ، ويحدثنا عن دورالبغدادى فى توجيه السياسات الاقتصادية ● ما يرويه عن تدبير تمويل مشروع السد العالى ، وعن بدايات تفكير الثورة فى السبل الكفيلة بتنفيذه وتمويله ● ثروت عكاشة يشيد بجهد عبد اللطيف البغدادى فى العناية بالجانب الحضارى ● موقف

البغــدادى مـــن التخطــيط • كــان يعنى به «بعد النظر» واستشراف مستقبل أفضل • معارضته الاندفـاع الشديد لعزيز صدقى فى إنشاء مصانع كثـيرة بدون تخطيط جيد لإنتاجها ومدى جودته ومدى الحاجة إليه • كان ضد اندفاع الرئيس جمال عبد الناصر إلى تأميم المؤسسات الأهلية الصغيرة • كان يرى التخطيط كصمام أمان ضد الاندفاع والحماس غير المبرر والرعونة • أحمد حمروش يشخص السبب الرئيسى الذى جعل البغـدادى يفارق عـبدالناصـر بعدمـا اقتنع بعـجزه هو ومـجلس الرئاسة عن الإسـهام الحقيقى فى صنـع سياسة الدولة • موقف البغدادى المعـارض للتأميمات • يشـخص القصـور فى فهم الرئيس جمال عـبد الناصر لديناميـات الأوضاع الاقتـصادية والفكر السيـاسى • كان واعيا تماما لما يمكن أن نطلق عليـه انعدام الحاجة إلى التقليد المطلق أو الحرفى للنظام السياسى السوفيتى أو اليوغسلافى • مقارنة هذا الموقف بموقف الرئيس عبدالناصر الذى اقتنع فى بعض المراحل بأهمية أو فاعلية أو جدوى اقتباس هذه النظم كاملة • القدرات التنفيذية والعقلية المتميزة لهذا الرجل، حديثه عن بنـــاء بيته الشهير فـــى مدينة نصر • الرأى الساذج الذى تحاول مذكرات سيد مرعى أن تلخص به رؤية البغدادى فى مجال التخطيط.

• صاحب الرقم القياسى فى عدد الوزارات المختلفة التى تولاها شخص واحد فى عهد عـبد الناصر • كان تولى عبد اللطيف البغـدادى لوزارة الشئون البلدية والقروية يمثل من حـيث المبدأ أول خطـوة جبـارة فى طريق تولى العـسكريين الشبـان لوزارات الدولة الفنية • أدوار أخرى: المراقب العام لهيئة التحرير • أول رئيس لمحكمة الثـورة • رأس مـجلس الخدمـات فى ١٩٥٤ • فى أثناء الوحـدة مع سوريا .. رئيسـا للجنة الوزارية للشئون الاقتصادية ورئيسا للجنة الاقتصادية العليا • نائب لرئيس الجمهورية لشئون الإنتاج • كلف بإعادة تنظيم الجهاز الحكومى • عضوا باللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشـتراكى • لم يغب البغدادى عن أى محفل مـن المحافل التى تولت صياغة أفكار ثورة يوليو طيلة الفترة التى ظل مشاركا فيها فى المسئولية • مشاركته فى إعـــداد الميثاق سنة ١٩٦٢ • قدرات البغـدادى المتميزة كانـــت بمثابة العامـل الحـاسم ضـده • يحتل مرتبة سامقة بين زملائه فى وجدان الجماهير • اسمه مرتبطه بالإنجاز الحقيقى

الأعضاء المتورطين توجيه دفة الموضوع فى اتجاه آخر هو حمايتهم(!!) من الصحافة ، وهى الذريعة التى أصبح يلجأ إليها كل مَنْ كان فى مثل وضعهم • البغدادى يجيد تصوير النوازع الإنسانية فى شخصية جمال عبد الناصر على نحو ما صادفها • جوهر ما يرويه البغدادى عن الحوارات التى دارت بين كبار رجال الثورة عن مدى ما كانت أفكارهم تتمتع به من البراءة • التطورات التى انتهى إليها الموقف • حديثه وحديث الأعضاء «المتهمين» عن شكواهم • أحمد شفيق أبو عوف لجأ إلى العصبية والانفعال ، أما الدكتور محمود القاضى فقد اعتذر بأنه لم يعلم أن فى هذا العمل مخالفة قانونية ، وأما العضو الثالث إسماعيل نجم فلجأ إلى حيلة قصيرة النظر وهى تكذيب ما روى • فى رواية تالية يورد تفصيلات مناقضة فى بعض جزئياتها لهذه الرواية فيما يتعلق بالدكتور محمود القاضى • حوار بينه وبين الرئيس جمال عبد الناصر عقب انتهاء مداولات المجلس فى هذا الموضوع ، البغدادى نفسه بدأ يميل إلى تخفيف العقوبة عن الأعضاء • زكريا محيى الدين كان موافقا للبغدادى على هذا الرأى • البغدادى يبدأ فى الإحساس بضرورة التمسك بالقانون ، واحترامه ، واحترام النفس عندما تتنامى إلى سمعه الشائعات القائلة بأن الرئيس عبد الناصر كلف مستشاره القانونى بالبحث عن مخرج قانونى يجعل التصرف المعيب شيئاً لا غبار عليه، وهو ما حدث بالفعل حيث كيفت اللجنة القانونية الموضوع فاعتبرت أموال مديرية التحرير أموال مؤسسة خاصة • الحديث عن حقيقة مشاعره تجاه الموقف الذى اتخذه الرئيس جمال عبد الناصر • كان الضغط على أعضاء لجنة الشئون الدستورية لا يزال مستمراً حتى صباح الأربعاء ٦ نوفمبر ١٩٥٧ • بعض أعضاء تلك اللجنة كالأستاذ فتحى الشرقاوى تهربوا من حضورها تجنبا لهذا الموقف الشائك • البغدادى آثر التهكم على ما رآه يجرى أمامه بعد ما جرى من وراء ظهره • إعلان استقالته من رئاسة المجلس واستقالة كمال الدين حسين من عضوية المجلس • اللقاء الذى تم بينه وبين عبد الناصر بعد هذه الجلسة العاصفة التى أعلن فيها عزمه عن الاستقالة من رئاسة مجلس الأمة • يدفعنا إلى الشعور بأقصى درجات العجب من موقف الرئيس عبد الناصر على نحو ما صوره • فى كتاب سامى جوهر: البغدادى فى هذه الرواية يتحسب من البداية من حماية عبد الناصر لمجدى حسنين ، كما نرى الرواية تشير إلى أن تعيين أعضاء المجلس كمستشارين للمديرية قد تم بعد أن أثير الموضوع فى المجلس • نطالع اسما لم يرد فى الرواية السابقة وهو اسم عضو البرلمان

بدلا من أن تستمر حياته فى هذا الخزى والعار ، وكأنه يخشى مصير المنتحر، لكنه يبحث عن الانتحار ، لأن الاستشهاد لم يعد ممكنا ● مغامرته التاريخية المهمة مع الرئيس عبدالناصر بالسفر إلى الإسماعيلية عن طريق الكورنيش، بينما الهجوم مشتعل ● ما دار بينه وبين عبدالناصر من حديث أخوى مفعم بكل معانى التضامن والأخوة والفداء ، وناطق ومصور لحقيقة ما حدث فى ١٩٥٦ ● مع أن أحداً لا يقلل من الدور المعنوى الذى لعبه عبد اللطيف البغدادى فى دعم الرئيس عبد الناصر فى أثناء عدوان ١٩٥٦، إلا أن هذا الموقف لم يحظ حتى الآن لا بالتقدير ولا بتسليط الضوء عليه ● دوره فى التصدى لعبد الحكيم عامر وصلاح سالم فى رابع أيام العدوان الثلاثى حين كان كلاهما يرغب فى إيقاف القتال والاستسلام حرصا على المصلحة الوطنية ● آراء عبد الحكيم عامر ●آراء صلاح سالم: طلب إحضار عدد من زجاجات السم «سيانور البوتاسيوم» تكفى لعددنا لاستخدامها عند اللزوم ● من باب الإنصاف يحرص البغدادى على أن يشير إلى حقائق الأمور كما كانت واضحة له ، وهى أن الأمر كان أكبر من عبدالحكيم عامر ● يحرص على تبرئة عبدالحكيم عامر من تهمة الانفراد بالمسئولية ، لأن تقديرات الموقف التى كانت معروفة من قبل كانت تشير إلى حجم ما حدث بالفعل ، وهو ما لم يكن عبدالحكيم عامر بمفرده مسئولا عنه ● بعض ملامح موقف البغدادى من حرب ١٩٦٧ ● كان يعلم أن نشره لبعض ما شاهد وسجل عن حرب ١٩٦٧ سيجلب له المتاعب ● جوهر ما ينتقده وهو أنه فوجئ بما كان يجرى عقب الهزيمة من مظاهرات ، وكأن النصر هو الذى تحقق وليس الخزى والعار ● فهم عبد اللطيف البغدادى للسياسة الخارجية ولطبيعة الصراع الدولى فى أزمة الشرق الأوسط من خلال الرسائل الثلاث التى بعث بها إلى الرئيس عبد الناصر ● تنبيه البغدادى وزميله حسن إبراهيم للرئيس عبد الناصر إلى أهمية أن نكون على بينة من أمرنا ولا ننساق إلى فخ بدأت إسرائيل تجهيزه على نحو خبيث ● قيمة مثل هذه الرسائل المؤرخة التى تعكس رؤية أصحابها فى وقتها قبل أن تكون الفرصة متاحة لادعاء الحكمة بأثر رجعى ● البغدادى وحسن إبراهيم كانا يشعران فى ذلك الوقت بالأزمة الاقتصادية فى الموارد ● تقييم موقف المجتمع الغربى بنفس النمط من التفكير العاقل المتحسب ● الرسالة التى كتبها الرجلان متشبعة إلى درجة كبيرة بما كانت الدعاية المصرية قد روجت له فى الداخل من أن الجمهورية العربية المتحدة قد حققت تقدما اقتصاديا أصبح بمثابة تحد للاستثمار الغربى ● هذا لا يعيب الرجلين، كانا

كغيرهما يتعرضان لتضليل إعلامى مكثف لا تزال آثاره باقية إلى اليوم ● الرسالة تقدم مقترحات عسكرية محددة تتبلور فى الاقتصار على استخدام القوات الجوية فقط ، ومن المفارقات أن خطتنا المعلنة قد عمدت إلى ما هو عكس ذلك على طول الخط ، ومن المفارقات الأكثر مدعاة للأسف أن إسرائيل هى التى نفذت خطة الطيارين السابقين البغدادى وحسن إبراهيم!! ● طلب البغدادى من عبدالناصر بأن يجد الرئيس له مكاناً فى الخطوط الأمامية بين صفوف الجنود ● الرسالة تبدى سعادة البغدادى بتمكن الرئيس عبد الناصر من استعادة السيطرة على شرم الشيخ ومزاولة السيطرة على الملاحة فى مضيق تيران!! وهو ما يدلنا على أن البغدادى كان (شأنه فى هذا شأن عبد الناصر وعبد الحكيم عامر) يشعر بالمرارة من هذا الموقف الذى جاء نتيجة لحرب ١٩٥٦ واضطرت الثورة لإخفائه عن الشعب طوال هذه السنوات!! ● يؤكد البغدادى وزميلاه على فكرة أن يتاح لهم شرف المشاركة فى المعركة ● الوساوس الطبيعية التى دفعت البغدادى وزميليه إلى اللجوء إلى عبد الناصر ظنا منهم أنه بحاجة إلى اللجوء إليهم ● لقاء الأصدقاء القدامى: مظاهر البشر والحبور اللذين كانا لايزالان مسيطرين على الزملاء الأربعة بينما كانت الكارثة تنسج أطرافها ● الرئيس جمال عبدالناصر كان لايزال حتى ذلك اليوم الذى شهد هذا اللقاء [التاريخى] يقرأ بعناية كل ما يكتبه له زملاؤه ، وهو أمر يستحق الإعجاب والتقدير ● الرئيس يبدو شاردا فيما يتعلق بمساومات إسرائيل، فقد كان واثقا كل الثقة من تأييد السوفيت ● البغدادى لم يكن ليعول على ثقة عبدالناصر فى السوفيت ● البغدادى يتدخل حرصا على عدم تكهرب الجو بين كمال الدين حسين وعبد الناصر ● البغدادى يروى عن عبدالناصر قوله أو اعترافه الخطير بأنه اتخذ إجراءاته هذه من أجل إيقاظ العرب حين وجدهم قد ناموا ● ما يرويه البغدادى عما حدث منذ وقعت الحرب ● البغدادى لا يخفى عجبه الشديد من أن جمال عبدالناصر قد فقد اتصاله بجيشه وبقيادات هذا الجيش إلى الحد الذى كان يقرأ فيه الاستراتيجية التى سيدير عليها عدوه الحرب من الصحف الإنجليزية ● العشوائية فى اختيار وتحديد القادة العسكريين امتدت فشملت البغدادى نفسه حيث رشحه عبد الناصر للمساعدة فى الإشراف على القوات الجوية(!!) ● عبد الحكيم عامر كان أكثر وعياً من عبد الناصر فيما يتعلق بفهمه لمدى تقبل القوات الجوية أن يشارك البغدادى فى الإشراف عليها ● خطورة القفز إلى أحكام خاطئة تنبنى عليها سياسات واستراتيجيات الحرب

● إعطاء الصاوى محمد الصاوى رئيس نقابة عمال النقل بالقاهرة مبلغ أربعة آلاف جنيه● جمال ذكر أنه أراد بذلك أن يسبق خالد محيى الدين ويوسف منصور صديق ● وجهة نظره فى الرد على اتهام عبد الناصر له بالحساسية تجاه النقد ● البغدادى يعلق بعبارات رجل الدولة المسئول ● الاحساس المبكر بالتربص ينمو بين الرجلين العظيمين منذ مراحل مبكرة من العمل المشترك فى الحياة العامة ● غضب عبد الناصر من قرار البغدادى إجراء تحقيق مع عمه فى أثناء غيابه عن مصر ● جلسة مصالحة من أجل إزالة الجفاء الذى نشأ بينهما ● تقييمه لدور عبد الناصر فى ١٩٦٤ ، أى فى الفترة التى شهدت استقالته الأخيرة ● يصف عبدالناصر دون موارية بأنه أصبح يستهين بالرأى العام، بل يتحدى مشاعر الشعب ● رأى أحمد حمروش فى استقالة البغدادى الأولى عام ١٩٥٤ ● تمسك البغدادى بالمبدأ عندما رفض الموافقة على عودة محمد نجيب وكان قد سبق له عدم الموافقة على خروجه ● فى كتابه «الصامتون يتكلمون» نصا كاملا لاستقالة عبد اللطيف البغدادى من مجلس قيادة الثورة ● أثر استقالته على زملائه حين تلى نص استقالته فى أثناء الاجتماع ● تصوير دقيق يقدمه البغدادى لحالته النفسية بعد هذه الاستقالة ـ المبكرة ـ بعام حين التقى بصلاح سالم ودار الحديث حول المشكلات القائمة فى مجلس القيادة ● الأسباب التى جعلت البغدادى يصل إلى هذا الموقف ● وجهة نظر عبد الناصر وعبد الحكيم عامر فيما يتعلق بموقع البغدادى نفسه من كيان الدولة ● استقالة البغدادى فى ٢٤ أغسطس ١٩٥٨ ● عودته إلى العمل يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٨ ● الأسباب التى جعلته يفكر فى الاستقالة النهائية ● يجمل هذه الأسباب فى عودة عبد الناصر إلى عادته القديمة والظهور بمظهر الرجل القوى، وسيادة مبدأ الحلول الوسط ● يوازن بين خيارين متاحين أمامه وأنه قضى قبل استقالته عدة شهور يحضر فيها الحفلات الرسمية ويخفى شعوره بعدم الرضا ويستعجل مرور الزمن ليأتى اليوم الذى يعتبره يوم الخلاص ● يعبر عن بداية إحساسه بالخوف من عبد الناصر، وهو خوف غير محدد الملامح لكنه يتجلى فى الخوف من «إجراءات تعسفية» ● التأمل فى محاولات البغدادى المتكررة للخروج من الحكم ● كان بمثابة العضو الذى بدأ التململ المبكر ● يروى استقالاته العديدة بطريقة استرجاعية مقارنا بينها وبين استقالات عبد الحكيم عامر ● البغدادى يورد نصوصا بديعة وفريدة تجيد التعبير عن الدوافع التى دفعته وهو واحد من المشاركين الأوائل فى الثورة إلى أن يتخلى عن موقعه ، سواء بصعوبة أو بسهولة ● ما يرويه صلاح نصر فى مذكراته عن هذه الجزئية.

• يتحدث إلى نفسه محاولا التخلص من المرارة من صدور قرار عبد الناصر بفرض الحراسة على شقيقه عند اعتزاله الحكم فى ١٩٦٤ • ألمه من المضايقات التى بدأت أجهزة مسئولة توجهها له قبيل استقالته • حقيقة تصرفات الرئيس عبد الناصر مع عبد اللطيف البغدادى وزملائه الآخرين بعد ابتعادهم عن السلطة • صلاح نصر يشير إلى أنه كان صاحب الفضل فى كبح بعض تصرفات الرئيس عبد الناصر • عبد الله إمام يروى وجهة نظر مخالفة انفرد بها من أجل ما يظن أنه إنقاذ ماء وجه عبد الناصر • حديثه عن شكاواه من معاملة عبدالناصر راوياً أن زوج ابنته قد تعرض للإيذاء • قصة التضييق على زوج ابنته محمد نصير، وهو التضييق الذى تطور إلى تلفيق حتى امتلأت ملفات • علاقة عبد الناصر بزملائه القدامى لم تكن منقطعة تماماً، وإنما كانت شأن علاقة المصريين بعضهم ببعض تخضع للشد والجذب والمد والجزر • التقارب العاطفى الذى حدث بعد عام من القطيعة • نص رواية الأستاذ محمود فوزى على لسان البغدادى • السخرية من تكنيكات المستشار الصحفى الدرامية فى تصوير الاستفتاءات على أنها تتم بمثل هذه الجدية البالغة • عودة العلاقات • العلاقات بين الرجلين سرعان ما تعرضت لنكسة • البغدادى تعمد تجاهل السؤال عن صحة عبد الناصر حين كان يعالج فى الاتحاد السوفيتى فى العام الأخير من حياته • عبد الصمد محمد عبد الصمد يعلق على أحد الجوانب المهمة فى هذه الواقعة التى رواها محمود الجيار • رأى المؤلف كانت هذه الواقعة دائما ما تثير استغرابى وشكى • نص للبغدادى نفسه يدل على أن هذا حدث فعلا وعلى السبب الذى دفعه إلى هذا الموقف غير الحضارى • عبد الناصر قد تعمد عدم زيارة زميلهما كمال الدين حسين حين كان يزور جمال سالم فى مستشفى قصر العينى • نتعاطف مع عبد الناصر الذى كان يعانى الهزيمة والعمل من أجل إزالة آثار العدوان ومع هذا فإنه لم يكن يسلم من تكرار العتاب من زملائه • عبد الناصر يصارح البغدادى أنه لما وجد الناس تتكلم عن استقالته فقد رغب ـ على حد قوله ـ فى أن يتحدثوا عن شىء آخر، وذكر أنهم فعلاً قد نسوا الاستقالة وأخذوا يتحدثون عن موضوع الحراسة • الرجلان يعودان إلى اللقاء والتلاقى مرة أخرى فيما قبيل وفاة عبد الناصر • البغدادى يذكر السبب فى عودة العلاقات فى سياق حديثه لنصف الدنيا فى ١٩٩٦.

الفصل الثالث: حقيقة فكرة استخلاف عبد الناصر للبغدادى ٢٦٩

● فيما بعد وفاة الرئيس السادات دفعت بعض الفيروسات المعروفة إلى سوق التكهنات بشائعات قوية حول فكرة وجود نية الرئيس عبد الناصر فى أيامه الأخيرة لاستخلاف البغدادى ● رأى المؤلف: لا نملك الوسائل الكفيلة بالحكم بترجيح مثل هذا الظن، على حين أننا لحسن الحظ نملك ـ وبالتأكيد ـ الأدلة الكفيلة بتقليل احتمال حدوثه إلى أبعد حد ● لا نستطيع أن ننكر حقيقة مهمة وهى أن الرئيس عبد الناصر نفسه كان كثيراً ما يفتأ يلوح لأجهزة الاتحاد الاشتراكى والتنظيم الطليعى بصفة خاصة بورقة البغدادى فيما بعد ١٩٦٧ ● حقيقة الدور الذى كان عبد الناصر يريده للبغدادى : إيجابى فى المشاركة السياسية فحسب، لا فى الحكم، وذلك بأن يكون زعيما للمعارضة (الداخلية) أو شيئا من هذا القبيل ● ما يرويه صلاح نصر فى مذكراته عن شعور عبد الناصر تجاه البغدادى بعد فترة من ابتعاده ● فقرة تمثل أقصى درجات الحكمة والتعقل، وردت فى حديث البغداى للأستاذ صلاح منتصر (مجلة أكتوبر، يوليو ١٩٨٨) وفيها يشير البغدادى بكل وضوح إلى عدم جدوى الحديث فى هذه الجزئية اليوم، فليس هناك إرث مستحق يطالب به ● البغدادى يسفه تماما الفكرة التى روج لها محمد حسنين هيكل من أن عبد الناصر عين السادات نائبا له ثم نسيه ● البغدادى يشير فى حديثه إلى حقيقة مهمة هى أنه لم يحاول أبدا فتح موضوع استخلاف عبد الناصر له، واعتبر الموضوع سرا بين كليهما انتهى بوفاة عبد الناصر ● لم يكن من الممكن أن يثير موضوع استخلاف عبد الناصر له فى أثناء حياة الرئيس السادات وتوليه الحكم ● فى حديثه لمجلة نصف الدنيا: رواية البغدادى عن الموضوع ذاته تأتى بصيغة أخرى مخالفة للرواية الأولى التى هى أقرب إلى المعقولية ● إشارات من عبد الناصر لم يفهم البغدادى عمق دلالتها إلا فيما بعد ● كان فى أكثر الأوقات حريصا على استبقاء حبال المودة مع عبد الناصر ● رواية مراد غالب.

الباب التاسع: البغدادى وزملاؤه ٢٨١

● أنور السادات وعبد اللطيف البغدادى كانا على علاقة طيبة ● طبيعة الدور الذى قدر للبغدادى أن يقوم به فى عهد السادات فى هدوء شديد ● رواية أمين هويدى فى كتابه «مع عبد الناصر» ● محاولات اشتراك أعضاء مجلس قيادة الثورة فى السياسة بعد وفاة عبد الناصر ● عزيز صدقى وزير الصناعة والبترول أصدر بيانا

ظهر فـى الصحف فى ٦ أكـتوبر ١٩٧٠ • انتابنى انفعـال شديد وضيق مما كتـبه عزيز صدقى • علاقته بالرئيس محمد نجيب: السبب الوحيد لاستقالة البغدادى عام ١٩٥٤ كان معـارضته فى قرار مـجلس قيادة الثورة بإعـادة محمد نجيب لأنه كـان ينظر للأمر على أنها مسـألة مبدأ • لا يمكن لنا تأمل الموقف لو أن مجلس قيـادة الثورة أخذ برأى البغدادى ورفض عودة محمد نجيب • لم تكن للبغدادى علاقة مباشرة بالرئيس محمد نجيب فيمـا قبل الثورة • فى إحدى المرات لجأ إلى المناورة حتى اسـتخلص من محمد نجيب بسهـولة ما كان يريده منه هو وزملاءه فريق عـبد الناصر • كان أشـد المناهضين لعـودة الرئيس نجيب فى أزمـة فبـراير ١٩٥٤ • البغـدادى وصل إلى اعتـقاد بأن عـبد الناصر هو الذى دفع بمحمد نجيب إلى اتخاذ موقفه • علاقته بالمشير عبد الحكيم عامر: جوهر الحيـرة العظمى فى مذكرات البغـدادى المتعددة يكمن فى تلك العلاقـة الخاصة بين جمال عـبدالناصر وعبـد الحكيم عامر • أزمة البغـدادى الحقيقـية لم تكن فى هذا التناطح الواضح بين شخصية عبد الناصر وشخصيته، بقدر ما كانت تتمثل فى وجوده قبل عبدالحكيم عامر فى الأقـدمية • ظل البغـدادى حساسا تجاه عـبد الحكيم إلى هذا القــدر • ظل دائما متقدما على عبد الحكيم عامر فى البروتوكول • البغـدادى يروى وجهة نظر عبد الناصر فى حديثه عن متاعبه من عبد الحكيم عامر • رأى البغدادى فى أداء وشخصية عـبد الحكيم عامر قد صيغ فى منتهى الوضوح عنـد حديثه فى مذكراته (١٩٧٧) عن تعيين عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة عند إعلان الجمهورية (١٩٥٣) • نتائج تعيين عبد الحكيم عامر قائدا للجيش • انطباع البغدادى وانطباعات زملائه عن طبيعة العلاقة بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر والاختلافات بينهما • ما تصوره العلاقات من تجـربة إنسانية تتعلق بشبانٍ أتيح لهم عـلى حين فجأة نفوذ واسع وجاه عريض، بينما كانوا لايزالون غير مستعدينَ نفسـيا ولا عقليا لهذا النفوذ ولا لهذا الجاه ، ولم يكن أى منهم أو من زملائهم ينظر إلى مقدار ما أنعم الله به علـيه • علاقته بزكريا مـحيى الدين: الانتباه إلى أن عـلاقة البغـدادى وعبدالناصر وزكـريا كانت أهم علاقة فى علاقـات الثوار جميعا فقد كـان هذا الثلاثى قادرا على أداء دور من أروع ما يمكن لمصر لو أن تعليمـهم الأولى وتربيتهم الأولى قد نميا فـيهم روح الفريق • تفنيـد المعنى الذى أفاض به الـبعض عقب وفـاة عبد الناصـر وهو أن أحدهما (زكـريا) كان المسئول الأول عن الإسـاءة إلى علاقة الثـانى (البغـدادى) بعبد الناصـر • عـلاقتـه بجمال سالم: توثق العلاقة المبكر بين جمال سالم والبغدادى • البغدادى فـيما يرويه

بعد وفاة جمال سالم بسنوات طويلة يرينا بوضوح شديد أن الاتفاق بينه وبين جمال سالم كان قد انقلب إلى خلاف ثم انقلب هذا الخلاف على غير ما يتوقع إلى جفاء، وأن هذا الجفاء قد استمر، واكتشف كل منهما بالمصادفة أن الرئيس عبد الناصر كان هو السبب في الإيقاع بينهما • تلخيص الصورة التى صوره بها جمال سالم ونفاها كل من عبد الحكيم عامر وأنور السادات • هذه العلاقة لم تبدأ فى التوثق إلا فى مرحلة متأخرة، ربما بعد أن ابتعد جمال سالم وصلاح سالم وحسن إبراهيم عن الصورة • اختلافات واضحة وجوهرية فى فكر وأداء كل من الرجلين • علاقاته بكمال الدين حسين: عقيدة عبد الناصر الراسخة في وجود محور بين البغدادى وبين كمال الدين حسين • إدراك كمال الدين حسين مبكرا لجوانب قضية الحرية • البغدادى يروى بعض المناقشات التى دارت بين عبد الناصر ورفاقه قبل إعلان عبد الناصر عن التوجه النهائى إلى الاشتراكية • الفقرة التى يلخص بها خالد محيى الدين رأيه فى شخصية البغدادى ضمن حديثه عن زملائه من أعضاء مجلس قيادة الثورة • يبدى دهشته الشديدة ويعبر عن دهشة زملائه أيضا • علاقة البغدادى بصلاح سالم • البغدادى حرص على إنصاف صلاح سالم على الرغم من اختلافه الظاهر معه فى رؤاه • علاقة البغدادى بعبد المنعم عبد الرءوف • عبدالمنعم عبدالرءوف يوجه إلى البغدادى بعض الانتقاد فى مذكراته، لأنه لم يقف إلى جواره فى استرداد ما كان يعتبره حقه.

• تاريخه السياسى خلا إلى حد بعيد مما يتعارف عليه المثقفون بوصف «النقاط السوداء» وهذا صحيح إلى حد بعيد • قصة إنشاء محكمة الثورة ورئاسته لها • خلافه مع جمال عبد الناصر حول موضوع جريدة المصرى؟ • رفض أن يذيع حكما فى قضية لأعضاء مجلس الثورة قبل النطق به فى المحكمة لأنه سر بين أعضاء المحكمة حتى يتم النطق به • تطور مثير فى القصة بعد أقل من أسبوعين • قصة محاكمة تبدو فى البداية والنهاية نوعا من الانتقام السياسى من قوى معارضة • الحديث حول سلاح الفرسان • تسوية حالة بعض الضباط وإحالتهم إلى المعاش.

تصدير

هذا كتاب عن واحد من أبناء الشعب الذين قدر لهم أن يقوموا بالثورة أو بحركة الجيش فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وهى الثورة التى أعادت صياغة صورة الحياة فى وطننا الحبيب ، وقد كان عبد اللطيف البغدادى بين زملائه شخصية متميزة فى إنجازه وإسهامه ومعارضته كما أنه متميز بأدائه وفكره وكتابته فضلاً عن أنه كان مع تميزه شخصية سوية إلى أبعد الحدود ، تميزت بالوعى وبالوطنية وبالتحضر وبالرقى وبالاستقامة وبالنزاهة .. وقد حفظ له الوجدان الشعبى مكانته كما حفظت له الكتابات التاريخية مواقفه ، وهو كما نرى شهيد النزاهة الثورية كما أنه فى نظر الجماهير صاحب العصا السحرية ، وقائد الانقلاب البرلمانى الوحيد فى عصر الثورة!

❑

ولست أنكر حبى ولا إعجابى بالبغدادى وقد عبرت عن هذا من قبل وهو لا يزال على قيد الحياة ، وذلك فى الطبعة الأولى من كتابى «مذكرت الضباط الأحرار» ، ولهذا فإنى لا أظن أنى سأتمتع على مدى صفحات هذا الكتاب بقدر

الموضوعية الباردة الذى يتمتع به كتاباى عن سيد مرعى واسماعيل صدقى ، وإنما أظننى سأكون قريبا جداً من منهجى الحافل بالحب فى كتابىّ الآخرين عن عبد المنعم رياض وأحمد اسماعيل بل ربما تجاوز الأمر هذا الحد إلى أن تكون موضوعيتى قريبة من موضوعية الإعجاب والتقدير فى كتبى الستة عن علمائنا المفكرين الستة : على مشرفة وكامل حسين وعلى إبراهيم وأحمد زكى ونجيب محفوظ وسليمان عزمى أو كتبى الثلاثة الأخرى عن توفيق الحكيم وعثمان محرم ونجيب محفوظ.

ومع هذا فإنى أحب أن أعترف أنى سعيد إلى أبعد حدود السعادة أن تهيأت لى اليوم الفرصة للانتهاء من التجارب المطبعية لهذا الكتاب ، وكلى أمل أن يرى الكتاب النور عن قريب وأن ينضم للمكتبة العربية وأن يأخذ فيها مكانه الذى يستحق .

❑

ولست أستطيع أن أنكر مدى العناء الذى واجهته من أجل أن يصدر هذا الكتاب على هذا النحو السلس الذى يراه القارئ فيظنه بالأمر اليسير وما كان كذلك ، ولكنى أحمد الله على أنى وصلت إليه فى النهاية بعد إن أعدت كتابة هذا الكتاب وترتيبه وتبويبه بل تأليفه أكثر من خمس مرات.

وسوف يلاحظ القارئ أنى اكثرت من الاستشهادات ، والاقتباسات فى كثير من المواضع التى كان من الممكن أن تتجنب بعض هذه الاقتباسات أو الاستشهادات ، ولكنى فضلت هذا المنهج المتوسع فى الاستشهاد لأنى لم أشأ أن أدعى لنفسى فضلاً فى تقديم طعام جاهز تماماً على أنه من صنعى ، وإنما آثرت أن أنسب كل فضل إلى صاحبه وأن يأتى هذا «النسب» فى موضعه تماماً وألا يتأخر نسبى للفضل إلى قائمة للمراجع أو المصادر، ولم يكن هذا هو دافعى الوحيد لانتهاج هذا الأسلوب ، وإنما كانت هناك مجموعة أخرى من الأسباب ترتبط بما يوحى به لفظ صاحب الرواية ولفظ صاحب الرؤية ولفظ صاحب الرأى ، وهى ألفاظ موحية ومعتمدة فى إيحائها على السياق الذى وردت فيه ، ولست أنكر أنه كان بوسعى أن أبلور للآخرين رؤاهم على نحو ما أفعل ، لكنى وجدت الملابسات والوقائع بحاجة إلى كثير من

تصوير المشهد المسـرحى وهكذا رأيت أن هذه الطريقة المؤثرة لنقل النصوص الكاملة هى وحدها الكفيلة بأن تشبع الحاجـة الملحة إلى قراءة وتأمل الأحداث فى ضوء مثل هذه النصوص «الذاتية».

ومن ثم كان التـزامى بايراد هذه الأقوال مـهما طالت حـتى لا نختزل مـا تحفل به النصوص من مشاعرها وخفاياها فى ألفاظ صياغاتنا المركزة أو المختصرة أو التى هى ذات غرض وحتى لا تصبح الروايات التى تعتمـد عليها متأثرة برؤيتنا التى هى شىء آخر غير الرواية وغير الحقيقة مهما ادعينا غير ذلك .

وإنى لأدعو الله سـبحانه وتعالى أن يمنّ علىّ بالتـوفيق لأن انتهى من مجـموعة كتبى الآخـرى ، وأن يهئ لى من أمرى رشدا ، وأن ييسـر لى ، وأن ييسر علىّ ، وأن يسهل لى ، وأن يجـعلنى قادراً على الوفاء بحق شكره وحمـده على فضله ، مع أنى لا أظننى أبداً قادراً على الوفاء بحق شكره وحمده

والله ولى التوفيق .

د.محمد الجوادى

عبد اللطيف البغدادى

شهيد النزاهة الثورية

1

الملامح العامة

دار الخيّال

ينبغى لنا أن نعترف فى بداية هذا الباب بأن عبداللطيف البغدادى يمثل شخصية «نموذجية» من حيث توافر المواد الخام اللازمة للكتابة عنه من ناحية ، وانعدام التعويل على أسرار ينتظر الإفراج عنها من ناحية أخرى.

وعلى الرغم من أن عبد اللطيف البغدادى ليس الأول ولا الثانى ولا الثالث فى الأهمية من حيث التأثيرات الضخمة (الايجابية أو السلبية) التى أحدثها بشخصه فى بلاده من خلال الثورة ، إلا أنه لايمكن لنا أن نتجاهل أنه يتميز عن هؤلاء جميعا بأنه:

- عاش فى السلطة وعاش بعيداً عنها (وهو ما لم يحدث لعبد الناصر أو السادات اللذين عاشاها حتى نهاية حياتهما) .
- كما أنه ابتعد بإرادته (وهو ما لم يحدث للرئيس محمد نجيب ولا للمشير عبدالحكيم عامر).
- كما أنه ابتعد ولم يعد إلى موقع هامشى (كصلاح سالم).
- كما أنه مارس السلطة نفسها وأنجز فيها إنجازات محددة.. ثم ابتعد بعد أكثر من عشر سنوات من الممارسة ولم يبتعد منذ البداية عن ممارسة العمل التنفيذى مكتفيا بإبداء الرأى فحسب (كخالد محيى الدين).

- كمـا أنه حين ابتعـد عن السلطة والحكم ظل يبـدى رأيه ويعبر عن آمـاله على الدوام بكل الوسائل الممكنة ، ولم يؤثر الصمت وتجاهل الأحـداث (كزكريا محيى الدين) أو الحديث عن الماضى فقط دون آراء محددة أو رؤية متكاملة (كحسين الشافعى).
- وفضلا عن هذا كله فـإنه حين ابتعد لم يؤذ فى نفسـه وشخصه وحريتـه على نحو ما أوذى غـيره (كـمحـمد نجـيب وكمـال الدين حـسين وعبـدالحكيم عامـر ويوسف صديق) وهكذا ظلت له قدرة على النظر إلى الأمور برأس مرفوع ونفس واثقة.

وهكذا كان عنصـر « الإرادة » متوافـراً تماما فى حالتـه تجاه السلطة وتجـاه القوة التى توفرها وتهيؤها السلطة .

❑

فضلاً عن هذا فـإن البغدادى سجل آراءه وذكرياته عن الأحداث التى عـاصرها وقد نشر مذكراته فى الحقيقة أربع مرات:

- المرة الأولى [وهى الأشهر والأخلد] حين نشر مذكراته فى جـزءين كبيرين عام سبعة وسبـعين (١٩٧٧) عن المكتب المصـرى الحديث وقـد أصبحت هذه المـذكرات منذ نشرها بمثـابة المصدر الأول للحديث عن الفـترات التى تناولتها والموضـوعات التى ناقشـتها ، وهى مذكـرات جيدة من حـيث الكتابة ، ومن حيث الدقـة ، ومن حيث الصدق ، ومن حيث الموضوعية ، فضلاً عن خلوها إلى حد كبير جداً (يكاد يكون مطلقا) من التحيزات العمياء ، والتبريرات السخيفة ، والتفسيرات المتعسفة.

وبالإضافة إلى هذا فإن للبغدادى ثلاث تجـارب أخرى فى رواية المذكرات على هيئة المحاورات.

- المرة الثانيـة حين تحدث هو وزمـيلاه كمـال الدين حسين وحـسن إبراهيم إلى سامى جوهر فى حوار طويل جدا نشر فى كتاب سامى جوهر « الصامتون يتكلمون ».
- المرة الثـالثـة فى مجلة أكـتـوبر على حلقـات متـواليـة بدءاً من الرابع من يوليـو سنة ١٩٩٣، وكانت آخر الحلقات فى ١٣ فبراير ١٩٩٤.

وقبل هذه الحلقات كانت هنـاك مذكرات للبغدادى قد نشرت فى مـجلة أكتوبروقد اتخذت شكل حديث مطول مع رئيس التحرير الأستـاذ صلاح منتصر نشر على حلقات فى مجلة «أكتوبر» بدءاً من الثالث من يوليو سنة ١٩٨٨ ، ويتضمن هذا الحديث المطول كثيراً من الإضافات والحقائق والنصوص المهمة لتاريخ البغدادى والثورة وعبد الناصر.

- المرة الرابعة عـلى هيئة حـوار طويل امتد نـشره على مدى عـشرين حلقـة فى مجلة «نصف الدنيا» فى ١٩٩٦ ، وقد نشرت أولى الحلقات فى ٢٨ يوليو ١٩٩٦.

❑

وهكذا أتاح البغدادى نصوصاً جيدة تلقى الضوء على شخصيته ، ونشاطه ، وفكره، وإنجازه ، ووجهة نظره ، ورؤيتـه فضلاً عن مواقفه ، ودوافعه ، وانطبـاعاته ، ومشاعره ، ومعتقداته .

وهكذا فإن البغدادى على حد تـعبيرى الذى استخدمته من قـبل فى وصف شخصية معاصرة أخرى قد هيأ نفسه للكتابة عنها ، وربما لايعادله فى هذا من بين زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة إلا الرؤسـاء الثلاثة الاوائل الـذين كتبوا مذكراتهم (وإن كان الرئيس عـبدالناصـر أقل الثلاثة حـظاً فى هذا الصدد) ... ولكن البـغـدادى تميز عن الرئيـسين محـمد أنور السادات ومـحمد نجيب بالنظرة إلى الأحداث أكـثر من مرة من أكـثر من شرفة عالية ، ولأن قدر الصلابة فى أخلاقـه كان يفوق قدر الصلابة فى أخلاق الرؤساء الثلاثة فقد بقيت نصوص البغدادى ورؤاه أكثر صلابة وتماسكا ، وأظنها ستبقى كذلك.

وأما من حيث شخصـيته فإن البغدادى يمتاز عن كل زملائه من رجال الثـورة جميعا بالقدرة الفذة على الإنجاز ، وقد كان بمثابة الوحـيد منهم الذى جمع ما نسميه فى الأدب والفكر بالقدرة على الحلم ، وعلى وضع الخطط الكفيلة بتنفيذ حلمه ثم على متابعة هذا التنفيذ.

والفارق بين البغدادى وبين زملائه جميعا فى هذه القدرة كبير جداً فعلى الرغم من قدرة السـادات الخيالية واللا مـحدودة على الحلم ، وعلى الرغم من قدرة عبـد الناصر الرائعة على استثارة الحماس وتوجيـهه ، وعلى الرغم من إخلاص كمال الدين حسين

وتفانيه فى تنفيذ كل مابدأه وعلى الرغم من تفانى زكريا محيى الدين لما يعمل وأدائه المتواصل فى صمت ، إلا أن البغدادى يفوق هؤلاء الأربعة فى القدرة على الحلم وتحقيق الحلم فى كيان متميز ومتكامل بتكلفة أقل ، وفى وقت أسرع ، وبجودة أرفع.

لا يخفى على أحد أن عبد اللطيف البغدادى كان يحتل مرتبة سامقة فى وجدان الجماهير ، فقد كان اسمه مرتبطاً بالإنجاز الحقيقى والسريع ، ومنذ أيام عبداللطيف البغدادى لم يتكرر صنو له يستطيع أن ينفذ ما استطاعه البغدادى بهمة واقتدار وفى لمح البصر ، ولاشك أن إنجازاته ذاتها قد تعرضت للتضخيم الفولكلورى حتى وصلت إلى حدود لم يكن هو نفسه ليتصورها ، ولكن الجمهور معذور فى ذلك ، فإن هذا الجمهور لم يشهد فى حياته قبل البغدادى ولا بعده مَنْ قام بما قام به البغدادى فى فترات وجيزة ، وقد سمعت أنا شخصياً من بعض الناس أن البغدادى كان يمر على الطريق الترابى فى الصباح فيأمر بأن يرصف الطريق فى ذات اليوم ويعود ليمر عليه فى المساء وهو مرصوف.. ومع استحالة وقوع مثل هذا فإن مثل هذه الأقوال تعطينا فكرة عن مدى الإنجاز وسرعته وإن لم تكن حقيقية تماماً.

❑

وفضلا عن هذا فإن البغدادى هو صاحب أطول فترة فى موقع الرجل الثانى فى عهد الرئيس عبد الناصر (على عكس ما هو شائع) ، ومنذ اللحظات الأولى التى أخذت فيها الثورة بمبدأ الأقدمية كانت الأمور تسير فى صالح قيام البغدادى بدور بارز [وكان ترتيبه فى كشف الجيش يعطيه دوراً متقدماً جداً إذ كان الثانى مباشرة بعد جمال سالم]، ولكن لاجمال عبد الناصر ولا البغدادى استطاعا أن يقودا التفاعل بين رأييهما لمصلحتيهما أو لمصلحة مصر.

ومنذ ١٩٥٦ أصبح من المفهوم والمعروف والمتفق عليه أن البغدادى هو الرجل الثانى فى الدولة بعد عبد الناصر ، وذلك بعد خروج جمال سالم من السلطة [بعد أن خرج شقيقه صلاح سالم]، وقد ظل البغدادى يحتفظ بهذا الوضع حتى استقالته النهائية فى مارس ١٩٦٤ ، وقد تولى رئاسة الجمهورية بالنيابة عدة مرات فى أثناء غياب الرئيس جمال عبد الناصر فى الخارج.

ومعظم المراقبين لتلك الأيام يقررون أن عبد اللطيف البغدادى قد أضير بسبب فكره المنظم وآرائه الواضحة كما أنه حرم من موقعه المتقدم هذا بسبب قدرته على معارضة عبدالناصر ، ولكنى على خلافهم جميعا أزعم أن خسارة الرئيس جمال عبد الناصر بابتعاد عبد اللطيف البغدادى كانت أكبر بكثير من خسارة البغدادى بالابتعاد ، فلربما خسر البغدادى بعض المناصب وبعض الأضواء ولكن عبد الناصر خسر صديقا حقيقياً ، ووطنيا مخلصاً ، ورأيا سديداً ، ومشاركة واعية ، ولو كان للموتى أن يتكلموا لقال الرئيس عبد الناصر ـ الآن ـ مثل ما أقول .

لعلى أريد أن أقول إن البغدادى كان منضبط الفكر إلى حد بعيد ، ولعلى أريد أن أقول أيضا إنه كان منضبط السلوك أيضا إلى حد بعيد ، وقد كان هذا الالتزام أو الانضباط مكلفاً كما نعرف ، فهو عبء على الأعصاب و عبء على البدن ، كما أنه ليس بإمكان الكثيرين أن يكونوا كذلك.

❑

وإنى لأعتقد أن عبد اللطيف البغدادى كان يتمتع بقدرات عقلية متفوقة ولكنه كان فى نفس الوقت لايتمتع بذات القدر من القدرات النفسية : ذلك أنه لم تكن عنده هذا القدر الذى كان يتمتع به عبد الناصر و السادات و زكريا محيى الدين من القدرة على التكيف مع البشر والصبر عليهم إلى حين ، ولابعض هذا القدر.

وإذا أردت أن أعبر بلغة الأطباء فقد كان البغدادى يشعر بالغثيان بأسرع ممايشعرون، بل كان يرى نفسيته عاجزة عن أن تتوافق مع كثير من الأمور التى كان يسهل عليه التوافق معها لو أنه درب نفسه الصريحة على شىء من الصبر ، والتؤدة ، وتوقى الصدام وتقبل وجهات النظر الأخرى حتى لوكانت صريحة البطلان فى نظره.

وليس من شك أن حياته العسكرية المستقرة لم تساعده على معرفة كنه النفس الإنسانية على نحو ما عرفها أنور السادات على سبيل المثال ، وليس من شك أيضاً فى أنه لم يكن ميالا إلى الزعامة بنفس القدر الذى كان عبد الناصر يميل إليها. ولهذا فإن عبد اللطيف البغدادى كان سريع الغضب إذا ماتجاوزت الأمور حداً لاتطيق نفسه أن

تتوافق معه ، ولهذا فإنه وفى مرحلة مبكرة جدا اعتزل تنظيم الضباط الأحرار قبيل الثورة حين وجد الأمور تسير فى الاتجاه الذى لايوصل إلى شئ .. كذلك فإنه على نحو ماسنرى كان صاحب الاستقالة المبكرة فى ١٩٥٤ .. كما أنه على حد تعبيره فيما بعد تقدم بثمانى استقالات على مدى عشرة أعوام [١٩٥٤ ـ ١٩٦٤].

ولهذا كله فإنى مع حبى الشديد للبغدادى لا أستطيع أن ألوم عبد الناصر بنفس القدر الذى ألوم به البغدادى ، أقول هذا ولا أبرئ نفسى فإنى فيما أعرف عن نفسى ـ على سبيل المثال ـ أضيق منهما صدراً وأسرع غضباً ، ولكن الحق الذى لامرية فيه أن عبد اللطيف البغدادى يتحمل قدراً لابأس به من المسئولية عن الآثار السيئة للعلاقة الملتبسة بين جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر وهى العلاقة التى ظلت تفرض آثارها السلبية حتى وقعت هزيمة ١٩٦٧.

ولست أتحيز فى هذا لعبد الناصر ضد عبد اللطيف البغدادى فلربما أحس القارئ من كتابى هذا ومن كتب سابقة أن حبى للبغدادى لايقل عن حبى لعبد الناصر.

ولكنى لا أستطيع أن أبرئ البغدادى من المسئولية عن هذه العلاقة كما أنه من ناحية أخرى كان يعرف حجم معاناة عبدالحكيم من عبدالناصر! وصحيح أن عبدالحكيم كان ضعيفا أمام عبدالناصر وصحيح أيضاً أن عبد الناصر كان ضعيفا تجاه عبد الحكيم .. ولكن هل كلف البغدادى نفسه مرة واحدة أن يدبر تدبيراً واحداً أو أن يشارك فى تدبير واحد من أجل نصرة عبد الناصر على نفسه (أى على عبد الناصر) وعلى عبد الحكيم؟

هذا هو السؤال الذى ينبغى لنا أن نسأله اليوم حتى يتعظ الناس جميعا فى كل زمان قادم بهذه التجربة بين هؤلاء الزملاء الثلاثة .. فقد كان البغدادى فى ظل ظنه أنه حريص على أخلاقياته يدفع نفسه إلى أن ينأى بها عن إتمام الدور الكبير الذى تهيأ له فى خدمة وطنه ، ولنذكر أنه كان صاحب أطول مدة قضاها أى رجل ثان فى عهد عبدالناصر ، ولنذكر أيضا أن عبد الناصر نفسه كان كثيرا مايفكر فى الإفادة من قدراته حتى بعد ابتعاده وإن لم يكن هذا يستتبع بالطبع القفز إلى فكرة استخلافه له .. بل لنذكر أيضا أن أنور السادات نفسه فى أول عهده كرئيس لم يفكر فى أن يؤثر أحداً من أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين بالاستقبال إلا البغدادى!!

على هذا النحو نستطيع أن نفهم أن البغدادى كان مُرحبا به على الدوام أكثر من غيره من زملائه فى الصف الأول سواء فى عهد عبد الناصر أو حتى فى عهد السادات ، ولكنه كان ـ بحكم شخصيته وتكوينه ـ أقرب إلى طراز متفرد من السياسيين الوطنيين المثاليين الذين لايملكون القدرة على التجاوز عن بعض المواقف الخاطئة.

وهكذا فقد كان يؤثر لنفسه السلامة أمام ضميره ، وأمام خالقه جل جلاله ، وأمام التاريخ .. وقد يكون هذا مقبولا منه ومن غيره فى فترات طويلة من الزمن .. ولكنى أشك فى أن يقبل التاريخ منه مثل هذا الموقف حين كانت مصر مقبلة على هذه الهزيمة النكراء فى ١٩٦٧.

ولست بمستطيع أن أتجاوز هذه النقطة من دون أن أذكر أن هذا كان هو الدافع الأكبر للبغدادى ـ فيما بعد ـ إلى المسارعة إلى عبد الناصر قبيل وقوع كارثة ١٩٦٧ مرة ومرتين ، ثم طوال الحرب أيضا.

ولكنى مع هذا لا أستطيع أن أذكر أنه بهذا الذى فعل أدى ـ تماما ـ كل ما كان ينتظر منه وهو رجل حمل روحه على كفه ليلة ٢٣ يوليو وقبلها أكثر من مرة .

❑

نستطيع كذلك أن نذكر بثقة ما لم يبلوره البغدادى عن نفسه فيما يتعلق بتوجهه الوطنى الإيجابى ، فعلى نحو ما ذكرنا فى أكثر من موضع فإن جهد البغدادى فى هذه الناحية يكاد يوازى نشاط أنور السادات من حيث التنوع والإحاطة ، وإن كان أقل بالطبع من حيث الدينامية والخطورة ، ويمكن بلا مبالغة القول بأن عبد اللطيف البغدادى قد سعى بنفسه إلى كل طريق عرف أنه قد يقوده إلى تحقيق الأمانى الوطنية ، ونحن لا نعرف حقيقة ولا طبيعة ما وصل إليه نشاطه فى هذا المجال ، فلربما أنه لم يندمج تماماً فى هذه الأنشطة ، وبالتالى فإنه لم يتورط فى قضايا أو حوادث اغتيالات على نحو ما فعل السادات أكثر من مرة ، وربما أنه شارك (أو تورط) بالفعل فيما لا نعرف عنه شيئاً من نشاط سرى فى الزمن الذى ازدهر فيه النشاط السرى.

ولكننا مع هذا نستطيع أن نقول باطمئنان إن عبد اللطيف البغدادى كان واحداً من

اثنين من أعضاء مجلس قيادة الثورة « ومن أعضاء الصف الأول فى ثورة ٢٣ يوليو » شاركا فى العمل السياسى السرى منذ بواكير شبابهما ومنذ ما قبل قيام الثورة بفترة طويلة ، وكان الآخر هو أنور السادات.

وبدايات هذين الرجلين تسبق بدايات زملائهما الآخرين جميعاً وبلا استثناء إلا أن يكون هذا الاستثناء واحداً ممن لم يصلوا إلى عضوية مجلس قيادة الثورة (كعبد المنعم عبدالرءوف الذى فصل من اللجنة القيادية قبل قيام الثورة أو حسين ذو الفقار صبرى أو حسن عزت أو أحمد سعودى).

وربما لا نستطيع أن نفهم طبيعة دور البغدادى فى العمل التنفيذى والسياسى والبرلمانى والحكم فى عهد الثورة من دون أن نقارن بينه وبين أنور السادات ، وقد عقدنا مقارنة بين الرجلين من حيث نشاطهما الوطنى الذى سبق نشاط زملائهما أجمعين ، كما تميز بتعدد الاتجاهات ، وقد أشرنا إلى أن كليهما قد بدأ نشاطه فى هذه الاتجاه منذ ما قبل قيام الثورة بعشر سنوات على الأقل ، وقد تعرض أنور السادات للسجن مرتين والفصل من القوات المسلحة أما بغدادى فإنه لم يعان من مثل هذه المآسى أو التجارب الخصبة ، ولعل هذا هو ما جعله لايتمتع بما تمتع به السادات من حنكة شديدة وصبر طويل على كل ما أتت وتأتى به الأيام .. كان البغدادى أكثر ميلاً إلى فهم الخطوط المستقيمة الواضحة ، وكان أنور السادات قادراً على فهم المنحنيات والدوائر المتقاطعة ، وكان السادات على سبيل المثال يشعر بالامتنان تجاه عبد الناصر الذى ضمه إلى الصف الأول من المسئولين عن الثورة .. بينما كان البغدادى لايزال يشعر بالامتنان على عبد الناصر وليس تجاهه كما كان أنور السادات يشعر !!

❑

ومع كل هذا فإن البغدادى كان فى كل ما كتب وروى من المذكرات ينظر إلى كل الأمور فى إطار ما أحب أن أصفه بأنه «التاريخ الطبيعى» ، فهو لا يؤمن بالارتداد إلى الماضى ، ولا يؤثر السلامة فى حكمه على الحاضر ، ومازال جذوة الثورة فى روحه لا تتراجع مهما كانت الظروف ، وهو يفرق بإحساس جيد بين ما هو «فردى» وما هو

«جماعى» ، وبين ما هو «شخصى» ، وما هو «وطنى» ، ولكنه مع ذلك لا يرتدى مسوح المثالية ، ولا يخاطبنا من أعلى عليين ، إنما هو صادق فى معاناته وفى تعبيره عن هذه المعاناة ، حتى ولو كانت معاناة النجاح.

❑

نال البغدادى كثيراً من التقدير الرسمى طيلة حياته ، فى وطنه وفى خارج وطنه ، وإذا كان لابد من ذكر مثل دال على قدر هذا التكريم فإنه يكفينا أن نشير إلى حصول عبد اللطيف البغدادى على نجمة فؤاد العسكرية مرتين عن دوره فى الحرب (١٩٤٨) وهى أعلى نيشان عسكرى وقتها ، وقد تم هذا التكريم فى عصر الملكية وقبل قيام الثورة بالطبع !!

❑

لم يقم البغدادى وهو فى السلطة بزيارات كثيرة خارج مصر ، لكن أهم هذه الزيارات كانت إلى بون فى يوليو ١٩٦١ ، فضلا عن زيارات أخرى بعد هذا للعلاج.

عاش البغدادى بعيداً عن السياسة منذ ١٩٦٤ وحتى توفى ، ولم يشارك فى أى نشاط سياسى علنى أو سرى باستثناء مناسبتين : المناسبه الأولى فزعه مع زملائه من أعضاء مجلس قيادة الثورة قبل اندلاع حرب ١٩٦٧ والمناسبة الثانية مشاركته عام ١٩٧٢ فى كتابة العريضة الشهيرة للرئيس السادات.

وقد توفى البغدادى فى يناير ١٩٩٩ بعد مرض طويل ، وشيعت جنازته بمشاركة الرئيس محمد حسنى مبارك.

عبد اللطيف البغدادى

شهيد النزاهة الثورية

2

مرحلة التكوين

دار الخيّال

لم يتناول عبداللطيف البغدادى حياته الأولى فى مذكراته المنشورة فى كتاب (١٩٧٧) بأى قدر من الحديث ، إنما بدأ مذكراته المنشورة فى كتابه بالحديث عن عام ١٩٤٠ ثم بالحديث عن مقدمات حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وانطباعاته عنه ، ومن حسن الحظ أنه استدرك هذا عند نشر ما يمكن أن نسميه مذكراته الأخيرة فى نصف الدنيا فى ١٩٩٦ ، وهو يقدم لنا فى هذه الأحاديث العشرين ؛ نصا ممتعا وجيدا يتمتع بقدر كبير من النضج فى الحديث عن الذات فى مراحلها الأولى .

ونحن نلاحظ فيما يرويه البغدادى أنه انتقل إلى المنصورة فى طفولته لكى يبدأ دراسته الابتدائية ، وهكذا أتيح له مبكرا قدر لا بأس به من الفرصة الطبيعية الممكنة من استقلال الشخصية ، فضلاً عن الفرصة المحاذية فى التحضر المبكر ، كما نلاحظ أن المستوى الاجتماعى والاقتصادى لأسرته سمح له أن يستمتع بالحياة فى نهاية الأسبوع ، وألا يعانى من صعوبات الانتقال ، كما نلاحظ ما يرويه عن قبوله فى كلية البوليس بالواسطة وأن السيدة العظيمة أم كلثوم كانت هى واسطته.

ونحن نلاحظ أيضا ما يرويه البغدادى عن وجهة نظر والده «العمدة» المفضلة لالتحاقه بكادر البوليس والمفضلة لأن يكون مستقبله فى هذا الكادر على أن يكون فى كادر الجيش ونحن نعرف أن تفضيل انتماء الأبناء إلى البوليس يعكس عقلية مَنْ ينتمون إلى عصبيات الريف المصرى .

« ... ولدت يوم ٢٠ سبتمبر عام ١٩١٧ فى قرية « شاوه » التى تبعد عن المنصورة

٤كم ، [ومن] أسرة ميسورة الحال ، وكان والدى عمدة القرية فقد كانت العمودية تورث فى عائلتنا وتعلمت فى القرية القراءة والكتابة ، ثم التحقت بالتعليم الابتدائى فى مدرسة المنصورة الابتدائية ، وأقمتُ فى شقة بالمنصورة مع بعض أقاربى وكان والدى يرسل لنا «الحنطور » كل خميس لقضاء العطلة الأسبوعية هناك ثم حصلت على الابتدائية ، والتحقت بمدرسة المنصورة الثانوية».

«وحصلت على شهادة البكالوريا عام ١٩٣٦ وقدمت أوراقى إلى كليات الزراعة ، والبوليس ، والحربية . قبلت فى كلية الزراعة لأن مجموعى كان يؤهلنى لها كما أننى قبلت أيضا فى كلية البوليس عن طريق الواسطة أما الحربية فقد دخلتها بدون أى واسطة وعلى غير رغبة والدى فبحكم أنه فلاح كان يرى أن البوليس أفضل من الحربية لأنه كان يريدنى حكمداراً أو مأمورا».

❑

ويروى عبد اللطيف البغدادى قصة قبوله بالكلية الحربية بحديث ينم بطريقة غير مباشرة عن اعتزازه أو فخره بالدور الذى لعبته شخصيته المتميزة فى إتمام قبوله بالكلية الحربية على الرغم من تحفظ والده على هذا التوجه ، ونحن نرى القدر وهو يدفع بخطوات البغدادى إلى الكلية الحربية على الرغم من أنه كان قد أصبح بالفعل طالبا بكلية البوليس ، وانتظم فى الدراسة ، وسدد قيمة القسط الأول بحوالة بريدية ، وكانت المصروفات كبيرة بمقاييس ذلك الوقت:

«... الالتحاق بالكليات العسكرية بدون واسطة فى ذلك الوقت كان مسألة مستحيلة! نعم ، ولكن التحاقى بالكلية الحربية له قصة طريفة ، فقد قُبلت فى كلية البوليس فى بداية الأمر وكانت واسطتى أم كلثوم وهى من قرية « طماى الزهايرة » القريبة من قريتنا، وكانت تربطنا بها علاقة عائلية ، أعطتنى كارت إلى مدير الكلية وقتذاك عبد السلام الشاذلى والذى كان مديراً لمديرية الدقهلية أيضاً وكان ترتيبى الثانى فى الواسطة والتى كانت حسب أهمية الشخص الموصى لذلك فقد كان الأول نجل وكيل وزارة الداخلية آنذاك ، والتحقت بالبوليس ، وأرسلنا إليهم حوالة بريدية بمبلغ ٥٤ جنيهاً هى قيمة القسط الأول».

«وكنت قد قدمت أوراقى للكلية الحربية فى نفس الوقت واجتزت اختبارات كشف الهيئة بنجاح ، وبقى الاختبار الأخير وهو المقابلة الشخصية وكنت قد أمضيت أسبوعاً

فى كلية البوليس فاستأذنت منهم حتى أحضر الكشف النهائى فى الكلية الحربية فسمحوا لى ، وكانت اللجنة تضم وزير الحربية وكان أركان حرب الكلية ينادى على كل طالب ويقول : موصى عليه من فلان ، أما أنا فلم تكن لى واسطة لأننى كلما كنت أطلب من والدى أن يكلم مَنْ يتوسط لى فى الحربية . يقول لى : واسطتك ربنا بحكم رفضه دخولى الحربية».

«وعندما جاء دورى قال أركان حرب الكلية : غير موصى عليه من أحد ، فسألونى : لماذا فضلت الحربية ؟ قلت لهم : لأنها أشرف مهنة ففيها يضحى الإنسان بحياته فى سبيل بلاده ، فردوا قائلين : طيب ما المهندس يتعرض للأخطار فى مهنته ، وهو بهذا يضحى بنفسه من أجل بلده وكذلك الطبيب ، فقلت : إن فيها رياضة وتقشفا وأنا أحب ذلك ، قالوا : يمكن أن تمارس الرياضة فى النادى ، وأن تتقشف بدون دخول الكلية».

«وظل الحوار هكذا حتى شعرت بالضيق فقلت لهم : أنا عايز أضمن لما أتخرج ألاقى شغل زيكم كده وشاورت عليهم ، فردوا قائلين : أنت صريح زيادة عن اللزوم اتفضل !».

«وتأكدت وقتها أننى لم أقبل ولكن حينما بدءوا ينادون أسماء المقبولين فوجئت باسمى بينهم ، وطلبوا من كل طالب ١٢ جنيهاً قسطا وجنيها للعصا والطربوش ، ولم يكن معى المبلغ ولكن كان معى كعب الحوالة البريدية التى كنت سأسددها لكلية البوليس فأخبرت أركان حرب الكلية بعدم توفر المبلغ معى ولكن هناك الحوالة ، وأنه يمكن تحويلها ، فنادى الصراف ليأخذ الحوالة ، وبذلك استطعت دفع مصاريف السنة كاملة ، وكانت تبلغ ٣٧ جنيها منها ٣٦ جنيها مصاريف وجنيه العصا والطربوش ، وهكذا دخلت الحربية».

«ثم أرسلت إلى والدى تلغرافياً أخبره بذلك فتضايق لأنه كان يرغب أن أستمر فى البوليس ، ولكننى أخذت قرارى سريعاً ، ولم انتظر حتى أتصل به ، وقد كانت دفعتى هى أكبر دفعة فى تاريخ الكلية الحربية وقتها حيث بلغت ١٥٧ طالباً بعد أن كان عدد الطلبة يتراوح ما بين ١٠ إلى ١٥ طالباً » .

❑

ومما توافر لنا من نصوص أو معلومات عن حياة البغدادى يمكن القول أنه لم يكن

فى حياته الوظيفية أو العسكرية قبل الثورة ما هو جدير بالتفرد أو بالتأمل أو التعليق، فقد عمل شأنه شأن زملائه فى المطارات العسكرية حتى تولى قيادة القاعدة الجوية فى غرب القاهرة فى ١٩٤٨ وقيادة أسراب القاذفات حتى عام ١٩٥٠، ثم أصبح مساعدا لمدير تدريب القاذفات حتى قامت الثورة ، ولكن الجانب المهم أو الأهم فى هذه الحياة كان هو التوجه المبكر لهذا الضابط الشاب نحو العمل من أجل حرية وطنه وتحرير هذا الوطن بكل ما هو ممكن من عمل سرى دءوب ، وقد كانت مذكرات البغدادى التى نشرها فى ١٩٧٧ أول مذكرات تتحدث بالتفصيل عن تنظيم الضباط الطيارين الذى ضم عبداللطيف البغدادى وأحمد سعودى أبو على وحسن عزت ووجيه أباظه ، وقد كانوا يسكنون معاً فى شقة واحدة فى مصر الجديدة بالقرب من المطار.

وقد روى عبد اللطيف البغدادى فى هذه المذكرات قصة المصير المؤسف الذى تعرض له الطيار أحمد سعودى حين حاول الهرب بطائرة «جلاديتور» فى الصباح المبكر لأحد الأيام واتجه بها نحو منطقة مرسى مطروح غرب الإسكندرية ، التى كانت تقع تحت سيطرة القوات الألمانية فى ذلك الحين ، ولكنه على ما يظهر لم يتمكن من الوصول إلى هناك ولم نعلم حتى اليوم حقيقة ما حدث له [هكذا يقول البغدادى] : والغالب أنه قد أسقطت طائرته بواسطة الدفاع الجوى الألمانى لأن نفس النوع من الطائرات كانت تستخدمه القوات البريطانية ، ولكن تصادف أن أحد الطيارين المصريين من المنضمين إلى التنظيم كان قد كُلف مع زملاء آخرين له بأمر من قيادة الطيران المصرية بالقيام فى تشكيل من الطائرات للبحث عن الطائرة التى استقلها سعودى باعتبار أنها ربما تكون قد سقطت فى مكان ما حول مدينة القاهرة فى أثناء قيامه بتدريبه اليومى، ولكن بدلاً من أن يعود هذا الزميل واسمه رضوان مع تشكيله بعد انتهاء مأموريتهم ، فقد توجه هو الآخر بطائرته نحو مرسى مطروح تاركاً تشكيله ، وذلك لعلمه المسبق بخطة سعودى من وجيه أباظة الذى كان قد أشركه معه فى إعداد الخرائط اللازمة لرحلة سعودى ، وقد وصل رضوان سالماً إلى هناك ، ولكن هذا التصرف منه كشف للمسئولين فى البعثة العسكرية البريطانية الغرض من عملية سعودى مع أن خطتنا كانت قد بنيت على أساس أنه سيعتقد بأن سعودى قد سقط بطائرته فى أثناء اختباره لها فى الجو ، وفى مكان لم يمكن الاهتداء إليه بعد البحث عنه دون توصل القيادة إلى حقيقة مرمى العملية ، لكن هذا التصرف من الطيار رضوان نبه القيادة

المصرية والإنجليزية على السواء إلى أن فى الأمر سرا ، وأجروا تحقيقاً فى الموضوع لمعرفة ما وراءه ، ولكنهم لم يتوصلوا إلى شيء يكشف أمر التنظيم ، ورغم أن عدداً من ضباط سلاح الطيران قد أبعدوا ونقلوا إلى الجيش على إثر هذا الحادث ، إلا أن هذا لم يشمل أحداً من أفراد التنظيم نفسه غير الملازم الطيار حسن إبراهيم (عضو مجلس قيادة الثورة فيما بعد). ويرجع ذلك إلى أن الطائرة التى كان قد استقلها سعودى كانت هى الطائرة المخصصة لحسن ، وكان الاتفاق قد تم معه على أن يظل ملازماً لفراشه بالمطار فى اليوم المحدد للعملية حتى يتمكن سعودى من استخدام طائرته والطيران بها ، وقد جوزى حسن بنقله من سلاح الطيران وتأخير أقدميته سبعة ضباط ، ولكنه عاد إلى الخدمة بالطيران ثانية سنة ١٩٤٥».

«... ولم تكتف البعثة البريطانية المشرفة على سلاحنا الجوى بتلك الإجراءات ، ولم تقتنع بنقل بعض الطيارين المصريين إلى وحدات أخرى بالجيش ، وإنما عملت أيضاً على منع الباقين منهم فى سلاح الطيران من التدريب اليومى على الطائرات أو استخدامها لعدة شهور بعد ذلك الحادث ، وكان قد تم سحب موزع الكهرباء (الماجينتو) من جميع الطائرات حتى لا يمكن إدارتها ، ثم سمح بعد ذلك للطيارين باستخدام الطائرات ولكن لم تكن تمون بالوقود إلا فى حدود طيران ساعة فقط ، وذلك حتى لا يتعدى مدى طيرانها المنطقة المحيطة بالقاهرة ، وزيادة فى الاحتياط من جانبهم كانت الطائرات وهى رابضة على الأرض تربط بالسلاسل فى أعمدة حظيرة الطائرات ، واستمر هذا الحال عدة شهور أخرى ثم عادت الأمور إلى طبيعتها بعد أن أصبح الموقف العسكرى فى شمال أفريقيا مواتياً لهم».

«... أما بالنسبة للطيار رضوان الذى كان قد وصل إلى مركز القيادة الألمانية فى مرسى مطروح فقد تمكن الحلفاء من القبض عليه عند دخولهم برلين فى نهاية الحرب ورحل إلى مصر لمحاكمته عسكرياً ، وصدر الحكم عليه بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً بخلاف دفع مبلغ ثمانية آلاف جنيه كغرامة لتسببه فى إتلاف طائرة ، ولكن بعد قيام الثورة فى يوليو سنة ١٩٥٢ تم الإفراج عنه ، وأعفى من الغرامة المالية ، وأوجد له عمل أيضاً فى إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة».

❑

ومن المهم إذاً أن نورد ونتأمل فيما يرويه البغدادى عن التنظيم السرى الذى شارك

فى تأسيسه فى حدود سنة ١٩٤٠، وسنجد الرجل فيما يرويه فى مرحلة مبكرة (١٩٧٧) واعيا بالقدر الكافى لأهمية توضيح موقفه وموقف زملائه من الفكر النازى الهتلرى ، فهو يذكر بوضوح أنهم لم يكونوا قد عرفوا بعد حدود خطورة مثل هذا الفكر، كما يشير بوضوح إلى أن هدفهم قد اقتصر على زعزعة الوجود البريطانى فى مصر ولم يتعد هذا الإطار وإن تعددت الوسائل التى فكروا فيها من أجل تحقيق هذا الهدف :

«... وفى ذلك الوقت كانت هناك مجموعة من أربعة ضباط برتبة الملازم الطيار تقيم معاًفى شقة مفروشة بمصر الجديدة وهى قريبة من المطار الحربى الذى كانوا يعملون به ، مطار ألماظة ، وكانت هذه المجموعة مكونة من الطيارين أحمد سعودى أبو على، وحسن عزت ، ومحمد وجيه أباظة ، وكاتب هذه المذكرات ، وكنا كأصدقاء متآلفين والثقة تامة بيننا، وهناك وحدة فى التفكير فيما بيننا. وكان تحمسنا الوطنى واندفاع الشباب يسيطر علينا فى كل أحاديثنا التى كانت تجرى حول الأحداث الدائرة من حولنا ومدى تأثر بلدنا مصر بها والأضرار التى ستقع عليها. وفى أثناء هذا الحماس وتلك الأحداث اختمرت فى أذهاننا فكرة ضرورة عمل شىء نخدم به وطننا خاصة أن احتلال الإنجليز لبلادنا من عشرات السنين كان هو الألم الذى يحز فى نفوسنا دائماً».

«وكان لابد من أن نفكر فى الوسائل الممكنة لنا لخدمة هذا الوطن العزيز علينا، وعندما قلبنا الأمر على وجوهه المختلفة لم نجد أمامنا من وسيلة إلا فى عمل تنظيم سرى بين ضباط الطيران والجيش لمقاومة الاحتلال البريطانى ، وكان ذلك فى بداية عام ١٩٤٠».

«وبدأنا فى وضع تلك الفكرة موضع التنفيذ ، وكان علينا أن نقوم بتنظيم أنفسنا وزملائنا فى سلاح الطيران فى شكل خلايا سرية صغيرة ، وكانت كل خلية تتكون من خمسة ضباط ، وعلى أن يقوم كل فرد من أعضاء الخلية بالعمل على تشكيل خلية أخرى جديدة من خمسة ضباط آخرين ، واشترط ألا يعرف أفراد الخلية الجديدة أسماء المشتركين الآخرين فى الخلايا الأخرى ، وأن تقتصر معرفتهم فقط على اسم مَنْ عمل على تشكيلها ضماناً للسرية حتى تقتصر الأضرار فقط فى حالة انكشاف سر أية خلية على أقل عدد ممكن من أفراد التنظيم».

«وعملنا على الاتصال بزملائنا من ضباط الجيش حتى يمكن إقامة تنظيم آخر مماثل داخل وحدته أيضا».

«واقترح حسن عزت اسم الملازم محمد أنور السادات لينضم إلى مجموعتنا ، وكنا قد أطلقنا عليها اسم اللجنة التنفيذية للتنظيم ، وكان أنور صديقاً لحسن عزت».

«وكان الهدف من هذا التنظيم الذى كنا نسعى إلى إقامته هو العمل على التصدى للقوات البريطانية المحتلة لبلادنا وتدمير مخازنها وخطوط مواصلاتها وعرقلة انسحابها أمام القوات الضاغطة عليها ، معتقدين أنه بذلك يمكن أن نطالب باستقلال بلادنا وإعلان حيادها وإبعادها عن أتون الحرب الدائرة فى ذلك الوقت مقابل هذا الدور الذى قمنا به».

ولا يفوت عبد اللطيف البغدادى أن يردف كل هذه التفاصيل بقدر معقول من التقييم الذاتى وهو يقول:

« ... وربما يكون هذا التفكير منا فيه سذاجة ولكن لا ينسى القارئ قلة خبرتنا السياسية فى ذلك الحين ولم يكن عمر أحد منا تعدى الاثنين والعشرين عاماً ، كما لا ينسى أيضاً أن الدافع لهذا التحرك منا كان الحماس الوطنى مع اندفاع الشباب ، وكذا لم تكن صورة ألمانيا الهتلرية على حقيقتها واستبدادها واضحة لنا».

ويبدو بوضوح أن البغدادى فيما يحرص على روايته عن هذه الفترة المبكرة من العمل الوطنى كان حريصاً على أن يشير إلى أن هذا «التنظيم» لم يقف فى نشاطه عند حدود سلاح الطيران ، وإنما تعدى هذا إلى أسلحة الجيش الأخرى ، وفى الوقت ذاته فإن هذا الامتداد لم يتعد حدود ضابط واحد هو أنور السادات الذى كان فيما يبدو قاسما مشتركا فى تلك التنظيمات المتعددة التى وجدت حين ذاك ، لكن الأخطر والأهم من هذا الاتصال بالسادات الذى لم يكن من القوات الجوية كان هو اتصال أفراد هذا التنظيم بمدنيين آخرين لا يفصح البغدادى عن هويتهم ، ولست أدرى لماذا تعمد البغدادى أن يحجب أسماء هؤلاء المدنيين وبخاصة أنه ذكر أنه كان على رأسهم ذلك الرجل الذى عرف بلقب «أبو الفدائيين» وهو عبدالعزيز على، وقد كان بمثابة قطب الاغتيالات المبكرة ، وقد قبض عليه مع الإخوان المسلمين فى ١٩٦٥ بعدما كان وصل

إلى منصب الوزارة فى مطلع الثورة ، ولكن الملاحظة التى تشدنى دون أن أجد لها تفسيرا هى أن عبد العزيز على لم يشر إلى اسم البغدادى بقدر من التفصيل فى مذكراته التى نشرت بعنوان « الثائر الصامت» وذلك على الرغم من حرصه على ذكر أسماء كثير من الضباط المعاصرين للبغدادى والذين ذكرهم البغدادى نفسه فى مذكراته.

يقول عبد اللطيف البغدادى ما نصه :

«... وكان الاتصال قد تم بيننا أيضاً وبين بعض المدنيين المعروفين بوطنيتهم وتحمسهم ضد الاحتلال البريطانى ، وذلك عن طريق الأستاذ عبد العزيز على، وكان هو حلقة الاتصال بينهم وبيننا ، ولقد كان موظفاً فى ذلك الوقت بإدارة البلديات بالقاهرة ، وكان نشطاً ومتحمساً وربط تنظيمنا بعدد كبير من الوطنيين المخلصين ، ولذا عندما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ فقد عين وزيراً فى أول وزارة تشكلت كوزير للشئون البلدية القروية ، وهو كان لا يزال موظفاً بها حين قامت الثورة ، وكان هذا التعيين له تقديراً منا لدوره الوطنى فى الحركة القومية وكفاحه الطويل».

❑

ويروى عبد اللطيف البغدادى بعض التفصيلات التى تنم عن وصوله هو وزملائه إلى خطوات متقدمة فى ممارسة العمل السرى ، وإن كانت هذه التفصيلات لا تروى تفصيلات عن عمليات محددة قام بها أفراد هذا التنظيم باستثناء إعداد اللغم الضخم «التيتل»، كما أنها لا تحفل بذكر أسماء مَنْ شاركوا فى هذه الأنشطة السرية فيما عدا صلاح هدايت وزير البحث العلمى بعد الثورة! :

«وكان كل عضو من أعضاء التنظيم يدفع اشتراكاً شهرياً لتمويل نشاطنا ، وقد استأجرنا فيللا من دور واحد فى حى كوبرى القبة بالقاهرة لنجتمع فيها ، ولقد وضعنا مخرطة كهربائية لاستخدامها فى صنع القنابل اليدوية وقنابل مولوتوف التى عملنا على توفيرها لاحتياجنا إليها عندما تحين ساعة العمل ، كما أننا قد قمنا بتهريب بعض الكميات من الأسلحة الخفيفة من مخازن الجيش لنفس الغرض».

«وقد أعدت منظمتنا أيضاً لغماً ضخماً أطلق عليه اسم «التيتل» لوضعه فى مجرى قناة السويس وتفجيره فى إحدى ناقلات البترول أثناء عبورها للقناة بغرض إعاقة الملاحة بها ، وكان قد قام بإعداده الضابط صلاح هدايت الذى أصبح وزيراً للبحث العلمى بعد الثورة».

على هذا النحو يورد البغدادى فى مذكراته قصة اللغم الذى أطلق عليه اسم «التيتل» والذى كان من المخطط وضعه فى مجرى قناة السويس وتفجيره فى إحدى ناقلات البترول ، ويذكر البغدادى بصراحة أن فؤاد سراج الدين ساعد الضباط فى هذا العمل الوطنى، وأن هذا اللغم قد نقل سراً إلى مطار العريش على طائرتين من طائرات النقل الجوى المسماة «كوماندو» وذلك فيما بعد انتهاء العمل اليومى للقوات الجوية. أما جزء المفرقعات منه فقد نقل عن طريق السكة الحديد لخطورة نقله بالطائرات ، وقد ساعد فى هذا الأمرالقطب الوفدى فؤاد سراج الدين بعد أن تم الاتصال به ، وقام باستلام هذا اللغم فى العريش جمال سالم وعبدالحكيم عامر حيث كانا قد نقلا إلى وحدات هناك قبل ذلك بقليل، وقاما بنقله محملاً على لوريين إلى الضفة الشرقية للقناة وأخفى هناك بعد أن أعيد تركيبه حتى يحين الموعد المناسب لاستخدامه ، ثم عدلنا عن تنفيذ تلك الخطة خشية ردود فعلها فى العالم الخارجى، وقد ظل هذا اللغم رابضاً فى مكان إخفائه حتى قيام الثورة ثم عمل على تفجيره فى المكان الذى كان قد أخفى فيه.

....

ومن الإنصاف أن نلفت النظر إلى أن جمال منصور يروى دوراً مماثلاً لمجموعته من سلاح الفرسان فى هذه العملية ، وقد تناولنا هذه الجزئية فى كتابنا «نحو حكم الفرد : مذكرات الضباط الأحرار».

❑

وربما نصل الآن إلى الموضع الذى نستطيع فيه أن تشير بثقة إلى ما لم يبلوره البغدادى عن نفسه فيما يتعلق بتوجهه الوطنى الإيجابى، فعلى نحو ما ذكرنا فى الباب الأول فإن جهد البغدادى فى هذه الناحية يكاد يوازى نشاط أنور السادات من حيث التنوع والإحاطة ، وإن كان أقل بالطبع من حيث الديناميية والخطورة ، ويمكن بلا مبالغة القول بأن عبداللطيف البغدادى قد سعى بنفسه إلى كل طريق عرف أنه يقوده إلى تحقيق الأمانى الوطنية .

❑

وفى مرحلة مبكرة من حديث البغدادى عن ذكرياته وأنشطته الوطنية نراه يذكر فى مذكراته المنشورة عام ١٩٧٧ أن محاولة جادة قد جرت لضم تنظيمهم إلى تنظيم

الضباط الإخوان، ويؤكد البغدادى فيما يرويه عن تلك المرحلة المبكرة على أنه كان واعيا لضرورة البقاء بتنظيمه أو أى تنظيم آخر للضباط بعيداً عن تيار كبير يمكن أن يذيب جماعته فيه فيقول:

«... وقد تم الاتصال بخصوص هذا الأمر مع جمعية الإخوان المسلمين للتعرف على مدى استعدادها للمشاركة فى تحقيق هذا الهدف ، وقد رحب المرحوم الشيخ حسن البنا رئيس الجمعية فى ذلك الوقت بالفكرة ، ولكنه اقترح علينا إدماج التنظيمين فى بعضهما أى التنظيم الخاص بنا مع التنظيم الخاص بالإخوان المسلمين ، وقد برر لنا هذا الاقتراح بقوله إن لديه الجنود وهم الأعضاء المنضمون للجمعية ، وكان يقدر عددهم بما يقرب من ربع مليون عضو فى ذلك الحين ، وإنه فى حاجة إلى القادة القادرين على قيادة هؤلاء الجنود ، وأوضح أن ضباط تنظيمنا سيكونون هم القادة المطلوبون لهذا الغرض».

وهنا لا يفوت البغدادى أن يعلق بقوله :

« ... وربما يكون هذا العدد من الأعضاء الذى ذكره لنا فيه مغالاة بغرض التأثير علينا، ولكننا لم نتفق معه على فكرة الإدماج خوفاً من أن تذوب منظمتنا وهى فى بداية عهدها داخل منظمتهم ، كما أن الاندماج سيمكنهم من التسلل داخل الجيش ويسهل عليهم بعد ذلك الاستيلاء على السلطة فى البلاد ، وكان قد اتضح لنا هذا الهدف الذى يرمون إليه من حديث حسن البنا معنا عندما قال:

«إننا ندعو إلى الدين لغرض سياسى نأمل تحقيقه ، ولسنا مشايخ طرق».

«ورغم أننا اعترضنا على فكرة الإدماج التى تقدم بها إلا أنه قبل التعاون معنا فى الحدود التى اتفقنا عليها، وهى المساندة فى إعاقة تقهقر الجيش البريطانى عند انسحابه وربما يكون [يقصد حسن البنا] قد قبل هذا التعاون على أمل أن يحقق الفكرة التى اقترحها علينا مع مرور الوقت».

❑

وبعد حوالى عشرين عاماً من نشر مذكراته الأولى التى وردت فيها الفقرات السابقة يعرض البغدادى قصة اتصال تنظيمه بالإخوان المسلمين وزعيمهم حسن البنا بتفصيل

أوسع نقتطف منه هذه الفقرة التي وردت في حـديثه لمجلة نصف الدنيا (١٩٩٦) حيث يقول:

«كنت منضمـا لتنظيم الطيران الذى أنشئ عـام ١٩٣٩ وفى أوائل الأربعينات ذهبت لمقابلة حـسن البنا للتنسيـق بين تنظيمنا والإخوان واقـترح حـسن البنا إدماج التنظيـمين قائلا لى بالحرف : «إحنا جـمعية دينية لكن لها هـدف سياسى هو تولى السلطة ، ونحن لدينا الجنود ، وهم الأعضاء المنضمون للجمعية ويقدر عددهم بحوالى ٢٥٠ ألف عضو أما أنتم فـستكونون القـادة القادرين على قـيادة هؤلاء الجنود ، لذلك فيـمكن أن ينضم التنظيمان » .

«ولكنى رفضت لأن هـذا معناه أن نذوب فيـهم ، فعددنا قليـل ، وفضلت أن يكون هناك تنسيق بين التنظيمين ، ووافق هو الآخر فقد كان شخصا مرنا» .

....

ويبدو لى أن هذا الموقف «التفاوضى» الذى لم يتعد حدود التـفهم المتبادل كان كفيلا بأن يصب فى مصلحة الإخوان [والبـغدادى] فيما بعد قيام الثـورة وبخاصة بعد وقوع الصدام بين الثورة والإخـوان ، فمن ناحية الإخوان فإنهـم لم ينظروا إلى البغدادى على أنه من الذين خانوا الانتماء للإخوان على نحو ما نظروا إلى مَنْ كانوا قد بايعوا الإخوان بالفعل من قادة الثورة.

ومن ناحية أخرى فإن البغدادى بما جبل عليه من نفسية متميزة بالعدل والإنصاف لم يكن مندفعاً كأقرانه إلى الانتقام من الإخـوان ، ولا يمكن فهم مثل هذه الفكرة فهماً تاماً إلا إذا ما قارنا بين موقف الإخوان من قادة آخرين من رجال الثورة وموقف هؤلاء القادة من الإخوان ، وليس هذا مقام مثل هذه المقارنة .

على أننا مع هذا نسـتطيع أن نشيـر بوضوح إلى موقف البـغدادى من الإخـوان بعد وقوع صدامهم الكبير مع الثورة (حادث المنشية) وهو موقف مهم جداً وقد وصل قمة منحناه فى امتناع البـغدادى أو رفضه رئاسـة اللجنة التى تولت محاكمـتهم ، وهذا هو نص ما يذكـره البغدادى نفـسه فى أحد أحـاديثه عندما سـئل «عندما شكلت مـحكمة الشعب لمحاكمة الإخوان لـم تقبل الدخول فيها . فلماذا ؟» وقد أجاب البغدادى بقوله :

«لم تكن محاكمة الإخوان إلا نوعا من الانتـقام فنحن لم نختلف معهم فى وجهات

النظر أو فى موضوع سياسى، ولكننا تحركنا لمحاكمتهم بعد حادث المنشية وكنت وقتها رئيسا لمحكمة الثورة ، وكنا نقوم بمحاكمة السياسيين بحثا عن الحقيقة ، وليس انتقاما منهم ، من هنا رفضت الدخول فى محاكمة الإخوان ، وفضلت أن أكون بعيدا ، ورحبت ألا تكون محاكمتهم من خلال محكمة الثورة ».

❑

بل إن البغدادى فيما قبل هذا يصرح [أو يعترف] فى مذكراته بجوهر السياسة الميكافيلية المبكرة التى استقر مجلس قيادة الثورة على الأخذ بها فى التعامل مع الإخوان فيما بعد أسابيع قليلة من نجاح الثورة واستقرارها، وهو يروى فى مذكراته تفصيلات مهمة عن التوجه أو الخط التكتيكى الذى آثره هو وزملاؤه فيقول:

« ... وكان مجلس قيادة الثورة قد اجتمع فى استراحة وزارة المعارف الموجودة بمنطقة أهرام الجيزة يوم ١٨ ديسمبر ١٩٥٣ لمناقشة بعض الموضوعات ، وكان من أهمها النظر فى أهداف الإخوان المسلمين وما يسعون إليه من الاستيلاء على السلطة وكيف يمكن مقاومتهم والقضاء على جماعتهم ، خاصة أنهم كانوا يعملون على التوغل بتنظيماتهم داخل صفوف الجيش والبوليس ، ونوقش موقفنا حيالهم ، وحيال هذا الاتجاه منهم وهل نعمل على حل جمعيتهم؟ أو نستفيد من الانشقاق الذى كان قد تواجد بينهم؟».

لا يخفى البغدادى أن مجلس قيادة الثورة كان قد بدأ يفكر بطريقة ميكيافيلية فى التعامل مع الإخوان بخطوات متعددة ومحسوبة ، ويبدو للقارئ أن رجال الثورة بمن فيهم البغدادى كانوا قد اكتشفوا أساليب فعالة فى مجابهة قوة وسطوة ونفوذ الإخوان المسلمين الذين كانوا يعانون فى ذلك الوقت من غياب المرشد العام المؤسس ومن تعدد الزعامات وصراع الأجنحة المختلفة ، وفى مذكرات البغدادى فقرات مختصرة تجيد تصوير استراتيجية قادة الثورة فى التعامل مع الإخوان:

« ... ورئى أن حل جمعيتهم سيزيد من العطف عليهم ويدفعهم إلى التماسك وضم صفوفهم لمقاومة ودرء هذا الخطر، وأن زيادة الانشقاق بينهم هى الوسيلة لإضعافهم ، وتفكيك صفوفهم ، خاصة وأن قادتهم كانوا لا يثقون فى بعضهم البعض كما كانوا

ضعاف الشخصية ، كما أن أفراد الخلايا فى الجماعة نفسها لم يكونوا يعرفون أهداف قياداتهم الحقيقية ، وهم يتبعونهم على أنها دعوة دينية ليست لها أهداف سياسية ، وكنا نرى أنه بالعمل على زيادة الإنتاج ، وقيام المشروعات الإنتاجية الجديدة ، وزيادة الخدمات للشعب ، والعمل على تحسين الموجود منها فإن ذلك مع الوقت يزيد من قوة الثورة ويضعف من مركز الإخوان المسلمين ، وكان قرارنا فى النهاية على ضوء تلك المناقشة هو العمل على زيادة الانشقاق الموجود بينهم والعمل أيضاً على زعزعة ثقة مَنْ يتبعهم فى أشخاص قياداتهم».

ومن الجدير بالذكر أن البغدادى كان حريصاً على أن يذكر فى مذكراته تفصيلات كثيرة تتعلق بموقف الإخوان المسلمين من إتفاقية الجلاء عن مصر وأن الأستاذ الهضيبى أعلن أن هذه الاتفاقية خيانة وطنية للبلاد(!!).

....

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن البغدادى قد ظل على مجمل آرائه فيما يخص علاقاته المبكرة بالإخوان المسلمين، ومن الجدير بالذكر والإنصاف أن نشير إلى أن البغدادى لم يغير فى روايته شيئا ما بين ١٩٧٧ حين نشر مذكراته و١٩٩٦ حين أدلى بمذكرات مطولة لنصف الدنيا، وذلك على الرغم من تبدل موقف القوى السياسية [والأشخاص] من الإخوان والتنظيمات الإسلامية بعد التجارب الدامية التى شهدها الربع الأخير من القرن العشرين.

❑

وكشأن كل الشبان الوطنيين المتحمسين المتطلعين إلى خدمة وطنهم ، فإن عبداللطيف البغدادى لم يقف بتفكيره عند حد النشاط الوطنى السرى أو التعاون مع حركة الإخوان المسلمين ، ولكنه كان يفكر أيضا فى الاتصال بالملك أو برجال القصر. ويبدو لنا بوضوح أن البغدادى لا يجد ما يمنعه عن أن يروى ـ دون حرج ـ قصة حدوث الاتصال بين مجموعته وبعض رجال القصر الملكى، وليس معنى هذا أن توجه إلى البغدادى سهام النقد التقليدية من قبيل أنه كان مرشحا للانضمام لتنظيم كالحرس الحديدى أو التنظيمات المشابهة التى كانت على صلة بالقصر الملكى، ولكن ما تؤكده

هذه الرواية أن البغدادى وزملاءه كانوا نتيجة للتفكير المستمر فى مستقبل وطنهم يفكرون فى طرق كل باب يُمكن أو يُتوقع تحقيق الأهداف الوطنية من خلاله ، ويبدو لنا من السياق التاريخى أن تاريخ اللقاء الذى يشير إليه البغدادى يقع فيما بين فبراير ١٩٤٢ (حيث وقع حادث ٤ فبراير) وفبراير ١٩٤٦ (حيث توفى أحمد حسنين) وفى هذه الفترة فان الملك فاروق كان لا يزال بمثابة قبلة الولاء للحركات الوطنية التى تظن أن بمقدورها أن تخلص مصر (والملك) من الاحتلال البريطانى.. على حين أن الفكر الثورى قد تطور بعد هذا إلى تخليص مصر من الملك والاحتلال البريطانى معا ، ثم تطور إلى أهمية تخليص مصر من الملك أولاً ثم من الاحتلال البريطانى بعد ذلك .

يروى عبد اللطيف البغدادى تفصيلات لقائه بأحمد حسنين باشا فيقول:

« ... طرأت على ذهنى فكرة الاتصال بأحمد باشا حسنين رئيس الديوان الملكى لمعرفة الحقيقة منه عن دور النحاس والشائعات التى ترددت حول موقفه ، ولم يكن لى به سابق صلة أو معرفة وإنما دفعنى إلى ذلك ما كان يكتب فى بعض الصحف المصرية عن وطنيته والإشادة به. واتصلت به تليفونياً وطلبت مقابلته مشيراً إلى أننا ضباط من السلاح الجوى ، فحدد لنا موعداً للقائه بعد ظهر اليوم التالى من إجتماع النادى».

«وذهبت إليه يرافقنى الملازم طيار عبد الحميد الدغيدى ، وأوضحنا له أن طلب المقابلة هو بغرض استيضاح موقف النحاس من الأزمة ، وأنه إذا كان قد اتخذ هذا الموقف رغبة منه فى الانفراد بالسلطة والتعاون مع الإنجليز دون النظر إلى صالح الوطن فإننا نرى أن الواجب الوطنى يدعونا إلى قتله فى هذه الحالة لأنه يعتبر خائناً لبلاده».

«وكنا متأثرين بما يتردد من شائعات حول موقف النحاس ، ويظهر أن هذا الكلام أزعجه وخشى أن يصبح شريكاً معنا لو أقدمنا على هذه الخطة باندفاع الشباب الذى كان يملؤنا».

«لهذا فقد أخذ يعمل على تهدئتنا طالباً منا ترك الأمر لمولانا كما قال ليتصرف فيه بحكمته ، موضحاً أن الإنجليز كانوا يهدفون إلى عزل الملك ، ولكنه ـ أى الملك ـ أفسد عليهم خطتهم. وخرجنا من عنده ولم نعرف الحقيقة عن موقف النحاس ولو أننا

أحسسنا من ثنايا الحديث أن النحاس لم يكن متواطئاً مع الإنجليز كما كان يشاع ، ولكنه اتخذ هذا الموقف اعتقاداً منه أنه أحسن الحلول لمواجهة هذا الموقف العصيب».

❑

بل إن البغدادى لم يقف فى تفكيره الوثاب من أجل حرية وطنه عند حدود وطنه مصر، وإنما كان وعيه السياسى قد مهد له أو هداه إلى التفكير فى جدوى التعاون مع نظراء عرب من أجل إنقاذ فلسطين ، وتلقى مذكرات البغدادى وأحاديثه ببعض الأضواء على قصة التعاون بين البغدادى و فوزى القاوقجى قائد جيش التحرير وهو الجيش الذى نشأ وتكون من أجل مساعدة عرب فلسطين ، وفى حرب ١٩٤٨ قام البغدادى بالاتصال بفوزى القاوقجى، وكان البغدادى مع بعض زملائه الطيارين يقومون بنقل الأسلحة الخفيفة والذخيرة من مصر إلى جيش التحرير، كما قام البغدادى بمقابلة القاوقجى ليعرض عليه المشاركة فى المعركة بتهريب طائرات من سلاحنا الجوى المصرى ، وليس صعبا أن ندرك الأسباب الطبيعية وراء هذا الاختصار فى الحديث عن هذه الجزئيات فى ظل ماتبلور بعد هذا من اضطراب علاقات الثورة وتوترها مع كثير من الأنظمة والتنظيمات العربية ، ولكن من المهم أن نشير إلى أن نشاط البغدادى فى العمل العام قبل الثورة قد شمل هذا الجانب الذى أوردته مذكراته ، وهو ما يدلنا [حتى بدون أن يقصد البغدادى] على مدى تغلغل روح القومية العربية والإيمان بالعروبة فى نفوس البغدادى ونظرائه من الشباب الوطنيين منذ ما قبل قيام الثورة ، وهو ما يدلنا أيضاً على أن العروبة لم تكن حدثا جديدا أحدثته الثورة.

على أن ندرة حديث البغدادى عن نشاطه فى المحيط العربى فيما قبل الثورة لا ينفى أن عبد اللطيف البغدادى يمتاز عن أقرانه من قادة الثورة والضباط الأحرار جميعا بإلمام أفضل بالشئون العربية قبل قيام الثورة ، فقد أتاحت له الظروف الاتصال باليمن وأزماتها وثورتها المبكرة فى ١٩٤٨، فضلا عن اتصاله بفوزى القاوقجى وجيش تحرير فلسطين كما ذكرنا ، كذلك كان أتيح له اتصال مباشر بكثير من الضباط السوريين واللبنانيين والعراقيين ، وقد ساعده هذا كله على الإلمام بكثير من الحقائق وسعة الأفق فيما يتعلق بهذا المحيط المهم.

ورغم هذا الاقتضاب الذى أشرنا إليه فإنه يدهشنا فيما يرويه البغدادى مساحة الجرأة والجسارة التى كان يتمتع بها أبناء هذا الجيل من أجل تحقيق الأهداف العربية ، فالبغدادى ينتهز فرصة وجوده فى دمشق فى مهمة رسمية ويذهب للقاء فوزى القاوقجى ويلح عليه فى أن يهرب هو وزملاؤه بالطائرات المقاتلة إلى سوريا ثم يشاركون فى المعركة ، ومن أجل هذا يطلب البغدادى إلى القاوقجى أن يعمل على تجهيز مطار سرى فى شرق دمشق وأن يطلب انتداب بعض زملائهم من مصر من أجل إعداد هذا المطار.

يروى البغدادى بعض تفصيلات هذه الجهود فيقول :

«وكنت أقوم مع بعض زملائى الطيارين من حين لآخر بنقل بعض الأسلحة الخفيفة والذخيرة من مصر إلى جيش التحرير ، وكنا نقوم بالنزول بطائراتنا فى أغلب الأحيان بمطار دمشق بسوريا، وفى بعض الأحيان نستخدم مطار المفرق فى الأردن لهذا الغرض».

«وقد انتهزت فرصة وجودى فى إحدى المرات فى دمشق وذهبت إلى منزل فوزى القاوقجى بغرض طلب اللقاء معه ، وكان يرافقنى الطيار عبدالحميد الدغيدى فى تلك المقابلة التى تمت بيننا ، وتناول حديثنا إليه رغبة الكثير من زملائنا الطيارين فى التطوع للقتال مع جيش التحرير، وأن رئاستنا تقف موقف المعارضة من هذه الرغبة ، وتقدمت إليه باقتراح إمكانية مساندة جيش التحرير ببعض من الطائرات المقاتلة من سلاحنا الجوى المصرى ، وذلك عن طريق هروبنا بعدد من تلك الطائرات إلى سوريا ثم المشاركة بها فى المعركة ، فأظهر بعض التردد فى البداية لكنه عاد وتحمس للفكرة عندما أحس بتحمسنا وإصرارنا وقال إنه سيعمل من جانبه أيضاً على إقناع بعض الطيارين العراقيين للانضمام إليه بطائراتهم ، ومن أنه سيطلب منا تنفيذ تلك الفكرة عندما يحين الوقت المناسب للدخول فى معركة فاصلة مع اليهود ويكون استخدام الطائرات فيها عنصراً مساعداً لتحقيق النصر وإنهاء المعركة نتيجة المفاجأة فى استخدام الطائرات وفاعليتها».

«وطلبنا منه أن يعد لنا مطاراً سريا شرق دمشق وأن يبعد عنها ما لا يقل عن ستين كيلومتراً حتى يمكننا استخدامه فى عملياتنا، وأن يعمل أيضاً على انتداب حسن

إبراهيم والملازم الفنى زكريا سليمان من قسم التسليح بسلاحنا الجوى وذلك بغرض أن يقوم حسن بالإشراف على إعداد ذلك المطار السرى ، وأن يقوم زكريا بالتجهيز والإشراف على إنتاج القنابل التى سنحتاج إلى استخدامها فى عملياتنا بعد الهروب بطائراتنا إلى سوريا والاستقرار بها هناك ، ولم يكن حتى ذلك الحين لدى سوريا سلاح جوى».

❏

ومن حسن الحظ أن فكرة البغدادى وزملائه قد لقيت الترحيب والتنفيذ ، بل إنه قد تم لهذا الجيل من نسور الجو المصريين المساعدة فى إنشاء السلاح الجوى السورى:

«.... وبعد أن مضى ما يقرب من الشهر على هذا الاتفاق بيننا وصل إلى وزير الحربية المصرى [خطاب] من وزير الحربية السورى يطلب منه فيه السماح لهم بانتداب كل من حسن إبراهيم وزكريا سليمان إلى سوريا للاستعانة بهما فى إنشاء سلاح جوى ، ولم تكن قيادتنا بطبيعة الحال تعرف شيئاً عن إتفاقنا مع فوزى القاوقجى. وتمت الموافقة على انتدابهما وسافرا إلى سوريا ، وتقابلا مع وزير الحربية السورى وتحدث إليهما عن المهمة التى ستوكل إليهما وهى ما سبق الاتفاق عليه مع فوزى القاوقجى ، كما أن سوريا كانت من جانبها قد أوفدت ضابطين للالتحاق بسلاحنا الجوى وهما محمود الرفاعى وعلى الدالاتى بحجة التدريب عندنا ، ولكن كان مهمتهما الأساسية والمتفق عليها هى أن يكونا ضابطى اتصال بين فوزى القاوقجى وبيننا».

ويشير عبد اللطيف البغدادى كذلك إلى أنه كان قد مضى فى خطوات متلاحقة فى سبيل الاشتراك الفعلى للطائرات المصرية المقاتلة فى معاونة جيش التحرير بقيادة القاوقجى:

«وأما من ناحيتنا فقد نشط تنظيمنا فى القوات الجوية فى إعداد الطائرات المقاتلة التى سنقوم بالهروب بها للقتال ، وقد تم تجهيز خمس عشرة طائرة ، وذلك بتركيب مدافعها الرشاشة بها، وكانت منزوعة منها ، كما ركبت أيضاً حوامل القنابل بها حتى يمكن إستخدامها فور الاحتياج إليها ، وقد تم ذلك كله دون علم القيادة المصرية بسلاحنا الجوى. وكانت تجربة لتنظيمنا أثبت فيها قدرته واستعداده ، وكان قد تم الاتفاق أيضاً

مع زملائنا الطيارين الذين سيقومون بهذه المخاطرة ، ومع بعض الميكانيكيين الجويين الذين كان لابد من إنتقالهم معنا إلى سوريا للعمل على صيانة الطائرات هناك».

«وتم لذلك تجهيز طائرتى نقل «داكوتا» لاستخدامهما فى نقل الميكانيكيين الذين سيتم نقلهم فى نفس اليوم الذى ستتحرك فيه الطائرات المقاتلة وتتجه إلى سوريا».

«وأصبحنا بذلك مستعدين للتحرك عندما يطلب منا ذلك ، ولكن الأيام دارت والمعركة مستمرة بين الشعب الفلسطينى وجيش التحرير وبين المنظمات العسكرية اليهودية.. وظللنا ننتظر الإشارة من فوزى القاوقجى للتحرك... ولكنها لم تصل إلينا».

❑

ومن الطريف أن البغدادى لم يضمن مذكراته الأولى شيئا من الرواية عن علاقته القديمة باليمن فى عهد الأئمة ، فقد كانت العلاقات المصرية ـ اليمنية لا تزال متأثرة بالتدخل المصرى فى اليمن ، ولكنه فى ١٩٩٦ بعد أن انقشعت غيوم العلاقات المتوترة نراه يفيض فى حديثه عن ذكرياته عن سفره إلى اليمن ولقائه بحاكمها وهدية الحاكم ، وهو يشير إلى سيف يحتفظ به ويقول:

«هذا السيف هدية من حاكم اليمن ، لأننى كنت أول من هبط بطائرته على أرض اليمن فى فبراير ١٩٤٨ ، فلم تكن هذه الأرض معدة للنزول عليها بالطائرة ».

عبد اللطيف البغدادى
شهيد النزاهة الثورية

3

فكره السياسى والتنموى

الفصل الأول : ملامح فكره السياسى

الفصل الثانى : مذكراته السياسية

الفصل الثالث : فكره التنموى

دار الخيّال

الفصل الأول : ملامح فكره السياسى

لا أستطيع أن أمضى فى وصف أو تحليل فكر البغدادى دون أن أبدأ بالإشارة إلى عنايته بالجانب الخلقى فى السياسة ، فقد كان على خلاف كثير من أقرانه مؤمنا بأن الاخلاق لابد أن تحكم الممارسات السياسية ، وأنه لايليق بالسياسة أن تتنازل عن الاخلاق ، وسوف نرى أن هذا الايمان كان وراء كثير من أزمات البغدادى مع زملائه جميعا ، بل إن البغدادى كان دائما ما ينتقد الأساليب الميكيافيلية التى لجأ إليها زملاؤه فى بعض الأحيان ، وكان يراجعهم فى قراراتهم من هذه الناحية ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، ولن أستبق الوقائع أكثر من هذا فسوف نجد فى هذا الباب كثيراً من الأدلة على هذا المعنى من خلال مواقفه فى مجلس الأمة أو فى مجلس القيادة قبل هذا أو مجلس الرئاسة بعد هذا.

وسنلاحظ فيما يرويه البغدادى عن آرائه المبكرة أنه شأنه شأن الأسوياء الذين لا يزالون يتمتعون بنقاء الفطرة لم يكن قد انتبه بالقدر الكافى إلى هذا المعنى الخلقى فى نفسه بقدر كاف ، ولكن رواياته تنبئ عن مدى القدر الذى كان تتحكم به هذه السمة الأخلاقية فى ممارساته.

ولا يعنى هذا تقليلا من قيمة أقران البغدادى ، فنحن نعرف كثيراً من الأقران الذين نفاجأ حين توليهم المسئولية وقد تفاوتت التزاماتهم بالأخلاق ، ومن ثم تختلف درجة تقبلهم للأوضاع وللمواقف التى تقابلهم ويقابلونها فى الحياة ، لعلى أريد أن أقول إن البغدادى كان منضبط الفكر إلى حد بعيد ، ولعلى أريد أن أقول أيضا إنه كان منضبط

السلوك أيضا إلى حد بعيد ، وقد كان هذا الالتزام أو الانضباط مكلفاً كما نعرف ، فهو عبء على الأعصاب وعلى العقل وعلى البدن ، كما أنه ليس بإمكان الكثيرين أن يكونوا كذلك.

ونحن نستطيع أن نجد ظواهر كثيرة لانضباط البغدادى فيما نقرؤه من أحاديث وروايات وحوارات ووقائع ، كما أن بوسعنا أن نلاحظ أنه كان يلزم نفسه قبل أن يلزم الآخرين وأنه لم يكن يألو جهدا فى تحقيق هذا الالتزام ، بل إنه فى بواكير ممارسته للسياسة كان يظن أن بإمكانه أن يجعل الآخرين يلتزمون على نحو ما هو ملتزم.. بل إنه ترك السلطة قبل أن يبلغ الخمسين بكثير وهو يظن أنه لابد لهؤلاء الذين بقوا فيها أن يدركوا إن عاجلا أو آجلا مدى الخطأ الذى يرتكبونه بابتعادهم عن الالتزام.

ولعل كتابة البغدادى لمذكراته تدلنا على هذا الخلق البارز فى شخصيته دون زملائه ، فقد وجد أن من واجبه أن يسجل الأحداث على نحو ما حدثت فالتزم بكتابة يومياته على الرغم من الإرهاق الشديد الذى كان يعانيه فى كل يوم ، وقد أصبحت المذكرات التى استعانت بهذه اليوميات بمثابة مصدر من أهم مصادر كتابة تاريخ الثورة.

ويبدو أن التزام البغدادى الخلقى لم يكن بمثابة العامل المستقل فى شخصيته ، وإنما كان بمثابة أحد العوامل المكونة لشخصيته الحضارية المتكاملة إلى حد معقول ، فنحن نراه فى إنجازاته وآرائه وأفكاره أكثر قادة الثورة عناية بالجانب الحضارى ، وهو الجانب الذى لم يكن يلقى ـ على الإطلاق ـ أدنى اهتمام من معظم زملائه الآخرين ، بل ربما ظن بعضهم أن الاهتمام بهذا الجانب مما يعوق مسيرة الثورة.

ومن حسن الحظ أن كثيراً من أفكار البغدادى قد تحولت إلى إنجازات ، ولهذا فإننا نجد فى هذا الباب حديثاً عما تمثله بعض هذه الإنجازات من فكر كان من حظه أن وجد السبيل إلى التنفيذ على أرض الواقع.

التوجه السياسى للثورة: فى حديثه لمجلة الشباب (ديسمبر ١٩٨٨) يبلور عبد اللطيف البغدادى خلاصة تجربة الثورة مع التنظيمات السياسية ، ويبدو ـ واضحا ـ وكأنه يعطى الرئيس جمال عبدالناصر العذر فى انتهاج الأسلوب السياسى الذى انتهجته الثورة بقيادته على الرغم من معرفته بخطورة مثل هذا الأسلوب وعقمه فيما يتعلق بمشاركات

الشعب وإيجابياته ، بل إن البغدادى يعتمد هذه الرؤية التبريرية كمدخل للحديث عن نجاح السادات فى ١٥ مايو ١٩٧١ فى القضاء على مَنْ يسميهم: «موظفو عبدالناصر» الذين كانوا فى نظره ونظر السادات: «خوافون».

يقول البغدادى:

«فى الحقيقة أن عبد الناصر لم يكن يعتمد على تنظيم سياسى حقيقى ، سواء كان شعبيا أو حتى تنظيما حكوميا قويا.. لأن أى تنظيم قوى كان سيمثل قيدا عليه وهو كان يحب أن يكون مطلق الحرية فى اتخاذ القرار ، خصوصا أن الظروف الدولية وقتها بما تتضمنه من تحالف القوى الاستعمارية والرجعية لهدم الثورة والتآمر عليها.. وأيضا الشعب الذى ينتظر التغيير بفارغ الصبر.. وكل هذا كان يتطلب قرارا سريعا.. وأى تنظيم يستلزم وقتا طويلا وجهدا كبيرا لكى يأخذ منه الموافقة على قراراته والاقتناع والاستجابة لتوجهاته ومواقفه .. وربما لم يكن هذا ممكنا فى ظل هذه الظروف ، كل هذا جعل عبدالناصر يعتمد على موظفين كبار مثل سامى شرف وعلى صبرى وغيرهما.. لأنهم كانوا لا يمثلون أى قيد عليه .. فهم فى النهاية موظفون ينفذون الأوامر فقط.. وبعد أن مات عبد الناصر وجدوا أنفسهم فجأة فى قمة السلطة .. حتى إنه بعدما تخلص منهم السادات فى ١٥ مايو ١٩٧١ فيما أسماه القضاء على مراكز القوى.. جلست مع السادات وقلت له: إن هؤلاء كان يمكنهم التخلص منك بمنتهى السهولة وكان يكفيهم فقط وضع ١٥ جنديا على باب بيتك ومنع الدخول والخروج منه ، بالإضافة إلى قطع الاتصالات التليفونية عن منزلك.. ثم ينشرون فى وسائل الإعلام أنك استقلت ، وأنهم قبلوا استقالتك وينظمون عددا من مظاهرات التأييد لهم فى الشارع.. ووافقنى السادات وقتها وقال لى: نعم.. كانوا يستطيعون القضاء علىّ بسهولة كما قلت.. لكنهم لم يفعلوا لأنهم خوافون!».

«وأقول لك إن السادات استطاع ببساطة التخلص منهم بسهولة برغم أنهم كانوا يدعون التمسك بخط عبدالناصر.. وبنفس السهولة استطاع أن يسير فى عكس الطريق الذى سلكه عبدالناصر فى معظم المواقف والسياسات داخليا وخارجيا ، وقد تم كل ذلك لأنه لم توجد هذه التنظيمات الشعبية التى تفرز القيادات الصالحة التى تستطيع أن تدافع عن توجهات عبدالناصر بحيث لا يستطيع أحد أن يفكر مجرد تفكير فى الارتداد عنها».

لم يكن يؤمن بالأحزاب السياسية،ويتصل بهـذا المعنى إحجام البغدادى عـن المشاركة فى الأحزاب السياسيـة من خلال التجربة الليبرالية فى عهـد السادات ، فقد كان يؤمن بكل وضوح بأنه أكـبر من الأحزاب ، بل إن الـبغدادى كـان لا يزال يتصور نشـاط الأحزاب وكأنه لا يزيد عن نوع من أنواع المهاترات ، ولسنا نظلم البغدادى باستنطاقه هذا الرأى ، فالقراء يعرفون أن كثيراً من ذوى المكانة فى وطننا لا يزالون حتى الآن يعبرون بمثل هذه الأقوال عـن رأيهم فى الممارسـات الحزبيـة والسيـاسيـة ، وهذان سؤالان وجـوابان من حواره مع مجلة نصف الدنيا:

«سألت نصف الدنيا: فى عـهد السادات حاولتم إنشاء حزب باسم «حـزب الجبهة» لماذا لم يخرج إلى النور؟ وماذا كانت أهدافه؟».

«وأجاب البـغدادى: لم يكن حزبا فى الـبداية.. فقـد أسميناه «الائتـلاف القومى» ، وكنا مجموعة من السياسيين الوطنيين الذين لهم آراؤهم ، وكان هدفنا مناقشة الأوضاع الداخلية ، ومواقف السادات وتصرفاته واتجاهاته ، ثم جـاء محمود القاضى ـ رحمه الله ـ وقال نسمـيه حزب الجبهة بـدلا من الائتلاف القومى ونجعله حزبا مـعارضا ، لكن لم نأخذ بالفكرة ولم تنفذ».

«سألت نصف الدنيا: ولماذا لم تنفذ؟».

«وأجاب البغـدادى: أنا لم أوافق.. فقد كنت ضد هذه الفكرة ، فأنا بطبـيعتى رجل ثورى ضد الأحـزاب والمهاترات ، كمـا أنه فى هذا الوقت كان هناك ما يـسمى بالمنابر.. إبراهيم شكرى منبر ، وخالد محيى الدين منبر.. وهكذا.....».

❑

استهدافه التغيير السياسى الحقيقى بعيدا عن الشعارات،بحكم ما تميز به البغدادى من سعة أفق نسبية فـإنه منذ مرحلة مـبكرة كان قد وصل إلـى الاقتناع بخطورة الإطلاق العـشوائى للشعارات ، وفى المقابل فإنه كان معنيا بتغـيير سياسى حقيقى لا مظهرى ، ولم يكن من أنصار الحديث فى المطلق والبعد عن مواطن المشكلات إلى آفاق تنظيرية.

وهو على سبـيل المثال يتحدث عن أحـد الحوارات التى دارت فى مطلع السـتينيات حول تجديد الثورة فيقول:

«وتكلمت من بعده (أى من بعد الرئـيس جمال عبدالناصر) عن المعنى الذى أفـهمه

عن قيام ثورة ، وهو أن يُفاجأ الشعب بقادة جدد قاموا عن طريق القوة واستولوا على السلطة لأمر ما ، أى أساساً أنهم كانوا بعيدين عن مركز السلطة ثم عملوا بطريقة أو بأخرى ثورة للاستيلاء على هذه السلطة ، ولكننا والسلطة فعلاً فى أيدينا سنقوم ونعلن عن قيام ثورة ، ونشكل لها مجلس قيادة ، وهذا يتناقض مع مفهوم قيام ثورة ، وما سنفعله هو افتعال قيامها ، وأى ثورة تقوم غالباً ما تكون قيادتها متفقة ومؤمنة بأهداف معينة ، وروح الثورة تملأ نفوسهم ، والانسجام الفكرى تام بينهم».

ويواصل البغدادى تحفظاته على أسلوب الافتعال السياسى الذى يستهدف التجديد فى الحياة السياسية فيقول:

«.... ولكن هذا المجلس المقترح سيشكل من أعضاء لا تتوافر فيهم هذه الأسس الضرورية لمثل هذه القيادة ، فلا تجانس فكرى بينهم ولا إيمان بأهداف مشتركة ، وربما يكون أول لقاء بين البعض منهم والبعض الآخر هو فى مجلس الثورة المقترح ، بل منهم أيضاً مَنْ سيعلم أنه قد أصبح عضواً بمجلس الثورة عندما يقرأ صحف الصباح ، وهل يمكن لمثل هذا المجلس أن يحقق الهدف من قيام ثورة حقيقية يلمسها الشعب ، وإن اتضح للشعب أن هذا المجلس لا يحمل من الثورية إلا اسمها فقط - وغالباً ما سيتضح له ذلك - فإن الأمر سينقلب إلى عكس ما نهدف ، ووجود مثل هذا المجلس يصبح ضرره أكثر من نفعه ، وسيضعف من قوة النظام وهيبته».

❑

وفى المقابل يبلور البغدادى فكرته المعنية بتطوير الممارسة السياسية الشعبية بطريقة جيدة ويقول:

«وليس المهم وجود مجلس ثورة إنما المهم هو الفعل الثورى فى حد ذاته الذى يتأتى بأن نتصرف كثوار ، وأن ندفع عجلة العمل بروح ثورية يحس بها المواطنون ، وعن هذا الطريق يمكن لنا أن نسترد ما خسرناه من هيبتنا».

ويستطرد البغدادى إلى ما يؤكد به على هذا المعنى فيقول:

«وتساءلت عن الكيفية التى سيتم بها اختيار أعضاء المجالس الثورية فى المصانع والقرى ، وهل لدينا علم بأشخاصهم ، وهل يمكن لنا الاعتماد عليهم ، وأبديت تخوفى من أنهم ربما يسيئون التصرف بعد أن نلصق بهم صفة الثورية وبذلك نسىء إلى الشعب وإلى أنفسنا أيضاً. وأشرت إلى أن الشعب سيعقد مقارنة بين هذا المجلس

المقترح ومجلس الثورة الذى قام عقب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وإن لم يثبت ذلك المجلس الجديد وجوده بالأفعال فسيصبح موضع التندر منه وعامل ضعف لا عامل قوة للنظام».

❑

ونحن نجد صدى لكل ما آمن به البغدادى فى تصرفاته المبكرة ، وقد تأملت مارواه البغدادى نفسه عن مشاركاته العامة فوجدته يتخذ فى بواكير أيام مسئوليته موقفاً مهما ، فهو كما يروى بنفسه قد راعه ـ على سبيل المثال ـ الموقف الذى اتخذه الدكتور محمد زكى عبد المتعال فى محكمة الثورة حين كان قاسيا على قيادات الوفد مع أنه زاملهم فى وزارة النحاس الأخيرة ، وعلى الرغم من أن الدكتور محمد زكى عبد المتعال تعاون مع المحكمة وبرأ نفسه إلا أنه لم يكن فى نظر البغدادى يؤدى حقوق المواطنة كما يجب ، ولهذا فان البغدادى أدانه بهذه التهمة ، وحكم عليه بمقتض القانون الرومانى الذى يسقط المواطنة عن الشخص.

وهذا هو مايرويه البغدادى بنفسه عن هذا الموقف حيث يقول:

« أثناء محاكمة فؤاد سراج الدين حضر زكى عبد المتعال ـ وزير المالية فى عهد سراج الدين شاهدا عليه ، وكان لهذا الرجل ذاكرة حديدية ، وقد تحامل على سراج الدين فاستفزنى فوجهت إليه أسئلة أدنته فيها وحكمنا عليه حكما رومانيا لأنه مواطن أساء إلى مواطنته بمواقفه السيئة التى لم تراع الصالح العام ، وقد سمى نفسه زكى عبد المتعال سابقا».

يشير البغدادى إلى ما كان زكى عبد المتعال يتندر به على نفسه بإضافة « سابقا » إلى اسمه تنفيذا لحكم محكمة الثورة ، وقد نقلت الرواية على مسئولية البغدادى على الرغم من أنها غير شائعة ، أما الشائع فهو أن محمد كامل القاويش هو الذى أطلق على نفسه اسم محمد كامل القاويش سابقا.

❑

ومع هذا الموقف الخلقى فإن البغدادى شأنه شأن مجموع أعضاء مجلس قيادة الثورة لم يكن على استعداد لفهم معنى احترام الملكية كما أنه لم يكُن استعداد للتعمق فى ديناميات الحياة الاقتصادية ، وهو ما يكشف عنه بوضوح حديثه المسهب عن مطالعته

مع زملائه لكشوف الأثرياء الذين تزيد ثرواتهم على مائة فدان أو عشرة آلاف جنيه من أسهم الشركات ، وسنرى انطباعاته «بكرية» تماما خالية من فهم أسس القانون المدنى ، بل أسس الحالة العامة ، وهى فى الواقع أقرب إلى التأثر بالديماجوجية المطلقة:

يقول عبداللطيف البغدادى فى معرض حديثه عن الإجراءات التخطيطية التى اتخذتها حكومة الثورة عقب وقوع الانفصال:

«.... فى مساء اليوم التالى عرضت علينا [الكشوف] بأسمائهم التى كان قد طُلب إعدادها ، وكانت هذه هى أول مرة يتم فيها حصر أصحاب الأراضى الزراعية ممن كانت ملكيتهم تزيد على المائة فدان (هكذا يقول البغدادى مع أن كتب الرافعى المنشورة قبل الثورة كانت حافلة بمثل هذا الحصر) وكذا المالكين لأسهم فى الشركات التى كانت تزيد قيمة ما يملكون منها على عشرة آلاف جنيه. واتضح لنا من تلك الكشوف أن الذين يملكون أكثر من مائة فدان أغلبهم من المصريين ، أما أغلب أسهم الشركات فكانت فى أيدى الأجانب والمتمصرين ، ولا يملك المصريون منها إلا القليل. وكان واضحاً أيضاً أن الثروة القومية كانت فى أيدى أفراد قلة من الأجانب وبعض عائلات إقطاعية كانت تملك الأراضى الشاسعة فى عديد من المحافظات ، وذلك بخلاف المبالغ الضخمة قيمة ما كانت تملكه أيضاً من أسهم فى الشركات. ومثلاً فرنسوا تاجر ، له من الأولاد القُصّر أربعة ، وكل منهم يملك ما يزيد على نصف مليون من الجنيهات ، وهى قيمة الأسهم التى يملكونها ، وكذا زوجته ، وهو متمصر وليس بمصرى ، وقد بدأ نشاطه فى صناعة النسيج فى مصر بعد قيام الثورة وبسلفة من الدولة ، وكون هذه الثروة الضخمة فى مدة لا تزيد على سبع سنوات ، وذلك على حساب جهد العامل واستغلال المستهلك أيضاً. وهناك غيره كسباهى وباسيلى وعبود وآخرين».

لعل القارئ يعجب من هذه الحقيقة التى يكشف عنها البغدادى وهى أن فرنسوا تاجر كون ثروته الضخمة هذه فيما بعد قيام الثورة بعدما بدأ الاستثمار فى صناعة النسيج ، ولهذا فإن علينا أن نتأمل من ناحية أخرى مدى ما كان يمكن للاستثمار الصناعى أن يحققه لو أن الثورة واصلت الاهتمام بتوفير مناخ الاستثمار بدلاً من ذبح الدجاجة التى تبيض ذهباً.

ونستأنف قراءة ما يرويه البغدادى مما يؤكد على فكرتنا عن توجهاته فى هذه الجزئية:

«ولمسنا باطلاعنا على هذه الكشوفات الواقع المرير وهو أن هؤلاء الملايين من البشر فى بلادنا يشقون من أجل حفنة قليلة من الناس لا يزيد عددهم على المئات بل قل العشرات ، ويا ليتهم من أبناء مصر بل أغلبيتهم غرباء عنها».

«وقد تقرر اعتقال البعض منهم أيضاً وهم من كان لهم نشاط مضاد للثورة خلال تلك الفترة ، وتقرر كذلك إعادة بعض السياسيين القدامى إلى السجن وهم من الذين سبق أن حكمت عليهم محكمة الثورة وكان قد أفرج عنهم إفراجاً صحياً كفؤاد سراج الدين وإبراهيم فرج ، وبلغ عدد الذين تقرر إعتقالهم أو إعادة سجنهم حوالى ثلاثين شخصاً ، وكلف زكريا محيى الدين باتخاذ إجراءات إعتقالهم ، وعلى أن يتم ذلك فى صباح يوم الثلاثاء ١٧ أكتوبر ١٩٦١ ، وكذا وضع الأموال والممتلكات تحت الحراسة ، واتخذت تلك الإجراءات لتأمين الثورة والحفاظ على خط سيرها ، وكان العامل المؤثر الأول فى اتخاذها هو ما حدث فى سوريا وموقف الرجعيين هناك من الانفصال ، ولم نكن نشاء أن يتكرر فى مصر ما حدث فى سوريا».

❑

الفكر السياسى فى مشروع استقالته عقب الانفصال: وبوسعنا أن نتأمل صورة الفكر السياسى للبغدادى متبلورة فى مشروع استقالته التى كتبها (ولم يقدمها) عقب وقوع الانفصال ، فنحن نرى فى هذه الاستقالة تعبيرا جيدا عن الفكر السياسى للبغدادى ، وهو نفسه الفكر الذى يمكن أن نفهمه على أنه كان بمثابة الحلقة الأخيرة من حلقات خلافات عبدالناصر والبغدادى ، وهى الحلقة التى بدأت بمحاولة الاستقالة وبتكرارها ثم بالاستقالة الفعلية والابتعاد ، وقد كنت ولازلت أعتقد أن الآثار النفسية للانفصال السورى فى ١٩٦١ وانفصام عرى الوحدة تمثل واحدة من أبرز الموضوعات الكبرى التى ألقت بظلالها على فكر قادة الثورة وتصرفاتهم حتى على المستوى الفردى ، والبغدادى مثل بارز لهؤلاء كما نرى ، ومع هذا فلست أعرف سببا لانصراف المحللين السياسيين عن دراستها وتأملها بالقدر الذى تستحقه.

ونحن نعرف بعض حقائق متفرقة عن الآثار الفورية التى حدثت نتيجة للانفصال ، ومن هذه الحقائق أن الرئيس جمال عبدالناصر أصيب بالسكر ، كما نعلم أن تورط مصر فى اليمن بهذا القدر الذى تورطت به لم يكن إلا صورة أخرى من محاولات

التعويض النفسى ، ونعلم أيضا أن استقالة عبد الحكيم عامر وهى الاستقالة التى وزعت صور منها بعد حرب ١٩٦٧ كتبت فى هذه الفترة ، كذلك فإن البغدادى هو الآخر قد ضمن أوراقه استقالة كتبها بنفسه وهى استقالة أعمق فى بيانها وفكرها من استقالة عبدالحكيم الشهيرة ، لكن حسن إبراهيم نصح البغدادى بألا يقدمها لعبدالناصر ، وقد التزم البغدادى بهذه النصيحة ، ومن المهم أن نتأمل مضمون هذه الاستقالة وما تتضمنه من معانٍ.

ومن الواضح أن هذه الاستقالة كانت فى مجملها صورة من صور الحرص على مراجعة النفس عقب حدث كبير قدر له أن يهز نفسية وعقلية الذين عاصروه ممن كانوا أيضاً مسئولين بصورة أو أخرى عن وقوعه.

وليس من سبيل إلى القول بأن البغدادى كان يقلد عبد الحكيم بهذه الاستقالة ، بل ربما كان العكس هو الصحيح ، فربما تردد البغدادى فى نشر هذه الاستقالة بسبب نشر عبد الحكيم لاستقالته.. وربما كان هذا هو السبب فى أنه لم يعطها حقها الكامل فى مذكراته.

ولنقرأ ما يرويه عبد اللطيف البغدادى عن ظروف كتابته لاستقالته :

«... كنت فى يوم الثلاثاء ٣ أكتوبر ١٩٦١ قد رأيت أنه من واجبى بعد تلك الأحداث المؤلمة التى حدثت فى سوريا والتطورات التى كانت تجرى هناك ، أن أكتب خطاباً شخصياً إلى جمال أبيّن له فيه رأيى فى الطريق الواجب علينا اتخاذه حيال تلك الأحداث ، ومستعرضاً فيه أيضاً الأخطاء الرئيسية التى كانت من ضمن أسباب ما حدث فى سوريا ، ومؤملاً أن نعمل على تلافيها فى المستقبل».

« وكتبت إليه الخطاب التالى :

«عزيزى جمال

بعد التحية...

«أكتب إليك اليوم كصديق ، تربطنا صلة الصداقة والجهاد من أجل الكفاح فى سبيل رفع شأن أمتنا. وقد أردت أن يكون خطابى هذا إليكم خطاباً شخصياً وليس بصفتى الرسمية ، وأردت أن أعبر عما فى نفسى بوضوح طارداً الحساسية بيننا جانباً ولو إلى حين فى هذه الظروف الصعبة التى تمر بها اليوم أمتنا العربية».

«ومن منطلق إيمانى بوطنيتكم وكقائد فيه من الصفات ما يحقق النصر لأمتنا ، ومع احترامى وتقديرى لك ، وإيماناً منى بواجبى كوطنى يحب بلاده ، كل هذا دفعنى إلى مخاطبتكم بما يجول فى خاطرى».

ثم يبدو البغدادى متفائلاً فى ظنه أن من الممكن استرداد ما فقدناه فى أقل وقت مستطاع(!!) وهو يعبر عن هذا التفاؤل فى فقرة من رسالته أو مشروع رسالته إلى الرئيس عبدالناصر فيقول:

«عزيزى جمال

«مما لاشك فيه أن الحدث الذى وقع فى سوريا يجعل كل وطنى متحمس لوطنه وعروبته يفكر ويقلب الأمر على وجوهه المختلفة عله يمكنه تحديد الطريق الذى يجب أن تسير عليه أمتنا فى المستقبل ، وذلك حتى نقلل الخسائر بقدر الإمكان وندفع عجلة التقدم إلى الأمام لنسترد ما فقدناه فى أقل وقت مستطاع ، وحتى يمكن لنا أن نستمر قدماً إلى الأمام لتحقيق الأهداف التى آمنا بها ونعمل من أجلها».

«ومن أجل تحقيق ذلك يجب علينا أولاً أن نفكر فى الأخطاء الحقيقية التى كانت وراء ما وصلنا إليه من نتائج ، وأن نكون صرحاء مع أنفسنا وواقعيين أيضاً ـ وتحديدها تحديداً واضحاً ينير لنا الطريق ـ طريق الصواب ـ فنعرف إلى أين يجب أن نسير ، والابتعاد عن الواقع يدفعنا إلى تكرار نفس الأخطاء وربما يترتب عنها نتائج تباعد بيننا وبين تحقيق أهدافنا».

«وإيماناً منى بالله وبوطنى وواجبى فى مثل هذه الظروف ، يدفعنى إلى مصارحتكم إرضاء لضميرى وأملاً فى النهوض بوطننا العزيز والسير به فى طريق العزة والسيادة والرفاهية تحت قيادتكم ، ولعلنا نستفيد من أخطائنا».

«وأرى أن أبدأ بتحديد النتائج التى ربما تترتب على ما جرى فى الإقليم الشمالى من الجمهورية العربية المتحدة».

هكذا يبدأ البغدادى تحليله من النهاية أو من النتائج وهو لا ينكر أنه يبدأ من النتائج على الرغم من عدم المنطقية فى هذا المنهج ، لكنه يبدو أنه كان فى هذا المنهج أقرب إلى مذهب القائلين بالإدارة بالأهداف ، أو كأنه يحاول أن يضبط سياسات حكومته على ما هو حتمى من نتائج متوقعة ، ونحن نراه هنا مستسلماً تماماً لما استسلم له الرئيس

عبدالناصر هو الآخر ، فهو يرى أن الانفصال أمر حتمى ، وهى الرؤية التى مثلت مكمن الخطورة على الوحدة العربية التى لم تحظ بالإيمان العميق ممن كان عليهم أن يحموها.

❑

فكر البغدادى يتطور إلى تكريس الواقعية: يعدد عبد اللطيف البغدادى فى استقالته المرفوعة للرئيس جمال عبد الناصر العوامل الحاكمة للأسلوب الذى يظن أن على الدولة ، وعلى الرئيس عبدالناصر ـ بالتالى ـ أن تأخذ به فى معالجة قضية الانفصال ، وسوف نرى البغدادى حريصاً فى تكريس ما يعتبره بمثابة الواقعية ، وذلك فى تأكيده على ظنه أن الانفصال سيمضى إلى نهايته ، وأنه لا أمل من توقف مسلسله ، وعلى هذا يحاول البغدادى أن ينصح بالرضا بالأمر الواقع ، وفى نفس الوقت فإنه لا يغلق الباب أمام السعى لإحراز نجاح آخر لتعويض تلك الخسائر.. وكأنه كان دون أن يدرى يشجع الدخول فى معمعة اليمن من قبل أن تقع واقعتها.

يقول البغدادى:

«أولاً : أعتقد أنه بمرور الزمن ـ طال أو قصر ـ فالإقليم الشمالى سينفصل عن جمهوريتنا ، وتوالى الأحداث هناك يدل على أن هذا الأمر واقع لا محالة ، وليس لنا حيلة فيه ، إلا أننا ربما نزيد من الشقة بيننا وبينه باستمرارنا فى مهاجمة الأوضاع هناك بما نعتقد أنه يزعزع قواعد النظام فيه ويؤلب الشعب على من يتحكمون فى مصائره اليوم».

ثم يقفز البغدادى ـ مباشرة ـ إلى نتيجة مهمة وهى ضرورة البعد عن الهجوم على الحكام الجدد فى سوريا لأن مثل هذا الهجوم كفيل بإثارة التعصب ضد مصر:

«ولكن هذا الموقف منا سيدفع الحاكم هناك إلى التعصب ضدنا ويجعله يعمل دائماً فى البُعد عن أى خطأ حتى لا نأخذه عليه ، وسيتخذ لنفسه طريقاً يرضى به الشعب ليدعم مركزه ، وآملاً فى أن ينحاز إلى جانبه وأن يتعصب معه ضدنا ، وبذلك تزداد الشقة بينه وبيننا».

❑

إيمان البغدادى بأهمية عنصر مهابة الزعيم: يزيد عبد اللطيف البغدادى هذه الجزئية إيضاحاً

فيتناول انعكاسات الانفصال وما أعقبه على مهابة الرئيس عبد الناصر نفسه بكل ما تمثله شخصيته من أهمية للنظام:

«إن استمرار مهاجمتنا لما يجرى هناك يدفعهم إلى مهاجمة أسلوب الحكم أثناء الوحدة معهم ، والتطاول عليك بألفاظ لا يصح أن نفسح لها المجال لأنها بجانب أنها مؤلمة على النفس فلا تنسى كذلك أنك كنت رئيساً وزعيماً وقائداً لهم وتطاولهم عليك يضعف من هيبتكم فى الداخل والخارج زيادة عن شماتة الشامتين».

ومع هذا فإن البغدادى لا يقطع الأمل فى عودة الوحدة أو عودة رغبة الشعب السورى فيها عندما يترحمون عليها حين يواجهون الفشل:

«.... وعلى ضوء ذلك أعتقد أنه من صالحنا مؤقتاً أن نرضى بالأمر الواقع إذا كان هذا الانفصال [ناتجا] عن رغبة الشعب السورى وإرادته ، ولنتركه هو يحدد لنفسه طريق مستقبله متمنين له التوفيق ، وإن وفق كان هذا مدعاة لسرورنا ، فهم أخوة لنا فى الوطن العربى الكبير ، وإن فشلوا فسيترحمون على أيام الوحدة ومتمنيين عودتها ، وليس من المستبعد المطالبة بها من جديد فتعود أقوى مما كانت وتسير فى طريقها أسرع مما كانت تسير لأننا سنكون قد استفدنا من أخطائنا».

ويعبر البغدادى عن وعيه لأثر هذه النكسة على حد وصفه على الأمل فى تحقيق الحلم أو الأمل الكبير:

«.... يجب أن نضع فى أذهاننا أن هذه النكسة ستبعد بيننا وبين الوحدة الشاملة التى كانت أملاً لنا ، بل وستجعل من كان يأمل فيها ومتحمساً لها متردداً اليوم بعد الذى حدث فى سوريا ، وسيزداد هذا التردد منهم لو أعطينا الفرصة للنظام القائم فى سوريا من مهاجمة أسلوب الحكم أثناء الوحدة. ولا تنس أن زعامتكم وقوتكم الداخلية والدولية قد استمدت من النجاح المطرد فى الميادين المختلفة ، ورصيدكم منها هو الذى دفع الشعب العربى إلى الإيمان بكم كزعيم للقومية العربية وللوحدة الشاملة ، لذا يجب علينا أن نسعى لإحراز النجاح لنعوض تلك الخسائر.. وأن نحافظ على الهيبة ونستمر فى المناداة بالقومية العربية والوحدة الشاملة ، وأن نقدر العقبات والمسئوليات التى ستقف فى طريقنا ، ولا يجب أن يفت هذا فى عضدنا أمام تلك الأهداف الجسام».

إيمانه بأهمية مشاركة الشعب السياسية: ضمّن عبد اللطيف البغدادى خطابه للرئيس جمال عبد الناصر وجهة نظره فيما يعتقد أنه أخطاء حدثت فى أثناء الوحدة، ونحن نراه وقد أدرك بحسه وممارساته أهمية الوعى السياسى والمشاركة السياسية فى خلق حماس الجماهير للتعاون مع قادتها، ونحن نرى البغدادى يلجأ، من أجل إقناع الرئيس عبد الناصر بفكرة أهمية المشاركة السياسية، إلى تشبيه غير مؤثر، فهو يشبه الشعب بأسرة صغيرة على حين أن هذا التشبيه نفسه هو مكمن الخطورة فى الفكرة، فربوبية الأسرة لا تقارن بأى حال من الأحوال بقيادة الشعب، ولكن هذا التفكير كان هو أقصى ما كان يمكن للبغدادى أو لغيره من زملائه أن يتخيلوه من مفردات النظرية السياسية، بل ربما كانوا ـ كما يظنون أنفسهم وكما أثبتت التجارب ـ أكثر وعياً لهذه الجزئية من الرئيس عبد الناصر نفسه، وإن كان عبد الناصر حسب رأيهم هم أنفسهم فيما بعد أكثر صواباً فيما انتهج من طريق:

«يجب أن نستفيد من أخطائنا، فهى التى ستنير لنا طريق المستقبل، وعلينا أن نحددها بوضوح».

«وفى هذا [الخطاب] سأحاول من جانبى أن أحدد هذه الأخطاء كما ألمسها».

«من المعروف أن الشعوب عادة لا تحكم بالماديات فقط، وإنما هناك نواح أخرى معنوية ونفسية وروحانية لها أهميتها، ويجب على الحاكم أن يضعها دائماً موضع الاعتبار لأنها تقف على نفس مستوى الماديات إن لم تزد».

«ولا يمكن لحاكم أن يحكم شعباً بالعمل على تنفيذ عدة مشروعات له تزيد من دخله فقط، ولكن عليه أن يشركه معه إشراكاً فعلياً فيما يرسم له ويحدد مستقبله. والحاكم إن لم يشركه فى ذلك يصبح كرب الأسرة الذى يكد ويكدح فى سبيل جمع المال لأسرته دون إشراكها فيما يعمل أو يقرر، وهم ربما ينعمون بما جمعه من مال ولكنك تجدهم غير سعداء بما هم فيه وغير متحمسين لما يجرى من حولهم من شئون الأسرة، كما تجدهم أيضاً سلبيين أثناء الأزمات التى تواجهها».

«ونفس تلك الحالة تنطبق أيضاً على الحاكم والمحكومين إن كانوا بعيدين عن المشاركة الفعلية فى تقرير مصيرهم ورسم خطة مستقبلهم».

اكتشافه فقدان الحماس الشعبى: كان عبد اللطيف البغدادى فيما نشره من رسائل أو مذكرات أو استقالات كتبها إلى الرئيس عبد الناصر يؤكد بكل وضوح على مكانة عبد الناصر كزعيم وقائد ، ولكنه يشير بكل وضوح إلى فقدان الشعب للحماس المتوقع ، فضلاً عن اعتقاد الشعب فى أن الحاكم لا يتقبل النقد ولا يبحث عنه ، ومن ثم فإنه يؤثر السلبية ثم اللامبالاة.

وهو على سبيل المثال يقول:

«إذا نظرنا إلى الوضع القائم فى جمهوريتنا على أساس هذا المبدأ الرئيسى نجد أن الشعب يكن لرئيسه الاحترام والتقدير ويلمس مجهوده ومسعاه ويفخر بما حققه له من انتصارات ، وهو ينال منه المهابة والاحترام ، ولكن فى نفس الوقت نراه غير متحمس كما يجب أن يكون التحمس لما يجرى فى بلاده ، وليس هناك من سبب غير أنه لم يكن له دور إيجابى فيما يجرى ، كما أنه أيضاً يرى بجانب هذه الانتصارات التى يفخر بها أخطاء وأخطارا ولكنه لا يرى ولا يسمع أن هناك من يعمل أو يسعى إلى مقاومتها ، وعليه يرسب فى ذهنه أن الحاكم غير مستعد لتقبل النقد أو الكشف عن تلك الأخطاء ، ويزداد اعتقاده أن أمنه وحريته ومستقبله ستهدد إن هو أفصح عما يراه من أخطاء ، لذا يختار لنفسه السلبية طريقاً متجنباً بها نتائج إيجابيته وما سيصيبه منها على ما يعتقد أو يشاع ، ووقوف الشعب موقفاً سلبياً مما يجرى حوله يحمل بين طياته خطرا وأى خطر ، فهو يكبت فى نفسه ويزداد هذا الكبت يوماً بعد يوم إلى أن تجئ اللحظة التى ينفجر فيها وينطلق كالمارد من الزجاجة التى ظل حبيساً بها سنوات طوالا أو يأخذ موقف اللامبالاة من الحاكم والتخلى عنه وقت أن يحتاج إليه».

وهذا نص جميل من مذكرات البغدادى أشرنا إليه فى أكثر من موضع ، وتأتى أهميته من أنه يروى به ملخصاً لأحد المناقشات التى دارت بينه وبين الرئيس جمال عبدالناصر حول هذا المعنى.

«وفى أثناء المناقشة (فى اجتماع ٣١ مارس) ذكر جمال عبد الناصر أن هذه الثورة ليست لها قاعدة شعبية تعتمد عليها ، وليس هناك من يؤيدها لا من الشعب ولا من الجيش ، وأن الذين قاموا بهذه الثورة تسعين ضابطاً فقط وأنهم فى تناقص حتى أصبح عددهم خمسين ضابطاً الآن».

«وعلّقت على كلامه هذا بقولى: «معنى هذا أننا نفرض أنفسنا على هذا البلد».

«فرد علىّ بالإيجاب».

«فقلت: «أعتقد فى هذه الحالة يجب علينا أن نروّح إذا كان هذا هو الوضع».

❑

وهو يحدث الرئيس عبد الناصر تحريرياً منتقداً البرلمان والاتحاد القومى والصحافة بعبارات شديدة القسوة إلى درجة أن يقول إن الاتحاد القومى لم يقم بأى دور إيجابى منذ إنشائه إلى اليوم!!:

«... وربما نتساءل: وهل الوضع فى جمهوريتنا على هذه الصورة التى ذكرت؟ والرد أن الشواهد فيها تدفع المواطن على أن يعتقد ذلك لأنه يرى أن وسائله فى المشاركة فى الحكم لا تقوم بدورها كما يجب أن يكون ، فمجلس الأمة من المفروض أن يعبر عن رغبات الشعب ، وأن يكون له دور فى كل ما يتصل بالسياسة العامة فى البلاد ؛ يناقشها ويبدى رأيه فيها.. وله دور فى مراقبة أعمال السلطة التنفيذية ويكشف ما يقع منها من أخطاء ويحاسب المسئولين عنها ، ولكن الشعب يرى أن هذا المجلس لا يقوم بالدور الذى يجب أن يقوم به ، والحاكم لا يعطى أهمية لوجوده كممثل للشعب وحلقة الاتصال بينهما ،كما أن الشعب يرى فى الاتحاد القومى كتنظيم سياسى أنه لم يحقق الغرض الذى من أجله وجد ، ولم يقم بأى دور إيجابى من يوم إنشائه حتى اليوم ، مثله فى ذلك مثل التنظيم السابق له. هيئة التحرير».

ويصل البغدادى إلى بلورة وجهة نظر الشعب تجاه نظام الحكم فيقول:

«ويشاهد أيضاً أن الصحافة لا تعبر عن الرأى الحر الصريح البناء ، وإنما تردد ما تعتقد أنه يرضى القائمين على الأمر فى البلاد».

«والشعب يخلص من ذلك إلى أن وسائله فى المشاركة وفى تقرير مصيره ومستقبله ووسائل التعبير عنه قد أصبحت كلها فى نظره سلبية ولا تقوم بدورها كما يجب ، بل وقد أصبح القائمون على أمرها أنفسهم سلبيين كذلك».

❑

البغدادى لا يمانع من التضحية بالسلطة من أجل إثبات قيمته، ويهمنا أن نشير إلى أن استقامة فكر البغدادى وحرصه على المنطق تدفعانه إلى بعض الأحكام السياسية أو الأفكار السياسية

المنافية للبراجماتية ، من ذلك دعوته فى مارس ١٩٥٤ إلى الانسحاب المؤقت من الساحة وإعادة تنظيم الصفوف ثم العودة ، وقد وصل البغدادى فى مناقشاته إلى القول أو إلى الظن بأن الشعب هو الذى سيعرف قيمتهم:

«واجتمع المجلس فى صباح ذلك اليوم (١٥ مارس ١٩٥٤) ، وكان أعضاء المجلس حاضرين فيما عدا جمال سالم ، وبدأ الاجتماع وظللنا صامتين فترة ، ولما شعرت أن أحداً لا يرغب فى فتح باب المناقشة رأيت أن أبدأ قائلا إنه من الواجب علينا أن نعترف بموت الثورة من يوم أن تقدم محمد نجيب باستقالته وعليه يجب أن نختفى مؤقتاً ونترك الحياة النيابية تعود بفسادها كما كانت فى الماضى حتى يلمس الشعب مدى الخسارة التى خسرها ، وحينئذ يمكننا التحرك ثانية لحمايته من عودة هذا الفساد ، ويجب علينا البعد عن الأحزاب والمهاترات السياسية وعدم تأليف حزب. وقد شبهت موقفنا بموقف جيش قد انهزم فى معركة وعليه أن يعيد تنظيم صفوفه حتى يمكنه استئناف المعركة من جديد».

بل إن تفكير البغدادى كان أقرب إلى الاختيار ما بين الأبيض والأسود فإما حريات مطلقة أو عدم حريات ، وهو نفس المنطق الذى أظهر جمال عبد الناصر نفسه تبنيه له:

«وتبعنى صلاح فى الكلام مطالباً بضرورة معرفة إلى أين نحن ذاهبون حتى يمكن أن نختار الطريق الذى سنسلكه ، فإما حريات فتطلق إلى آخر درجة ، أو عدم حريات فيعتقل كل من يعمل على التخريب أو الإفساد أو نشر الشائعات».

«أما عبد الحكيم فقد تكلم عن المعركة الداخلية الدائرة بين الثورة وبين الإخوان المسلمين والشيوعيين والأحزاب المنحلة ، وأن كلاً منهم يريد أن يفرض نظامه ، وعلى الثورة أن تحدد نظامها الاقتصادى هل هو اشتراكية أو رأسمالية أو أى نظام آخر؟ ولكن رد عليه أغلبية أعضاء المجلس بأن اتجاهنا معروف وهو النظام الاشتراكى. فرد عليهم بأن يجب فرض هذا النظام بالقوة ومحاربة كل من يعمل على مناهضته دون أن نتركهم يتطاحنون ومن له الغلبة فى النهاية يفرض نظامه».

❑

وجهة نظره فى الحياة البرلمانية: يدلنا ما يرويه البغدادى فى مذكراته على أنه كان قريبا من فكرة تشجيع حياة برلمانية منقوصة ، إذ لم يكن يتصور حسبما روى فى اقتراحه أن

يكون للمجلس الاستشارى الذى توجده الثورة الحق فى سحب الثقة من الوزراء ، وإنما يكون له الحق فقط فى مناقشة الوزراء ومناقشة المشروعات ، ونحن نراه يكرر الحديث عن الحاجة إلى تدريب الشعب على الحياة النيابية السليمة ، وكأنما كانت الثورة تتصور الحياة النيابية مسرحيات تتطلب التدريب والبروفات:

«... وتكلمنا فى ٢١ فبراير ١٩٥٤ عن اقتراح كنت قد سبق وتقدمت به عند إعلان الدستور المؤقت وتحديد فترة الانتقال ولم يوافق عليه المجلس فى حينه ، وكان اقتراحى ينصب على إيجاد مجلس استشارى بالتعيين من أعضاء النقابات المهنية المختلفة ومن الأعيان ليكون هذا المجلس بمثابة البرلمان فى فترة الانتقال ، وعلى أن يكون له الحق فى مناقشة الوزراء ومناقشة المشروعات المختلفة التى تتقدم بها الحكومة ، ولكن ليس له الحق فى سحب الثقة من الوزراء ، وعلى أن يشكل من داخله لجاناً فنية مختلفة لدراسة مشروعات الحكومة وإبداء الرأى فيها».

ومع هذا فقد كان البغدادى مؤمنا بأهمية التعاون مع رجال الحياة المدنية والإفادة منهم وتحميلهم بجزء من المسئولية بل وتوظيفهم كدعاة للثورة!!:

«... وكنت أهدف من هذه الفكرة إلى إيجاد صلة تعاون مع المثقفين المدنيين ولإيجاد رابطة بينهم وبيننا بتحميلهم جزءا من المسئولية ، وليكونوا هم الدعاة للثورة والرقباء على الأجهزة التنفيذية ، وحتى تكون هذه الفترة ـ فترة الانتقال ـ مع وجود مثل هذا المجلس فترة تدريب على الحياة النيابية السليمة التى هى أحد أهدافنا الستة الرئيسية ، وحتى نتعرف منها على أخطائنا لنتجنبها عندما تقوم الحياة النيابية ، لكن المجلس فى هذا الاجتماع رأى أن يوافق على ذلك الاقتراح بصفة مبدئية دون البت فيه بصورة نهائية».

ويبدو بوضوح أن هذه الفكرة المؤمنة بوجود البرلمان ظلت تشغل فكر عبد اللطيف البغدادى طيلة عامى ١٩٥٤ ، ١٩٥٥:

«... ولكن عند عودتنا معاً يوم الأحد ٢١ أغسطس ١٩٥٥ إلى القاهرة وبعد مرور ساعة من بدء مسيرتنا وأثناء حديثنا فى موضوعات متنوعة ، سألنى جمال عبد الناصر فجأة وبدون مقدمات: «ألم تفكر فى نظام الحكم؟».

«فأجبته إن من أهم النقاط التى تشغل بالى هو كيف يمكن أن نحقق حياة نيابية سليمة كهدف من أهداف الثورة ، وأنه يجب أن تكون الفترة القادمة من مراحل الثورة

فتـرة تدريب مع وضع تقاليد جديـدة للحياة النيابيـة فى بلدنا لأنها ستكون هى صـمام الأمن فى المسـتقـبل لهذه البـلاد ، وأبديت خوفى من أن يصـبح المجلس النيابى الـقادم مـجلساً سلبـياً وليـس عنده إلا الموافقـة على كل مـا يعرض عليـه ، وإن أصبح كـذلك مجلساً سلبياً ، فقد الشعب ثقته فى النظام كله. وذكرت أننى أرى أن يعطى المجلس كل سلطاته كاملة من سـؤال الوزير إلى استجـوابه وإلى سحب الثقـة منه فيما عـدا سحب الثقة من الوزارة ، وأن يشجع على أن يقوم بدوره كاملا».

«وقد أيـدنى عبـد الحكيم فى هذا الرأى ومبـدياً نفس التـخوف. كمـا وافق جـمال عبدالناصر على إعطاء المجلس تلك السلطات التى أشرت إليها فى حديثى».

ويعود البغدادى ليتحدث عن فكرته فى أهمية وجود المجلس الجمهورى فيقول:

«وفى حوار مع عـبد الناصر وعبـد الحكيم قال: ولكنك كنت قد اقـترحت أن يكون هناك مجلس جمهورى».

«أجبـته بالإيجاب ، وأوضحت أن ذلك كـان على أساس أن يتولى هو ـ أى جـمال عبد الناصر ـ رئاسـة الوزارة ويتكون من باقى الأعضاء مجلس جمـهورى يتولى رئاسة الدولة ، وعلى أن تكون رئاسة المجلس دورية بينهم كل عام ، وأنه يريحهم نفسياً شعور كل فرد منهم أن الوضع واحـد بالنسبة للجـميع ، وأنى كأحـد المساهمين فى قـيام هذه الثـورة لا أتصور أن أبقى بـدون عمل لعـدة سنوات ، وفى نفس الوقت أرى الآخـرين وهم يساهمون بنشاطهم فى بناء هذه الدولة ، مع أن الثورة ثورتى كما هى ثورتهم».

«وكان رد جمال عبد الناصر أن مساهمته هى أن يضحى ويتحمل هذا الوضع».

❑

إيمانه بمبررات للاجراءات الاستثنائية: تنبأ مذاكرات البغدادى بكل وضوح على أنه كان فى بداية عـهد الثورة حـريصا على تـوفير المنـاخ الاستثنـائى لها من أجل تحـقيق انجـازاتها وأهدافها ، وقد ظل البغدادى على هذا المبدأ ، طارحا الخـيار التقليدى الشهير إما وإما ، وعلى نحو ما تحدث فى شأن الحريات فإنه ، كما يروى بنفسه فى مذكراته ، يتحدث فى ٢٨ مارس ١٩٥٤ فى مجلس الثورة متسائلا: هل هى ثورة أم لا ؟:

«وطالب البغـدادى (فى اجتمـاع ٢٨ مارس) بأن تحدد هل هى ثورة أم لا ، مـبيناً أن

الثورة قامت لتحقيق أهداف ولابد من استمرارها لتحقيقها ، ويلزمها إجراءات استثنائية وحزم ، ولا ترتبط بفترة انتقال مادامت مقيدة بأهداف معينة ، وبين أن المشكلة الرئيسية ليست هى تلك القرارات ، إنما المشكلة هى فى تفكك مجلس الثورة. وتساءل عن وحدة المجلس وهل يمكن أن تعود إليه ثانية؟ واقترح إلغاء قرارات ٢٥ مارس ، وأن تشكل الهيئة الاستشارية ، وأن تؤلف وزارة مدنية بعد أن تعود الأمور إلى نصابها ، وأن يصبح محمد نجيب رئيساً للجمهورية فقط ، ويبتعد مجلس الثورة عن السلطة التنفيذية ، وتكون له سلطة السيادة فى حدود الدستور المؤقت ليراقب تحقيق أهداف الثورة ، وذلك حتى يمكن وضع حد للتنافس الجارى بين محمد نجيب والمجلس لتستقر الأوضاع».

«وأبدى جمال سالم موافقته على رأى البغدادى».

هكذا يروى البغدادى المشاركات التى أبدى بها رأيه متحدثاً عن نفسه بضمير الغائب ، ثم هو يواصل ويقول:

وفى نفس تلك الجلسة عاد البغدادى للتساؤل :

«وتساءل البغدادى (فى جلسة ٢٨ مارس أيضاً) عن إمكانية التئام المجلس وعودته لوحدة الصف من جديد ، فإن أمكن كان خيراً ، وإن كان ذلك غير ممكن فتعطى السلطة كلها لمحمد نجيب ويحل باقى المجلس أو العكس ، أى تعطى السلطات كلها للمجلس ويعفى محمد نجيب ، لأنه لابد أن يحكم أحدهما فقط ولا يمكن أن تكون هناك قيادتان».

«أما عبد الحكيم فقد اقترح إلغاء قرارات ٢٥ مارس أو تأجيل تنفيذها حتى نهاية فترة الانتقال ، واتخاذ إجراءات استثنائية حتى يمكن للثورة أن تسير لتحقيق أهدافها».

«ثم دارت المناقشة بين الجميع عن الطريقة والوسيلة لتنفيذ هذا. ثم أخذت الأصوات على مبدأ الإلغاء لتلك القرارات التى صدرت يوم ٢٥ مارس أو تأجيل تنفيذها ، فوافقت الأغلبية على مبدأ الإلغاء وأخذت الأصوات أيضاً على تأجيل النظر فى الوسيلة أو طريقة التنفيذ لثانى يوم ، ووافق عليها الأغلبية أيضاً ، أما الدكتور عباس عمار والدكتور على الجريتلى فكان رأيهما أن نتمسك بتلك القرارات. واتفق كذلك على إعادة الرقابة على الصحف ، وعلى أن تبدأ من اليوم التالى لهذا القرار ، أى فى ٢٩ مارس ١٩٥٤».

وبعد ثلاث صفحات يؤكد البغدادى على رؤيته السابقة ، بل إنه يعترف أنه عند التصويت انفرد (هو وجمال سالم) بعدم الموافقة على عودة الرئيس محمد نجيب:

«... واقترح صلاح سالم (فى اجتماع ٢٩ مارس) أخذ الأصوات على الاقتراح الخاص بتأجيل تنفيذ قرارات يوم ٢٥ مارس حتى انتهاء فترة الانتقال ، واتخاذ الإجراءات الاستثنائية الكفيلة بحفظ النظام والأمن فى البلاد ، وإعلان أن أعضاء المؤتمر المشترك جميعهم متضامنون فى هذه الإجراءات وهذه القرارات».

«واعترض جمال سالم على التصويت على هذا الاقتراح ويرى أخذ الأصوات على موقف محمد نجيب وما يجب اتخاذه حياله ، وهل يبقى أم لا يبقى ، وذلك بواسطة أعضاء مجلس قيادة الثورة فقط دون باقى أعضاء المؤتمر».

«ولقد أخذت الأصوات على ذلك من أعضاء مجلس الثورة فقط وبحضور الوزراء المدنيين فوافق جميع أعضاء المجلس على بقاء محمد نجيب إلا جمال سالم وأنا ، ثم تلى ذلك أخذ الأصوات على الاقتراح المقدم من صلاح فنال أغلبية الأصوات من أعضاء المؤتمر ، وامتنعت مع جمال سالم عن التصويت ، كما أن على الجريتلى وعباس عمار لم يوافقا على القرار».

❑

إدراكه لضيق الشعوب من الحكم العسكرى: ومن المهم إلى أن نشير إلى ما تتضمنه كتابات البغدادى من إدراك صاحبها العميق لضيق الشعوب من الحكم العسكرى وبخاصة إذا لم يكن مستقراً ، ونحن نرى البغدادى يفكر فى هذا الوضع فى إطار طريف ، وهو أن المشروعية لا تتحقق إلا بالقوة!! وهو تفكير واقعى بل ربما كان مثالياً فى ذلك الوقت ، ومع هذا فلربما نتعجب اليوم من وروده هكذا صريحاً فى نص سياسى يصدر عن مثل هذا الرجل:

«الحكم فى أى بلد لابد أن يستند إلى قوة ، وهذه القوة ربما تكون حزباً سياسياً أو أى قوة أخرى كالجيش ، ولكن الوضع فى سوريا بعد الوحدة سيكون شاذاً وغريباً ، فالأحزاب القائمة بها ستحل بعد قيام الوحدة ، ولن يكون هناك حزب سياسى أو أى قوى سياسية أخرى يمكن الاعتماد عليها إلى أن يتم قيام تنظيم سياسى بها مماثل للاتحاد

القومى فى مصر، كما أن الجيش قد تقرر إبعاده عن أى دور فيه ممارسة للسياسة أو السلطة ، وهو أمر ضرورى بعد أن لاقى الشعب السورى الأمرين من إرهابه وشعوره بعدم الاستقرار والاطمئنان نتيجة تلك الانقلابات العسكرية المتعددة ، بل ومطالبة الشعب السورى بالوحدة (كان) من ضمن أغراضها أيضاً التخلص من هذا الإرهاب».

❑

البغدادى يجيد تشخيص مساوئ المحسوبية: يحرص عبد اللطيف البغدادى فى الفقرات التى أوردها فى مذكراته من رسائله إلى الرئيس جمال عبد الناصر على التحذير من مخاطر الفساد المصاحب للنظام الشمولى وهو يجيد وصف المحسوبية من دون أن يستخدم لفظها:

«.... أضف إلى هذا ما يراه الشعب من أن هناك فئة قليلة محظوظة تنال ما تريد وترغب ، لا لميزة يتميزون بها على غيرهم ولكن ليس إلا لقربهم أو صلتهم بالحاكم أو من هم مقربون منه ، الأمر الذى جعل المواطنين يشكون فى مبدأ تكافؤ الفرص الذى هو أحد أسس العدالة الاجتماعية ، والذى طالما نادى به».

بل إن عبد اللطيف البغدادى يحذر من أن مَنْ يحظون بالمحسوبية لا يقنعون ، بل إنهم هم الأكثر عرضةً للتقلب:

«وهذه الفئة القليلة المميزة لن يرضيها ولن يكفيها ما تحصل عليه من ميزات ، وستظل تطالب بالمزيد وستنقلب حاقدة إن لم يحقق لها أطماعها وأغراضها ، أما الباقى من المواطنين فينظرون إلى هذا الأمر بعين عدم الرضا والقبول ويشعرون بالظلم».

ويبلور البغدادى النتيجة فى عبارات قاسية:

«والمحصلة فى النهاية حقد من الأقلية المميزة وشعور بالظلم من غالبية المواطنين. وأفراد الشعب يرضيهم كل الرضا أن يشعروا أن ليس هناك تمييز بين أبناء الوطن الواحد ، وأن الكل سواسية فى المعاملة وفى إتاحة فرص العمل».

«ويزيد على ذلك ما يراه أفراد الشعب ويسمعونه عن أخطاء تقع وتتكرر وليس هناك من محاسبة لمرتكبيها ، وكأن الأمر لا يعنى المسئولين ، ومعلوم أن نتائج هذه الأخطاء تقع أساساً فى النهاية على كاهل أفراد الشعب نفسه ويتحمل هو نتائجها».

هكذا يبلور البغدادى وجهة نظره فيلقى بها كلها على كاهل الشعب ولا ينسب إلى نفسه شيئا من الضيق أو الضجر مما هو موجود ، وكأنما يعبر البغدادى عن نفسه كواحد من آحاد الناس ليس إلا ، والحق أنه نجح فى هذا الأسلوب من حيث فشل غيره ، فهو لم ينسب لنفسه أدواراً صائبة على حين نسب الأدوار الأقل صواباً لغيره ، إنما هو حريص على أن يحاول توضيح الصورة فحسب ، ومن خلال هذا التوضيح يقدم البغدادى كل ما كان من شأنه أن يثير حفيظة الرئيس عبدالناصر ، حتى وإن لم يتوقع البغدادى هذا:

«.... هذه على ما أعتقد هى الأخطاء الأساسية التى ألمسها ، وقد أردت أن أضعها بين يديك.. وربما أكون مخطئاً فى تقديرى ولكنه على كل حال هناك أخطاء لابد من البحث والتنقيب عنها والعمل على معالجتها لتدارك الأمر».

الفصل الثانى : مذكراته السياسية

يتصل بالحديث عن الفكر السياسى للبغدادى أن نتحدث عما تضمنته مذكراته من أفكار واضحة المضمون ، فهى فى المقام الأول نص ذاتى كفيل بإضاءة أفكار صاحبها والتعبير عن معتقداته ومعتنقاته وتصوراته ، هذا فضلا عن قيمة المذكرات لتاريخنا السياسى المعاصر ولتاريخ الثورة ، وقيمتها من حيث هى مذكرات.

ومن المؤكد أن هذه المذكـرات لاتزال تحتل مكانة مهمة حـتى الآن بين كل المذكرات التى كتبت عن هذه المرحلة.

وسأبدأ الحديث عن قـيمة هذه المذكرات بأن أنقل للقارئ رأى الدكتـور عبد العظيم رمضان فـى توصيف هذه المذكرات في كتـابه «مذكرات الزعمـاء والسياسيـين» حيث يقول :

«تعتبر هذه المذكرات بالصورة التى قدمت بها أقرب إلى النموذج الأوروبى فى كتابة المذكرات . فهى لا تنتمى إلى الذكريات التى سـجلت بعد حين من وقوع الأحداث ، كما أنهـا لا تنتمى إلى «اليوميات» التى تكتب فى حـينها ، وإنما هى رواية للأحداث من واقع يوميات الكاتب ، الذى آثر إبقاءها فى طى الكتمان . فهى على هذا النحو أكثر دقة وأهمية من «الذكـريات» ، وأقل قيمة من الناحيـة التوثيقية من «اليومـيات» . ولم يذكر الكاتب أسباب انتـهاجه هـذا الأسلوب فى تقديم مـذكراته بدلا من تقديم يوميـاته كما هى ، ولكن من الواضح أنه لـم يشأ إفشـاء كل ما تحتويه اليوميـات من أسرار ، وبالتالى فلنا أن نأمل فى نشر هذه اليوميات بحذافيرها فى ظروف أخرى. وقد ذكر البغدادى فى مقدمة مذكراته أنه أحس بوجوب كتـابة يومياته فى نهاية عام ١٩٥٣ ، حين بدأت تظهر بوادر الصراع العنيف بين اللواء مـحمد نجيب وبين أعضـاء مجلس قيادة الثـورة لتهدد بالخطر مسـيرة الثورة واتجاهاتهـا المرتقبة. فكان فى الحـقبة الأولى من الصبـاح يأخذ فى تدوين ما حدث بعد مجـهود مضن واجتماعات مستـمرة طوال النهار والليل. وكان فى البداية يرى أن تنشر هذه اليوميات بعد وفـاته ، ولكنه عدل عن ذلك بعد حرب أكتوبر ، لأنه رأى أن فى نشـر هذه اليوميـات «ما يسـاعد على كتـابة التاريخ الحـقيقـى للثورة ، وتستكمل بهـا صورة بعض الوقائع التى لا تـزال خافية حـتى الآن . وحتى يتبـين أيضا وجه الخطأ والصواب فى مسيرة الثورة»، وقام بتسجـيل الأحداث بتتابعها التاريخى كما دونها فى يومياته».

❑

ويمكن لنا القـول بأن البغدادى فى كل مـا كتب وروى من المذكـرات كان ينظر إلى الأمور فى إطار مـا أحب أن أصفه بأنه «التـاريخ الطبيعى» ، فـهو لا يؤمن بالارتداد إلى الماضى ، ولا يؤثر السلامة فى حكمه على الحـاضر ، ولا تزال جذوة الثورة فى روحه لا

تتراجع مهما كانت الظروف ، وهو يفرق بإحساس جيد بين ما هو «فردى» وما هو «جماعى» ، وبين ما هو «شخصى» ، وما هو «وطنى» ، ولكنه مع ذلك لا يرتدى مسوح المثالية ، ولا يخاطبنا من أعلى عليين ، إنما هو صادق فى معاناته وفى تعبيره عن هذه المعاناة ، حتى ولو كانت معاناة النجاح.

أما فيما يتعلق بالقيمة التاريخية لمذكرات البغدادى فهى قيمة كبيرة جداً ويكفى أن هذه المذكرات لاتزال تحفل بتفصيلات كثيرة يحتاج إليها المؤرخون لينسجوا منها المادة التاريخية التى يكتبون بها التاريخ المعاصر ، بل إنهم قد نقلوا عنها كثيراً جداً بالفعل .

ويمكن القول إن هذه المذكرات لا تزال أكثر المصادر التاريخية التى بين أيدينا حتى الآن تعرضاً لكثير من الفترات التى حفلت بالصراعات (التاريخية) فى العهد الأول للثورة:

١ ـ ففى هذه المذكرات تفصيلات يومية تصل إلى حد تسجيل الحوارات الثنائية والجماعية فى غضون ما سمى بأزمة مارس ١٩٥٤ التى بدأت أحداثها تتصاعد فى فبراير ١٩٥٤ ولم تنته إلا فى أبريل ١٩٥٤.

٢ ـ وفى هذه المذكرات أيضاً تفصيلات مذهلة عن حقيقة مواقف أعضاء القيادة المصرية فى حرب ١٩٥٦ وفيها تسجيل لا للحوار فحسب ، ولكن للمشاعر وما وراء المشاعر كذلك.

٣ ـ وفى هذه المذكرات فهم عميق لما جرى فى أثناء الوحدة مع سوريا (١٩٥٨ ـ ١٩٦١) ، وقبيل قيام هذه الوحدة ، وفيها نصوص واضحة وأسماء محددة فضلاً عن الوقائع بحذافيرها وأسبابها ومعقباتها.

٤ ـ وفى هذه المذكرات تفصيلات مهمة عن هذه الحيرة والتردد اللذين انتابا القيادة السياسية فى مصر والرئيس عبدالناصر على وجه الخصوص ، حول منهج تنظيم المجتمع المصرى بعد الانفصال (١٩٦١ ـ ١٩٦٢) ، ورأيى أن هذه الفترة من الفترات المهمة جداً فى تاريخنا المعاصر التى لم تحظ حتى الآن بأية دراسات موسعة لفهم هذا التطور فى نظرة عبدالناصر ـ ومن معه ـ إلى الأسلوب الأمثل لبناء هياكل وبنيان المجتمع المدنى فى

مصر.. وأعتقد أن مدارسة هذه الفترة فى مذكرات عبداللطيف البغدادى بطريقة علمية كفيلة بأن تلقى الضوء لكثير من الباحثين على طيف واسع من أنماط التفكير التلقائى والعشوائى والانفعالى التى صاغت ملامح التطور السريع والمتعاقب الذى حدث منذ أكتوبر ١٩٦١ وحتى مارس ١٩٦٤ والذى مر - فى رأيى - بثلاث مراحل:

● الأولى فى أكتوبر ١٩٦١ باستعادة تكوين حكومة مصرية لدولة مصرية فى ظل الاتجاه نحو الحل الاشتراكى.

● ثم قبل مرور سنة كانت المرحلة الثانية التى بدأت بإعلان دستورى فى سبتمبر ١٩٦٢ وتكوين مجلس للرياسة كرمز لقيادة جماعية وإسناد مهمة رئاسة الوزارة لمدير مكتب الرئيس عبد الناصر وخروج أعضاء مجلس قيادة الثورة لأول مرة من دائرة العمل التنفيذى.

● ثم المرحلة الثالثة فى مارس ١٩٦٤ بإعلان دستور جديد وقيام مجلس الأمة الجديد (وهو للأسف ثانى مجلس أمة ينتخب بعد الثورة التى كانت قد بلغت ١٢ عاماً من العمر ولم تشهد مجلساً منتخباً إلا ذلك الذى رأسه البغدادى نفسه وتكون فى يوليو ١٩٥٧ وتم حله بقيام الوحدة فى فبراير ١٩٥٨) وتشكيل حكومة موسعة، وإلغاء مجلس الرياسة نفسه وابتعاد اثنين من أبرز رجال الثورة فعالية عن الحكم نهائياً (وهما عبداللطيف البغدادى نفسه وكمال الدين حسين).

٥ - أما الفترة الخامسة التى تقدم لنا هذه المذكرات تفصيلات غاية فى الأهمية والوضوح والصراحة التعبيرية عنها، فهى الفترة التى شهدت معركة ٥ يونيو ١٩٦٧، وفى هذه المذكرات فقرات من أهم ما يمكن لتاريخنا المعاصر، وقد استعان بها كل مَنْ كتب عن هذه الحرب، ووصل الأمر بالدكتور عبدالعظيم رمضان إلى أن يتخذ من إحدى العبارات التى وردت فى حديث البغدادى عنواناً لكتابه عن هذه الحرب «تحطيم الآلهة»، وهو تعبير لم يكن أى مؤرخ قادراً على أن يصل إليه، إلا إذا اعتراه ذلك القدر اللانهائى من الألم الذى اعترى واعتصر عبداللطيف البغدادى فى ذلك اليوم.

ـــ

وبالإضافة إلى هذه المناطق الخمس فان البغدادى فى مذكراته ينفرد أو يسبق بكثير من الحقائق حول كثير من الأحداث ومن أهم هذه الحقائق:

- يذكـر البغـدادى فى هذه المذكـرات أن أنور السادات كـان قد انضـم إلى تنظيمـهم لصداقـته لحسن عـزت ، وذلك حيث يقول: «فى فـترة مبكرة عـملنا على الاتصال بزملائنا من ضـباط الجيش. واقترح حـسن عزت اسم الملازم محمـد أنور السادات لينضم إلى مجـموعتنا ، وكنا قد أطلـقنا عليه اسم اللجنة التنفيـذية للتنظيم ، وكان أنور صديقاً لحسن عزت».
- بحكم فهمـه لميكانيكا الطيران يشرح لنا عـبداللطيف البغدادى الأسبـاب الفنية التى أدت إلى فشل محاولة الهـروب بعزيز المصرى والتى ساعده فيـها كل من عبدالمنعم عبدالرءوف وحسين ذو الفقار صبرى كذلك فإنه يروى قصة مقنعة ومتماسكة عن عثور البوليس المصرى عليهما.
- يذكر البغدادى واقعة إستقالة وزارة حـسين سرى فى ٢ فبراير ١٩٤٢ بطريقة مشرفة لسرى باشا ، فـقد كان الملك قد طلب من رئيس الوزراء تنحـية صليب سامى وزير الخارجية «ولما كان وزير الخارجية قد تصرف بناء على توجيهات من رئيس الوزراء فقد رأى حـسين سرى أن تستـقيل وزارته بأسرها».. وهذه الواقعـة التى يرويها لنا عبداللطيف البغدادى لم تكن متـداولة بهذا الوضوح فى أدبيات الثورة التى تناولت حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، ومن الطريف أن التـصرف الذى أودى بهذه الحكومة كان قرارها بقطع العلاقات الدبلوماسية مع حكومـة فيشى الفرنسية ، وهو ما أثار الملك «فاروق».

❑

وبالإضافة إلى هذا وذاك تحـفل مذكرات البغدادى بكثـير من المواقف التى تصور لنا الجو المسرحى الذى تمت فيه كثيـر من القرارات المصيرية ، سواء بالسلب أم بالإيجاب ، ومن أهم الفقـرات التى فى هذا الكتاب تلك التى يصـور بها السبب البـسيط فى تراجع عبـدالناصر ذات مرة عن قراره بإبعـاد زكريا محيـى الدين عن وزارة الداخلية وإسنادها إلى صلاح دسوقى ، وذلك حيث يقول البغدادى:

«وكنت قد علمت بالأمر فيما بعد من جمال ، وكان قد ذكر لىّ أنه على إثر سماعها [الإشارة إلى عبـارة قاسية قـالها زكريا محيـى الدين فى حق جمال عبـد الناصر سوف نتناول الواقـعة بالتفـصيل فى هذا الكتـاب] أمر صـلاح دسوقى بأن يتـولى أمور وزارة

الداخلية بدلاً من زكريا ، وأنه كان ينوى تعيينه وزيراً لها ، ولم يتراجع عن ذلك إلا عندما ذكر له على صبرى أن هذا التصرف منه ربما يثول على أن ذلك العمل ما هو إلا ترضية منه للروس باعتبار أن زكريا متعاطف مع الأمريكان.

❑

ونستطيع أن نجد فى مذكرات عبد اللطيف البغدادى معيناً لا ينضب لكتابة التاريخ، وهى فى الواقع تعيننا على كتابة التاريخ بأكثر مما تعيننا على قراءته ، ذلك أننا نقرأ الوقائع فيها بصورة دقيقة فإذا ما جد ضوء جديد أعدنا قراءة مذكرات البغدادى فى ضوء الجديد فاكتشفنا حقائق أخرى لم نكتشفها فى القراءة الأولى ، ولا تأتى هذه الخاصية إلا لمذكرات صادقة أصيلة سجلت ما شاهده صاحبها دون أن تلونه قبل تسجيله ، ولعل هذا المقياس يكون واحداً من أدق المعايير فى الحكم على المذكرات ومدى أصالتها ونقائها ، فلاشك أن المذكرات التى تعين على كتابة التاريخ أكثر مما تعين على قراءته تتمتع بقدر من الأصالة والنقاء يفوق تلك المذكرات التى تعين على قراءة التاريخ بأكثر مما تعين على كتابته.

ويرجع هذا التفوق فى نظرى إلى أن البغدادى كان حريصاً على أن يصل بنا إلى الحقيقة أضعاف ما كان حريصاً على تلوين هذه الحقيقة .. كان البغدادى ملتزماً بالصدق والدقة ولم يكن كبعض مَنْ كتبوا يستخدم بعض وقائع التاريخ أداة لتحقيق أهداف موقوتة ، ثم يعود إلى استخدام وقائع التاريخ نفسها لتحقيق أهداف مناقضة.. ولهذا السبب فإن مذكرات البغدادى تبدو وكأنها لا تتمتع بالرؤية التى قد تظهر واضحة فى كتابات البعض حين يكون عنوان الكتاب نفسه منبئاً عن هدفهم من كتابته.. وليس فى هذا ما ينتقص من قدر مذكرات البغدادى من قريب أو من بعيد ، فهو رجل يبتغى بها ما قد نطلق عليه تجاوزاً «وجه الله» (دون أن نزكى على الله أحدا) بينما يبتغى الآخرون «وجه الناس» أو «وجه الدولار».. ومن العجيب أن مذكرات البغدادى رغم جفافها قد وزعت من النسخ أضعاف ما وزعت الكتب الأخرى التى ألفت لأهداف أخرى تبتعد عن الصدق التاريخى والوطنى لأنها قيدت نفسها وحصرتها بالذات والفرد إلى أبعد حدود التقييد.

نظرة البغدادى إلى مذكراته: يبدو لى أيضاً أنه من المهم أن نتأمل فى الصورة التى يحاول البغدادى أن يضع مذكراته فى إطارها ، وهو معنى بأن يثبت أن ما يهمه هو أن ينقل للجيل الجديد وللمؤرخين والكتاب الصورة على نحو ما شاهدها ، ومع أن مثل هذا الهدف يبدو هدفا عاما مشتركا بين كل المذكرات ، فإننى أرى له أهمية كبرى إذا ما تم التركيز (الصادق) عليه من جانب أى من أصحاب المذكرات ، ذلك أن الإعلان عن هذا الهدف العام يعطينا فكرة عن أن صاحب المذكرات لم يكتبها بفكرة محددة مسبقة يهدف إليها ويسخر من أجلها الوقائع والمذكرات.

وليس معنى هذا أن كل الذين يقولون مثل هذا القول يكونون برءاء من تلوين مذكراتهم وتوجيه أحداثها فى اتجاه الهدف الذى يبتغون الحديث عنه ، أو الحقيقة التى يريدون إثباتها ، فليس من شك أن كثيرين يعلنون أنهم لا يريدون إلا الحقيقة بينما هم يبغون غيرها ، وأن آخرين يعلنون أنهم يتحدثون بصراحة بينما هم لا يعرفون ولا يمارسون إلا الكذب.

لكن المعنى الذى أريده هو المعنى المخالف ، وهو أن التاريخ علمنا أن أصحاب الرؤية من أصحاب السلطة من طبقة البغدادى عادة ما ينتصرون لرؤاهم ويبلورونها فى هدف أو عبارة لأنهم لا يرون [سواء رأوا هذا بأنفسهم أو مستشاريهم] لحياتهم السياسية وجهادهم السياسى قيمة بدون كلمات كبيرة ، فإذا ما جاء أحدهم وقال كلمة مجردة وصرح قبل قولها بأنه لا يريد إلا التاريخ ، فإن معنى هذا أنه آثر أن يتخلى عن نصيحة كبيرة كانت تسول له أن يزعم لنفسه اتجاها آخر ، وأنه ترك الحياة السياسية حين وجدها تتعارض مع هذا الاتجاه.

وسأقرب الصورة للقارئ بأن أضرب المثل بموقف مكرم عبيد على سبيل المثال الذى صور خلافه على أنه «معركة نزاهة الحكم» وقدم «الكتاب الأسود» ليضم كل المخالفات والمحسوبيات ، وقد كان فى وسع البغدادى على سبيل المثال أن يسلك هذا السبيل فى العنوان أو فى المقدمة ، لكنه آثر أن تكون مذكراته فى الإطار العام فحسب.

ومن حسن الحظ أن البغدادى قد فعل هذا ، فقد أثبتت الأيام منذ صدور هذه المذكرات أن البغدادى وجد نفسه مخطئا فى بعض ما ظن نفسه مصيبا فيه ، وأنه كان

مصيبا فى بعض ما ظن نفسه مخطئا فيه ، ولم ينجه من الوقوع فى أسر هذا الخطأ أو ذاك إلا الصدق الذى اتسمت به المذكرات.

❑

عوامل التفوق فى مذكراته: كان البغدادى الأسبق من بين أقرانه جميعاً إلى تسجيل مذكراته ، وبهذا تمكن من أن يفرض بصماته على تاريخ الثورة حتى من دون أن يدرى الناس هذا المعنى بطريقة واعية ، وقد طبع البغدادى الحديث عن تاريخ الثورة بما طبع به إنجازاته فى خلال حكمها حتى أصبح وجوده ، فى المذكرات كما فى الإنجازات ، حاضراً على الدوام.

وقد حفلت مذكراته بما تميزت به حياته وهكذا جاءت حافلة بقدر كبير من دقة ، واهتمام بالتفصيلات ، وتركيب للكل من الأجزاء ، والتزام شديد بالمنطق ، فإذا تذكرنا أن هذه المذكرات تتناول فترة من الزمان كان طابعها العام فى الغالب صفات أخرى هى على النقيض من هذه الصفات الإيجابية لأدركنا كم عانى هذا الرجل فى كتابة مذكراته.

ولست أستطيع أن أتجاوز الحديث عن فكرة مهمة ، وهى أن هذه المذكرات من النوع المرهق ، وأفصل هذا القول فأقول إنها كانت مرهقة فى كتابتها ولا تزال مرهقة فى قراءتها ، وليس من الصعب أن ندرك معاناة البغدادى فى كتابة وترتيب وتبويب التفصيلات التى ضمنها مذكراته على نحو ما كتبها.. كذلك فإن القارئ نفسه يعانى فى قراءة المذكرات ، وهو يعانى حين كان يظن أن قراءتها مسلية فإذا هى أبعد ما تكون عن التسلية ، ويعانى حين كان يظن أن هذه المذكرات حافلة بالطرائف والمواقف البهيجة والمفارقات المضحكة ، فإذا بالقارئ يجدها حافلة بأشياء أخرى تنغص عليه حياته وهو يقرأ التفصيلات.

كما يعانى القارئ الذى كان يظن هذه المذكرات شيقة وجذابة ، ولكنه يجدها خالية من الجاذبية والتشويق لأنها ملتزمة بالجدية إلى أبعد الحدود.

ومع هذا كله فإن القارئ يشعر بالرضا الشديد وهو يقرأ مذكرات البغدادى لأنه يطلع بسهولة وفى سلاسة على كثير من دقائق الأمور التى لم يكن يعرف عنها شيئاً من

قبل ، ولأنه يحس طوال الوقت كما لو كان حاضراً بين أعضاء مجلس قيادة الثورة وبين أعضاء مجلس الوزراء وقريباً من الرئيس جمال عبد الناصر نفسه.

ويستشعر القارئ بعد ذلك قدراً كبيراً من القدرة على فهم كثير من مجريات الأمور فى الماضى والحاضر والمستقبل وهو يحس عند انتهائه من قراءة مذكرات عبد اللطيف البغدادى وكأنه قد أصبح يمتلك أحد المفاتيح المهمة لفك طلاسم فن السلطة وصناعة القرار بل صناعة التاريخ.

وحين يصل القارئ إلى مرحلة بلورة الخبرة من خلال قراءة المذكرات ، فإنه يستشعر فى نفسه كذلك قدرا كبيرا من الامتنان لصاحب هذه المذكرات الذى أتاح له هذا القدر الكبير من الخبرة باتخاذ القرار وممارسة عملية اتخاذ القرار.

وعلى الرغم من كل هذه القدرات التى تمتعت به مذكراته ، فإن البغدادى رجل سوى إلى أبعد الحدود ، لا هو حريص على تضخيم ذاته ولا هو مضطر إلى ذلك ، وهو فى ذات الوقت ملتزم إلى أبعد حدود الالتزام بالأخلاق الرفيعة من دون أن يبذل جهداً فى هذا الالتزام ، وهو يطرح رؤيته الذاتية من دون أن يكون مضطراً إلى الاعتذار عن الذاتية ولا إلى الفخر بها ، وهو يروى الأحداث من واقع ما رأى من دون أن يضطر أن يلجأ إلى سؤال الآخرين ، أو إلى إبراز وثائق ، أو إلى إفتعال خلاف مع أحد ، أو ترجيح كفة روايته هو على رواية الآخر.

وهو يبدو لنا ، وهو يكتب مذكراته الصعبة ، وكأنه يؤدى تمريناً رياضياً معقداً ولكنه اعتاد على تأديته يوماً بعد يوم ، فهو يقدم لنا هذه المذكرات كما تقدم فنانات الباليه أكثر العروض صعوبة فى سهولة ويسر وإعجاز وتواضع وفى أقل وقت ممكن ، ودون حاجة إلى استراحات ، أو إلى استدعاء فرق أخرى تقوم بتأدية بعض الفنون الأخرى كفواصل ، وليس من شك أن تعود البغدادى على كتابة مذكرات يومية أو شبه يومية على مدى حياته كان العامل الأول الذى ساعد على كتابة هذه المذكرات ، ولكننا ونحن نسعى إلى الكمال فى كل ما تقع عليه أعيننا لا نستطيع أن نتجاوز عن قول آخر يتمنى للبغدادى لو أنه كان يكتب يومياته وفى نيته حين يكتبها أنه سينشرها بعد حين.. ولكن أنَّى كان له أن يصدق أنه سيأتى عليه الوقت الذى يتاح له فيه أن ينشر هذا الذى كتبه؟

هل نستطيع أن ننكر أن البغدادى كان كثيراً ما يخاف على يومياته ؟ هل نستطيع أن نتغاضى عما ذكره هو من أنه طلب إلى زميله عبدالرءوف نافع أن يخفى هذه اليوميات عنده؟

هل نستطيع أن نزعم لأنفسنا أن البغدادى كان قبل ١٩٦٧ يعيش على أمل أن تكون هذه اليوميات كتاباً يتداوله الناس ـ كل الناس ـ بعد عشر سنوات؟ الإجابة بالنفى طبعاً، ولهذا كله فإننا لابد أن نحمد الله على أن هذه «الكتابة» قد أتيحت لنا على هذه الصورة الجميلة والدقيقة والمعبرة والموحية .

❑

ولنقرأ ما يتحدث به هو نفسه عن مذكراته فى مقدمة الجزء الثانى منها حيث يقول :

«.... وإننى لأكرر هنا ما سبق وأن أشرت إليه فى مقدمة الجزء الأول من هذه المذكرات ، وهو أننى لم أقصد بهذا النشر الإساءة إلى أحد ، وإنما كان قصدى هو أن أضع ما أعرفه من أحداث عشتها أمام الجيل الجديد من شبابنا والذى آن الأوان له أن يحمل راية الوطن ليتعلم من هذه التجربة ، وحتى لا تضيع أيضاً الحقيقة مع مرور الزمن ، وحتى يستفيد منها كذلك المؤرخون والكتّاب الذين يعملون على تسجيل تلك المرحلة من تاريخنا ، وهى مرحلة لها أهميتها وحيويتها ونتائجها أيضاً ، وهى ليست مقصورة على بلدنا مصر وإنما لها تأثيرها وانعكاسها على المنطقة العربية كلها».

ويشير البغدادى بكل وضوح إلى التزامه بنقل الوقائع من يومياته التى سجلها ، وبأن هذه الوقائع ليست إلا ما شاهده أو اشترك فيه:

«وقد توخيت الأمانة فى أن أنقل إلى القارئ الوقائع على حقيقتها قدر استطاعتى كما سجلتها فى يومياتى.. وهو ما عاهدت نفسى عليه ، ووعدت القارئ به منذ البداية».

«وهذه الوقائع التى سجلتها والتى أنقلها إلى القارئ إنما هى تمثل الجزء الذى شاهدته منها فقط أو اشتركت فيه بنفسى ولكن ربما يكون لها جوانب أخرى لم أشهدها ولم أشترك فيها ، والمطلوب ممن عايشوا هذه الوقائع ولديهم إضافات عليها أو تصحيح لها أن ينشروا ما لديهم حتى تكتمل الصورة وتتضح الحقيقة قبل أن تضيع بعد ما نودع

هذه الحياة. إن الأمر له أهميته ، ومن حق جيلنا علينا والأجيال القادمة أيضاً أن نعرفهم بحقيقة ما جرى».

«وإنى لآمل بهذا النشر عن بعض وقائع ثورتنا أن أكون قد أديت واجباً نحو شباب مصر ـ ولعله يستفيد منه ـ وأن يتعلم من أخطائنا ، وأن يعمل على تدعيم إيجابيات الثورة وحمايتها ممن يحاولون إجهاضها. وعليه أن يضيف إليها وأن يزيد من تلك الإيجابيات عندما تئول إليه مسئولية قيادة هذا الوطن العزيز علينا جميعاً».

❑

ولمذكرات عبد اللطيف البغدادى قيمة أدبية كبيرة من حيث هى تعبير متميز عن مشاعر حقيقية ، فنحن ـ على سبيل المثال ـ نستطيع أن ندرك بدون جهد جهيد أن الروح المسيطرة على نسيج هذه المذكرات هى روح القلق.. فهذا رجل يخطط مع آخرين ، ليقوم بثورة تغير من أوضاع هذا الوطن الذى يحبه ويأسى هو والآخرون لحاله (ويختلف هؤلاء الآخرون من تنظيم إلى آخر) ، ثم هذا هو القلق يسيطر عليه وهو يضع مع زملائه اللمسات الأخيرة لتحركاتهم ، ثم هذا هو القلق نفسه فى ثياب أخرى وهو يستمر فى السيطرة عليه طيلة السنوات التى أعقبت نجاح الثورة ، وقد كان هذا النجاح نفسه باعثاً على قلق من نوع جديد ، وإن كان قد قاد إلى بعض من الاطمئنان إلى حين ، ويتبدى قلق عبد اللطيف البغدادى فى كل فقرة من فقرات هذه المذكرات ، وهو يتمتع بنفس لوّامة تعود إلى نفسها لتناقش الخطأ والصواب ، وهو مثالى إلى حد بعيد ، وهكذا يجد نفسه مسئولاً عما كان فى وسعه أن يبعد نفسه عن المسئولية عنه ، وهو لا يفتأ يتحدث إلى نفسه عن هذه المسئولية ويؤنب هذه النفس بهذا السؤال عن هذه المسئولية ، ثم هو فى حيرة متصلة من موقف الناس من حوله ، ومن تطورات العلاقات التى تقود إلى حلقات متصلة ومتواصلة من المعاناة.

ولو قدر لهذه المذكرات بعد مائتى عام أن تنشر مع القدر المطلوب [أو الطبيعى] من الإضافات والتعديلات على أنها رواية نفسية لأمكن لها أن تحقق قبولاً واسعاً وذيوعاً شديداً لأنها دقيقة فى تصوير كثير من النزعات النفسية العميقة على نحو صادق ، ثم هى ترينا كيف تغلبت هذه النزعات وسيطرت وسادت وقادت إلى ما هو قريب جداً من

ضياع أمة فى لحظة واحدة ، ولولا أن البغـدادى كان قريباً جداً من الأحداث ، ولولا أنه لا خبـرة له بالرواية وصناعتهـا لاستطاع هو نفسـه أن يقوم بهذا العـمل الروائى بعد أن يرسم حدوداً مـكملة لشخـصيات الرواية بحـيث تظهر نماذجـهم كاملة فى هـذا العمل الروائى.

❑

وعلى الرغم من أنه كان فى وسع عـبداللطيف البغـدادى أن ينتهى بكتابة مـذكراته عند استـقـالته فى ١٩٦٤ أو عند نهـاية عـهد عـبدالناصـر ١٩٧٠ ، إلا أنه آثر الانقيـاد لضميره الوطنى الذى اعتبر حـرب ١٩٦٧ بمثابة النهاية «الدرامية» لهذه المذكرات. هكذا أنهى البغـدادى كتابه بحديثه عـما عرفه وشـاهده عقب الإعلان عن انتحار عـبدالحكيم عامـر ، وكأنه يريد أن يجـعل عقيـدته فى أن هذه المأساة أقرب إلى أن تـكون نهاية ثورة يوليـو ، وعلى الرغم من أنه لم يصرح بشىء من هذا المـعنى على وجه مُـحدد ، إلا أن هذا واضح جداً من عـباراته التى تتضمنهـا الفقرة التى أنهى بهـا كتابه والتى روى فيـها تفصيلات ذهابه مع كمال الدين حسين إلى منزل عبدالحكيم عامر لتقديم واجب العزاء فى وفاته:

«.... استـقبلنا أولاده على سلم المنزل الخارجى عندمـا علموا بحضـورنا بالصويت والنحـيب والارتماء فى صدورنا ، وكـان موقـفاً مـؤثراً حتى إننا بـكينا ونحن على سلم المنزل لهذا الموقف المؤثر ، وتذكرنا الناس وهى تسـعى إلى عبدالحكيم وهو فى السلطة ، والخدمات التى كان يسبغـها على الكثيرين ليضمن ولاءهم له ، أين هم الآن ؟ والأولاد يبكون طوال الوقت ويسألوننا لماذا قتلوه؟ وأنه لم ينتحر وإنما هم الذين قتلوه ، ويرددون أين أخوته؟ كلهم فى المعتـقل ، وأين أصدقاؤه وزملاؤه الضباط؟ ولماذا لم يـحضر أحد منهم؟ لم يعزهم فى وفـاته سوانا ، يا للأسف على الرجـال! ! وخرجنا من منزله ونحن فاقدو الثقة فى كل المعانى ، وفى كل الناس ، هل هذه هى نهاية عبدالحكيم عامر ، ياالله. هذا مشهـد آخر من مشاهد تلك المأساة التى تجـرى على أرض الوطن العزيز ، وإننا لفى انتظار مآسى أخرى ـ أمر لابد منه ـ كنتيجة حتمية لما وصلنا إليه».

الفصل الثالث: فكره التنموى

مع كل تقديرى لدور عبد اللطيف البغدادى فى الجانب الحضارى وفى الشئون البلدية والقروية فانى أرى له دوراً أهم من ذلك وهو مشاركته الفاعلة برؤية متوازنة ومتميزة فى صياغة السياسات الحاكمة لتطورنا الاجتماعى الاقتصادى فى عهد الثورة حتى وإن لم يؤخذ «كلية» برؤيته فى ظل الاندفاع إلى التحول الاشتراكى .

ويبدو لى أنه حينما يُؤرخ بعد فترة للتاريخ الاقتصادى والاجتماعى للثورة ، فسوف نكتشف لعبد اللطيف البغدادى دوراً ، وإن كان محدوداً ، فى توجيه السياسات الحكومية إلى كثير مما صارت عليه ، فقد كانت لهذا الرجل رؤية واضحة ، كما كانت له قدرة أوضح على نقل الأفكار الثورية والجديدة إلى عالم الواقع باقتدار شديد .

وقد نجح البغدادى فى هذا بحكم البعد الثقافى والحضارى فى شخصيته الذى كان قادراً على أن يترجم مثاليات الأفكار إلى حقائق واقعة أياً ما كان الإطار الذى يتحرك فيه .

وسوف نلاحظ أن البغدادى حتى فى مرحلة التحول إلى الاشتراكية كان واعياً جداً لحدود دور الدولة وسأنقل للقارىء هنا فقرة من كتاب محمد عبد السلام الزيات «مصر إلى أين» يتحدث فيها عن بدايات القطاع العام فيستشهد بتصريحات عبد اللطيف البغدادى الذى يصنفه اليسار المصرى على أنه يمينى التوجه ، وكأن محمد عبدالسلام الزيات من حيث لايقصد يحدثنا عن دور عبد اللطيف البغدادى غير الملتفت إليه فى توجيه السياسات الاقتصادية . يقول الزيات:

«... فالثورة فى سعيها لتنمية الاقتصاد القومى ورفع مستوى معيشة الجماهير لجأت إلى سياسة المشاركة المحدودة ، أى مساهمة الدولة مع القطاع الخاص اعتباراً من سنة ١٩٥٤ . ثم رادت الدولة ميدان التنمية بقطاع عام ثانوى مع صدور قوانين التمصير

وإنشاء المؤسسة الاقتصادية فى سنة ١٩٥٧ . ورغم نمو القطاع العام منذ ذلك الحين فإن الاقتصاد المصرى ظل فى مجموعه اقتصادا رأسمالياً تحكمه قوانين وأساليب الرأسمالية التى لا يحد منها إلا تدخل الدولة لتوجيه التنمية أو سعياً وراء تحقيق العدالة الاجتماعية. وقد عبر عبداللطيف البغدادى عضو مجلس قيادة الثورة فى فبراير ١٩٥٧ عن طبيعة القطاع العام فى ذلك الحين فقال فى تصريح له :

« سوف يكون النشاط الحكومى فى التنمية مكملاً للنشاط فى القطاع الخاص ، ويركز فى الأنواع التى يحجم القطاع الخاص عن القيام بها لأنه لا يألفها ، أو غير مستعد لتحمل المخاطر فيها ، ومن الممكن أن تباع هذه المشروعات بعد أن تثبت نجاحها إلى القطاع الخاص.

هكذا نرى أن البغدادى كان فى ١٩٥٧ منتبها تماما بحكم عوامل كثيرة إلى ما لم ينتبه إليه كثيرون جدا إلا فى ١٩٩٧ على سبيل المثال ! .

ولعل هذا كله يعطينا فكرة عن قدر متميز من الفهم السياسى والتنفيذى والتنموى كان هذا الرجل يتمتع به وكان يؤهله لأن يكون بحق الرجل الثانى « ثم الأول » فى الدولة لو أن الله هدى هؤلاء الزعماء لبعضهم كما يقول عامة الناس حين يتمنون لأولادهم الوفاق!!

❑

وقد أورد عبد اللطيف البغدادى فى مذكراته فقرة فى غاية الأهمية لتاريخ اقتصادنا الوطنى والسياسات المتناقضة التى فرضت عليه ، وقد وردت هذه الفقرة ضمن حديثه عن تفكير الثورة فى تدبير تمويل مشروع السد العالى ، وعن بدايات تفكير الثورة فى السد الكفيلة بتنفيذه وتمويله ، وهو يقول ما نصه:

«... وكان حجم الاستثمارات المطلوبة لهذا المشروع تقدر بحوالى ٤٥٠ مليوناً من الجنيهات ، وثلث هذا المبلغ مطلوب توافره من العملات الحرة ، وهى لم تكن متوافرة لدينا ، وكان التفكير فى طريقة تمويل هذا المشروع قد بدأ مع بداية عام ١٩٥٤ ، وكان الاتجاه فى بداية الأمر أن نعتمد على أنفسنا فى توفير التمويل من النقد المحلى والأجنبى ، وكان الدكتور عبدالجليل العمرى وزير المالية يرى أن هذا ممكن عن طريق تصدير فائض إنتاجنا من الأرز إلى الخارج مع استخدام الفرق بين سعره العالمى وسعره المحلى فى تمويل المشروع دون أن نعتمد على أية دولة أجنبية أو الالتجاء إليها لتمويله ،

والفرق بين السعرين العالمى والمحلى للطن الواحد كان حوالى سبعين جنيها ، وكان جمال سالم رئيس مجلس الإنتاج قد اقترح أن نقوم باستخدام احتياطى الذهب الموجود لدينا فى هذا الغرض لعدم اطمئنانه إلى البنك الدولى ، ولكن هذا الاقتراح منه استبعد لضرورة استمرار المحافظة على هذا الاحتياطى لاستخدامه عند الظروف الطارئة ، وكذا عند النكبات إن حلت بالبلاد».

وهكذا تنبئنا هذه الفقرة التى يرويها البغدادى فى مذكراته بكل وضوح أن الاقتصاد المصرى كان قادراً رغم كل شيء على تمويل مشروع السد العالى ، وأن المشكلة الاقتصادية التى حاقت بمصر بعد ذلك لم تكن مشكلة اقتصادية بقدر ما كانت مشكلة إدارة للاقتصاد.

❑

ونأتى إلى ما اشتهر به البغدادى حتى الآن من التفاته دون غيره من قادة الثورة إلى العناية بالجانب الحضارى. وليس من شك فى أن العناية بهذا الجانب تمثل أحد أبرز التحديات أمام كل تجربة جديدة فى الحكم ، وللأسف الشديد فإن الرئيس عبد الناصر قد أهمل هذا الجانب ، وقد كان معذوراً بحكم انشغاله المتكرر وبحكم بعض القصور الطبيعى فى جوانب معينة من ثقافته وهو ليس مذنبا ، فهذا هو حكم السن والتجربة والخبرة.

ولكن من حسن الحظ أيضاً أن البغدادى ـ على الطرف الآخر ـ كان منتبها تماماً إلى هذا الجانب الحضارى ، بل إنه ترك لنا ما دل على ذوقه الراقى وعنايته بالجمال فى كل ماتولى توجيهه من نشاط هندسى أو مدنى أو معمارى ، وتكفى لمساته فى إنشاء كورنيش النيل أو فى إعادة تخطيط شوارع المدن ......، بل يكفى البغدادى أنه كان آخر الوزراء الذين عنوا بالشئون البلدية والقروية عناية فائقة على الرغم من أن خلفاءه مهندسون .. ولكن العبرة كما نعرف تكمن فى الذوق والتوجهات قبل أن تتمثل فى المهنة.

ومع هذا فإن مذكرات البغدادى لم تتعرض على الإطلاق لهذه الميزة التى تميز بها البغدادى دون كل زملائه فى عهد عبد الناصر ، وربما لم يكن البغدادى نفسه منتبها إلى هذه السلبية فى عهد عبد الناصر وإلى أنه نفسه كان يغطيها ، لكن هذا هو ما حدث.. أهمل البغدادى الحديث عن هذه السلبية ، وأهمل التابعون الحديث عنها مركزين على

أخطاء الناصرية الأخرى على حد تعبيرهم.. حتى إذا مضت السنوات وأتاح النظر الهادئ اكتشاف ما لم يُكتشف من قبل بدأت الكتابات تسجل مثل هذا المعنى.

وسندلل على هذا الاستنتاج بفقرة ننقلها عن الدكتور ثروت عكاشة حين ينتهز الحديث عن العمارة فى مصر الحديثة ليشيد بجهد عبد اللطيف البغدادى فى إضفاء اللمسات الجمالية على الرغم من أنه رجل عسكرى .

يتحدث ثروت عكاشة عن تطور مبانينا العامة فى عهد الثورة فيقول :

«... فإذا هى تستحيل إلى مبان وظيفية فحسب لمقتضيات اقتصادية بحتة لا يلحظ فيها فن المعمار بأصوله الجمالية والتقليدية ، وتسود فيها المبادئ التى تفرض إنجاز أكبر عدد من المبانى بأقل تكلفة فى أقصر وقت ممكن ، أى تغلب مبدأ الكم على الكيف مما يكون معه تنازلات جوهرية من حيث اللمسات الجمالية فى تلك المبانى العامة التى كانت بمثابة نموذج يحتذيه الأهالى فى مبانيهم الخاصة ، فإذا العمارة تفقد سماتها فى الناحية العامة والناحية الخاصة وتغدو على نمط يفتقد الذوق والجمال. وهكذا الحال فى فن تخطيط المدن ، هذا إذا ما استثنينا ما تم على يد رجل عسكرى تولى لفترة محدودة وزارة الشئون البلدية والقروية هو عبد اللطيف البغدادى ، فما زلنا إلى اليوم ننظر بإجلال إلى مشروعه العظيم الذى أنجزه وهو كورنيش النيل متحدياً كل الصعوبات مهما جلت ، ومنها اقتطاع جزء من السفارة البريطانية ، وكان لهذه السفارة ما لها قبل ذلك من شأن».

«وهذا المشروع إن دل على شىء فإنما يدل على ما كان يتمتع به هذا الوزير المستنير من سعة خيال وذوق جمالى وإرادة نافذة ، إذا شئنا أن نوازن بين هذا العمل وبين غيره مما جاء بعده على أيدى وزراء مدنيين متخصصين فى الهندسة والعمارة والتخطيط وجدنا أن الفرق واسع ، فلقد كان همهم تغليب الكم على الكيف وسرعة الإنجاز ، فإن ما حدث فى القاهرة حدث مثله أو أكثر فى الإسكندرية وغيرها من المدن ، هذا إلى انبثاق طبقات كانت حبيسة فانطلقت إلى الوجود وأصبح لها من الأمر شىء ، ولم تكن من قبل على صلة بالحضارة ، فإذا هى تشارك فى فرض ذوقها ، وقد كان هذا طبيعياً بعد أن انحازت الثورة إلى الأغلبية المهضومة الحق فى التزود بالثقافة الرفيعة، وهذا هو الثمن الفادح الذى غالبا ما تدفعه الثورات» .

وسوف نستعرض فى الباب التالى بعض ما هو متاح عن بعض إنجازات البغدادى التنفيذية فى هذا المجال الحضارى.

❑

ونأتى بعد هذا الحديث المختصر عن الجانب الحضارى إلى موقف البغدادى من التخطيط باعتباره أول مَنْ نادى به وأول مَنْ تولى مسئوليته الوزارية فى عهد الثورة ، ويمكن لنا تصوير موقف البغدادى من التخطيط فى عبارة واحدة وهى أنه كان يعنى به «بعد النظر» واستشراف مستقبل أفضل دون أن يستلزم هذا اللجوء إلى سبطرة الهياكل النظرية التى شاعت مرادفاً للتخطيط ، وهكذا يمكن النظر إلى موقفه من التخطيط على أنه بمثابة النموذج المثالى لموقف المثقف الوطنى المستنير المتميز ، فلم يكن البغدادى ينظر إلى التخطيط كجزء من فلسفة أيدولوجية شاملة ، ولكنه كان ينظر إليه فى إطار السعى إلى الحصول على أفضل النتائج من المعطيات الموجودة ، بعيداً عن الفوضى والتكرار وما إلى ذلك من العيوب التى قد تشوب أو تسود الأداء الحكومى .

ولهذا فقد كان البغدادى (على سبيل المثال وعلى ما سبق إلى ملاحظته كثيرون من بينهم الأستاذ أحمد حمروش) واضحاً جداً فى معارضة الاندفاع الشديد لعزيز صدقى فى إنشاء مصانع كثيرة بدون تخطيط جيد لانتاجها ومدى جودته ومدى الحاجة إليه حتى وإن كان عزيز صدقى قد حظى بتشجيع عبد الناصر وتبنيه وتعضيده لهذه الرؤية ، كما كان البغدادى ضد اندفاع الرئيس جمال عبد الناصر إلى تأميم المؤسسات الأهلية الصغيرة من قبيل المطاحن ومضارب الأرز ومحالج القطن فى ظل الأخذ بسياسات التأميم والتوسع فيها.

و يمكن القول إن البغدادى كان ينظر إلى التخطيط كصمام آمان ضد الاندفاع والحماس غير المبرر والرعونة ، وبالتالى فانه كان ضد أن يتسم التخطيط نفسه بهذه السمات على نحو ما حدث فى فترة لاحقة ، ولم يكن مفهوم التخطيط عنده بالقطع وبالطبع هو المفهوم الشمولى للتخطيط ، ولايعنى هذا انتقاصاً لقيمة فكر البغدادى أو انتقاصا لقيمة الشمولية من ناحية أخرى ، ولكنه توضيح لابد منه ، ومع أن التسميات والاصطلاحات لم تكن قد ازدهرت على عهد تولى عبد اللطيف البغدادى لشئون التخطيط إلا أنه يمكننا الآن ونحن ننظر إلى الماضى ـ فى تأمل ـ أن نصف أفكار

البغدادي ونظرياته في التخطيط على أنها كانت أقرب إلى ما يسمى الآن بمفهوم الاشتراكية الديمقراطية ، أو ما بدأ يسمى بالطريق الثالث!

☐

ولا شك أن أبرز المواقف التي تبين عن رؤية البغدادي لفكرة التخطيط ، هو موقف البغدادي من سياسات التوسع غير المدروس في الصناعة والتي كان عزيز صدقي هو صاحب السبق المجلي أو القصب المعلي في الإعلان عنها . وإن لم يكن هو صاحب فكرتها أو منظرها ، ومع هذا فإن الدولة كانت فيما يبدو من كل النصوص المتاحة سعيدة بهذا الذي يتم في قطاع الصناعة ، ويبلور هذه السعادة فخر الثورة بشعارها المعروف «مصنع كل يوم» ، ولكن البغدادي فيما هو واضح لم يكن من أنصار هذا المبدأ ، بل كان متحفظا عليه ، ومهاجما لعزيز صدقي بسببه . وقد روى أحمد حمروش تفاصيل هذا الاختلاف البين وعلق عليه بقوله:

«ولم تكن الخلافات التي نشبت بين البغدادي وعزيز صدقي موقفا ضد الصناعة ، ولكنه كان موقفا ضد ما يراه اندفاعا غير مخطط من وجهة نظره . ولم يكن البغدادي مقتنعا بالتوسع في التأميمات ، بالإضافة إلى رغبته في دعم أجهزة التخطيط التي سبق له أن تولى وزارتها حتى لا تنفرد الصناعة وحدها في مجال [illegible]

ويستطرد حمروش متحفظاً بقوله .

« ولا يعني هذا أن عبد اللطيف البغدادي كان اشتراكيا علميا يختلف فقط في إجراءات التطبيق ولكنه كان من المؤمنين بإمكانية تطور المجتمع في طريق رأسمالي مع اتخاذ بعض إجراءات اشتراكية .. ولكنه لم يعلن عن اتخاذ موقف معارض لمبادئ الميثاق أو لإجراءات التأميم [وقد ظهر] الخلاف بينه وبين عبد الناصر حول شرعية تأميم المطاحن ومضارب الأرز ومحالج القطن بقرارات جمهورية دون عرض الأمر على مجلس الأمة

[illegible] أحمد حمروش إلى أن يجعل من هذين الاختلافين [illegible] التنفيذي السبب الرئيسي الذي جعل البغدادي يفارق عبدالناصر بعد [illegible] ومجلس الرئاسة عن الإسهام الحقيقي في صنع سياسة الدولة:

«ووصل الأمر غايته وشعر عبد اللطيف البغدادى أن دور مجلس الرئاسة قد أصبح شكليا وأنه لا يسهم فى صنع سياسة الدولة ولم يجد سبيلا إلا تقديم استقالته . ولم تكن هذه هى استقالته الأولى ، ولكنها كانت الأخيرة».

❑

ولعل المعنى الحقيقى لمشاركة البغدادى فى الدعوة إلى التخطيط يتضح لنا من خلال هذه الفقرة التى وردت فى حديث جميل للأستاذ فتحى غانم ونشر فى مجلة العربى فى يناير ١٩٩٨ ، وهو يتحدث عن مشاركاته هو شخصيا فى إثارة الاهتمام بالتخطيط ، ومن الواضح أن البغدادى كان يحبذ «الفكرة» فحسب ، ولم يكن يقصد بتحبيذه ولا بقيادته لسياسة الدولة فى هذا الصدد الانتصار لسياسة التخطيط المركزى أو غيره من السياسات:

يقول الأستاذ فتحى غانم :

«... حدث فى الخمسينيات والثورة تناقش قضية التنمية الاقتصادية وتخوض معركة الاستقلال مع الإنجليز أن ظهرت اتجاهات تنادى بالتخطيط ، وكان عبد اللطيف البغدادى هو وزير التخطيط مما قد نفهم منه أن هناك أفكارا مدروسة للتخطيط تقوم على فلسفة اجتماعية واقتصادية معينة».

«وحاولت أن أفهم ما هو المقصود « بالخطة » وكنت أكتب مقالات أشرح فيها الأفكار والكلمات السياسية التى يتداولها الساسة والمثقفون فيما بينهم ، وقرأت عن تجارب فى التخطيط فى فرنسا وهولندا والاتحاد السوفيتى ، فلاحظت أن كل مجتمع يتبنى التخطيط بفلسفة معينة ولتحقيق أهداف معينة ، هولندا ضد الشيوعية وتتبنى التخطيط بفكر رأسمالى ، والسوفيت ضد الرأسمالية ويتبنون التخطيط بفكر ماركسى ، وفرنسا تتبع نظاما للتخطيط تجمع فيه بين الاشتراكية والديمقراطية والسوق الحرة».

«وسألت نفسى ماهى فلسفة التخطيط وقد بدأوا يتحدثون عنها فى مصر ، كان السؤال هو محاولة للتفكير وبحثت عن دراسات أو مذكرات تفسيرية تشرح ما هو التخطيط بالمفهوم المصرى فلم أعثر على شىء».

«عندئذ كتبت مقالا افتتاحيا فى مجلة روز اليوسف قلت فيه إننا لجأنا إلى التخطيط تحت شعار « الضرورة » ! هناك أزمة فى تمويل المشروعات ، وأزمة فى الخدمات ،

وأزمة فى الإدارة ، وصيحات تطالب بضرورة معالجة هذه الأزمات ، لذلك نستطيع أن نقول إن حديثنا عن التخطيط هو حديث « ضرورة » ! إنه مطالبة بأن تتدخل الدولة لتعالج أزمة دون أن ترتبط بنظرية أو فلسفة ، والشيء الوحيد الذى أفهمه ويبرر تبنى أسلوب التخطيط هو نظرية « الضرورة » ! .

«وكانت المفاجأة المذهلة أن يتصل بى وكيل وزارة التخطيط وهو الخبير العالمى الدكتور حلمى عبد الرحمن ، وتقابلنا وسألنى أن أنضم إلى لجنة يفكرون فى تشكيلها لدراسة شئون التخطيط ، واعتذرت لأنى غير مختص بالأمر ، لكنى عرفت أن هناك مجاعة أفكار ، والجميع مشغولون بالأشخاص والمناصب واللجان ، كما عرفت أن كبار الخبراء لايفكرون ولايريدون الاستقلال برأى وأنهم حرصا على تأمين أنفسهم من مغامرة التفكير يكتفون بتشخيص الأزمة وتوضيح أبعادها بدقة لكنهم لايتدخلون برأى فى العلاج فى انتظار ما يراه القائد ، خشية أن يقول أحدهم رأيا فيرى القائد رأيا آخر فتكون نهاية صاحب الرأى المرفوض ».

❑

ومن المهم أن نقرأ بعض مايذكره البغدادى نفسه عن فهمه للتخطيط أو بمعنى أدق للمسئولية عن التخطيط وأهميته ، وهى فقرات جيدة الصياغة وردت فى حلقات حديثه المطول لنصف الدنيا (١٩٩٦) حيث يقول:

« ... توليت وزارة التخطيط عام ١٩٦١ (يخطئ البغدادى فى هذا التاريخ وقد ذكرنا الصواب فى كتبنا المتعددة وهو أنه تولى هذه المسئولية منذ ١٩٥٦) ووضعت أول خطة خمسية فى تاريخ مصر ، ثم عرض علىَّ عبد الناصر تولى وزارة الخزانة إلى جانب وزارة التخطيط فقلت له : أنا مش فنى ورفضت ولكنه عاد واتصل بى قائلا: مش لاقى حد يمسك الوزارة ، فوافقت على طلبه ، وكان تمويل الخطة الخمسية يتم عن طريق وزارة الخزانة فأصبحت الدولة كلها فى يدى ، ثم عاد وطلب منى أن أتولى وزارة الاقتصاد وكان هدفه أن أفشل ولذلك رفضت ، وفجأة اقترح تشكيل مجلس رئاسة على أن نترك السلطة التنفيذية وقد أثار هذا دهشتنا حتى إن زكريا محيى الدين قال لىَّ متعجبا منين كان امبارح بيطلب منك تولى وزاره الاقتصاد بجانب الخزانة والتخطيط والنهارده يطلب منا ترك السلطة التنفيذية ».

❑

لعلنا بعد هذا ننتقل إلى الجزئية الخاصة بمعارضة البغدادى للتوجه إلى التأميم ، وهنا نعود إلى نص الأستاذ أحمد حمروش الذى يحاول أن يضع مبادىء لتأصيل هذا الخلاف من وجهة نظر فكرية وسياسية وذلك فى كتابه قصة ثورة ٢٣ يوليو حيث يقول:

« ... وكان هذا الاتجاه فى ذاته محل اعتراض عبد اللطيف البغدادى الذى لم يكن من المحبذين لسياسة التعاون مع الدول الاشتراكية بقدر متزايد ، ولكن الخلاف بين جمال عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادى كان ذا طبيعة ثالثة... فعبد اللطيف البغدادى رغم أنه من أبناء برجوازية الريف ، ورغم أنه كان على صلة تنظيمية مع الإخوان المسلمين وبعض الجماعات الإرهابية أو الفاشية قبل الثورة « جماعة اليد السوداء ـ عبد العزيز على ـ وجيش التحرير ـ فوزى القاوقجى » إلا أنه حضارى النزعة يؤمن بالديموقراطية الليبرالية ، وحاول أن يجعل من فترة رئاسة مجلس الأمة محاولة لخلق تجربة ديموقراطية فى إطار الثورة» .

❑

وفى موضع آخر يضىء أحمد حمروش موقف البغدادى المعارض للتأميمات فيقول:

«.... لم يكن عبد اللطيف البغدادى فى أعماقه متحمسا لهذه التأميمات ..... ولم يكن من أنصار الاندفاع فى طريق التطبيق الاشتراكى ... ولم يتصور أن مزيدا من الإجراءات سوف يتوالى ويحاصر حرية الاستثمار الفردى التى تنمى عند الفرد ـ حسب قوله ـ روح الإجادة والمنافسة . ولم يكن عبد اللطيف البغدادى منفردا برأيه فى ذلك ... كان عدد من زملائه أعضاء المجلس يشاركونه الرأى بصوت خفيض « قال لى حسن إبراهيم: إنه عارض تأميم محلات بنزايون وعدس وشملا بعد تأميم محلات عمر أفندى وذلك لاقتناعه بنقص القدرة الكافية على إدارة هذه المحلات بنجاح».

❑

كذلك فإننا نجد بين المناقشات الكثيرة التى حرص البغدادى على أن يسجلها فى كتابه مناقشة مهمة ومشهورة ترينا اعتقاده فى القصور فى فهم الرئيس جمال عبدالناصر لديناميات الأوضاع الاقتصادية والفكر السياسى ، وهو مايتضح فيما يرويه البغدادى عن حواره مع كمال الدين حسين حيث يقول:

... ولقد قال جمال عبدالناصر فى سياق الحديث إنه متأثر بالفكر الماركسي ولكنه ليس شيوعيا ، وإنه مؤمن بأن اشتراكيتنا لابد أن تتطور إلى ملكية الشعب لأدوات الإنتاج بدلاً مما هو وارد فى الميثاق عن سيطرة الشعب على هذه الأدوات ، وهذه كانت نقطة جديدة لم يسبق له أن أشار إليها من قبل ، وكنت لاحظت أن عبدالحكيم قد ذكرها قبل أن يتناولها جمال ، ولكننى لم أعر ذلك اهتماماً لعلمى أنه - أى حكيم - يخلط فى تعريفه بين هذه الأمور . ولكن عندما ذكرها جمال سألته «هل هذا يسرى على جميع الوحدات الإنتاجية مهما صغر حجمها؟» ، فأكد هذا وقال «لأن هذه الوحدة [illegible] ومهما قل عددهم ، ولأنه فى هذه الحالة سيصبح هناك استغلال الإنسان [illegible] ، ولقد ضرب مثلاً بخاله الذى توفى وكان يكسب - على حد قوله - [illegible] فى الشهر الواحد من تشغيل ثلاثة لوريات . وقال «وهو طبعاً كان قاعد فى بيته [illegible] سواقين ويكسب من عرقهم» ، وسأله كمال «هل الميكانيكى الذى يملك ورشة صغيرة ويعمل عنده «اثنين» من الصبيان ينطبق عليه نفس الحالة؟» ، فأجابه جمال [illegible] أبوه ، أو يشاركوه فى الأرباح بنسب متساوية» ، وجاء رد كمال عليه مفاجأة له ولنا جميعاً على السواء ، وذلك بقوله «يبقى فى المشمش» ، ويظهر أن المفاجأة فى قول كمال عقدت لسان جمال ، فنظر إليه باندهاش ولكنه لم يرد عليه ، وأراد عبدالحكيم أن يخفف من وقع ما قاله كمال فذكر أنه يقصد أن هذا سيحتاج إلى وقت طويل لتحقيقه ، ثم عاد كمال وقال إن كل فرد أصبح غير مطمئن وقلق على مورد رزقه ويخشى أن يقطع عنه. ورد عليه جمال بقوله إنه لا يرفت أحداً وهناك لجنة خاصة للنظر فى تظلمات من يصدر ضدهم قرار بالفصل من وظائفهم . ولكن «كمال» استطرد وقال إن «جمال» أصبح يُشتم الآن فى الأوتوبيس والترام. ولما استغرب جمال ذلك واستنكره قال له كمال «تبقى الأجهزة اللى أنت معتمد عليها بتغشك!!» .

❑

ومن المهم أن نشير إلى أن عبد اللطيف البغدادى كان - من ناحية أخرى - واعيا تماما لما يمكن أن نطلق عليه انعدام الحاجة إلى التقليد المطلق أو الحرفى للنظام السياسى السوفيتى أو اليوغسلافى ، ولنا أن نقارن هذا الموقف بموقف الرئيس عبدالناصر الذى اقتنع فى بعض المراحل بأهمية أو فاعلية أو جدوى اقتباس هذه النظم كاملة حتى

بمقدماتها وذرائعها ، ويمكن لنا أن نلمح صواب هذه الفكرة بوضوح شديد فيما يرويه البغدادى نفسه فى فقرة من مذكراته يقول فيها:

«... ولكننى كنت خلُصت فى النهاية على أن جمال يحاول افتعال ثورة بإيجاد مثل هذه المجالس البعيدة كل البعد عن صفة الثورية ، وأنه يريد أن يتبع ما اتبعه الحزب الشيوعى عندما قامت الثورة البلشفية فى روسيا بعد الحرب العظمى الأولى ، وكان الحزب قد أقام مجالس ثورية له فى القرى والمصانع. ولكن الأمر عندنا يختلف تمام الاختلاف ، ولا يمكن تطبيق ما حدث فى روسيا فى مصر ، وليس هناك من مبرر لاتخاذ هذه الإجراءات الاستثنائية وتلك التغييرات الجذرية ، وضرر إقامة هذه المجالس بهذه الصورة المقترحة سيكون أكثر من نفعها ولن يكون لها أى دور فعال».

«كما أنى كنت قد أعددت بعض النقاط كاقتراح لحل الموقف قبل التقائى مع جمال ، وكنت قد نويت التحدث إليه فيها ، ولكنه عندما تقدم باقتراحه وجدته يسير فى طريق غير الطريق الذى كنت أسير فيه ، لذا لم أشأ أن أثير معه ما كنت قد أعددته ، وفضلت تأجيل عرضه إلى يوم الجمعة الذى حدد للقائنا مع باقى الزملاء ، وذلك حتى أتيح لنفسى فرصة التفكير فى اقتراحه وإعادة النظر فى اقتراحى أيضاً. وكنت قد سطرت اقتراحاتى فى يومياتى ، وليس هناك من داع كذلك لشغل القارئ بها وبتفاصيلها ، وهى كانت تتركز أساساً فى دفع الحياة إلى المؤسسات السياسية والأجهزة التنفيذية القائمة وإعطاء دور إيجابى لها وكيفية تنفيذ ذلك».

ومن الإنصاف أن أشير إلى أن كل تحفظاتى (التى اختزلت الإشارة إليها) على فكر هذا الرجل لا تمنعنى من تكرار الإشارة إلى أنه كان ذا عقلية متميزة فيما بين أقرانه من قادة الثورة ، وقد وجدت أن من خير ما أدلل به على القدرات التنفيذية والعقلية المتميزة لهذا الرجل هو أن أنقل للقارئ حديثه عن بناء بيته الشهير فى مدينة نصر ، فعلى الرغم من أن هذا البيت بُنى منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، وعلى الرغم من أننا جميعا قد لانذكر مفردات مصروفاتنا بالأمس القريب ولامكونات ميزانيتنا ، على الرغم من هذا فإن هذا الرجل كان حين نشر آخر مذكراته فى ١٩٩٦ يتذكر كل التفصيلات بطريقة مذهلة وهو يرويها باعتزاز شديد مدللاً على قدرته على توفير أقصى الطاقات العقلية والاستشارية من أجل إنشاء شئ ما ، وهكذا كان الأداء المتميز لهذا الرجل وهو يدير

أمور الشئون البلدية والقروية فى وطنه حتى حقق لمسة واضحة لم يحققها أحد من قبله ولامن بعده .

....

«... كنا نركب الخيل التى كنا نحضرها من السوارى ـ سلاح الفرسان ـ وكنت أصعد بحصانى على هذه التبة ، وأقف عند المكان الذى بنيت عليه الفيللا فيما بعد ، فكنت أرى القاهرة كلها ، كما كنت أرى المراكب الشراعية التى تسير فى ترعة الإسماعلية ، فتمنيت أن أبنى «شاليه» فى هذا المكان الهادئ الذى يقع داخل القاهرة وخارجها فى نفس الوقت ».

« أعلنت شركة مدينة نصر عن تأجير سبعة تباب فأقدمت على تأجير هذه التبة ، لأننى وقتها كنت أسكن فى فيللا بشارع العروبة ، وأفكر فى الانتقال إلى مسكن واسع ، وانتقلت بالفعل للإقامة فى استراحة القناطر الخيرية التابعة لوزارة الأشغال ، واكتشفت أنها غير ملائمة وذات مرة كان يزورنى أخى سعد فوجدنى متضايقا من مكان سكنى . وقلت له لو معايا فلوس كنت بنيت على التبة الموجودة بالقرب من الاستاد لأكون داخل القاهرة وخارجها . فسألنى عن المساحة التى أريدها فأجبته مائة متر ، ولأنه كان يملك شركة مقاولات أخبرنى أنه سيتحمل تكاليف إقامتها التى تبلغ ١٠٠٠ جنيه » .

....

« كنت أريدها فيللا متميزة وغير تقليدية ، لذلك قمت بدراسة المشروع تفصيليا فأحضرت مجلات لأختار منها ، وقررت أن تكون بنظام المكان المفتوح ، فأخبرت المهندس مصطفى شوقى وكان يعمل معى فى وزارة الشئون البلدية والقروية ، فرشح لى د. مجاهد وهو خبير فى التسليح ، وحضرا سويا إلى منزلى ، وجلسنا لمدة ثلاث ساعات ندرس الموضوع بالتفصيل . وبدأ المهندس مصطفى شوقى فى عمل رسم للفيللا على مساحة ١٧٠م بدلا من المساحة المتفق عليها وهى ١٠٠م فأعجبنى ولم أغير فيه.

« وبدأ العمل وبالطبع فقد زادت التكلفة من ١٠٠٠ جنيه إلى ٤٠٠٠ جنيه ، وقد أراد د. مجاهد ببناء هذه الفيللا أن يثبت كفاءته وتفوقه على صديقيه عثمان أحمد عثمان وأحمد محرم وكانوا يعملون معا فى بداية تخرجهم».

« كنا نقوم بضرب الطوب الأسمنتى لوجود مستلزماته متوفرة فى المكان الذى نبنى فيه. وقد شجعنا هذا على بناء الدور الثانى للفيللا »

« وبالنسبة للفيللا من الداخل فلم تكن أرضيتها من الباركيه ولكنها من خشب الجازورينا الذى قمنا بإجراء اختبار عليه فى كلية الهندسة وثبتت متانته وقوته عن خشب الباركيه ، و قد كلفنى المتر من هذا الخشب ستة جنيهات فى حين كان متر الباركيه يبلغ ٣٦ جنيها».

«أما الشيش والأبواب فهى عبارة عن فلنكات سكة حديد قديمة كانت تباع لوطات حريق وقام د. مجاهد بشراء لوط وقام بتقطيعه على شكل ريش صنع منها الشيش والأبواب ، أما الخشب الذى يكسو الحائط خلف المكتب فهو عبارة عن خشب ماهوجنا كان قديماً من غانا ولم يشتره أحد . فقام د. مجاهد بشراء مايلزمنا بمبلغ خمسين جنيها وتم تجفيفه واستخدامه».

«أما الحائط الجانبى فهو من رخام الألبستر وقد اختار د. مجاهد هذه الخامة لأنه يملك محجراً للألبستر فى بنى سويف واستطاع استخدام قطع الألبستر المهدرة (المسوسة) ليكسو بها هذا الحائط . وكان يهدف من وراء ذلك إلى إثبات إمكانية إعادة استخدام الألبستر المسوس واعترض مصطفى شوقى على هذه الخامة لأنها غير مجربة من قبل وأراد استبدالها بالطوب الحرارى. ولكن د. مجاهد استطاع إقناعه وكلفنى المتر الواحد جنيها ونصف الجنيه استغرق بناء الفيللا ثلاث سنوات وتكلفت ١٤ ألف جنيه».

«ويستكمل البغدادى قصة بناء الفيللا «وقبل أن أبنى الفيللا سألت مصلحة الأرصاد حتى أشيدها فى وضع عمودى على اتجاه الريح».

أرض النيللا كان إيجارها السنوى ٨٦ جنيها ، وكانت شروط الإيجار قاسية ، فإذا أرادوا بعد ١٥ سنة إعادة تقسيم المنطقة فستصبح المبانى من حقهم وبدون أى تعويض ، وفى عام ١٩٧٧ أخبرنى محافظ القاهرة أن المنطقة دخلت التقسيم ومن حقى شراء الأرض وكان ثمن المتر آنذاك أربعة جنيهات ، فاشتريتها بمبلغ ٣٨ ألف جنيه دفعت الثلث وقسطت الثلثين على ثلاث سنوات بعد أن قمت ببيع الأرض التى كنت أرثها »

ـ ٤ ـ

ولست أظن أن من حقنا بعد هذا كله أن نهمل الحديث عن تفاصيل الرأى الساذج الذى تحاول مذكرات سيد مرعى أن تلخص به رؤية البغدادى فى مجال التخطيط حيث تنتقد المذكرات بهدوء وخبث مغزى السياسات التخطيطية للبغدادى مرجعة هذا إلى أن الرجل كان متأثراً بفلسفة مستشاره الدكتور إبراهيم حلمى عبد الرحمن فى تقييم المشروعات (!!) ، ومع التحفظ على رواية سيد مرعى إلا أنى أجد أن من حق القارئ أن يطالع مثل هذه الأفكار حتى وإن عرضت بطريقة هى أقرب ماتكون إلى التسطيح ، يقول سيد مرعى فى كتابه ما نصه :

« ... أصبح مشروع « التجميع الزراعى » جزءاً من خطة التنمية فى قطاع الزراعة وقد اعتمد المشروع الذى قدمته على تطبيق التجميع الزراعى فى مائة وثمانين قرية خلال السنة الأولى من الخطة ، ثم ٤٠٠ قرية فى السنة الثانية ، وهكذا ، إلى أن تصل فى نهاية الخطة الخمسية إلى تعميم النظام فى أربعة آلاف قرية بمصر .وكانت تكاليف المشروع فى السنة الأولى هى ٣٦٠ ألف جنيه تم اعتمادها فعلا ضمن اعتمادات الخطة . والمبلغ عبارة عن ألفى جنيه لكل قرية من الـ ١٨٠ قرية تخصص لإقامة مبنى صغير لعمل وإقامة مشرف زراعى واحد يكون مقيما بصفة مستمرة فى القرية للإشراف على تنفيذ المشروع وإرشاد الفلاحين وبحث شكواهم أولا بأول . وبدأنا نطرح مناقصات لهذه المبانى فى الـ ١٨٠ قرية .. ولكن ، لم يتقدم أحد من المتاولين ، وعندما بحثنا عن السبب اكتشفنا أن العملية فى حد ذاتها غير مغرية لمقاولى البناء بعد أن وجدوا أمامهم لأول مرة مشروعات بناء ضخمة فى قطاع الصناعة لايقل حجم العمل فى المشروع الواحد منها عن مليون جنيه أو أكثر ، وبدأنا نبحث عن الأسمنت ومواد البناء لكى نحاول أن نبنى نحن ، فلم نجد ومرة أخرى كان السبب هو أن التركيز الذى بدأ فى بناء السد العالى والمشروعات الضخمة الجديدة قد بدأ يؤدى إلى نقص مواد البناء فى الأسواق » .

«كان هذا مجرد واحد من الاختناقات العديدة التى لابد أن تواجه أى خطة تنمية خصوصاً وأن تلك الخطة كانت هى الأولى من نوعها فى مصر . ولأن وجود المشرف الزراعى فى القرية هو الأساس فى بدء تنفيذ التجميع الزراعى ، فقد كان لابد أن أتصرف بسرعة . وطلبت الاجتماع بالـ ١٨٠ مشرفاً زراعياً الذين تم اختيارهم للإقامة فى القرى. وشرحت لهم الظروف بكل صراحة ، وقلت لهم : إننا الآن مهددون بأن يصاب هذا المشروع الحيوى بالشلل بسبب نقص مواد البناء وعدم جاذبيته للمقاولين ، إننى أعرف مدى حيوية وجود مكان عمل وإقامة للمشرف الزراعى فى الريف ، ولكن لابد من بديل للمبانى حتى لا تعطل التجربة ، ولقد فكرت كثيراً فى بديل واهتديت إلى اقتراح أعرضه عليكم وهو أن نوفر خيمة فى كل قرية لكل مشرف زراعى تكون هى محل عمله ومكان إقامته ، إلى أن نتمكن يوماً ما من حل مشكلة المبانى . إننى أعرف أن هذا الحل قد لا يكون إنسانياً ، لذلك فأنا أعرضه عليكم كمجرد اقتراح ، وأترك لكم حرية قبوله أو رفضه ، معتمداً فقط على مشاعركم الوطنية واقتناعكم بحيوية التنمية الزراعية لبلدنا».

«وقبل أن أنتهى من كلمتى فوجئت بالـ ١٨٠ مشرفاً زراعياً يصفقون بحرارة ، ويتحمسون بالإجماع لاقتراحى ، إننى كنت أعلم أن كلا منهم إنما يقدم فى الواقع تضحية كبرى ، على حساب راحته الشخصية ، اقتناعاً منهم بأنهم جزء من مشروع ناجح وحماساً من جانبهم ليكونوا جزءاً من خطة كبرى لتنمية بلدهم ، التى بدأت تتحدث عن التخطيط لأول مرة. وسافر المشرفون الزراعيون إلى القرى ، وأقاموا فى الخيام ، ونجحت التجربة ، ولم ندفع مليما ، وبالتالى فقد ظل اعتماد الـ ٣٦٠ ألف جنيه المدرج فى ميزانية الخطة عن السنة الأولى كما هو ، لم تمسه يد ».

«ثم جاء التقرير السنوى الشامل عن موقف التنفيذ بالنسبة للسنة الأولى من الخطة ، وهو التقرير الذى أعده وقدمه السيد عبد اللطيف البغدادى للمناقشة فى مجلس الوزراء .. باعتباره رئيس لجنة التخطيط . وبدأ الاجتماع بشرح مختصر من السيد عبد اللطيف البغدادى لتقييم ما تم إنجازه .. قطاع الصناعة نفذ مشروعات بنسبة مائة فى المائة ... ثم .. قطاع الزراعة صفر فى المائة ! وأصبت أنا بدهشة بالغة ، وفى نفس اللحظة نظر جمال عبد الناصر نحوى مستغرباً ومتسائلاً .. إزاى ياسيد تبقى نسبة

التنفيذ عندك صفر فى المائة ؟ إحنا مش ساندناك فى فكرة التجميع الزراعى وحمسناك؟ إزاى صفر فى المائة ؟».

«وبدأت أشرح للرئيس ، ولزملائى فى مجلس الوزراء ، أننا فى الواقع قد نفذنا المشروع بنسبة مائة فى المائة ، نفذناه قبل موعده .. وواجهنا مشكلة عدم وجود مبان للمشرفين الزراعيين ولكنهم من جانبهم ضحوا براحتهم وحقهم وأقاموا فى خيام . تساءل الرئيس مرة أخرى .. حاجة غريبة .. إذن إزاى صفر فى المائة ؟ قال عبد اللطيف البغدادى .. اعتماد الاستثمار .. اللى هو ٣٦٠ ألف جنيه ، كما هو لم يمس ».

« هنا كان واضحاً أن الأساس الذى اتبعته وزارة التخطيط ، فى متابعة وتقييم تنفيذ خطة التنمية خلال السنة الأولى هو فقط أساس الاستثمار. وبكلمات أخرى أن انفاق ما هو مدرج فى الميزانية أصبح هو مقياس التنفيذ أو عدم التنفيذ ، فإذا اعتمد لمصنع مثلا مليون حنيه ، منها ٢٠٠ ألف للإنشاءات ، و ٢٠٠ ألف للمرافق ، و٢٠٠ ألف للعمالة ، و٢٠٠ ألف للخامات ، و٢٠٠ ألف للماكينات .. فإن نسبة التنفيذ تكون ٨٠ ٪ لو أنه تم إنفاق المبالغ المدرجة للإنشاءات والمرافق والعمالة والخامات برغم أنه فى هذه الحالة يجب أن تكون نسبة التنفيذ صفرا فى المائة. وهنا قال الرئيس جمال عبد الناصر .. فعلا ، الكلام ده صح .. لكن ، على أى حال .. احنا مفهوم التخطيط مازال جديداً علينا ، ولابد أن نتعلم. وقد لايكون الإنفاق مقياساً نظرياً للتنفيذ ، ولكن عملياً يجب أن يكون المقياس هو الإنتاج الفعلى فالمشروع لا يعتبر أنه تم تنفيذه إلا فى اللحظة التى يبدأ فيها الإنتاج».

« وتدخل عبد اللطيف البغدادى فى المناقشة (الكلام لسيد مرعى) وتدخل زملاء آخرون .. كان الهدف هو الاستقرار على مقياس حقيقى وفعال يقاس به تنفيذ مشروعات الخطة . وكان واضحاً أن عبد اللطيف البغدادى متأثر فى آرائه بنظريات الدكتور إبراهيم حلمى عبد الرحمن ، ساعده الأيمن فى التخطيط ، والرجل الذى يمثل كفاءة نظرية كبرى . وكان بعضنا مقتنعاً باعتبار الإنفاق مقياساً للتنفيذ ، وبعضنا غير مقتنع ، وبعضنا الآخر يرى أنه حتى لو كان الإنفاق يصلح مقياساً للتنفيذ فى بعض القطاعات ـ كالصناعة ، فإنه لا يصلح فى قطاعات أخرى .. كالزراعة . واستقر الأمر على حل وسط .. وهو أن يكون الإنفاق مجرد واحد من مقاييس عديدة ، وليس هو المقياس الوحيد ، لمتابعة مشروعات الخطة ».

عبد اللطيف البغدادي
شهيد النزاهة الثورية

4

الإنجازات التنفيذية لعبد اللطيف البغدادي

دار الخيّال

لعل خير بداية لهذا الباب هى أن أكرر المعنى الذى أشرت إليه فى الباب الأول من هذا الكتاب من أن عبد اللطيف البغدادى كان متميزاً عن كل زملائه من رجال الثورة جميعا بالقدرة الفذة على الإنجاز ، وقد كان الوحيد منهم الذى جمع ما نسميه فى الأدب والفكر بالقدرة على الحلم وعلى وضع الخطط الكفيلة بتنفيذ حلمه ثم على متابعة هذا التنفيذ. والفارق بينه وبين زملائه جميعا فى هذه القدرة كبير جداً فعلى الرغم من قدرة السادات الخيالية واللا محدودة على الحلم ، وعلى الرغم من قدرة عبد الناصر الرائعة على استثارة الحماس وتوجيهه ، وعلى الرغم من إخلاص كمال الدين حسين وتفانيه فى تنفيذ كل مابدأه ، وعلى الرغم من تفانى زكريا لما يعمل وادائه المتواصل فى صمت ، إلا أن البغدادى يفوق هؤلاء الأربعة فى القدرة على الحلم وتحقيق الحلم فى كيان متميز ومتكامل بتكلفة أقل وفى وقت أسرع وبجودة أرفع.

❑

وأثنى بأن أذكر أنه على صعيد العمل الوزارى : تولى عبد اللطيف البغدادى خمس وزارات ، وهو بذلك صاحب الرقم القياسى فى عدد الوزارات المختلفة التى تولاها شخص واحد فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر ، وإن لم يكن صاحب هذا الرقم على مستوى تاريخنا المعاصر ، أما الوزارات التى تولاها البغدادى [على مدى فترة امتدت إلى تسع سنوات ونصف السنة (منذ أول وزارة إلى آخر وزارة) وعلى مدى ثمانى سنوات فقط تولى فيها مسئوليات وزاريه] فكانت: الحربية والبحرية ، والشئون

البلدية والقروية ، والتخطيط ، وشئون مدينة بورسعيد ، والخزانة ، وهى كما نرى تمثل طيفاً واسعاً لم يحدث لغيره أن تولاه ، فمَنْ هو غيره وزير الحربية فى عهد الثورة كله الذى تولى وزارة المالية أيضاً ، بل مَنْ هو وزير الشئون البلدية والقروية الذى تولى أيضا وزارة الحربية أو وزارة المالية.. بل مَنْ هو غيره الذى تولى وزارة شئون بورسعيد ، ومَنْ هو الذى سبقه إلى وزارة التخطيط.. لا أحد. بل إن البغدادى كان مرشحاً أيضاً ليتولى وزارة الاقتصاد بالإضافة إلى الخزانة والتخطيط.

ويجدر بنا أن نبدأ بأن نناقش فى عجالة رحلة البغدادى مع المناصب التنفيذية فى عهد الثورة ، فعند إعلان الجمهورية فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ تشكلت وزارة جديدة برئاسة اللواء محمد نجيب وقد دخلها البغدادى وزيراً للحربية والبحرية ليكون واحداً من أول ثلاثة من أعضاء مجلس قيادة الثورة يتولون المناصب الوزارية (الآخران هما جمال عبد الناصر وصلاح سالم) وذلك بالطبع بعد رئيسهم اللواء محمد نجيب الذى كان قد تولى رئاسة الوزارة منذ سبتمبر ١٩٥٢ ، وقد خلف البغدادى فى هذه الوزارة اللواء محمد نجيب نفسه الذى كان يتولاها منذ سبتمبر ١٩٥٢ فى وزارته الأولى.

وقد احتفظ عبد اللطيف البغدادى بوزارة الحربية فى وزارة عبد الناصر الأولى فى فبراير ١٩٥٤ وفى وزارة نجيب الثالثة فى مارس ١٩٥٤ ،

ولكن عندما شكل جمال عبد الناصر وزارته الثانية فى ١٧ أبريل ١٩٥٤ [بعد التنحية الثانية لمحمد نجيب عن رئاسة الوزارة] اسندت إلى عبد اللطيف البغدادى وزارة الشئون البلدية والقروية ليخلف فيها الدكتور وليم سليم حنا بينما خلفه فى وزارة الحربية حسين الشافعى الذى دخل الوزارة لأول مرة فى ذلك اليوم وكان وليم سليم حنا قد استقال فى غضون أزمة مارس.

وكان تولى عبد اللطيف البغدادى لهذه الوزارة يمثل من حيث المبدأ أول خطوة جبارة فى طريق تولى العسكريين الشبان لوزارات الدولة الفنية .. ولم يسبقه فى هذا الطريق إلا رشاد مهنا و جمال سالم اللذان كانا قد توليا وزارة المواصلات ولكنها ـ أى المواصلات ـ لم تكن إلى ذلك الحين من الوزارات الفنية تماماً ، بل كانت تمثل بداية جيدة للوزراء السياسيين ، وقد بدأ كل من مصطفى النحاس باشا ، ومحمد محمود باشا ، ومكرم عبيد باشا ، وأحمد زيور باشا مناصبه الوزارية بتوليها.

وقد ظل البغدادى وزيراً للشئون البلدية والقروية فى وزارة عبد الناصر الثالثة فى

يونيو ١٩٥٦ وهى الوزارة التى تشكلت بعد إعلان انتخاب عبد الناصر رئيساً للجمهورية وأضيفت إليه أعباء وزارة الدولة للتخطيط وكان أول من تولى هذه المسئولية ، وبعد ستة شهور أضيفت إلى البغدادى أيضا أعباء وزارة شئون مدينة بورسعيد فى ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ ليتولى إعادة تعمير المدينة بعد انتهاء العدوان الثلاثى . وقد كان عبد اللطيف البغدادى كما أشرنا هو الوحيد الذى تولى شئون هذه الوزارة فقد انتهى عهدها بعد هذا.

بيد أن البغدادى ترك المناصب الوزارية كلها فى أغسطس ١٩٥٧ حيث تولى رئاسة أول برلمان فى عهد الثورة (وهو مجلس الأمة) وفى ٢٠ أغسطس ١٩٥٧ صدر قرار جمهورى بتوزيع المهام الوزارية التى كان يتولاها على اثنين من الوزراء فندب الدكتور عبدالمنعم القيسونى ليتولى أعمال وزير الدولة لشئون التخطيط . وندب الدكتور مصطفى خليل للقيام بأعمال وزير الشئون البلدية والقروية

وفى ٣ نوفمبر ١٩٥٧ أسندت إلى حسين الشافعى مهمة وزير الدولة للتخطيط وهكذا خلف الشافعى البغدادى للمرة الثانية (كان قد خلفه فى وزارة الحربية).

وعقب قيام الوحدة مباشرة ترك البغدادى رئاسة مجلس الأمة (لأن المجلس نفسه ألغى بقيام الوحدة) وأصبح نائبا لرئيس الجمهورية دون أن يتولى مسئولية أية وزارات. فى وزارة الوحدة الأولى التى رأسها الرئيس عبد الناصر (مارس ١٩٥٨) ولكنه فى الوزارة التالية (اكتوبر ١٩٥٨) اختص بالإضافة إلى منصب نائب رئيس الجمهورية بمنصب وزارى هو وزير التخطيط المركزى .

وفى وزارتى الوحدة التاليتين (سبتمبر ١٩٦٠ ، أغسطس ١٩٦١) اقتصرت مهامه على منصب نائب الرئيس ، ولكن بعد الانفصال شغل البغدادى فى وزارة الرئيس عبدالناصر الثامنة (أكتوبر ١٩٦١) منصب نائب الرئيس وتولى بالاضافة إلى ذلك وزارتى الخزانة والتخطيط (أكتوبر ١٩٦١ ـ سبتمبر ١٩٦٢) وفى أثناء هذه الوزارة (مارس ١٩٦٢) عين نائب لوزير الخزانة هو أحمد زندو .

وكان آخر عهد البغدادى بالمناصب الوزارية فى سبتمبر ١٩٦٢ ، ففى ذلك الوقت عين على صبرى رئيسا للمجلس التنفيذى (وزارته الأولى) ، ولهذا ترك كل أعضاء مجلس قيادة الثورة مناصبهم الوزارية حيث أصبح البغدادى عضواً فى مجلس الرئاسة، ورئيساً له بالنيابة عند غياب عبد الناصر أو اعتذاره .

وهكذا ابتعد البغدادى عن المناصب التنفيذية بعد أن ظل موجوداً فيها منذ إعلان الجمهورية (يونيو ١٩٥٣) باستثناء فترة رئاسته للبرلمان الأول للثورة.

ولم يعد البغدادى إلى أى منصب وزارى فيما بعد هذا وإن كان ثلاثة فقط من زملائه أعضاء مجلس القيادة قد عادوا إلى المناصب الوزارية وهم: زكريا محيى الدين فى ١٩٦٥ (حيث شكل الوزارة) ثم بعد الهزيمة ، وحسين الشافعى بعد هزيمة ١٩٦٧ ، وأنور السادات بعد أن تولى رئاسة الجمهورية.

❑

بالإضافة إلى المناصب الوزارية التى تولاها عبد اللطيف البغدادى ، وبالإضافة إلى رئاسته لمجلس الأمة الأول فى عهد الثورة ، فقد أسندت إلى البغدادى عدة مهام رئيسية فى العمل الرئاسى والسياسى والسيادى والتنفيذى على حد سواء.

فعقب قيام الثورة والإعلان عن إنشاء هيئة التحرير أعلن عن إسناد منصب المراقب العام للهيئة إليه ، وبهذا كان البغدادى بمثابة أبرز الوجوه التى أسندت الثورة إليها مبكراً مهمة الاتصال الجماهيرى.

وفى ١٦ سبتمبر ١٩٥٣ عين كأول رئيس لمحكمة الثورة ، وهى محكمة استثنائية كان قضاتها الثلاثة من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وفيما بعد فإن البغدادى رفض أن يرأس المحكمة التى شكلت لمحاكمة الإخوان المسلمين.

وعند تشكيل مجلس الخدمات فى ١٩٥٤ عين البغدادى رئيسا لهذا المجلس ، وكانت لهذا المجلس سلطات وصلاحيات واسعة مكنت البغدادى من تحقيق كثير من الإصلاحات «الثورية» فى مجالات مختلفة ، وكان هناك مجلس آخر للإنتاج كان يرأسه جمال سالم ، وكانت الثورة فى عهدها الأول قد عهدت إلى هذين الرجلين بالمسئولية المباشرة عن هذين المجالين المتكاملين: الإنتاج ويتولاه جمال سالم ، والخدمات ويتولاها البغدادى.

وفى أثناء الوحدة مع سوريا رأت قيادة الدولة أو رأى جمال عبد الناصر أن يختص البغدادى بالإنتاج على حين أسندت المسئولية عن الخدمات إلى كل من زكريا محيى الدين وحسين الشافعى ، وهكذا كان البغدادى الوحيد الذى تولى كل القطاعات حيث خلف جمال سالم فى المسئولية الأولى عن قطاع «الإنتاج» بعدما كان قد تولى «الخدمات» لفترة طويلة.

وقد تأكد هذا التوجه بعد سنتين حين عُين عبد اللطيف البغدادى فى نوفمبر ١٩٦٠ رئيسا للجنة الوزارية للشئون الاقتصادية ورئيسا للجنة الاقتصادية العليا.

وعندما شكل الرئيس جمال عبد الناصر وزارته التى أعقبت الانفصال فى أكتوبر ١٩٦١ ، نص قرار تشكيلها على أن البغدادى نائب لرئيس الجمهورية لشئون الإنتاج ووزير للخزانة والتخطيط ، وعقب تشكيل هذه الوزارة مباشرة كلف البغدادى بإعادة تنظيم الجهاز الحكومى.

وعند تشكيل مجلس الرئاسة فى سبتمبر ١٩٦٢ أصبح البغدادى بمثابة أول أعضاء مجلس الرئاسة بعد رئيسه الرئيس عبدالناصر ، وبعدها بشهر اختير عضواً باللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى (أكتوبر ١٩٦٢) ، وقد ظل محتفظا بهذه العضوية فى مجلس الرئاسة وباللجنة التنفيذية وبمنصب نائب رئيس الجمهورية حتى استقال من كل مناصبه واعتزل الحياة السياسية فى مارس ١٩٦٤.

❏

ويمكن القول بأن عبد اللطيف البغدادى لم يغب عن أى محفل من المحافل التى تولت صياغة أفكار ثورة يوليو فى الحكم طيلة الفترة التى ظل مشاركا فيها فى المسئولية ، وقد رأينا كيف شارك فى محكمة الثورة ، وهيئة التحرير ، ومجلس الأمة ، واللجنة التنفيذية العليا ، ومجلس الرئاسة ، ومجلس الخدمات ، وشئون الإنتاج ، والتخطيط وتعمير مدينة بورسعيد.. إلخ.

بل إن البغدادى كان حريصاً على أن يشير إلى أنه اشترك برجاله فى وضع الميثاق الوطنى ، فى وقت لم تكن هذه المشاركة مقترنة بالمجد ولا بالتمجيد ، وقد جاء حديثه فى هذه الجزئية فى إطار ما أسماه: «تصحيحه لبعض الوقائع التى رأى أن هيكل قد جانبه الصواب فيها فى حديثه (أى حديث هيكل) مع صلاح منتصر» ، فانتهز البغدادى فرصة حديثه مع صلاح منتصر وعرض وجهات نظره فى هذه الوقائع ، ومنها تكذيبه لما ضمنه هيكل واقعة لقائه (أى لقاء هيكل) بعبد الناصر قبيل الثورة وما ادعاه من حوار بينهما حول تحسب عبدالناصر لاحتمالات تدخل الجيش البريطانى وطمأنة هيكل لعبد الناصر حول هذه الجزئية.

وفى هذا الإطار فقد حرص البغدادى أيضا على أن يوضح جوانب الصورة أو دقائقها فيما يتعلق بمشاركته فى إعداد الميثاق سنة ١٩٦٢ حيث يقول:

«... والذى حدث أنه بعد صدمة الانفصال السورى ومناقشة أسبابها ونتائجها والطريق الذى يجب أن نتبعه فى المستقبل لامتصاص نتائج هذه الصدمة ، فكرنا فى ضرورة أن يكون لنا برنامج عمل تحدد فيه معالم الطريق للمستقبل حتى يكون واضحا للمواطنين ويعمل كل مواطن بحسب هذا البرنامج . ومن هنا تولدت فكرة الميثاق ، وطلب منى جمال عبد الناصر أن يقوم جهاز التخطيط الذى كنت أرأسه بعمل مشروع برنامج فكلفت الدكتور إبراهيم حلمى عبد الرحمن والدكتور محمود الشافعى من مكتبى أن يعدا هذا البرنامج ، كما طلب جمال أيضا من كمال الدين حسين نفس الشيء فكلف بعض أساتذة الجامعة بإعداد برنامج أيضا ، وأخذ عبد الناصر المشروعين وأعطاهما لهيكل لصياغتهما فى مشروع واحد وكتابة مقدمته .. والفضل يرجع فعلا لهيكل فى صياغة البرنامج فى صورته النهائية وكتابة المقدمة .. إلا أننى أرى ضرورة أن نعطى لكل حقه ولا نبخس عمل الآخرين».

❑

يبدو لى أن قدرات البغدادى المتميزة كانت بمثابة العامل الحاسم فى النزاعات بينه وبين عبد الناصر ، وعلى غير ما يعتقد القراء فإن هذه القدرات كانت بمثابة أبرز العوامل ضد البغدادى نفسه فى هذا الصراع الطبيعى بين اثنين من المسئولين عن دولة جديدة أو عن ثورة (أو حركة عسكرية) تولت الحكم ، وقد حاولت أن أبحث عن بدايات الاختلافات فى العمل التنفيذى بعد أن قامت الثورة وتحقق وجودها فوجدت جذوراً قديمة كثيرة ولكننى أرجح أن أسبق هذه الخلافات إلى النشوب هو ما يشير إليه البغدادي نفسه فى حديثه لنصف الدنيا (١٩٩٦) حيث يقول:

«... كثيرا ما اصطدمت بعبد الناصر مما ترك بعض الحساسيات لديه وازدادت هذه الحساسية عندما توليت رئاسة محكمة الثورة فقد كان عبد الناصر يرغب فى أن يرجع إليه قبل إصدار أى حكم بحجة أنها محاكمات وقضايا سياسية لابد أن تعرض على مجلس قيادة الثورة قبل الحكم فيها ، وقد اعترضت هذا مخالفاً للوضع الطبيعى . فالمجلس لم يسمع أقوال المتهم والشهود والإدعاء ، لذلك رددت عليه قائلاً : إننا نحكم بضمير القاضى ، مما جعل عبد الناصر يأخذ موقفا منى».

وهكذا نرى أنه كان من اليسير جداً أن يثور النزاع من آن لآخر بين رجلين يتمتع كل منهما بروح المسئولية وبالقدرة عليها ، ولكنهما في ذات الوقت يتمتعان بالثقة في النفس إلى حد ضخم ، وبالاعتداد بالذات إلى حد مزعج للغير.

ونعود لنسأل. ولكن لماذا تكرر اختلاف عبد الناصر مع البغدادي ولماذا تطرق هذا الخلاف إلى مجالات مختلفة ؟ .. الإجابة طويلة وقد تكون مذكرات عبد اللطيف البغدادي نفسها بمثابة إجابة مطولة على مثل هذا السؤال ، ولكننا مع هذا لا نستطيع أن نتجاهل السبب الجوهري الذي أشرنا اليه لتونا وهو احتفاظ البغدادي بدرجة عالية من الاعتداد بالنفس والكرامة البشرية .

*

وربما أجدني مدفوعاً لأن أكرر هنا ما أشرت إليه في الباب الاول من هذا الكتاب من أن عبد اللطيف البغدادي كان يحتل مرتبة سامقة بين زملائه في وجدان الجماهير فقد كان اسمه مرتبطاً بالإنجاز الحقيقي والسريع ، ومنذ أيام عبد اللطيف البغدادي لم يتكرر صنو له يستطيع أن ينفذ ما استطاعه البغدادي بهمة واقتدار وفي لمح البصر . ولاشك أن إنجازاته ذاتها قد تعرضت للتضخيم الفولكلوري حتى وصلت الى حدود لم يكن هو ليتصورها ، ولكن الجمهور معذور في ذلك ، فان هذا الجمهور لم يشهد في حياته قبل البغدادي ولا بعده من قام بما قام به البغدادي في فترات وجيزة . وقد سمعت أنا شخصياً من بعض الناس أن البغدادي كان يمر على الطريق الترابي في الصباح فيأمر بأن يرصف الطريق في ذات اليوم ويعود ليمر عليه في المساء وهو مرصوف .. ومع استحالة وقوع مثل هذا فإن هذه الأقوال تعطينا فكرة عن مدى الأخبار وسرعته وإن لم تكن حقيقية تماماً..

وفي كل المذكرات التي نقرؤها لأدباء وفنانين أو رجال حياة عامة تأتي سيرة البغدادي بالخير والمديح ، وتأتي مرتبطة بما أنجز من تحولات هندسية حقيقية اعادت صياغة كثير من ملامح القاهرة ، وأذكر أني حين كنت أراجع تجربة الفصل الذي كتبته عن مذكراته في كتابي « مذكرات الضباط الاحرار » للمرة الأخيرة كنت أقرأ مذكرات السيدة عايدة الشريف «شاهدة ربع قرن» فوجدتها تتحدث عن التغيير الذي أصاب حياة أسرتها يوم تقرر هدم بيتهم في جزيرة الروضة لأن البغدادي قرر هدم كل البيوت التي تسد مسارات الشوارع وتجعل الشارع يقف عند نقطة معينة.

ومنذ زمن بعيد فإني لا أمر من ذلك النفق العظيم المصمم تحت كوبرى قصر النيل (نفق كمال الدين صلاح) من جهة التحرير أو فى ذلك الطريق الكورنيشى إلا وأدعو للبغدادى وأدعو مَنْ يكون معى إلى أن يشاركنى الدعاء له بالرحمة والمغفرات..

وفى عدد من مقالاتى التى كتبتها منذ ٢٠ عاماً والتى ضمها كتابى «مستقبلنا فى مصر: الحلول الجزئية هى الأجدى أحياناً» كنت أشير فى كثير من الفقرات إلى جهد هذا الرجل العظيم حين أستدعى الشواهد التى تؤيد ما اقترحه من أفكار لحل بعض المشكلات المتراكمة.

❑

ومن حسن الحظ أن نجد فى كتاباتنا الصحفية والتاريخية كثيراً من الثناء والتقدير لجهود البغدادى التنفيذية وإنجازاته ، وسأقتطف من هذه الكتابات ما كتبه الأستاذ صلاح منتصر فى مجلة أكتوبر فى٣ يوليو ١٩٨٨فى مقدمة حواراته مع عبد اللطيف البغدادى حيث يقول:

«أطلقت عليه أسماء كثيرة: المايسترو ، وصاحب العصا السحرية ، والدينامو ، والرجل المعجزة».

«كانت ميزته أنه كان يعرف كيف يختار معاونيه ، وكيف يعطيهم ثقته ، وكيف يحدد برنامج العمل ويضع لهم وقتا لتنفيذ كل مشروع ، ويكون عقابه قاسيا عند التأخير ، والمكافأة مجزية عند التنفيذ».

«ولم يعرف فى جميع المواقع التى عمل بها شلة تحاصره وتغلق الأبواب والشبابيك وتمنعه من رؤية الآخرين ، وكان لابد أن يثير نجاحه غيرة الكثيرين».

«وتصادف أن كان هناك مندوب صحفى نشيط يعمل فى جريدة «الأهرام» وهو الأستاذ محمد الليثى الذى لم يمر عليه يوم واحد دون أن يكتب عن البغدادى خبرا.. كانت أخباره عن البغدادى منشورة كل يوم فى الصفحة الأولى وفى الصفحات الداخلية ، إلى درجة أن جمال عبد الناصر تصور أن البغدادى هو الذى يلاحقه بإعطائه الأخبار ، فأرسل إلى الوزراء منشورا يلفت نظرهم فيه إلى كثرة اتصالهم برجال الصحافة ونشر الأخبار عنهم .. وكان البغدادى هو المقصود من هذا المنشور ، وبسببه

قدم استقالته لآن نشاطه الذى كـان يقوم به فى مختلف المجالات والمشروعات هو الذى كان يجعل مندوبى الصحف يجرون وراءه ، لا أن يجرى هو وراء هؤلاء المندوبين».

«... كان تنفيذ المشروعـات فى أوقات قياسية هو أكبر هواياته [الضـمير يعود على عبداللطيف البغدادى].. وكانت قدرته الكبرى على النجاح فى أى موقع يوضع فيه هى أبرز مشاكله!».

«فى وزارة الحربيـة التى عين وزيرا لها فى يونيو ١٩٥٣ ، ولمدة أقل من ١٠ شـهور ، أقـام أول مصنع حـربى فى مـصر.. وعـندما نقل فى أبـريل ١٩٥٤ إلى وزارة الشئـون البلدية والقـروية ، وهى وزارة كانت مـعروفة بـأنها وزارة الرصف والمجارى ، فـإنه فى اليـوم التالى من تعـيـينه استـدعى كـبار العـاملين فى الوزارة وسـألهم عن المشروعـات «المركـونـة» عندهـم ، وضـحك كـبـار الموظفين من هذا «الضـابط» الذى تبـدو عليـه الحمـاسة ، فأحالوا إليـه مشروعا مـتأخرا منذ عدة سنـوات بسبب صعوبة التنفـيذ وكم المشاكل التى تحـيط به .. وأمسك عـبد اللطيف البغـدادى بملف المشروع ، وكـان يحمل عنوان «كـورنيش النيل لمدينة القاهرة» ، وأعلن لـكل الموظفين ضرورة إنهـائه قبل سـتة أشهر!».

«وجاءه وكيل الوزارة يقول له: يا أفندم المـشروع يحتاج على الأقل إلى ٦ سنوات.. فالكورنيش طوله ٦٥ كيلومـترا (من حلوان إلى شبرا) ، وهو ليس مجـرد عملية رصف فقط بل يتضـمن إزالة مواقع كثيرة ، وفى بعض الأمـاكن يحتاج إلى ردم فى مناطق من النيل ، ثم شق الشارع وتسويته ورصفه وإنارته.. عدا إقامة عدد من الحدائق».

«وقال وكـيل الوزارة: ثم إن هناك غيـر هذا مبنى السـفارة البريطانـية الذى لابد من إزالة الجـزء المطل منه على مـياه النـيل ، وهذا كمـا تعـرف سيـادتك يتطلـب اتصـالات وترتيبات ربما لن تستغرق أقل من سنتين».

«وانتظر عبـد اللطيف البغدادى وكـيل الوزارة حتى أنهى كلامه وقـال له: خلاص.. قلت كل ما عندك؟».

«قال وكيل الوزارة: أنا حبيت يا أفندم أضع سيادتك فى الصورة بكل أمانة».

«قال عبد اللطيف البغدادى: إذن فسننفذ المشروع فى خمسة أشهر بدلا من ستة!!».

«ولم يبدأ البغدادى بالاتصال بالسفارة البريطانية لكى يفاوضها فى إزالة الجزء الذى يلاصق حافة نهر النيل من مبناها ، والذى كان شبه إمبراطورية مستقلة ، وإنما قرر أن يترك هذه العملية إلى أن يرى المشروع النور ، ويصبح أمرا واقعا ويتحول مبنى السفارة البريطانية إلى حاجز استفزازى يطالب كل من يمر بإزالته».

«ثم بعد شهرين ، وكان العمل قد وصل تقريبا إلى نصف مسافة الكورنيش ، ظهرت الصحف المصرية تحمل تصريحا للبغدادى وزير الشئون البلدية والقروية يعلن فيه أنه سوف يزيل الجزء المطل على النيل من مبنى السفارة البريطانية لكى يخترقه الكورنيش.. وانتظر البغدادى أن يتصل به أحد من السفارة ، ولكن صوتا واحدا لم يتصل به .. وبعد حوالى عشرة أيام ـ وكان اليوم يوم أربعاء ـ أعلن البغدادى أن عملية إزالة مبنى السفارة البريطانية سوف تتم يوم الأثنين ، وأن معدات الإزالة سوف تشق طريقها فى السفارة فى ذلك اليوم!».

«وفى اليوم التالى أبلغ البغدادى أن مندوبين من وزارة الأشغال البريطانية قد وصلا ويطلبان لقاء عاجلا.. وكان أول ما قاله المندوبان إن حكومة جلالة الملك متمسكة بموقع سفارتها على النيل.. قال البغدادى: ولكننى أعلنت أمام الرأى العام أن حكومة الثورة سوف تنزع ملكية هذا الجزء من السفارة وستزيله ، وأنا أيضا متمسك بما أعلنت ، وكل الذى تستطيعونه هو التعويض».

«ولم يستطع المندوبان البريطانيان تغيير موقف البغدادى ، فقد أعلن إصراره على الإزالة فى الموعد الذى حدده ، وحق السفارة البريطانية فى تعويض يقدر على أساس السعر المماثل.. وانتصر البغدادى ، وتم دفع تعويض قدره ١٥٠ ألف جنيه ، تم تقسيطه على ٣ سنوات بواقع ٧٠ جنيها للمتر فى ذلك الوقت ، وكان يعتبر أغلى متر فى كل مصر».

«وبدلا من خمسة شهور كان البغدادى قد قرر إقامة الكورنيش خلالها.. فإنه أقامه فى أربعة أشهر ونصف الشهر ، بتكاليف بلغت فى ذلك الوقت ٦٠٠ ألف جنيه لمسافة ٦٥ كيلومترا».

««وإلى البغدادى يرجع أيضا الفضل فى إقامة استاد القاهرة ، وكان قد تم استدعاء الخبير الألمانى الذى أقام استاد برلين ، فاقترح أربعة أماكن لإقامة الاستاد: الحلمية ،

ومدينة الأوقاف في ميت عقبة (مكان نادي الزمالك)، وحلوان، والعباسية، وكان أفضل هذه المواقع منطقة صحراء العباسية المرتفعة، ولكن كانت مشكلتها أنها مشغولة بمعسكرات الجيش، وانتهز البغدادي فرصة سفر أكبر عدد من القوات إلى القناة في ١٩٥٦ بسبب ظروف العدوان على بورسعيد، وقام بعملية غزو سريعة لمعسكرات تلك القوات في العباسية، تم فيها إزالة هذه المعسكرات، وعادت القوات لتفاجأ بما حدث وتصبح أمام الأمر الواقع، وتجد أن البغدادي أقام لهم مدينة خيام يقيمون فيها بصفة مؤقتة إلى أن يتم لهم معسكراتهم الجديدة التي انتقلوا بعد ذلك إليها... ولم يكتب للبغدادي أن ينشئ الاستاد، ولكنه خطط مدينة نصر، وتم تنفيذ الاستاد فيما بعد عام ١٩٦٠ عندما كان جمال عبد الناصر يحضر في يناير من تلك السنة مهرجانا للشباب أقيم على ملعب النادي الأهلي الذي لم يكن يتسع لعدد [illegible] الواقفين خارج النادي يفوق كثيرا عدد الحاضرين.. وسأل جمال عبد [illegible] هل هناك حل لاستيعاب كل هذا العدد من الجمهور؟ وقال له عادل طاهر [illegible] فيما بعد: إن هناك مشروعا لإقامة استاد جديد للقاهرة [illegible] وتوقف تنفيذه بسبب عدم وجود ميزانية له.. وعلى الفور نادى عبد الناصر [illegible] وسأل رئيس الأسطول في ذلك الوقت وسأله إذا كانت [illegible] الاستاد.. ثم طلب منه أن يبدأ في تنفيذه على أساس أن [illegible] شهور.. وبالفعل تم تنفيذ الاستاد وافتتاحه في هذا الموعد.

*

ويهمني أيضا أن أنقل عن الأستاذ فتحي الحديدي الذي [illegible] تاريخ [illegible] القاهرة بعض ما [illegible] عقب وفاة عبد اللطيف البغدادي [illegible] في الأهرام [illegible] ٢ [illegible]

[illegible]

[illegible] بورسعيد [illegible]

لسابقة في ميدان [illegible]

[illegible] الخلق [illegible] إلى [illegible]

شاهدت بعض الحوادث التي كانت تقع فيه نتيجة احتكاك [illegible] على السلم مع جدران المنازل في كلا جانبي الشارع.

وفى سنة ١٩٥٦ قرر وزير الشئون البلدية والقروية عبد اللطيف البغدادى البدء فورا فى توسيع شارع الخليج المصرى عن طريق هدم فاصل المبانى بينه وبين شارع ضيق آخر مواز له من جهة الشرق ، وهذا الشارع الشرقى كان له عدة أسماء تختلف من منطقة لأخرى ، وهى من الجنوب إلى الشمال: درب الجماميز ـ شارع جامع البنات ـ شارع بين النهدين ـ شارع بين الصورين ـ شارع سوق الجراية. وبذلك نشأ شارع جديد متسع عرضه ٤٠ مترا حيث تقرر فى سنة ١٩٥٧ تسميته شارع بورسعيد تكريما للمدينة التى تعرضت للعدوان الثلاثى فى سنة ١٩٥٦.

ثانيا: طريق كورنيش النيل: وكان شأنه شأن شارع الخليج المصرى ، أى أنهما كان قد شرع فى توسيعهما ، ولكن ذلك توقف طويلا. وقد كان يوجد فى مكان طريق كورنيش النيل منشآت كانت تشغل أجزاء كثيرة منه ، أشهرها من الجنوب إلى الشمال:

- السفارة البريطانية: وهى تشغل مكانها الحالى من سنة ١٨٩٤ حتى الآن ، ولكنها كانت تمتد حتى مجرى نهر النيل ، ويرجع السبب فى ذلك [إلى أنها] أقامت ميناء نهريا خاصا بها على شاطئ النيل وذلك تحسبا للطوارئ ، وقد أثار طلب مصر آنذاك من السفارة البريطانية إخلاء طريق للكورنيش أمامها أزمة فى العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا التى تلكأت فى إخلائه إلى أن أجبرت على ذلك فى ٢٥ أغسطس ١٩٥٤.
- ثكنات قصر النيل: وكانت مخصصة للجيش البريطانى ، ويذكرها المخضرمون من الجيل الماضى بلونها الأحمر ، حيث كانت تمتد حتى مجرى نهر النيل حيث أقامت ميناء نهريا خاصا بها لنفس السبب السابق ، وقد هدمت هذه الثكنات فى يوليو سنة ١٩٥٤ وذلك بعد توقيع اتفاقية الجلاء مع بريطانيا. وقد حل محلها حاليا فندق النيل هيلتون ومقر جامعة الدول العربية والنصف الغربى من ميدان التحرير الحالى.
- مطبعة جريدة الأهرام: وهى لا تزال موجودة بعد أن اقتصرت على الجانب التجارى، لكنها كانت تمتد أيضا حتى مجرى نهر النيل ، وقد لبت إدارتها فورا طلب عبد اللطيف البغدادى بإخلاء جزء منها لطريق كورنيش النيل.
- المطبعة الأميرية : وهى مطبعة تاريخية عريقة يرجع عهدها إلى عصر والى مصر محمد على باشا ، وكان شأنها شأن سابقتها حيث كانت تمتد مثلها إلى مجرى نهر

النيل فأخلت أيضا مكانا لطريق كورنيش النيل ، ثم آثرت فيما بعد ترك المكان نهائيا حيث انتقلت إلى مكان متسع فى إمبابة ، وحل محلها فى مكانها حاليا برج البنك الأهلى المصرى.

- ملاهى روض الفرج: ويذكرها بعض المخضرمين منا حيث كانت موجودة على أرض طريق كورنيش النيل فى روض الفرج.

وبعد إتمام الإخلاءات السابقة وغيرها كثير ، جرى الاحتفال بافتتاح طريق كورنيش النيل فى سبتمبر سنة ١٩٥٤».

❑

ورغم كل هذا النجاح الحقيقى فى العمل التنفيذى فإن البغدادى يعترف فى مذكراته وأحاديثه بأن أتعب سنوات حياته السياسية هى تلك الفترة التى صنع فيها مجده التنفيذى كوزير بارز وناجح للشئون القروية والبلدية ، وهو يقول فى صراحة شديدة:

«.... وكانت تلك السنوات التى أمضيتها كوزير لتلك الوزارة من أتعب سنى حياتى السياسية وقد وقعت أثناءها تحت ضغط نفسانى شديد ، وحاولت الاستقالة عدة مرات ولكن ظروف بلدى التى كانت تمر بها كانت تمنعنى وتحول دون ذلك ، لأنه لم يكن قد تم جلاء القوات البريطانية عن أرض بلادنا بعد ، وتلك الحرب الباردة والضغط الشديد الذى وقع علينا من الدول الغربية بعد شرائنا الأسلحة من الكتلة الشرقية وكسر احتكار السلاح ، ثم تأميم قناة السويس وما تلاها من اعتداء انجلترا وفرنسا وإسرائيل على بلادنا».

«وكان السبب الرئيسى فى هذا التعب هو نجاح هذه الوزارة التى توليتها وقيامها بتنفيذ عدة مشروعات ضخمة والسرعة فى تنفيذها وإعجاب الشعب الشديد بأعمالها ، وجهود جهازها الفنى وما كان يبذله لتنفيذ تلك المشروعات فى فترة زمنية بسيطة ، وبدل أن يكون ذلك موضع شكر وتقدير من جمال لأن ما تؤديه تلك الوزارة ونجاحها ما هو إلا تدعيم للثورة وإثبات لوجودها ، شن علىّ حملة محاولاً التشكيك فى أهدافى عند إخوانى أعضاء المجلس موحياً إليهم أننى أسعى إلى الحصول على شعبية عند الرأى العام بهذا الجهد الذى يبذل بغرض فرض إرادتى على المجلس ، ومن أننى أعمل على

تكوين حزب من أعضاء المجالس البلدية المختلفة على حساب هيئة التحرير ، وقصص أخرى كثيرة واردة فى يومياتى ولا محل لذكرها فى هذا المجال».

❑

«وبعد العدوان على بورسعيد فى ١٩٥٦ أضيفت إلى البغدادى مهمة تعمير المدينة ، فقام ببناء مناطق سكنية جديدة ، وبلاج جديد بنى له تصميما موحدا من الفيلات ، وجدد كل المبانى التى خربت ، وأتم كل ذلك فى ١٠٠ يوم!».

«وفى أثناء مروره على مناطق العمل أوقفه أحد الطلبة الشبان الذين كان قد بدأ اشتراكهم فى إقامة وبناء المبانى الجديدة ، وقال الطالب للبغدادى: إنه شاهد خللا فى مواصفات المواد التى تستخدم فى البناء ، وأنه يخشى أن تكون النتيجة كارثة.. وطلب البغدادى التحقيق فورا وتبين له صدق كلام الطالب ، فأمر بهدم كل ما كان قد تم بناؤه وتحميل كل النفقات على شركات المقاولات وتصحيح الأوضاع».

«وفى فترة عمله وزيراً للبلدية أقام أكثر من ٢٠ مركزا للشباب ، [كما] كان له فضل الحفاظ على أرض نادى الجزيرة التى كان عبد الناصر قد وافق على تحويلها إلى أرض بناء».

❑

ونأتى إلى الجانب السياسى فى الانجاز التنفيذى لعبد اللطيف البغدادى ، ومن المدهش أن يكون هذا النجاح بمثابة نقمة على صاحبه ، ذلك أن كثيراً من المصادر التاريخية المتاحة تؤكد على أن الرئيس جمال عبد الناصر كان يضيق بقدرة البغدادى على الانجاز ، وكانت الغيرة تصيبه بسببها ، وليس فى هذا ما ينتقص من الرئيس عبد الناصر الذى كان بشراً بالطبع وليس من محل لانتقاد الرئيس عبد الناصر فى هذه الجزئية إلا أن تكون نظرتنا إليه على أنه شىء غير البشر ، وأظن أن مثل هذا الحديث لا يمكن أن يكون مدخلاً وحيداً للحديث عن علاقة الرجلين ، ذلك أن عبد الناصر لم يكن يضيق بالبغدادى من هذه الناحية فحسب ، بل كان يتضايق منه فى بعض الأحيان وبخاصة من صراحته ومحاصرته له فى المناقشة ، بل كان الأمر يصل إلى حد تنامى شعور عدم الارتياح بين الرجلين.

ولم يكن ضيق عبد الناصر بإنجازات البغدادى سراً مخفياً حتى صرح به البغدادى ، ولكننا نرى أصداء الحديث عن هذه الجزئية فى كثير من الأدبيات المتاحة ، وعلى سبيل المثال فإن فتحى رضوان يؤكد هذا المعنى فى أكثر من موضع فقد تحدث فى كتابه « ٧٢ شهراً مع عبد الناصر » عن علاقة عبد الناصر بعبد اللطيف البغدادى فى موضعين ، وربما كانت الفكرة التى يمكن الخروج بها من هذين الموضعين واحدة ، ولكننا على كل حال سننقل للقارئ الفقرتين اللتين تؤكدان نفس المعنى:

الفقرة الأولى يقول فيها فتحى رضوان :

«... ولم تكن العلاقة بين عبد الناصر وبين زميله عبد اللطيف البغدادى حسنة معظم الوقت ، وقد أعددت يوما الخطاب السنوى الذى يلقى فى مساء يوم ٢٣ يوليو من كل عام وقد جرت العادة فى إعداده أن يقوم على أساس من سرد الأحداث الكبرى التى شهدها العام السابق الذى كنت أعد الخطاب فى ختامه لاستقبال العام الجديد ، ولما كان «كورنيش النيل» من أكبر الأحداث التى شهدها العام السابق فقد ذكرت «كورنيش النيل».. ووصفته بأنه «نافذة عريضة تطل منه القاهرة على النيل».. فأمسك عبد الناصر بالقلم وكاد أن يشطب هذه الجملة فسألته :«لماذا تود أن تشطب هذا الكلام؟». فقال: «لقد سئم الناس الحديث عن الكورنيش.. بعد أن أسرفت الصحافة فى الكلام عنه ، وفى الحديث عن (عصا البغدادى السحرية) و(مشروعاته)». فقلت: «هذا سبب أدعى للإبقاء على هذه الجملة ، إذ ما دام الناس تكلمت عنه كثيراً ، فهى تنتظر أن تقرأ أو تسمع عنه ، فى الخطاب السنوى ولو جملة ، فإذا خلا الخطاب من مثل هذه الجملة ، كان التفسير الوحيد لهذا ، هو أنك غير راض عن هذا المشروع أو عن القائم به».

«ولم أرد أن أقول المعنى الذى عنيته بالضبط .. وهو «أن الإضراب عن الإشارة إلى هذا المشروع يمكن أن يفسر بأنه نوع من الغيرة منه ، ومن نجاحه ، ومن صاحبه».. ولكن «عبد الناصر» أدرك هذا المعنى دون أن أقوله. فبقى ممسكا بالقلم فترة ، ثم قال «وهو كذلك.. لندعها ولو أنى غير مرتاح لها».

أما الفقرة الثانية ففيها يتحدث فتحى رضوان عن ذات العلاقة ففيها يقول :

« ... أما علاقة «عبد الناصر بالبغدادى «فقد كان يشوبها ما عبر عنه «عبد الناصر» فى يوم كنا نراجع فيه خطبة من خطب مناسبة الاحتفال بذكرى ثورة ٢٣ يوليو. فقال : «هل تصدق أن البغدادى كان مقاطعاً لى ، وبعيداً عن تنظيمنا إلى ما قبل الثورة بستة

أشهر فقط، وأنه كان يقول دائماً إنه أسبق فى (الحركة) ، لأنه أسس من قبل ، تنظيماً سابقاً على تنظيم الضباط الأحرار؟

ثم يعلق فتحى رضوان مباشرة ويقول :

«.... ويبدو أن هذه (الحكاية) بقيت لدى كليهما «عقدة مستحكمة.. لا تسمح بتطور طبيعى للعلاقات بينهما».

❑

ويذهب محمد جلال كشك إلى رأى أبعد من رأى فتحى رضوان فى تصوير حقيقة علاقة عبد الناصر والبغدادى وذلك فى كتابه « كلمتى للمغفلين » وهو يلخص رأى فتحى رضوان الذى أوردناه ثم يعقب عليه بقوله :

«... وهذا الكلام الذى يقوله فتحى رضوان نجد له سنداً واضحاً بين سطور البغدادى نفسه : انظر كيف فسر عبد اللطيف البغدادى اختيار عبد الناصر له ليكون وزيراً « للشئون البلدية والقروية»: «واقترح أن أتولى وزارة الشئون البلدية والقروية ، وأن الغرض ـ كما قيل ـ هو أن يشعر الشعب بأعمال الثورة فى المدن والريف ، وأن الاختيار قد وقع علىّ لهذا الغرض ، ولكننى أحسست أن الغرض من توليتى هذه الوزارة هو العمل على إضعافى سياسياً لضمان فشلى بها فشلاً ذريعاً وأن الاقتراح جاء بعد خلافى مع جمال عبد الناصر». ويقول البغدادى إنه لما نجح رغم توقعات أو تدبير الرئيس جمال عبد الناصر ، استاء عبد الناصر من ذلك بدلاً من أن يكون ذلك موضع شكر وتقدير ».

❑

وعلى صعيد ثالث يؤكد محسن عبد الخالق هذا المعنى الذى ذهب إليه كل من فتحى رضوان ومحمد جلال كشك والبغدادى نفسه ، وهو يقول فى حواره مع الأستاذ رشاد كامل الذى نشر فى كتاب «عبد الناصر الذى لاتعرفه»:

« وأريد أن أقول للأخ عبد اللطيف البغدادى وهو من خيرة الناس إنه هو شخصيا تعرض لمثل ذلك الموقف عندما كان يشغل منصب وزير الشئون البلدية والقروية ، وكان وزيراً ناجحاً للغاية وتم خلال عهده إنشاء كورنيش النيل وكان إنجازاً كبيراً تتحدث عنه مصر كلها ، وجاءتنى توصية من جمال عبد الناصر شخصياً بأن نخفف ونقلل من نشر

أخبـار وصور عبـد اللطيف البغدادى التى كـانت تملأ الصحف فى ذلك الوقت. وكـما قلت لك يبدو أن هذا جزء من « تركيبة » الزعامات وطبيعتها !!».

❑

بل إن البغدادى فى أثناء أحد الحوارات التى أجريت معه عن موضوع نية عبدالناصر استـخلافه أشـار بكل الوضوح إلى مغـزى واقعة حـدثت فى ١٩٦١ حين عمل رئيـسا للجمـهورية بالنيابة فى أثناء غـياب الرئيس عبد الـناصر لحضور الجـمعية العـامة للأمم المتحدة ، ذلك أن الرئيس عبد الناصر فوجئ بأن البغدادى وقع كل القرارات المتأخرة فى غيابه ، ولكنه لم يبد سعـادة بهذا ، بل إنه منذ ذلك الوقت لم يعد يعين نائبا للرئيس عند سفره :

«.... حكاية نائب الرئيس هـذه كانت مـثار حـسـاسية عند عبـد الناصـر من فتـرة طويلة.. وفى البداية فى أثناء وجودى فى العمل فلقد كان عبد الناصر عند سفره يصدر قرارا ينيبنى عنه فى غيابه .. وحدث فى عام ١٩٦١ أن سافر إلى الأمم المـتحدة وأصدر قراراً بأن أكون نائبا عنه فى غيابه .. وبعد سفره فوجئت بسامى شرف يرسل لىَّ كميات كبيرة جداً من القرارات فيما عدا الحركة الدبلوماسية تركتها لحين عودته على أساس أنه قد يكون له رأى فيها.. وكانت مفاجـأة لعبد الناصر أنه عرف أننى وقعت كل القرارات المتأخرة مع أننى كنت أقوم بذلك على أساس رفع العبء عنه.. ولكن الذى حدث بعد ذلك أنه منذ ذلك الوقت لم يعد يعين نائبا للرئيس عند سفره».

5

عبد اللطيف البغدادى رئيسا للبرلمان

دار الخيّال

لم يعمر برلمان الثورة الأول كثيراً إذ بدأ فى نهاية صيف ١٩٥٧ وسرعان ما تم حله تحت دعوى أن دولة الوحدة تستلزم هذا الحل! وهذا البرلمان قصير العمر المعروف باسم برلمان ١٩٥٧ هو الذى رأسه البغدادى ولم يرأس غيره من البرلمانات ، أما برلمان الوحدة ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ وبرلمان ١٩٦٤ فقد رأسهما الرئيس السادات.

فى برلمان ١٩٥٧ تفجرت قضية بسيطة جداً ولكنها أثبتت مدى انعدام قابلية نظام الحكم الجديد لتقبل حياة برلمانية ، فقد أثير موضوع تعيين بعض النواب كمستشارين بأجر فى مديرية التحرير وهو ما يتعارض مع أصول العضوية فى ذلك الوقت ، وإذا بالموضوع يتحول إلى مأزق كبير للنظام الحاكم ويصل المأزق إلى أن اثنين من قادة الثورة بينهما رئيس المجلس النيابى نفسه يشرعان فى الاستقالة من عضوية البرلمان بعد أن لجأت الدولة إلى تخريج قانونى يتعارض مع بدهيات المنطق وذلك من أجل عدم إحراج أبناء الثورة!!

وتحفل الأدبيات السياسية المتاحة عن عهد الثورة بكثير من التفصيلات والتعليقات حول قصة الخلاف حول مديرية التحرير وعمل بعض الأعضاء كمستشارين لها ، ومن الطريف أن هذا الموضوع كان بمثابة أبرز الموضوعات التى شغلت نشاط برلمان ١٩٥٧ ، كما شغلت رئيسه عبداللطيف البغدادى.

ومن أجل دقة التصوير فقد آثرت أن أنقل للقارئ بطريقة متتابعة ما سجله البغدادى

عن تفصيلات هذه الواقعة ، ثم أهم الفقرات من رواية أخرى رواها عبد اللطيف البغدادى للأستاذ سامى جوهر باللغة الشعبية (العربية ـ العامية) وتعليقاته السردية بدلا من أسلوب الروايات المنمقة ، وسنشير إلى مواطن الاختلاف بين هاتين الروايتين.

وتكشف القصة التى تستعرضها الروايتان عن مواطن الخلاف فى فكر البغدادى من ناحية ، وعبدالناصر من ناحية أخرى.

وعلى الرغم من أن رواية القصة تكشف مواطن عديدة للخلاف والاختلاف فى الأسلوب فإنى أميل أن أثبت منذ الآن رأيى المتواضع وهو أن كلا من البغدادى وعبدالناصر كان على صواب.. كان البغدادى مصيباً كرئيس للبرلمان حريص على النزاهة البرلمانية وعلى الحق وعلى القانون ، كما أن عبد الناصركان هو الآخر مصيباً كزعيم لثورة مازال رجالها فاعلين وفعالين ، وكرئيس لدولة لايزال لهؤلاء الأثر فى تحريك أمورها ولا يزال هو معتمدا عليهم فى كثير من المهام المعلنة وغير المعلنة .

كما يدفعنا الإنصاف أن نسجل أن هناك شخصا ثالثا كان هو الآخر مصيبا فى تصرفه الهادئ والحاسم فى هذه الواقعة ، وهو أنور السادات زميل الرجلين ووكيل مجلس الأمة فى ذلك الوقت.

وهذا هو مجمل رأيى قبل أن نستعرض التفصيلات مما هو متاح أمامنا من نصوص.

وهذه أولا هى رواية البغدادى عن مجمل الظروف التى دفعت بالموضوع إلى المناقشة فى مجلس الأمة:

«... كان وزير الزراعة عبد الرزاق صدقى قد تناول فى بيان وزارته إلى المجلس [أى مجلس الأمة] مشروع مديرية التحرير الخاص باستصلاح واستزراع بعض الأراضى الصحراوية غرب دلتا النيل ، وقد تقدم العضو بالمجلس محمد رشدى النحال أثناء مناقشة بيان الوزير يطلب تشكيل لجنة برلمانية للتحقيق فيما يثار حول هذا المشروع من تبذير فى أموال الدولة من القائمين على تنفيذه ، ودراسة ما إذا كان هو مشروع ناجح أو فاشل حتى تتضح الصورة الحقيقية عنه للمجلس وللشعب كذلك. وقد أخذ المجلس قرارا بإحالة المشروع على لجنة الزراعة به للقيام بدراسته وموافاته برأيها فيه».

....

وسرعان ما يعبر البغدادى عن اعتقاده فى أن صورة مشروع مديرية التحرير كانت

قد تحولت أو تطورت لتكون بمثابة أزمة «رأى عام» تمت تغذيتها تباعاً حتى أصبح من الصعب على مجلس الأمة أن يتجاوزها دون تحقيق :

«وهذه الصورة عن المشروع التى كانت مختمرة فى أذهان أعضاء المجلس لم تكن إلا انعكاساً لما يدور من أحاديث بين أفراد الشعب وما يثار ويشاع حول ذلك المشروع ، على أنه مشروع فاشل وأن هناك استغلالاً وإساءة فى التصرف فى الأموال المرصودة له، حتى إنه عندما تقدم العضو سيد جلال فى نهاية شهر أكتوبر ١٩٥٧ بسؤال لوزير الزراعة عن ذلك المشروع يطالبه فيه موافاة المجلس بتكاليف استصلاح الفدان بهذه المديرية وعدد الموظفين التابعين لها بكل من القاهرة والإسكندرية ، وكذا عدد السيارات التى تقوم باستخدامها وتكاليف تشغيلها وصيانتها إلى آخر مثل هذه البنود المتصلة بطبيعة المشروع ، فقد لقى السؤال استحساناً شديداً من جمهور الشعب ، بل واعتبر سيد جلال بطلاً ليتقدم [يقصد: إذ تقدم] بمثل هذا السؤال».

هكذا يبلور البغدادى صورة النائب سيد جلال فى الوجدان الشعبى حين مكنته شجاعته من أن يتقدم بسؤال حول هذا اللغط ، ويصل البغدادى إلى التعبير عن المكانة التى وصل إليها النائب سيد جلال بفضل شجاعته فيصفها بأنها أصبحت بطولة ، ويردف البغدادى بذكر بقية القصة فيقول :

«.... وكان سيد جلال نفسه قد تقدم إلىّ بسؤال آخر بعد تقديم سؤاله السابق بعدة أيام وموجه منه أيضاً إلى وزير الزراعة ويسأله فيه عما إذا كان صحيحاً أن بعضاً من أعضاء مجلس الأمة يتولون وظائف فى مديرية التحرير رغم أن قانون عضوية المجلس يمنع الجمع بين الوظيفة والعضوية بالمجلس. ولما سألته عن أسماء هؤلاء الأعضاء الذين يشير إليهم فى سؤاله ، لم يكن يعلم من أسمائهم إلا اسما واحدا فقط ، ولكنه أفاد أنه يرغب بسؤاله التأكد من صحة هذه الشائعة أو عدم صحتها ، وذلك حفاظاً منه على كرامة أعضاء المجلس».

❑

ويشير عبد اللطيف البغدادى إلى أن التنسيق بينه وبين الرئيس جمال عبد الناصر فيما يتعلق بعمل مجلس الأمة كان كاملا:

«وقد قمت بإدراج هذا السؤال بجدول أعمال المجلس ، كما أخطرت به جمال

عبدالناصر والخطوة التى اتخذتها وضرورة التصدى لهذا الانحراف من هؤلاء الأعضاء إن تبين صحة ما جاء بالسؤال ، وتجاوب معى جمال فى هذا الاتجاه تجاوباً كاملاً».

كذلك يشير البغدادى إلى ما حدث من تجاوب من أعضاء مجلس الأمة أنفسهم بمجرد نشر خبرعن توجيه السؤال:

«لما نشر هذا السؤال المقدم من سيد جلال فى الصحف أثار ضجة خاصة بين أعضاء مجلس الأمة أنفسهم حرصاً منهم على كرامتهم ، وتحمسوا ضد هؤلاء الأعضاء الذين سمحت لهم نفوسهم بقبول العمل بالمشروع رغم شك المجلس فى بعض تصرفات القائمين عليه ومطالبتهم بالتحقيق فيما يثار حوله من أقاويل وشائعات ، ولم يكن قد نشر بالجريدة التى قامت بنشر السؤال أسماء الأعضاء المقصودين به ، ولكن بعد يومين من نشره قامت جريدة الأهرام بنشر أسمائهم التى لم يكن لدىّ علم بها حتى تلك اللحظة ، وقد قرأت أسماءهم بها كأى مواطن آخر. وذكرت الجريدة أسماء كل من إسماعيل نجم ، وأحمد شفيق أبو عوف ، وحيرم الغمراوى ، والدكتور محمود القاضى».

❑

ويذكر عبد اللطيف البغدادى أنه حاول الضغط على وزير الزراعة حتى يتقدم للمجلس بالبيانات المطلوبة عن مديرية التحرير:

«... وكنت قد طلبت من وزير الزراعة عبدالرزاق صدقى موافاة المجلس ببيانات هذا الموضوع بعد تقديم السؤال مباشرة ، وكان ذلك يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٧ ، ولكنه أبلغنى أنه سيتقدم باستقالته من الوزارة قريباً للعمل فى هيئة الأغذية الدولية التابعة لهيئة الأمم المتحدة. ولكننى حملته مسئولية تقديم تلك البيانات المطلوبة منه مادامت مسئوليته لا تزال قائمة. وفى اليوم التالى لهذا الحديث معه أرسل [أى عبدالرزاق صدقى وزير الزراعة] إلىّ صورة خطاب أرسله إلى مجدى حسنين عضو مجلس الإدارة المنتدب للمشروع ، وعضو مجلس الأمة كذلك ، ومن ضمن الضباط الأحرار أيضاً ، وقد طالبه فيه بتقديم تلك المعلومات المطلوبة والواردة فى السؤالين المقدمين من سيد جلال. وعلمت أن وزير الزراعة قد تقدم فى نفس اليوم أيضاً بخطاب إلى رئيس الجمهورية يطلب منه فيه قبول استقالته. وحتى يوم ٤ نوفمبر ١٩٥٧ لم تكن قد وصلتنى أية معلومات رسمية عن السؤالين عندما أثير الموضوع بالمجلس وطلب إجراء تحقيق فيه».

ويعود عبد اللطيف البغدادى لرواية رد فعل أعضاء مجلس الأمة ، وتنبئنا روايته عن مدى حرص هؤلاء النواب على الصواب والكرامة والقيم الخلقية الرفيعة ، وهو ما يحسب لمجتمع الثورة فى ذلك الوقت المبكر ، وإن كانت هذه الأخلاق المجتمعية سرعان ما تغيرت وتبدلت:

«.. ... وكان قد زارنى فى مكتبى بالمجلس عدد كبير من الأعضاء يوم ٢ نوفمبر على إثر ما نشر فى الصحف ، وكان تحمسهم شديداً لإسقاط عضوية المجلس عن زملائهم الأعضاء الذين قبلوا العمل بالمشروع ؛ بل وكان الكثير منهم يطالب بضرورة تنحية هؤلاء الأعضاء فوراً عن العضوية وقبل أن يتخذ المجلس قراراً فى الموضوع ،كما أن هؤلاء قد أثاروا أيضاً موقف مجدى حسنين من هذه المخالفة وصلته بها ، وقد شبهوا تلك الصلة بينه وبين هؤلاء الأعضاء موضوع السؤال ، كالصلة القانونية بين الراشى والمرتشى وضرورة محاسبة كليهما ، باعتبار أن مجدى هو الراشى فى هذه الحالة بغرض دفع هؤلاء الأعضاء إلى الدفاع عن المشروع بالمجلس».

ونفاجأ فى رواية البغدادى بأن تطور الموقف قد دفع الرئيس جمال عبد الناصر نفسه إلى التفكير فى التخلص من مجدى حسنين ، وأنه برر هذا بخضوع مجدى حسنين لتأثير الشيوعيين وتنفيذه لسياستهم! وفى الوقت ذاته فإن جمال عبد الناصر كان يرى أن الأفضل أن يتم هذا من وراء الستار حتى لا يظهر أنه هو أو البغدادى يؤيدان التخلص من مجدى حسنين على هذا النحو ، ونحن نرى البغدادى يعبر عن هذا المعنى فى قوله:

« .... ولما وجدت تلك الروح من الأعضاء اتصلت بجمال عبد الناصر وأبلغته باتجاههم وتحمسهم ضد زملائهم الذين قبلوا العمل بالمشروع ونحو مجدى حسنين كذلك والصفة التى وصفوه بها ، ووافق جمال على هذا الاتجاه منهم وضرورة التخلص من هؤلاء الأعضاء ومن مجدى أيضاً ، لأنه ـ على حد قوله ـ قد أثر عليه الشيوعيون وأصبح ينفذ سياستهم».

«ولكنه ـ أى جمال ـ كان يرى أنه من المستحسن ألا نظهر وكأننا نعمل على دفع أعضاء المجلس إلى التخلص من مجدى ، وعلينا أن نتركهم يسيرون فى هذا الاتجاه المتحمسين له».

وهنا يردف البغدادى بالاعتراف بأنه لم يكن قادراً على أن ينفذ أسلوب جمال

عبدالناصر لأنه كان فى حديثه للأعضاء حريصا على أن يبدو (وعلى أن يكون كذلك) متحمساً ومنحازاً للوضوح والأمانة والطهارة ، وهو يقول :

«ولكننى كنت فى حديثى مع أعضاء المجلس أشعرهم بالجاهى وضرورة محاسبتهم محاسبة عسيرة ، وأذكرهم بمسئولياتهم نحو تحقيق هدف رئيسى من أهداف الثورة ، وهو إقامة حياة نيابية سليمة ، وأن التهاون منهم فى هذا الموضوع ربما يتلوه تهاون آخر ثم الانحراف والبعد عن تحقيق ذلك الهدف السامى ، وأنه من الواجب علينا أن نقوم أنفسنا بأنفسنا ، وأن نعمل على المحافظة على ثقة الشعب فينا ، وأن نؤكد له أننا قادرون على تحمل مسئولية تحقيق هذا الهدف ، وكان واضحاً أن أغلبية أعضاء المجلس على قناعة كاملة بضرورة إسقاط العضوية عن هؤلاء الأعضاء موضع السؤال إن ثبتت إدانتهم».

ثم يروى البغدادى قصة محاولات الأعضاء المتورطين توجيه دفة الموضوع فى اتجاه آخر هو حمايتهم(!!) من الصحافة ، وهى الذريعة التى أصبح يلجأ إليها كل مَنْ كان فى مثل وضعهم:

«.... ولكن فى يوم ٣ نوفمبر ١٩٥٧ ـ وهو اليوم السابق لانعقاد المجلس بعد عودته من العطلة الصيفية ـ كان قد وصلنى خطاب موقع عليه من مجدى حسنين وبعض أعضاء لجنة الشئون الصناعية بالمجلس ، منهم الدكتور محمود القاضى ، وأحمد أبو عوف ، وسعد خضر ، ومحمد قاسم ، وبعض أعضاء آخرين. وقد جاء فى خطابهم «إن بعض الجرائد دأبت أخيراً على التقول على بعض أعضاء المجلس بما يمس كرامتهم وتسعى هذه الصحف إلى إيجاد الفرقة بين أعضاء المجلس ورئيسه ، ونطلب منكم المحافظة على كرامة أعضاء المجلس واتخاذ الإجراءات فوراً الكفيلة بحماية الأعضاء من هذه الصحف ، على أن يعرض هذا الخطاب على المجلس فى أول انعقاد له ، أى يوم ٤ نوفمبر ، لاتخاذ قرار فى هذا الشأن ولإبلاغه الإجراءات التى اتخذتها».

ويبدو أن البغدادى وجد فى هذا [الخطاب] فرصة لفتح الموضوع الذى كان معرضاً لأن يتأخر فتحه بسبب استقالة وزير الزراعة ، وهكذا فإنه تطرق مباشرة إلى أن اقترح على الرئيس جمال عبد الناصر أن ينحى مجدى حسنين ، ومن الجدير بالنظر أن عبدالناصر قد استجاب لاقتراح البغدادى ، وأبعد مجدى حسنين عن إدارة المشروع بالفعل:

« ... ولقد وجدت فى خطابهم هذا الفرصة لفتح موضوع السؤال الخاص بهؤلاء الأعضاء الذين قبلوا العمل بالمشروع ، وعدم انتظار رد وزير الزراعة عليه الذى سيطول نظراً لاستقالته ، وحتى يتمكن المجلس من أخذ قرار فيه ووضع حد له وإنهائه ، وقمت بإبلاغ جمال عن الخطاب الذى وصلنى من مجدى وهؤلاء الأعضاء وأفصحت له عن اتجاهى وعن أننى سأقوم بإثارة الموضوع فى المجلس دون انتظار رد وزير الزراعة ، واقترحت عليه أن يقوم بإصدار قرار باستبعاد مجدى من وظيفته بالمشروع بعد هذا الذى حدث منه ، وعلى أن يصدر هذا القرار قبل يوم ٤ نوفمبر ، أى قبل انعقاد المجلس ، وذلك حتى لا يعتقد أعضاء المجلس خطأ أن مجدى مسنود من جمال نفسه. ولقد اتفق معى فى هذا الرأى ، وقام بإصدار قرار استبعاد مجدى فى نفس اليوم قبل الظهر ، وأمر بإذاعته فى نشرة أخبار الساعة الثانية والنصف من بعد الظهر ، وابتهج الشعب بهذا القرار ، وكسب جمال من ورائه مكسباً شعبياً ، ذلك لأنه كان هناك شعور عام من أغلبية أفراد الشعب بعدم الرضا عن طريقة مجدى فى إدارته لمشروع مديرية التحرير».

وبعد صدور هذا القرار «الشعبى» أو تبلوره نجد عبد اللطيف البغدادى يروى رد الفعل المباشر له ، ويتطرق إلى موقف الرئيس عبد الناصر نفسه وهو يجيد تصوير النوازع الإنسانية فى شخصية جمال عبد الناصر على نحو ما صادفها (!!) فى هذا الموقف الذى سرعان ما أصبح معقداً:

«.... ولكن بعد ظهر يوم ٤ نوفمبر اتصل بى جمال وأبلغنى أن مجدى حسنين قد ذهب إليه وأخذ يبكى ويقول له: «لماذا تعمل كده.. لماذا تقتلنى» كما أبلغه أن زوجته ووالده فى حالة انهيار عصبى. ولما رأى جمال ذلك قام بالاتصال بهما وطمأنهما ، وطلب من مجدى أن يذهب إلى استراحة القناطر الخيرية ويبقى بها ولا يغادرها إلا بأمر منه. ولكننى [الحديث للبغدادى] طلبت منه ضرورة تواجد مجدى فى اجتماع المجلس الذى سينعقد مساء نفس اليوم لأن الأمر يتطلب من مجدى أن يقوم بالدفاع عن نفسه أمام المجلس عندما يثار موضوع الخطاب المرسل إلىّ منه ومن الآخرين. وقد وافقنى جمال على هذا الرأى ، وأبلغ مجدى أن يقوم بحضور اجتماع المجلس ، ونبه عليه بعدم الكلام فيه إلا إذا طلب منه المجلس ذلك».

ثم نأتى إلى جوهر ما يرويه البغدادى عن الحوارات التى دارت بين كبار رجال الثورة ، وتنبئنا روايته عن مدى ما كانت أفكارهم تتمتع به من البراءة ، وسنراهم سواء فى ذلك جمال عبدالناصر أو البغدادى أو زكريا محيى الدين أو أنور السادات أو على صبرى أقرب ما يكونون إلى الحق والصواب:

« .... وقبل أن ينعقد المجلس بخمس دقائق وكنت بمكتبى ومعى زكريا محيى الدين وأنور السادات وعلى صبرى ، علمت من زكريا أن الاتجاه ـ على حد قوله ـ هو أن يطلب من الوزراء الامتناع عن التصويت فى موضوع فصل هؤلاء الأعضاء من عضوية المجلس إن كان المجلس سيأخذ قراراً فى هذا الشأن فى تلك الجلسة ، وأن هذا الاتجاه الذى أشار إليه هو رأى جمال عبد الناصر. ولكننى أوضحت لزكريا أن لائحة المجلس تنص على ضرورة أن يقوم العضو الممتنع عن التصويت بتفسير سبب ذلك الامتناع ، وتساءلت: كيف سيفسر هذا الامتناع منهم؟ فأجابنى [أى زكريا]: يُقال إن الحكومة ترى أن ينبثق هذا القرار من المجلس نفسه. وعندما أوضحت له أن كل وزير عضو بالمجلس لا يعتبر فى هذه الحالة ممثلاً للحكومة ، قام بالاتصال تليفونياً بجمال وأبلغه بهذا الرأى الذى ذكرته ، فرد عليه جمال بقوله: «يوافق الوزراء على إسقاط العضوية عن الأعضاء ولا يوافقوا على إسقاطها عن مجدى».وتكلمت مع جمال وأبلغته أن هذا الموقف من الوزراء إن تم سيؤخذ على النظام وسيؤثر على سمعته ، وأنه يمكنه فيما بعد العمل على إيجاد حل لمشكلة مجدى بطريقة أخرى. كما تكلم معه كل من أنور وعلى صبرى فى هذا الاتجاه الذى ذكرته له كذلك».

«وتحدث إلىّ جمال ثانية بعد حديثهما معه وتساءل عما إذا كان من الممكن علاج موضوع مجدى بعد ذلك ، وأن إسقاط عضوية المجلس عنه فيها قسوة ، ولكننى ذكرت أنه ليس أمامنا من حل غير ذلك الحل ، لأن أعضاء المجلس يحملونه نفس المسئولية التى يأخذونها على الأعضاء الآخرين الذين قبلوا العمل بالمشروع».

«وتم اتفاقنا فى نهاية الحديث على محاولة جعل المجلس يؤجل أخذ قراره فى فصل هؤلاء الأعضاء إلى ما بعد رفع الجلسة للاستراحة حتى يتسع لنا الوقت للتفكير فى حل مناسب يمكن به إنقاذ مجدى من هذا الوضع وعدم فصله من عضوية المجلس».

«كان هذا هو اتجاه جمال مساء يوم ٤ نوفمبر قبل افتتاح جلسة المجلس مباشرة ، رغم أنه كان قد اتصل بى تليفونياً بعد ظهر ذلك اليوم ، ولكنه لم يكن قد غير رأيه بعد إلى هذا الاتجاه الجديد. ولم أعرف بهذا الاتجاه الجديد منه إلا من زكريا قبل انعقاد المجلس مباشرة حتى أننا تأخرنا فى افتتاح الجلسة مدة ربع ساعة عن موعدها نتيجة هذا الاتصال التليفونى معه. وفى تلك الجلسة كان كل أعضاء المجلس متواجدين تقريباً ، وحتى شرفات الزائرين لم يكن فيها مكان خال ، والكل متوقع أن هناك حدثاً سيثار ، وذلك لأن الصحافة كانت قد نوهت بذلك».

ويستأنف البغدادى حديثه عن التطورات التى انتهى إليها الموقف ، ويقول:

«.... وبعد أن افتتحت جلسة المجلس أشرت فى حديثى إلى الأعضاء عن الرسالة التى وردت إلىّ من مجدى ومن زملائه الأعضاء الآخرين ، وتلوت عليهم أسماء الموقعين عليها ، ثم تلوت الرسالة نفسها. وبعد انتهائى من تلاوتها قلت: «قبل أن ندخل فى تفسير مضمون الرسالة والقصد منها ، أحب أن أخبر المجلس أننى أشعر أن كرامتى من كرامة الأعضاء ، وأننى أعمل على الحفاظ على كرامة كل عضو فى المجلس كمحافظتى على كرامتى تماماً ، وواجب كل فرد منا أن يعمل على المحافظة على كرامته لأن كرامته من كرامة هذا المجلس ، ولكن مَنْ لا يحافظ من الأعضاء على كرامته لا يمكنه أن يطالبنى بأن أعمل على الحفاظ على تلك الكرامة ، بل أرى أن من واجب المجلس أن يطالب كل عضو فيه أن يعمل على المحافظة على كرامته لأن تصرفات كل منهم تنعكس على المجلس كله».

«ومستطرداً فى حديثى قلت: إن الصحافة حرة وحريتها مقدسة عندنا جميعا، وأن هناك قانوناً يحدد وينظم العلاقة بينها وبين الأفراد ، وإنه فى حدود هذا القانون يمكن مساءلة الصحافة. وعند هذا الحد أنهيت كلمتى ، وطلبت من الأعضاء الموقعين على تلك الرسالة أن يشرحوا للمجلس الغرض من هذه الرسالة والقصد منها ، وأن يحددوا تلك الموضوعات التى أثارتها الصحافة واعتبروها ماسة بكرامة الأعضاء ، وأن يشرحوا للمجلس أيضاً كيف تعمل الصحافة على الوقيعة بين أعضاء المجلس ورئيسه كما جاء برسالتهم».

❑

على هذا النحو يقدم البغدادى صورة حديثه وحديث الأعضاء «المتهمين» عن شكواهم ، ثم هو يلخص حديثهم فيقول:

«وعلى إثر ذلك قام العضو أحمد أبو عوف وهو أحد الموقعين على الرسالة و طلب الكلمة ، كما أنه أيضاً أحد الأعضاء الذين وردت أسماؤهم فى جريدة الأهرام : أنهم يعملون بمشروع مديرية التحرير ، وقد بدأ يتكلم وهاجم الصحافة أنها تثير موضوعات تمس كرامة الأعضاء فى المجلس ، ولكنه كان يحاول فى نفس الوقت الابتعاد عن فتح أو الإشارة إلى موضوع الأعضاء الذين يعملون بالمشروع ، ولكن تحت ضغط أعضاء المجلس ومطالبتهم له بذكر الأسباب التى دفعتهم إلى إرسال تلك الرسالة اضطر إلى الإفصاح عن الدافع وراء ذلك ، وهو ذكر أسماء مَنْ يعملون بالمشروع على صفحات الجرائد».

«ولقد أخذ بعض أعضاء المجلس بعد هذا الإفصاح منه يسألونه عن صحة الخبر ، وعما إذا كان يعمل فعلاً بالمشروع من عدمه ، فبدأ يدافع عن نفسه بحالة من الانفعال والعصبية لشعوره بأنه قد تورط فعلاً فى هذا الأمر ، ولا يجد لنفسه المبرر المقنع ليرد به على زملائه ، مما أثار الشفقة عليه فى نفوس الأعضاء جميعاً وفى نفسى كذلك».

....

هكذا نفهم من النصوص التى يوردها عبد اللطيف البغدادى أن أحمد شفيق أبو عوف كان قد لجأ إلى العصبية والانفعال ، أما الدكتور محمود القاضى [وهو نفسه نجم المعارضة البرلمانية فى السبعينيات] فقد اعتذر بأنه لم يعلم أن فى هذا العمل مخالفة قانونية ، وأما العضو الثالث إسماعيل نجم فلجأ إلى حيلة قصيرة النظر وهى تكذيب ما روى:

«وقام من بعده ليتكلم الدكتور محمود القاضى ، وأخذ هو كذلك يدافع عن نفسه ذاكراً أنه قبل العمل بالمشروع علناً ، ولكنه لم يكن يعلم أن فى هذا مخالفة قانونية ، ومن أنه يعتذر للمجلس عن هذا الخطأ الذى صدر منه والذى وقع فيه بحسن نية ، وكرر اعتذاره له عدة مرات ، وكنت أحس الصدق فى كلامه ، وأحسست بعطف المجلس عليه كذلك».

....

نتوقف هنا لنشير إلى أن البغدادى فى رواية تالية يورد رواية مناقضة فى بعض جزئياتها لهذه الرواية فيما يتعلق بالدكتور محمود القاضى ، ونستأنف قراءة ما يرويه عبد اللطيف البغدادى فى كتابه :

«.... ثم طلب العضو إسماعيل نجم الكلمة ، وأخذ يدافع عن نفسه ، وأنكر إنكاراً باتاً أنه يعمل بالمشروع وتحدى الحكومة فى ذلك ، ولما سألته عن بيانه الذى كان قد نشره فى الصحف من أنه يعمل فعلاً مستشاراً قانونياً لمديرية التحرير ، أجاب بأن هناك تحريفا فيما نشر ، ومن أنه سيتناول هذا فى دفاعه ، ولكنه لم يشر إليه ، ولم يحصل على عطف أحد من زملائه أعضاء المجلس لأنهم كانوا يعلمون أنه لم يذكر الحقيقة ، وقد اتضح ذلك فيما بعد من التحقيق».

«وبعد أن انتهى الثلاثة من كلمتهم تناول بعض أعضاء المجلس هذا الموضوع بالتعليق عليه من الناحية الدستورية ، كما تقدم البعض الآخر منهم باقتراح إسقاط العضوية عن مجدى حسنين والأعضاء الأربعة الآخرين. كما اقترح بعض آخر منهم إجراء تحقيق فى الموضوع ، وعلى أن يقوم المجلس بإصدار قراره بعد الاستماع إلى تقرير اللجنة التى ستباشر هذا التحقيق المقترح ، وعرضت على المجلس تأجيل اقتراح إسقاط العضوية عنهم والنظر فى تشكيل لجنة للتحقيق ، ووافق المجلس على ذلك بأغلبية الأصوات. وأوكل الأمر إلى لجنة الشئون الدستورية بالمجلس لإجراء هذا التحقيق المطلوب ، وعلى أن تتقدم إلى المجلس بتقريرها فى جلسة يوم الأربعاء ٦ نوفمبر ١٩٥٧».

ثم يروى البغدادى تفصيلات ما دار من حوار بينه وبين الرئيس جمال عبد الناصر عقب انتهاء مداولات المجلس فى هذا الموضوع ، وسنرى البغدادى نفسه قد بدأ يميل إلى تخفيف العقوبة عن الأعضاء ، وأن زكريا محيى الدين كان موافقا للبغدادى على هذا الرأى:

« .... وبعد أن انتهى اجتماع المجلس اتصل بى جمال تليفونياً وتحدثنا فيما دار فى الجلسة ، وكان قد استمع إليها عن طريق الجهاز الموصل بين قاعة المجلس ومكتبه بالمنزل ، وطلب منى فى ختام حديثنا أن أقوم بالمرور عليه بمنزله فى صباح اليوم التالى وأنا فى طريقى إلى مكتبى بالمجلس».

«وفى يوم الثلاثاء ٥ نوفمبر ذهبت إلى جمال فى الصباح والتقيت به ، ولكننى لاحظت أثناء دخولى إلى منزله أن هناك بعض من أعضاء مجلس الأمة الذين هم أصلاً من الضباط الأحرار متوجهين إلى المنزل الذى يشغله حرس جمال وسكرتاريته الخاصة والمواجه مباشرة لمنزله».

«وفى أثناء حديثى مع جمال وكان زكريا محيى الدين متواجدا ، اقترحت عليه استبعاد إسقاط العضوية عن هؤلاء الأعضاء بعد ذلك الموقف الصعب الذى واجهوه فى اليوم السابق فى المجلس أمام زملائهم ، وأن فى هذا [درساً كافيا] لهم ، وأنه يكفى لومهم فقط إن ثبتت إدانتهم خاصة أن البعض من أعضاء المجلس نفسه كانوا قد أصبحوا غير متحمسين لإسقاط العضوية عنهم خوفاً من أن يقفوا هم أنفسهم هذا الموقف نفسه فى المستقبل وشعورهم أيضاً بهذا الخطر. وكان زكريا متفقاً معى فى هذا الرأى ، وقد لمس عطف الأعضاء عليهم أثناء دفاعهم عن أنفسهم أمام المجلس».

ومع هذا التعاطف فإن البغدادى نفسه يبدأ فى الإحساس بضرورة التمسك بالقانون ، واحترامه ، واحترام النفس عندما تتنامى إلى سمعه الشائعات القائلة بأن الرئيس عبد الناصر كلف مستشاره القانونى بالبحث عن مخرج قانونى يجعل التصرف المعيب شيئاً لا غبار عليه ، وهو ما حدث بالفعل حيث كيفت اللجنة القانونية الموضوع بطريقة مستفزة فاعتبرت أموال مديرية التحرير أموال مؤسسة خاصة!!:

«وقمت بالانصراف من منزله مع زكريا وتوجهنا إلى مكاتبنا ، وفى أثناء تواجدى بمكتبى حضر إلىّ بعض الأعضاء من المجلس وكان قد مضى حوالى ساعتين من انصرافى من عند جمال ، وأبلغنى هؤلاء الأعضاء أن هناك شائعات تدور بين أعضاء المجلس على أن اتجاه الرئيس جمال هو عدم اتخاذ أى إجراء مع هؤلاء الأعضاء موضع التحقيق ، وأنه لا يرضى عن هذا الذى يجرى ، ولا يوافق على هذه القسوة ، وأن البغدادى قد تصرف دون علمه بذلك. كما علمت من بعض أعضاء آخرين أيضاً أن هناك ضغطاً على أعضاء اللجنة القائمة بالتحقيق ـ لجنة الشئون الدستورية بالمجلس ـ من العضو محمد فهمى السيد ، وهو المستشار القانونى لرئيس الجمهورية أيضاً ، وأنه يتكلم باسم الرئيس على أنه ـ أى الرئيس ـ يرغب فى تسوية الموضوع وذلك بأن تعتبر مديرية التحرير مؤسسة خاصة لا عامة حتى لا تصبح هناك مخالفة قانونية من هؤلاء الأعضاء موضع التحقيق ، رغم أن ميزانية مديرية التحرير من الأموال العامة ومدرجة بميزانية الدولة و خاضعة لرقابة المجلس».

....

هكذا فوجئ عبد اللطيف البغدادى بهذا المنطق على الرغم من أنه كان فى لقاء مع الرئيس عبد الناصر قبل ساعتين فقط ، وهو يروى انطباعاته عن هذا الموقف الذى وجد نفسه فيه على النحو التالى:

«.... ولم أصدق ما سمعته من هذه الشائعات ، وأن جمال (أى الرئيس جمال عبدالناصر) هو الذى يقف وراء ما يجرى ، لذا قمت بالاتصال به تليفونياً وأبلغته عما يدور بين الأعضاء من شائعات ، وعن موقف مستشاره القانونى داخل اللجنة الدستورية القائمة بالتحقيق ، ولكنه أخبرنى أنه قام فعلاً باستدعاء بعض أعضاء المجلس من الذين يثق بهم ـ على حد قوله ـ وذاكراً لى أسماء لطفى واكد ، وحمدى عبيد ، وكمال رفعت ، ومحمود الجيار ، وإبراهيم الطحاوى ، وأحمد طعيمة ، وعدة أسماء أخرى ، وأنه قد طلب منهم الاتصال بباقى أعضاء المجلس والعمل على عدم اتخاذ قرار يدين هؤلاء الأعضاء ، وأن ذلك بغرض إنقاذ مجدى حسنين على حد تعبيره».

....

ويردف عبد اللطيف البغدادى بالحديث عن حقيقة مشاعره تجاه هذا الموقف الذى اتخذه الرئيس جمال عبد الناصر فيقول:

«ولقد ضايقنى هذا التصرف منه (أى من الرئيس جمال عبد الناصر) خاصة أننى كنت معه فى الصباح ولم يشأ أن يبلغنى بما انتواه ، وحاولت أن أفهم ماذا يرمى من وراء هذه الخطوة ، وكان قد نتج عن هذا الموقف وما يشاع بين الأعضاء بلبلة فكر بينهم لأنه كان قد سبق وقيل لهم لابد من تطهير أنفسنا من مثل هذه العناصر وضرورة اتخاذ قرار حاسم بشأنهم حتى نضمن استمرار حياة نيابية سليمة وهى هدف كبير ، ولكن اليوم يُطلب منهم الاعتداء على الدستور ، والعمل على حماية انحراف واضح قد حدث فعلاً ، وأن يغير الوضع القائم بمديرية التحرير ، وأن تعتبر مؤسسة خاصة لا تملكها الدولة ، لا لشىء إلا لحماية انحراف قد حدث».

«وكان الضغط على أعضاء لجنة الشئون الدستورية لا يزال مستمراً حتى صباح الأربعاء ٦ نوفمبر ١٩٥٧ ، وبعض أعضاء تلك اللجنة قد تهربوا من حضورها تجنبا لهذا الموقف الشائك كالأستاذ فتحى الشرقاوى ، ولكن صديقه صلاح دسوقى قد اتصل به بأمر من جمال ليؤثر عليه حتى ينضم للرأى القائل بأن مديرية ا لتحرير مؤسسة خاصة وهو كان يصر على موقفه».

ينبغى لنا أن نشير هنا إلى أن الأستاذ فتحى الشرقاوى الذى ورد ذكر اسمه كان فى ذلك الوقت بمثابة عميد نواب محافظة البحيرة ، وكان محاميا كبيرا رفيع القدر وقد

اختير وزيراً للعدل فى عهد الثورة ، وكان بمثابة المحامى الوحيد الذى وصل إلى منصب وزير العدل فى عهد الثورة.

ثم يلخص عبد اللطيف البغدادى ما انتهى إليه الموقف :

«... ولكننى عند الظهر وقبل مغادرتى لمكتبى علمت بأن الضغط قد انتصر فى النهاية وحقق غرضه ، وأن الغالبية من أعضاء اللجنة قد استسلمت لهذا الضغط الواقع عليهم واعتبرت اللجنة أن مديرية التحرير مؤسسة خاصة ، وبدأت تعد تقريرها الذى ستعرضه على المجلس فى المساء على هذا الأساس الجديد ، وبذا يصبح تصرف هؤلاء الأعضاء لا غبار عليه إن أقر المجلس هذا التقرير الذى ستعرضه عليه اللجنة».

ويروى البغدادى تفاصيل الجلسة الحاسمة التى عقدها مجلس الأمة على النحو التالى:

«وفى مساء يوم ٦ نوفمبر انعقد المجلس ، وقد تواجدت الأغلبية العظمى من أعضائه ، ولم يتخلف أحد منهم إلا القليل جداً ، بل وامتلأت أيضاً شرفات المجلس بالزائرين ، وقام مقرر اللجنة الدستورية السيد يواقيم غبريال بتلاوة تقرير اللجنة على المجلس ، واعتبرت (أى اللجنة فى تقريرها) أن مديرية التحرير مؤسسة خاصة ، وأن التصرف الذى حدث من هؤلاء الأعضاء موضع التحقيق فى حدود القانون ، ولا مأخذ عليهم فيه ، وأخذ رأى المجلس على تقرير اللجنة وما ورد فيه ، فوافقت الأغلبية المطلقة ، ولكننى أعلنت أن القرار بالإجماع تهكماً منى على هذا الوضع الغريب!!!».

هكذا كان البغدادى قد وصل إلى أقصى درجات الحيرة ، حتى إنه آثر التهكم على ما رآه يجرى أمامه بعد ما جرى من وراء ظهره!! وهو يعبر بأسى شديد وأسف بالغ عن هذا الشعور النفسى الذى اجتاحه فيقول:

«ولم يجرؤ أحد من أعضاء المجلس على مناقشة تقرير اللجنة أو مخالفتها فى الرأى بعد أن حاول العضو شعبان [كذا فى الأصل ولست أدرى مَنْ هو المقصود] الاعتراض عليه وقيام بعض الأعضاء بمهاجمته وقولهم له: هل تأكل لحم أخيك ميتاً؟ ولم يتمكن بل ولم يتمالك نفسه بعد ذلك من الاستمرار فى إبداء رأيه فصمت ثم جلس رغم محاولتى حمايته منهم عسى أن يشجع موقفه آخرين. ولكن حدث أن [حديث] كل من تكلم ـ وعددهم قليل ـ كان تأييداً منهم لتقرير اللجنة».

ويواصل البغدادى الحديث عما اعتمل فى نفسه نتيجة هذا الموقف الذى واجهه ، ونحن نراه فى روايته لوجهة نظره يحاول التحوط من كل ناحية ، مع أنه ليس فى حاجة إلى كل هذا التحوط:

«وقدرت أن المجلس ـ بعد هذا الموقف منه ـ لابد سيفقد الكثير من هيبته ومن تقدير الشعب له ، لأنه حتى لو كانت مديرية التحرير مؤسسة خاصة كما جاء بتقرير اللجنة ، لكان هناك خطأ أدبياً على الأقل قد وقع فيه هؤلاء الأعضاء لقبولهم العمل بها وهى موضع تحقيق من المجلس».

«وكنت خلال تلك الجلسة التى أعلنت فيها اللجنة تقريرها أحاول أن أكون هادئ الأعصاب حتى لا يُظن خطأ كما كان يثار من أدوات الضغط أن لىَّ اتجاهاً خاصاً لخلافات شخصية بين مجدى وبينى ، مع أن مَنْ يطلع على مضابط جلسات المجلس فى أثناء مناقشته لهذا المشروع وما أثير حوله يجد أن موقفى من مجدى ومن المشروع ذاته مخالف تماماً لما يدعون».

«وكنت قد فضلت لنفسى الانتظار والاحتفاظ برأيى على هذا القرار الذى اتخذه المجلس إلى الجلسة التالية له ، ذلك أننى وجدت أن هناك تحمساً شديداً ومفتعلاً من كثير من الأعضاء لقرار اللجنة ، وقدرت أننى لن أتمكن من إبلاغ وجهة نظرى إلى المجلس بالصورة التى أرضاها مع هذا الحماس المفتعل ، وقد رأيت أنه من الأفضل أن أنتظر حتى يتضح لأعضاء المجلس مدى الخسارة التى وقعت عليهم عندما يحسون باهتزاز ثقة الشعب فيهم بعد أخذهم ذلك القرار ، وأنه عندئذ يمكننى أن أعلن عن رأيى فى قرار المجلس وأن أتقدم باستقالتى ، وذلك لأن المجلس قد ارتكب مخالفة دستورية بأن اعتبر مديرية التحرير مؤسسة خاصة لا عامة رغم علمه أن الأموال المخصصة للإنفاق عليها هى من الأموال العامة ومدرجة فى ميزانية الدولة وخاضعة أيضاً لرقابة المجلس نفسه».

ثم نأتى إلى ما يورده عبد اللطيف البغدادى فى مذكراته عن إعلان استقالته من رئاسة المجلس وإعلان استقالة كمال الدين حسين من عضوية ذلك المجلس:

«... وفى يوم الخميس ٧ نوفمبر ، أى فى اليوم التالى لقرار المجلس ، أرسل إلىّ كمال الدين حسين خطابا يبلغنى فيه استقالته من عضوية مجلس الأمة ، ولما اتصلت به تليفونياً لأستفسر منه عن سبب تلك الاستقالة قال: إنه لا يحب أن يستمر عضواً فى

المجلس بعد أن اتخذ هذا القرار الخاص بمديرية التحرير ، ولما طلبت منه الاتصال بجمال وإبلاغه بقراره اعتذر ، ولما أكد على ضرورة إبلاغ المجلس بالاستقاله فى أول اجتماع له وعدته بذلك إن لم يقم هو بطلب سحبها قبل مساء يوم الأثنين ١١ نوفمبر ، وهو موعد انعقاد المجلس ، وقمت بإبلاغ جمال تليفونياً عن استقالة كمال حتى لا يعتقد خطأ أننى قد تعمدت إخفاءها عنه إن لم أعلمه بها».

«وحتى مساء يوم ١١ نوفمبر لم يكن كمال الدين حسين قد طلب منى سحب تلك الاستقالة ، وأما بالنسبة لموقفى من استقالتى فكان القرار لا يزال قائماً حتى ذلك المساء ، ولم أعلم به أحداً غير زوجتى التى أبلغتها بما انتويته ، وقد وجدت منها تفهماً لموقفى وتشجيعاً لىَّ على ما استقر عليه رأيى ، وقد تعمدت عدم إبلاغ أحد به وأن يظل سراً حتى لحظة إعلانه على أعضاء المجلس حتى لا أعطى فرصة لاتخاذ ترتيبات التصدى لما أنا مقدم عليه».

«وفى ذلك المساء بعد أن بدأت الجلسة أعلنت على المجلس رسالة السيدكمال الدين حسين الخاصة باستقالته ، وقد قامت ضجة على إثر إعلانها من بعض الأعضاء ، فمنهم من يود معرفة سبب هذه الاستقالة ، ومنهم مَنْ يطلب من المجلس رفضها وعدم قبولها، ومنهم مَنْ يثير دستورية حق المجلس فى قبول الاستقالة من عدمه. ولم يكن كمال موجوداً فى الاجتماع حتى يفسر لهم سبب تقديم الاستقالة ، وقد رأيت أن أوضح للأعضاء أنه طبقاً للائحة المجلس فإن من حق كمال أو أى عضو يتقدم بالاستقالة أن يعلمهم فقط بها ، وليس من حق المجلس قبولها أو رفضها، وعندما ذكرت ذلك طلب منى أحد الأعضاء أن أعمل على إقناع كمال بسحب تلك الاستقالة ، ورددت عليه بأن لدىّ أنا الآخر رسالة أود إبلاغها أيضاً إلى المجلس ، وفهم البعض من الأعضاء ماذا أقصد بهذه الكلمة ، وفوجئت بصياح البعض منهم ممن كانوا يقومون بنشاط بتوجيه من جمال فى أثناء تلك الأزمة ، وكان صياحهم يطالب بأن تكون الجلسة سرية ، وأخذوا يصيحون فى نفس واحد: «جلسة سرية.. جلسة سرية»، وظلوا كذلك فترة ، ورددت عليهم بقولى: «لابد أن تكون علنية حتى يعلم الشعب الحقيقة ، ومن حقه أن يعلمها»، ولكنهم استمروا فى صياحهم بطلب سرية الجلسة».

«ولما كانت اللائحة الداخلية تحتم على رئيس المجلس فى حالة ما إذا رغب فى الكلام فى موضوع معروض على المجلس أن يترك منصة الرئاسة لأحد الوكلاء وأن

يتقدم إلى المنبر ليتحدث إلى الأعضاء من فوقه ، لذا طلبت من وكيل المجلس أن يصعد إلى المنصة ليتولى رئاسة المجلس حتى أتمكن من التحدث إلى الأعضاء وأبين لهم الأسباب التى تدفعنى إلى تقديم استقالتى، ولكنه ظل ملتزماً مكانه بين الأعضاء ولم يستجب لطلبى، واضطررت إزاء هذا الموقف منه أن أترك منصة الرئاسة وأن أتوجه إلى المنبر، وهنا فقط تحرك وكيل المجلس وصعد إلى المنصة وتولى رئاسة المجلس».

«ووقفت على المنبر، وانتظرت حتى يهدأ الأعضاء المثيرون لتلك الضجة ، ولكن صياحهم استمر مطالبين بإعلان سرية الجلسة ، وطلب الوكيل أخذ رأى المجلس فى علنية الجلسة أم سريتها ، وبدأ بأخذ الرأى حول سريتها فوافقت الأقلية ـ حسب تقديرى ـ ولكنه أعلن أنها الأغلبية ، واعترضت مصرحاً بأنها أقلية ، ومطالباً بأن تقوم سكرتارية المجلس باحتساب عدد الموافقين على السرية وعدد المعترضين عليها حتى يتبين أين تقف الغالبية ، ولكنه لم ينظر إلى اعتراضى ، وتغاضى عن اتخاذ هذه الخطوة».

«ولما رأيت أن الأقلية فى المجلس قد انقلبت وأصبحت هى الأغلبية ، لذا قلت موجهاً كلامى إلى أعضاء المجلس: «إننى كنت أود أن أوجه كلمتى إلى الشعب من فوق هذا المنبر، ولكن طالما أن الأقلية قد انقلبت وأصبحت هى الأغلبية ، لذا فإنى سأمتنع عن الكلام».

«وتركت المنبر وغادرت قاعة الاجتماع وتوجهت إلى مكتبى بالمجلس، وعندما دخلت إلى مكتبى وجدت به زكريا وحسين الشافعى، وفهمت منهما أنهما سمعا ما دار فى اجتماع المجلس عن طريق مكبر الصوت الموجود بالمكتب والمتصل بالقاعة ، ولقد صاح حسين الشافعى عند دخولى إلى الغرفة قائلا: «ما هذا الذى فعلته؟ لقد شرخت جدار الثورة»، ورددت عليه ببعض الانفعال ، أما زكريا فقد لامنى لأنى لم أخبرهما بنيتى وهما كانا معى قبل التوجه إلى الاجتماع».

❑

ثم يردف البغدادى حديثه هذا بتفصيلات كثيرة نستأذن القارئ فى تجاوزها ، والانتقال مباشرة إلى ما يحرص على أن يرويه عن اللقاء الذى تم بينه وبين عبد الناصر بعد هذه الجلسة العاصفة التى أعلن فيها عزمه عن الاستقالة من رئاسة مجلس الأمة:

«... وبعد أن تم الاتفاق مع أعضاء المجلس واعتبر الموضوع منتهياً عند الحد الذى

وصل إليه ، غادرت مبنى المجلس كما غادره معى كل من أنور وزكريا وحسين الشافعى وعلى صبرى ، وعندما هممت بركوب سيارتى قفز فيها محمود الجيار، وذكر أن الريس قد أوصاه أن يبلغنى بأنه يرغب فى لقائى فى نفس الليلة ، وأنه قد أمره بعدم تركى إلا إذا ذهبت إليه. ولكننى ذهبت إلى منزلى رافضاً الذهاب معه ، وبقى محمود الجيار بمنزلى وقد أخذ يلح علىّ فى أن أذهب للقاء جمال ، ورأيت أنه ربما يكون من الأفضل أن يتم هذا اللقاء بيننا ، فذهبت إليه».

«وعندما دخلت إلى مكتبه وجدت معه زكريا وأنور وعلى صبرى ، وقد فوجئوا بوجودى بينهم ، فقام جمال وقابلنى مصافحاً ، وقد ظهر عليه السرور لأنه على ما يظهر لم يكن متوقعاً منى أن أستجيب لتلك الرغبة منه ، وعندما دخلت عليهم كان الحديث يدور بينهم حول ذلك الخلاف الذى جرى فى المجلس ، وهذا أمر طبيعى ، وقد قطع عندما دخلت عليهم الغرفة ، وكان زكريا هو الذى يتحدث إليهم ، وأراد أن يقطع الحرج الذى حدث بعدم الاستمرار فى الاسترسال فيما كانوا يتحدثون فيه فقال: «أصلنا بنبحث عن الحلول «Objective» الهادفة .. وسكت».

«ثم بدأ الحديث بين جمال وبينى عن الأسباب التى دفعتنى لاتخاذ هذه الخطوة ، فقلت إن قرار المجلس الخاص بمديرية التحرير واعتبارها مؤسسة خاصة فيه مخالفة دستورية ، وما حدث يعتبر هدما فى هدف أساسى من أهدافنا وهو إقامة حياة نيابية سليمة ، وكان يجب علىّ أن أدق ناقوس الخطر ، ولأننى شعرت أيضاً أننى لن أكون أميناً إذا كنت قد أحسست بهذا الإحساس ولمست هذه الخطورة ، ورغم ذلك أستمر أجلس على كرسى رئاسة المجلس دون أن أحاول درء هذا الخطر ، ولكنه لم يرد على تلك النقاط التى ذكرتها ، وإنما نقل حديثه عن أن طلب إسقاط العضوية عن مجدى حسنين لم يُتفق عليه بيننا. فذكرته بحديثى معه حول الموضوع عند بدايته ، وشعور الأعضاء نحو مجدى واعتباره شريكاً فيما حدث وأنه شبه بالراشى ، وما ذكره هو فى حينه من أنه يرى التخلص منه بعد أن ضمه الشيوعيون إليهم ، وأنه طلب فقط ألا نظهر بأننا ندفع الأعضاء نحو هذا الاتجاه ، ولم أشأ أن أذكره بأنه هو شخصياً قد أخبر على صبرى بذلك الاتجاه ، وأن على قام بإبلاغ وجيه أباظة بذلك أيضاً ، على أنه توجيه من الريس نفسه حتى يقوم بإقناع أعضاء المجلس عن مديرية الشرقية الذى هو أحدهم بذلك الأمر ، كما أن صلاح دسوقى كان هو الآخر قد ذكر لى أيضاً أن على صبرى أبلغه بأن هذه هى توجيهات جمال».

وهنا تأتى المصادفات [الناصرية] التى لم يكن البغدادى حتى ذلك الحين قادراً على أن يتصور حدوثها:

«ولكن الغريب أن جمال سأل على صبرى أثناء تلك المناقشة بيننا عما إذا كان قد سمع عن أنه يريد ذلك أو أن هذا كان هو اتجاهه ، فكان رد على صبرى بالنفى بإشارة من رأسه ، وقد حركها يميناً ويساراً وهو موجه نظره إلى الأرض ، وقد أدهشنى هذا الأمر من على ، وكان من السهل على أن أقوم بإحراجه ومواجهته بما أعلمه من وجيه ومن صلاح ، ولكننى لم أحاول ، وقلت لجمال كيف يمكن لى أن أقوم بإخبار شقيقك الليثى بهذا الاتجاه إن لم نتفق عليه سوياً مع علمى أنه يبيت عندك بالمنزل ولابد أنه سيخبرك!!».

ويواصل البغدادى رواية ما يدفعنا به إلى الشعور بأقصى درجات العجب من موقف الرئيس عبد الناصر على نحو ما صوره هو فى روايته:

«كما ذكرته أيضاً بموقف الطحاوى وطعيمة عندما جاءا إلىّ بمكتبى بالمجلس وأخبرانى بتوجيهات جمال إليهما ، وهى إسقاط العضوية عن مجدى والأعضاء الآخرين ، ومن أنهما سيعملان على الاتصال بأعضاء المجلس لتحقيق هذا الغرض».

«كما عتبت عليه أنه عندما رأى أن يغير رأيه فقد قام بالاتصال ببعض أعضاء المجلس صباح يوم الثلاثاء بغرض الضغط على أعضاء اللجنة الدستورية وأعضاء المجلس حتى لا يتخذ إجراء ضد الأعضاء موضع التحقيق رغم وجودى عنده بمنزله فى صباح نفس اليوم وأنه لم يشأ إبلاغى بما انتواه ، ولكنه رد بأنه يعتقد أنه قد أبلغنى ، فذكرته بحديثى التليفونى معه بعدما سمعت ما كان يدور حول هذا الموضوع فى أروقة المجلس بعد عودتى من زيارته».

«ولكن كان كل الذى يهم جمال فى هذا اللقاء ألا أصر على استقالتى من المجلس لأن هذا ـ على حد قوله ـ هزة للنظام وإظهار أننا فشلنا فى تحقيق هدف إقامة حياة نيابية سليمة. لذا فقد حاول إقناعى بضرورة الاستمرار فى رئاسة المجلس ، وقد استجبت إلى هذا الرأى».... !!.

ها نحن قد وصلنا إلى نهاية الرواية التى أوردها البغدادى فى كتاب مذكراته الذى نشر عام سبعة وسبعين (١٩٧٧) فلنطالع إذاً ما يرويه سامى جوهر فى كتابه «الصامتون يتكلمون» عن تفاصيل الأزمة كما رواها له البغدادى ، ونحن نرى البغدادى فى هذه

الرواية وهو يتحسب من البداية من حماية عبد الناصر لمجدى حسنين، وهو المعنى الذى لم تقدمه الرواية السابقة على هذا النحو ولا بهذا الوضوح ، كما نرى رواية سامى جوهر تشير إلى أن تعيين أعضاء المجلس كمستشارين للمديرية قد تم بعد أن أثير الموضوع فى المجلس ، كما نرى فى رواية سامى جوهر أمراً ثالثا مختلفاً حين نطالع اسما لم يرد فى الرواية السابقة وهو اسم عضو البرلمان عبد المجيد عامر الذى تقدم بسؤال عن جدوى الإنفاق على مشروعات استصلاح الأراضى:

«... وبدأ الاصطدام بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية على شكل سؤال وجهه العضو عبد المجيد عامر عن استصلاح الأراضى وتناولت مناقشة السؤال مديرية التحرير والتصرفات المالية المشبوهة التى تتم فيها والاعتمادات الكبيرة التى تنفق ولا تؤدى إلى أى ثمار ، وانتهت مناقشة السؤال إلى اتخاذ قرار بتشكيل لجنة تحقيق تنتقل إلى مديرية التحرير وتقدم تقريرها بعد عودة المجلس من إجازته فى نوفمبر عام ١٩٥٧، وفى خلال الإجازة نشر فى الصحف خبر صغير يتضمن أنه تم تعيين ثلاثة من أعضاء مجلس الأمة كمستشارين فى مديرية التحرير بأجر .. ولم يذكر فى الخبر أسماء الأعضاء الثلاثة ..».

«وفى نفس اليوم جاء إلى مكتبى بمجلس الأمة سيد جلال عضو المجلس عن دائرة باب الشعرية فى القاهرة وقال لى : مجدى حسنين بدأ يشترى أعضاء المجلس .. تعيينه أعضاء المجلس فى مديرية التحرير ما هو إلا رشوة لشراء صمت المجلس ، وأنا سأقدم سؤالاً فى أول جلسة بعد عودة المجلس من إجازته . ورددت عليه : إن هذا من حقك .. فأنت تمثل الشعب ... وما دمت ترى أى انحراف فواجبك أن تقاومه وتكشفه . وخرج سيد جلال من مكتبى .. وأحسست بأول أزمة .. فأنا أعلم أن عبد الناصر يحمى مجدى حسنين .. والهجوم على مجدى حسنين وكشف ما تردد عن تلاعب فى أموال مديرية التحرير سيؤدى إلى أزمة بين عبد الناصر وبين المجلس .. ولكننى كنت عند عهدى الذى اتخذته بينى وبين الله ألا أحجر على كلمة تقال فى سبيل الوطن».

«واقترب موعد افتتاح الدورة البرلمانية .. يوم ٤ نوفمبر سنة ١٩٥٧ .. وقبل الافتتاح مباشرة تلقيت طلبا موقعا عليه من عشرة أعضاء لإسقاط العضوية فوراً عن أربعة أعضاء هم محمد مجدى حسنين بصفته المسئول الأول عن المساس بكرامة أعضاء المجلس ومحمود القاضى وأحمد شفيق أبو عوف وإسماعيل نجم الذين قبلوا العمل

مستشارين فى مديرية التحرير بأجر .. وقبل الجلسة أيضا تلقيت خطابا من رئيس لجنة الصناعة تضمن أن ما نشرته الصحف من تلميح عما وراء تعيين أعضاء بالمجلس فى مديرية التحرير بعد إحالة موضوعها إلى لجنة تقصى الحقائق فيه مساس بكرامة أعضاء المجلس».

«وقبل بدء الجلسة اتصلت بجمال عبد الناصر بالتليفون وأبلغته بالأمرين .. قلت له إننى سأتحدث عن حرية الصحافة وأن المجلس لا يمكنه أن يحد من هذه الحرية .. فوافقنى .. وقلت له إننى أيضا سأثير موضوع الأعضاء الأربعة وإحالة موضوع فصلهم إلى لجنة الشئون الدستورية .. قال لى : اسمع يا بغدادى .. كل واحد منهم يعتذر ويكتفى المجلس بتوجيه اللوم لهم .. وبلاش حكاية الفصل دى . فرددت عليه : أنا سأتبع لائحة المجلس .. واللجنة هى التى تقرر ما تشاء .. فقال بضيق : طيب».

❑

ونأتى بعد هذا إلى جوهر ما يرويه سامى جوهر عن وقائع الجلسة البرلمانية التى عرض فيها موضوع مجدى حسنين وسنجد أن البغدادى قد بدأ يأخذ الموضوع على أعصابه ، فهو يلتفت إلى الكرامة وإلى واجبه تجاهها وتجاه المفرطين فيها:

«وفعلا افتتحت الجلسة بعد هذا الحديث وبمجرد عقد الجلسة قلت : إننا نشهد الليلة أمرا خطيرا بالغ الخطورة .. طلب عشرة من حضرات الأعضاء إسقاط العضوية فورا عن أربعة أعضاء هم مجدى حسنين ومحمود القاضى وأحمد شفيق أبو عوف وإسماعيل نجم .. ثم تحدثت عن الرسالة التى بعث بها رئيس لجنة الصناعة وقلت ما معناه إن رئيس المجلس لا يتدخل فى حرية الصحافة إلا إذا مست فعلا كرامة أعضاء المجلس ، أما الأعضاء الذين لا يحافظون على كرامة المجلس فليس من واجبى أن أحميهم ماداموا هم الذين فرطوا فى كرامتهم بتصرفاتهم ..».

ونصل مع رواية سامى جوهر إلى الجزئية الخاصة بتحقيق تاريخ انضمام محمود القاضى إلى العمل فى مديرية التحرير ، وهى الجزئية التى تولى البغدادى حسب روايته تحقيقها بنفسه ، وسنرى أن هذا التحقيق قد انتهى إلى إدانة محمود القاضى لأنه ثبت أنه قبل العمل فى المديرية بعد ثمانية أيام من إحالة موضوعها إلى لجنة تقصى الحقائق! ! ومع هذا فإن البغدادى يذكر أن القاضى قدم فى تلك الجلسة الاعتذار سبع عشرة مرة! :

«وبدأت مناقشات عنيفة .. وطلب كل من الأعضاء الثلاثة محمود القاضى وأحمد شفيق أبو عوف وإسماعيل نجم الكلمة ، كل للدفاع عن نفسه ..وأعطيت الكلمة لمحمود القاضى .. وتحدث مدافعا عن نفسه ، قال إنه كان فى زيارة لمديرية التحرير وأبدى بعض الملاحظات فى العمل أعجب بها مجدى حسنين فعرض عليه أن يكون مستشارا مقابل مكافأة لا تزيد عن ٤٨٠ جنيها سنويا .. وإن هذا التكليف كان يوم ٢٠ أغسطس وقبل إحالة الموضوع إلى لجنة تقصى الحقائق».

....

«على الفور أرسلت أحد موظفى المجلس بورقة لمعرفة تاريخ إحالة موضوع مديرية التحرير إلى لجنة تقصى الحقائق.. فعاد بعد دقائق يحمل الرد وأنه يوم ١٢ أغسطس ، أى قبل قرار تكليف العضو بالعمل فى المديرية.. وكان العضو لا زال يتكلم مدافعاً عن نفسه مبدياً اعتذاره عن قبوله العمل.. وقدم فى تلك الجلسة ١٧ اعتذاراً وهو يتحدث.. وبعد أن أنتهى من كلامه قلت: العضو يقول إن تكليفه بالعمل فى مديرية التحرير كان يوم ٢٠ أغسطس وقبل إحالة الموضوع إلى لجنة تقصى الحقائق.. وأنا أرسلت للتأكد من موعد إحالة الموضوع فتبين أنه كان يوم ١٢ أغسطس».

«وحدث هرج وأصوات تقول: دى رشوة .. لازم يفصل .. فأعدت النظام للجلسة وأعطيت الكلمة للعضو الثانى وهو أحمد شفيق أبو عوف. وتحدث أبو عوف على أساس أن علاقته بمديرية التحرير نشأت من قبل عضويته فى مجلس الأمة بسنوات وبحكم أنه كان ضابطاً بالقوات المسلحة ومجدى حسنين زميل له.. وأنه كان يعد لها الألحان والأناشيد بدون أى مقابل ، ثم عين مستشاراً موسيقياً لها بمكافأة شهرية ٢٥ جنيها وهو مبلغ ضئيل لا يوازى ما يقدمه من ألحان حيث إنه يتقاضى من الاذاعة أكثر من ذلك بكثير ، وأضاف أنه لم يكن يعرف أن قبوله ذلك فيه مساس بكرامة المجلس ولم يخطر على باله هذا الخاطر».

❑

ونمضى مع رواية سامى جوهر حيث نرى عبد اللطيف البغدادى يبذل جهده فى تصوير نفسه حريصا على القواعد الدستورية وليس فى هذا ما يتعارض مع ما يرويه عن أدائه فى تلك المعركة بالفعل ، لكن يبدو أن الأصوب من هذا أن يصور البغدادى المسألة على أنها مرتبطة بالحق والباطل أو بالصواب والخطأ ، فقد كان هذا التصوير كفيلا بأن

يتطابق مع تصرفات البغدادى وتوجهاته فى ذلك اليوم بعيدا عن كل إدعاء ـ تال ـ بحب الدستور ، وبخاصة أن الثورة لم تكن فى أحاديثها اليومية ترحب بالدستور ولا بالممارسات الدستورية التى تمت فى العهد السابق ، بل كانت تعتبر هذه التصرفات فى مجملها شيئا مما ينبغى القضاء عليه بسبب فساده ، وربما تولى سامى جوهر وضع هذه الصياغات (من قبيل: إرساء القواعد الدستورية) على لسان البغدادى ، لكن البغدادى على كل حال أصبح مسئولا عنها مسئولية المستمتع بالحيازة للملكية والانتفاع.

ثم لنقرأ ما تورده الرواية عن موقف العضو الثالث إسماعيل نجم ، وهو الذى نفى (فى الروايتين) علمه بأن يكون مستشاراً للمديرية:

«.... وعقب ذلك تحدث العضو الثالث اسماعيل نجم مدافعاً عن نفسه ، ونفى علمه نهائياً أنه عين مستشاراً قانونياً لمديرية التحرير وقرر أنه حدث إشكال بين فرع المديرية فى الاسكندرية وبعض الأفراد وأنه تدخل بصفته عضواً فى مجلس الأمة عن الدائرة التى يقع بها مقر فرع المديرية محل الاشكال وفوجئ بإرسال المديرية له مكافأة عن عمله. وأكد أنه لا علم له بصدور قرار تعيينه فى المديرية».

«ودارت مناقشات عنيفة.. بعض الأعضاء كان يرى أن يصدر المجلس قراراً بفصل الأعضاء الثلاثة على أساس أنهم مرتشون ، وفصل مجدى حسنين على أساس أنه الراشى ، والبعض طالب أن يحال الموضوع إلى لجنة الشئون الدستورية وكان يرأسها محمد محمود جلال للتحقيق ، وتقديم تقرير إلى المجلس خلال ٤٨ ساعة.. وفاز الرأى الثانى بالأغلبية وأحيل الموضوع إلى اللجنة لتحقيقه».

وسكت البغدادى لحظة ثم استأنف حديثة قائلاً:

«كنت أريد أن أرسى قواعد دستورية فى البلد وأن المنحرف مهما كان مركزه يجب أن يلقى جزاء انحرافه .. ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يناله».

«بدأت اللجنة عملها فى نفس الليلة واستمعت إلى أقوال الأعضاء الثلاثة.. وعكفت فى اليوم الثانى على كتابة تقريرها».

ونصل إلى مطالعة ما يرويه البغدادى عن محاولات الرئيس عبد الناصر ضبط الإيقاع البرلمانى فى هذه الواقعة دون أن يوافقه البغدادى على خطته ، وربما يمكن لنا أن نزعم اليوم أن عبد الناصر كان أقرب إلى الواقعية من البغدادى الذى كان لا يزال حريصا على المثالية.

ومن المؤسف أن مثالية البغدادى دفعت عبد الناصر إلى طريق أسوأ مما كان يعرضه فى البداية على البغدادى كحل لهذا الموقف الذى وجدت الثورة نفسها فيه ، فلما تصلب البغدادى ولم يقبل بالحلول الوسطى التى كانت ممكنة التنفيذ اضطر عبد الناصر إلى التفكير فى طرق أكثر مخالفة للقانون وللدستور ولروحيهما ، فإذا بالثورة وبعبدالناصر نفسه يبدوان متحاملين على القانون إلى أبعد الحدود ، بل وينساق البرلمان هو الآخر إلى هذا الطريق ، مع أنه كان فى وسع البغدادى بشىء من الحنكة المبكرة أن يتجاوز هذا كله حرصا على حياة وتاريخ المجلس نفسه.. وقد أثبتت الأيام أن عبد الناصر استثمر أول فرصة وتخلص من هذا المجلس ومن وجود البغدادى فى موقع رئاسته.. وما إن تمت الوحدة مع سوريا حتى استثمرها عبد الناصر فرصة لحل المجلس ، وتكوين مجلس جديد اتحادى رأسه أنور السادات مع أن البغدادى كان لا يزال موجودا فى الصورة.

ونحن نفهم من الروايات التى يوردها البغدادى نفسه كيف أن الرئيس عبد الناصر حاول بطرق كثيرة أن يحفظ ماء وجه الثورة ، لكن عبد اللطيف البغدادى نفسه هو الذى أجهض مساعى عبد الناصر ، ومع أن الحق يبدو فى صف البغدادى ، فإن روح المسئولية والنظر إلى المستقبل تجعلنا نلوم البغدادى على أنه لم يتوقف بالمعركة عند حدود النجاح الأولى فحسب دون أن يطمح إلى ما هو أكثر من هذا ، مما يتعارض مع طبيعة عبد الناصر وطبيعة الثوار.

ولنقرأ ما يرويه البغدادى فى روايته لسامى جوهر وسنرى هذه الرواية أكثر تصريحاً بالاختلاف الذى حدث بين عبد الناصر والبغدادى فى معالجة المسألة ، كما أننا نراها ناطقة بتصلب البغدادى وبعده عن المرونة:

«وفى ذلك اليوم اتصل بى زكريا محيى الدين تليفونياً وقال لى:

ـ الريس بيقول لك بلاش المجلس يفصل مجدى وكفاية يفصل الأعضاء الثلاثة..

فرددت عليه:

ـ أنا يا زكريا لا أتدخل فى أعمال المجلس.

فقال لى :

ـ طيب اتصل بالريس فى القناطر وبلغه ذلك.

فاتصلت بجمال عبد الناصر فى استراحة القناطر وعندما سمع صوتى قال لى :

ـ يا بغدادى... أنا شايف بلاش حكاية فصل مجدى حسنين لأنه منهار جداً وكلمنى وهو منهار تماماً..

فرددت عليه قائلاً:

ـ إن بقاء مجدى وفصل الأعضاء الآخرين سيفسر على أنك تسانده وتؤيد الانحرافات .. وأنا شايف إننا نترك المسألة لتقدير اللجنة.. فقال بسرعة:

ـ طيب .. لك حق..».

«وفى نشرة الأخبار بالإذاعة فى الثانية والنصف من بعد ظهر نفس اليوم أذيع نبأ عزل مجدى حسنين من إدارة مديرية التحرير».

«وفى اليوم التالى .. الأربعاء ٦ نوفمبر المحدد لسماع تقرير لجنة الشئون الدستورية المتضمن نتيجة تحقيقها.. وقبل موعد الجلسة ذهبت إلى جمال عبد الناصر فى منزله بمنشية البكرى وكان زكريا محيى الدين موجوداً ، وقلت له:

ـ أنا سمعت من بعض أعضاء المجلس أن اللجنة وجدت أن الأعضاء قد أخطأوا وبذلك فأنها سترى فصلهم.

فرد علىَّ قائلاً:

ـ بلاش حكاية الفصل دى.. كفاية إنهم يعتذروا ويقدم لهم اللوم .. وهو نفس الرأى الذى أبداه.

وقلت له :

ـ أنا لن أتدخل وسأترك للأعضاء الحرية فى اتخاذ القرار الذى يرونه بالنسبة لزملائهم».

«وانصرفت إلى المجلس .. وعقدت الجلسة وبدأنا ننظر جدول الأعمال العادى مؤجلين سماع تقرير اللجنة لعدم انتهاء طبعه وتوزيعه على الأعضاء.. ثم رفعت الجلسة للأستراحة.. وعدت إلى مكتبى ».

❑

ونأتى بعد هذا كله إلى مجموعة من أسماء بعض أعضاء البرلمان من الضباط الأحرار وقد تورطوا فى «تربيط» الأعضاء ضد روح القانون .. كما نأتى إلى اللحظة

الفاصلة التى فوجئ فيها البغدادى ـ على حد روايته ـ بالرئيس عبدالناصر يخبره بما من شأنه أنه حسم الموضوع بطريقته بعيداً عنه:

«وأثناء جلوسى دخل العضو سيد جلال وقال لى :

ـ لطفى واكد فى البهو الفرعونى بينشر وسط الأعضاء أن عبد الناصر غير موافق على أن البغدادى يذبح الأعضاء وأنه سيحدث قنبلة فى الجلسة ولن يفصل أحد ..

فقلت له:

ـ أنت تمثل الشعب ياسيد وتستطيع أن تقول فى الجلسة ما تريده .. وخرج سيد جلال ، فأدرت قرص التليفون وطلبت جمال عبد الناصر.. نقلت له صورة ما يحدث فى البهو الفرعونى كما ذكره لى سيد جلال.. ففوجئت به يقول لى :

ـ هو أنا ماقلتش لك؟

ووجدتنى أسأله:

ـ قلت لىَّ على أيه؟!

فأجاب بصوته المليئ بالمعانى:

ـ اللجنة الدستورية وجدت أنه لا محل لمؤاخذة الأعضاء الأربعة

فصرخت فى التليفون غيظاً قائلاً:

ـ ده يبقى شغل عيال..

«وأنهيت المكالمة وجلست فى حالة غيظ شديد .. شعرت برغبة أن أخرج إلى البهو الفرعونى وأضرب كل مَنْ يردد أننى أردت ذبح أعضاء المجلس ومنعنى عبد الناصر».

«وانتهى طبع التقرير.. ووزع على الأعضاء .. واستأنفت عقد الجلسة.. ووقف العضو يواقيم غبريال مقرر لجنة الشئون الدستورية يتلو تقرير اللجنة.. وجاء فى التقرير بعد استعراض أقوال الأعضاء الثلاثة والتأكد من تعيينهم فى مديرية التحرير بعد صدور قرار إحالة موضوعها إلى لجنة تحقيق برلمانية ، أن اللجنة رأت بحث وضع مؤسسة مديرية التحرير ومركزها القانونى وطبيعة أموالها وهل هى عامة أم خاصة ودستورية الجمع بين عضوية المجلس وتقاضى مكافآت منها».

«وتبين للجنة أن المؤسسة عامة لها شخصيتها الاعتبارية وتعتبر أموالها أموالاً خاصة،

على أن حصولها على المال من الميزانية العامة لا يجعل مالها عاماً ، وأن الأموال التى تخصص لها وتدخل فى ذمتها تعتبر أموالاً خاصة طبقاً لقانون المؤسسات».

❑

هكذا نرى أنه قد تم التحايل على القانون بصورة فجة ، وهذا هو البغدادى يروى لنا كيف بدأ يدرك حقيقة ما حدث ، وكيف كان رد فعله أن قرر الاستقالة وهو يعطى لكمال الدين حسين الفضل فى سبقه إلى الاستقالة:

«.... وعلمت بعد ذلك أن أعضاء اللجنة تعرضوا لضغط شديد من محمد فهمى السيد المستشار القانونى لعبد الناصر وزوج ابنة شقيقة زوجته حتى يتضمن تقريرهم هذا التفسير فى أن مديرية التحرير مؤسسة خاصة حتى لا تخضع لرقابة مجلس الأمة».

«وبعد تلاوة التقرير أخذت الأصوات على الموافقة عليه.. وجاءت بالإجماع.. ويرجع ذلك إلى أن عبد الناصر طلب من على صبرى أن يتكتل نواب الشرقية مع التقرير ، وطلب من شقيقه الليثى عبد الناصر تكتل نواب الاسكندرية مع التقرير.. ورفعت الجلسة وعدت إلى غرفتى أكاد أنفجر من الغيظ وكان جالساً بها زكريا محيى الدين وحسين الشافعى. ولم يكد الأثنان يريانى حتى قالا:

ـ أنت بقيت سياسى خطير».

ثم نمضى مع رواية البغدادى لسامى جوهر وهى تحدثنا بتلقائية أكثر عن تفكيره فى الاستقالة والاعتزال ، كما يورد نص الاستقالة:

«وعدت الى منزلى فى تلك الليلة.. كنت أشعر بالألم لما شاهدته من تلاعب بالديمقراطية .. وفى صباح الخميس استقيظت على تليفون من كمال الدين حسين وقال لى:

ـ يابغدادى أنا بعت لك جواب

فقلت له:

ـ إيه .. خير؟

ـ وقال سريعاً:

ـ استقالة من هذا المجلس .. بأه ده معقول .. يا ناس مديرية التحرير تبقى مؤسسة خاصة .. أنا مش ممكن أفضل فى مجلس يوافق على كده.

وسألته:

ـ أنت كلمت جمال؟

فأجاب :

ـ لا.. وأكلمه ليه..

وانتهت المكالمة.. وعندما توجهت إلى مكتبى وجدت [خطاب] استقالة كمال حسين على مكتبى .. وكان نصه :

«السيد رئيس مجلس الأمة

أرجو أن تعرضوا على المجلس قبول استقالتى من عضويته راجيا لكم وللمجلس دوام السداد والتوفيق فى العمل لخير الوطن.

كمال الدين حسين

١٩٥٧/١١/٧

يستطرد البغدادى ويقول:

«وكانت عادتى أن أتلو الرسائل التى تصلنى فى بداية جلسة يوم الأثنين من كل أسبوع ، فوضعت الرسالة فى ملف الرسائل التى سأتلوها يوم الأثنين التالى ، وفى نفس الوقت اتصلت بجمال عبد الناصر تليفونياً وقلت له:

ـ كمال بعت لى استقالة من عضويته بالمجلس

فسألنى :

ـ ليه؟

وقلت له بسخرية:

ـ لأن مديرية التحرير طلعت مؤسسة خاصة!!

فأنهى المكالمة قائلاً:

ـ طيب .. طيب..

واتصل عبد الناصر بكمال الدين حسين وطلب منه سحب الاستقالة ، وتظاهر كمال بالموافقة .. واعتقد عبد الناصر أن كمال سحب استقالته.

ويروى البغدادى بعض تفصيلات جزئية يحاول أن يصور بها ما اعتمل فى نفسه

قبل التفكير فى الاستقالة فإذا بنا نرى حديثه إلى نفسه وإلى عائلته لا يتعدى التفكير فى نفقات معيشته:

«ولكن جاءت جلسة يوم الأثنين ولم يكن كمال الدين حسين قد سحب الاستقالة.. وقررت أن استقيل أنا أيضاً.. وظللت ليلة الجلسة ساهراً أفكر فى النتائج.. وجدتنى أحسب دخلى بعد الاستقالة .. سأتقاضى معاش ١٢٥ جنيها يخصم منه ضرائب ١٧ جنيها ونصف ولدى التزامات شهرية حوالى السبعين جنيها وبذلك لن يبقى لى سوى سبعة وثلاثين جنيها ونصف .. وسألت زوجتى:

ـ نقدر نعيش بهذا المبلغ..

فأجابتنى متساءلة:

ـ ليه؟

وقلت لها :

ـ أنا قررت الاستقالة وهذا المبلغ هو الباقى من المعاش بعد سداد كافة الالتزمات.

فقالت:

ـ نسيب مصر ونروح نقعد فى البلد «شاوه» عندكم..

ونمت مرتاحاً.. بعد أن استقر رأيى على الاستقالة.

واستيقظت فى الصباح.. وذهبت إلى المجلس.. ودخلت الى القاعة مبكراً.. وكان عدد كبير من الأعضاء لم يحضر بعد .. وبدأت الجلسة وبمجرد عقدها قلت:

ـ السادة الأعضاء .. وصلتنى رسالة من السيد كمال الدين حسين يوم الخميس الماضى سأقرأ عليكم نصها..

وتلوت الرسالة.. وساد الهرج فى القاعة .. وارتفع صوت من آخر القاعة ..لا تُقبل .. لا تُقبل .. نرفضها بشدة .. صوت زكريا لطفى جمعه عضو مجلس الشعب عن دائرة مصر الجديدة.

وارتفعت أصوات تقول:

نوسط رئيس المجلس فى الاتصال بالسيد كمال لاقناعه بالعدول عن الاستقالة..

وقلت لهم:

ـ رئيس المجلس له رسالة كمان ..

ثم أشرت لوكيل المجلس أن يصعد إلى المنصة ليرأس الجلسة وأنزل إلى مقاعد الأعضاء لأقول رسالتى بصفتى عضواً، وكما تقضى اللائحة وعقدت الجلسة سرية فلم أقرأ استقالتى».

❑

هنا ينبغى لنا أن نتوقف لحظات ونشير إلى أن مذكرات عبد الستار الطويلة «السادات الذى عرفته» تذكر أن الصحفى اليسارى إبراهيم عامر روى للطويلة أن السادات كان فى قمة ذكائه فى هذا اليوم فعقد الجلسة سرية ، وأن عبد الناصر قدر هذا الموقف للسادات لأنه رآه واعيا لأهمية صورة الثورة أمام الصحافة والجماهير ، وهو ما كان عبدالناصر يحرص عليه بشدة.

وهذا هو نص رواية عبد الستار الطويلة :

«... وحكى لى إبراهيم عامر أن أنور السادات لم يتصرف تصرفاً هاماً فى حياة الثورة إلا عندما حدثت أزمة فى مجلس الأمة أثناء رئاسة السيد عبداللطيف البغدادى له عندما أراد البعض تحويل مشكلة مديرية التحرير إلى إحراج أصدقاء عبدالناصر (وكان هذا يعتبر إحراجاً لعبدالناصر نفسه أوتوماتيكيا ، بحكم طبيعة النظام الشمولى) ، وغادر عبداللطيف البغدادى منصة الرئاسة قائلا: آن للشعب أن يعرف كل شىء ، فتولى أنور السادات (وكيل المجلس حينذاك) رئاسة الجلسة ، ولما بدأ عبداللطيف البغدادى الحديث قال السادات: نعمل الجلسة سرية!».

«واعتبر عبدالناصر يومها أن هذا تصرف ذكى وحاسم من جانب أنور السادات ، لأنه يتستر على الثورة ولا يريد نشر فضائح منسوبة إليها».

❑

ونعود إلى مضمون وقصة الحوار الخطير أو الشرير عن تسجيل خطأ لزكريا محيى الدين فى حق عبدالناصر وهو الحوار الذى نراه يُروى بأكثر من طريقة فى أكثر من مصدر ، ولكن دلالاته لا تخرج عن أن زكريا محيى الدين شأنه شأن البغدادى كان قد أصبح ضيق الصدر من تصرفات عبدالناصر ، وأنه كان فى حيرة من طبيعة الإجراء الذى ينبغى على قادة الثورة أن يتخذوه فى مواجهة الرئيس عبدالناصر ، لكن الأهم من

هذا الحوار أن البغدادى يتهم على صبرى بصراحة وبوضوح وبالتحديد أنه هو الذى نقل الحوار الذى دار ما بين البغدادى وزكريا محيى الدين ، وهو الحوار الذى أساء أيما إساءة إلى نفسية عبد الناصر تجاه زكريا محيى الدين وجعل الرئيس دائم الشك فى نوايا وحب زكريا له ، بل إنه أصبح دائم البحث عن فرص لإحراج زكريا حتى وإن لم يبد منه هذا الشعور:

«.... غادرت القاعة واتجهت إلى مكتبى وكان به زكريا محيى الدين وعلى صبرى ومحمود الجيار.. وكنت فى حالة ثورة.. ساخطاً.. وقال لى زكريا:

ـ نشيلوه بأه.. وكان يقصد عبد الناصر.

ولم أرد . . وأخذ على صبرى يتنقل من غرفتى إلى الغرفة المجاورة ليبلغ عبد الناصر بكل حرف..

وانقطعت عن الاتصال بعبد الناصر.. وانقطعت عن الذهاب إلى المجلس .. وفى يوم كنت فى نادى هليوبولس .. وفوجئت باستدعائى للتليفون.. وكان المتحدث عبدالناصر الذى بادرنى متسائلاً:

ـ أنت بطلت تكلمنى ليه؟

فقلت له:

ـ أنت صعيدى .. وأنا فلاح.. والمفروض إنك أنت اللى تسأل عنى بعد ما حدث.

وقال لى :

ـ طيب تعالى عايزك حالاً.

ورددت عليه:

ـ أنا مش فاضى دلوقت.. بعد الظهر سأمر عليك.

وفعلاً ذهبت إليه فى المساء.. ووجدته يسألنى :

ـ حقيقى «الأصفراوى» .. وكان يقصد زكريا محيى الدين وكان دائماً يصفه بذلك.. قال نشيلوه.

وسألته:

ـ ليه بتسأل؟

فقال:

ـ أنا عارف إنه قال كده .. هو فاكر نفسه يقدر يشيل غفير أما يشيل رئيس جمهورية».

«وانتقل الحديث بعد ذلك إلى ضرورة عودتى إلى المجلس أنا وكمال الدين حسين حتى لا يقال إن الثورة فشلت فى أول تجربة ديمقراطية لها.. ووعدته بالعودة.. وكانت هذه أول أزمة وصدام بسبب تمسكنا بتطبيق الديمقراطية السليمة.. ورغبة عبد الناصر تطبيق شىء آخر.. ولم تكن آخر أزمة .. فبعد أقل من شهر تقريباً حدثت الأزمة الثانية بسبب سياسة التعليم .. وكان بطلها فى تلك المرة كمال الدين حسين ».

هكذا يبدو لنا من روايتى البغدادى أنه كان أقرب ما يكون إلى الثوريين الأنقياء لا يدرك إلا المعانى الفطرية للقيم المطلقة بعيداً عن تفصيلات القانون والتكيفات القانونية، كان يعرف أن الأبيض أبيض وأن الأسود أسود ولم تكن قد نمت عنده القدرات العملية التى نمت فى شخصية الرئيس جمال عبدالناصر ومنها القدرة على الانحياز إلى مواقف وسطى من أجل الحفاظ على ما يُطلق عليه وحدة الصف .

ولهذا فإن الرئيس عبد الناصر بحنكة السياسيين قد استطاع أن يتغلب على الموقف المحرج الذى كان يتطلب منه توقيع عقاب صارم على صديقه مجدى حسنين وإلى التخلى عن بعض رجاله فى مرحلة مبكرة ، ولم يشأ عبد الناصر أن يأخذ هذا الاتجاه حتى لوكان فى هذا الموقف انتصار للقيم الأخلاقية أو للقيم البرلمانية أو الديمقراطية ، وانما لجأ عبدالناصر إلى هذا التكييف القانونى الذى أنقذ به ماء وجه مجدى حسنين وزملائه ولكنه كشف فى مرحلة مبكرة عن استهتار واضح بمجموعة من القيم الكفيلة ببناء دولة لاتتستر على الفساد ولاتنحاز للأفراد .

ومن حسن الحظ أن كان هناك فى الوقت نفسه رجل من طراز البغدادى الذى لم يكن على استعداد لأن يقبل بمثل هذه الحلول ، وبهذا فقد احتفظ التاريخ السياسى للثورة ولرجالها بوجود الاتجاهين كليهما وتفاعلهما .. حتى وإن انتصر الاتجاه الأقل فائدة لحركة القيم وإن كان قد مكن من بقاء الثورة فى الحكم حتى لو لم تبق على ما قامت من أجله.

عبد اللطيف البغدادى
شهيد النزاهة الثورية

6

موقف عبد اللطيف البغدادى

فى حربى ١٩٥٦ و١٩٦٧

دار الخيّال

تمثل دراسة آراء البغدادى وانطباعاته وذكرياته ومذكراته عن حربى ١٩٥٦ و١٩٦٧ أهمية خاصة ، فمن ناحية النصوص ذات القيمة التاريخية فإن انطباعات البغدادى عن هاتين الحربين سجلت وكتبت بطريقة آنية معاصرة للأحداث دون أن تحمل بكل ما من شأنه إدعاء الحكمة بأثر رجعى ، أو تحميل الأمور برؤى معينة تخضع للرؤى التاريخية أو المذهبية أو الثورية ، إنما نحن أمام نصوص واضحة الصياغة وواضحة الدلالة كذلك ، يظهر فيها الإنسان قبل الثورى وقبل رجل الدولة ، سواء كان هذا الإنسان هو البغدادى ، أو عبد الناصر ، أو عبد الحكيم عامر ، أو كمال الدين حسين ، أو حسن إبراهيم ، أو صلاح سالم ، أو غير هؤلاء من قادة الثورة وقادة القوات المسلحة.

وقد تضمنت مذكرات البغدادى المنشورة فى جزءين كثيراً من الفقرات الآنية التى كتبت فى حينها ، والتى تصدقنا التعبير عن الحالات النفسية العميقة التى كانت تنتاب البغدادى فى تلك الأوقات ، وهو ما لم يكن قادراً على التعبير عنه بدون تسجيله لهذه اليوميات.

وعلى سبيل المثال ينقل لنا البغدادى من يومياته فقرة تبين طبيعة المشاعر التى كانت تستحوذ عليه فى أثناء حرب ١٩٥٦ ، وقد وصلت نفسيته إلى درجة من التدنى والانهيار بحيث أصبح وكأنه يدفع نفسه بنفسه إلى الهلاك ويتمناه بدلا من أن تستمر حياته فى هذا الخزى والعار ، وكأنه يخشى مصير المنتحر ، لكنه يبحث عن الانتحار ، لأن الاستشهاد لم يعد ممكنا ، وهو يقول بصراحة :

«انصرفت بعد ذلك وتوجهت إلى منزلى بمصر الجديدة ، ولم أذهب إلى جمال للمبيت معه فى مبنى قيادة الثورة كما كان الاتفاق بيننا ، ولم أذهب كذلك للمبيت مع عائلتى بالدقى ، [وبقيت] بمنزلى بمصر الجديدة رغم علمى بأنه مهدد تماماً بأن يصاب إصابة مباشرة من إحدى الطائرات المغيرة ، وذلك لقربه الشديد من مطار ألماظة ومطار مصر الجديدة ، وكذا المنطقة العسكرية بألماظة ، وهى المناطق التى كانت تقوم طائرات العدو بالإغارة عليها وضربها بقنابلها ومدافعها ، وقد أقدمت على هذا التصرف متمنياً أن يحدث خطأ من أحد الطيارين ويصيب منزلى بإحدى قنابله حتى أنتهى معه ، وحتى لا أشاهد المأساة القادمة ، والتى كانت صورتها تطوف بذهنى بعد تلك الأحداث التى مرت بى طوال اليوم ، وقضيت تلك الليلة بمنزلى ، وكان يهتز كلما انفجرت قنبلة من تلك القنابل التى تسقطها طائرات الأعداء ، ولكننى رغم هذا لم أكن أشعر بالخطر».

هكذا وصل البغدادى إلى ما يمكن اعتباره نوعاً من أنواع التبلد الذى يواكب اليأس ، فالبيت يهتز بالقنابل المتفجرة من حوله ولكنه لا يشعر بالخطر.

❑

وبعد صفحات أخرى يروى البغدادى تفصيلات مغامرته التاريخية المهمة مع الرئيس عبدالناصر بالسفر إلى الإسماعيلية عن طريق الكورنيش (أى عن طريق الإسماعيلية الزراعى المحاذى لترعة الإسماعيلية) ، بينما الحرب أو الهجوم مشتعل ، وهو يحكى لنا بصدق شديد عما دار بينه وبين عبدالناصر من حديث أخوى مفعم بكل معانى التضامن والأخوة والفداء ، وناطق ومصور لحقيقة ما حدث فى ١٩٥٦ إلى أن يصل إلى قوله:

«.... ونحن فى طريقنا إلى الإسماعيلية قال جمال بصورة مؤثرة ومحزنة بعد ما شاهد العربات والدبابات محطمة على جانبى الطريق: «إنها بقايا جيش محطم». وأخذ (أى جمال عبدالناصر) يتحسر على المبالغ التى كانت قد أنفقت على تسليح الجيش قائلا: «إن مائة وثلاثة ملايين من الجنيهات قد ضاعت هباء ، كما قال أيضا بالإنجليزية: I was defeated by my army . «لقد هزمت بواسطة جيشى» ،وكنت أقول له: لا تيأس ، ولكنه يرد علىّ بقوله: إنك تعرف أننى لا أيأس أبداً ، وكنت أحس أن أمامى رجلاً محطماً ، ويتوقف عليه وعلى تصرفاته مستقبل بلدى ، وشعرت بالعطف عليه ، بل قد شعرت فى تلك اللحظة أنه ملك علىّ نفسى أكثر من أى وقت مضى ، وكنت

على استعـداد للتضحية بنفسى فـى سبيله ـ فى تلك اللحظة التى ينهار فيـها وينتهى كل شىء ـ فى هذه اللحظة التى أصبح فيها ضعيفاً ولا حول ولا قوة له».

❑

ومع أن أحداً لا يقلل من الدور المعنوى الذى لعـبه عبد اللطيف البـغدادى فى دعم الرئيس عـبد النـاصر فى أثناء عـدوان ١٩٥٦ إلا أن هذا الموقف لم يحظ حـتى الآن لا بالتـقدير ولا بتـسليط الضوء عليـه ، والسبـب مفهـوم بالطبع ، ولعل هذا يدفـعنا إلى التأكيـد على أهمية أن نقرأ ما يرويه البـغدادى عن دوره فى التصدى لعبـد الحكيم عامر وصلاح سـالم فى رابع أيام العدوان الثلاثى حين كـان كلاهما يرغب فى إيقاف القـتال والاستسلام حـرصا على المصلحة الوطنية ، ويقدم لنا البغـدادى رواية مطولة سنطالعها بعد قليل ، وسنجد الرواية تدلنا على أن عبدالناصر قـد استطاع أن يستعين على انهزامية عبدالحكيم عامر وصلاح سالم بحماس عبداللطيف البغدادى وتأييد زكريا محيى الدين وربما ترينا هذه الرواية مدى الخسارة التى حـاقت بمصر فى ١٩٦٧ حين أصبحت الأمور الاستـراتيجيـة تخضع لتصـورات عبدالحكيم عـامر (المنفـردة) فقط بعيـدا عن مثل هذا الحماس والإيجابية (المواجهة) من البغدادى.

ومن حـسن الحظ أن هذه الرواية ترينا بصـدق شديد أو فلنقل بدقـة وبأمانة حـدود انفـعـالات كل من الزمـلاء الخمـسـة: صلاح سـالم ، وعـبـدالحكيم عـامـر ، وجمـال عبدالناصر ، وزكريا محيى الدين ، وعبداللطيف البغدادى.

هذا هو نموذج لما يذكر للبغدادى أنه سجله فى مذكراته:

« يوم الجمعة ٢ نوفمبر» :

«رأيت أن أذهب لرؤية أولادى لأنـى لم أكن قـد رأيتـهم من عــدة أيام ، ولأتناول الغداء مـعهم فى المنزل الذى كـانوا قد نقلوا إليـه بالدقى عند أحد الأقـارب ، لكن بعد وصـولى بعــدة دقائق اتـصل بى جـمال وطلـب منى الذهاب إليـه فى مكتبـه بمجلس الوزراء ، وأخبـرنى أن عبد الحكيم مـوجود معـه ، ولكننى شعرت من نبـرات صوته أن هناك شيـئاً يضايقه وله خطورته ، لذلك فـقد نزلت مباشـرة دون أن أتناول غدائى ، ولما وصلت إلى هناك لم يكن بالمكتب غير جمال وعبـد الحكيم. وقد أخذت أتحدث إليهما عن روح الشعب وتصـرفاته أثناء الغارة الجـوية التى شاهدتها عندمـا كنت متوجـهاً من

القيادة إلى الدقى ، واستهتار الشعب بهذه الغارات ، ومعنوياته المرتفعة. ثم حضر زكريا ، واتصل صلاح سالم تليفونياً بجمال عبدالناصر ، وطلب مقابلته فحدد له جمال موعد المقابلة بعد ساعة من حديثه التليفونى. ثم قام جمال واستأذن فى الذهاب إلى دورة المياه ، وطلب من عبد الحكيم أن يتحدث معنا فى الموضوع الذى سبق وذكره له أى لجمال».

وهنا يروى البغدادى مجمل آراء عبد الحكيم عامر التى عرضها فى هذا اللقاء على هذا النحو:

«وقد بدأ عبد الحكيم الحديث قائلا: «إن الاستمرار فى المعركة سيترتب عليه تدمير البلاد وقتل الكثيرين من المدنيين ، والشعب سيكره النظام والقائمين عليه ، وأنه يفضل تفادياً لهذا التدمير أن نطلب إيقاف القتال». هذا كان باختصار مضمون حديثه».

«ولما لم أكن أتوقع منه هذا الحديث فقد صدمت ، لذا فقد جاء ردى عليه بانفعال وبتحمس شديد ، وذاكراً أننا لابد سنخسر المعركة ، ولكن لابد لنا أن نخسرها بشرف ، وتسليمنا الآن سينتج عنه احتقار الشعب لنا ، والكره الذى يخشاه أخف وطأة من الاحتقار ، وأن ما خسرناه حتى الآن ليس إلا بعض الأشياء المادية ، وحتى لو قتلت بعض الأرواح فما هى إلا تضحيات فى سبيل الشرف والرسالة التى ننادى بها ، والأمر يستلزم منا الاستمرار فى المعركة حتى تسقط العاصمة وبعدها نقدر موقفنا ، ولا أقول أن نركب رءوسنا كهتلر ، ولا نستسلم أبداً حتى تدمر البلاد نهائياً ، ولكن أرى أن نستمر فى المعركة حتى لا نسقط من أعين الشعب ونفقد احترام الشعوب الأخرى».

«وكان جمال قد عاد وسمع قسطاً من حديثى ، جلس ولكنه لم يتكلم ، وكان مقطب الجبين ، ولم أكن أعرف ماذا كان رده على عبد الحكيم عندما تحدث معه فى هذا الموضوع ، أما زكريا فكان يرى أن نستمر فى المعركة ولو إلى حين».

❑

و يطلعنا عبد اللطيف البغدادى على آراء صلاح سالم ، وكأنه حريص على أن يوحى إلينا بما عُرف وشاع من أن صلاح سالم كان هو صاحب فكرة تجنيب الوطن ويلات التدمير والتخريب ، وأنه كان هو وعبدالحكيم عامر أكثر من شجّع وأشاع هذه الفكرة ، ونحن نرى البغدادى وهو يتصدى لصلاح سالم على نحو ما تصدى

لعبد الحكيم عامر من قبل ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن نزعم أن أياً من الطرفين كان على خطأ مطلق ، فلا البغدادى وزكريا ، ولا صلاح سالم وعبدالحكيم عامر كان على خطأ ، إنما هى تقديرات موقف ، وآراء وطنية ، و لكن الموقف نفسه كان أكبر من تفكير كل هؤلاء الزملاء الذين اندفعوا إليه دون أن يدروا حدود تصرفاتهم ، ودون أن يستعدوا لردود الفعل الطبيعية التى لم يكن توقعها وتقديرها بالأمر الصعب.

ولنقرأ ما يرويه عبد اللطيف البغدادى :

«وفى أثناء هذه المناقشة حضر صلاح سالم ، وكان حضوره بعد نصف ساعة من مكالمته التليفونية ، وذكر عند دخوله غرفة المكتب أنه لم يقدر على الانتظار مدة الساعة التى كان من المفروض عليه أن يحضر بعدها بحجة أن لديه كلاماً يود أن يقوله لنا».

«وبدأ حديثه: «إننا يجب أن نجنب البلاد ويلات التدمير والتخريب» ، وذاكراً ما سبق أن قاله عبد الحكيم ، واقترح على جمال أن يعلن بياناً على الشعب يخبره فيه بأنه رأى أن المصلحة تستدعى تجنيب البلاد الدمار والخراب ، وأن يعلن أنه سيطلب وقف القتال والاستسلام» ، وقد زاد على هذا بقوله: «ونقوم ونسلم أنفسنا لـ«تريفليان» السفير الإنجليزى».

ويردف البغدادى بعد هذا بقوله:

«ولكنى لم أحتمل منه هذا القول فرددت عليه: «إننى أرى أن أشرف لىَّ ياصلاح أن أنتحر قبل أن أقوم بمثل هذا العمل».

«وهنا قال جمال: «إنه من المستحسن أن ننتحر جميعاً هنا قبل أن نأتى بمثل هذا العمل».

«وطلب [أى جمال عبد الناصر] من زكريا إحضار عدد من زجاجات السم «سيانور البوتاسيوم» تكفى لعددنا لاستخدامها عند اللزوم ، وأكد كلامه بقوله: «إننى جاد فيما أقول».

«وهنا قال صلاح سالم إنه يسحب الاقتراح».

«واستمرت المناقشة محاولين إيضاح أن دواعى الشرف تستدعى منا الاستمرار فى القتال حتى تسقط العاصمة ، وحتى نصل إلى الحد الذى نعتقد أنه بعد ذلك يكون من الجنون الاستمرار فى القتال ، وبعد هذا نختفى ونعمل على استمرار القتال عن طريق

المقـاومة السـرية ، وعلى أن يقوم جـمـال بتكليف شخص قـبل اخـتـفـائنا ليعـمل على التفاوض مع تلك القـوى المعتدية لإيقاف القـتال ، وحتى لا نترك البلاد دون قـيادة بعد اختـفائنا. وأبدى صلاح موافـقته على هذا الرأى ، كـما ذكر عبـد الحكيم أن هذا هو ما كان يقصده ، وهو موافق عليه ، وبعدها لم تفتح المناقشة حول الموضوع ثانية».

❑

وعلى الرغم من كل هذا الذى يرويه عبداللطيف البغدادى عما يمكن تشخيصه على أنه يمثل روح الانهـزام فى عـبدالحـكيم عامـر وصـلاح سـالم فى أثناء الأيام الأولى من حرب ١٩٥٦ ، فـإن البغـدادى يحرص من باب الإنصـاف على أن يشـير إلى حقـائق الأمور كـما كانت واضـحة له ، وهى أن الأمر كـان أكبر مـن عبدالحكيم عـامر ، بل إن البغـدادى يحرص أيضاً على تبرئة عـبدالحكيم عامر من تهـمة الانفراد بالمسئـولية ، لأن تقديرات الموقف التى كـانت معروفة من قبل كـانت تشير إلى حجم مـا حدث بالفعل ، وهو ما لم يكن عـبدالحكيم عامـر بمفرده مسئولا عنه ، وفى هذا المعنى يقول البـغدادى بكل وضوح:

«... وفى تلك الفتـرة كان هناك نقد مرير لعـبد الحكيم والجيش من الكثـيرين ، لكن لابد أن نكون منصفيـن ، فالحمل كان أكثر مـن أن يتحمله عبد الحكيم بمفـرده ، خاصة بعد دخـول انجلترا وفـرنسا المعـركة. والعـامل النفسـانى نفسـه كان له تأثيـر كبيـر على تصرفات الكثيـرين ، كما أنه كان قد حدث شلل مفاجئ للكثـيرين أيضاً بعد أن اتضح دخول الدولتـين المعركـة بالإضافة إلى إسـرائيل ، وكان البـعض من الزملاء يشـبه هذا الذى حدث بـأنه سيكون هو الطوفـان ، وذلك عندما كنا نناقش المـوقف بعد التـأميم ، ومن أن هذا الاحتمال مـوجود بتدخل الدولتين عسكرياً بعد دفـع إسرائيل إلى الاعتداء علينا. ومَنْ كـان يشبـه هذا الوضع بالطوفـان لو حدث كـان هو أول المهـاجمـين لعبـد الحكيم ، وشـبهه باللواء المواوى قائد العمليات الحربية أثناء حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ، وفشله فى تلك الحرب».

ونأتى بعـد هذا إلى بعض ملامح مـوقف البغـدادى من حرب ١٩٦٧ ومن الجـدير بالذكر أن نشير إلى أن عـبد اللطيف البغـدادى كان واعيا كل الوعى فى ١٩٧٧ حين

نشر مـذكراته أن نشره لبـعض ما شاهد وسـجل عن حرب ١٩٦٧ سيـجلب له المتاعب (مع أن هذا فى الواقع لم يحـدث على نحـو ما توقع البـغدادى) ، ولكنه مع هذا التـزم الشجاعة فى تسجيل ثم نشر ذكرياته عن تلك الفترة الأليمة.

يقدم عبد اللطيف البغدادى لحديثه عن حرب ١٩٦٧ بقوله:

«... كنت خارج المسئولية عندما وقـعت تلك الحرب. وكان قد مضى ثلاث سنوات منذ أن اعتزلت الحيـاة العامة ، ولم يمنعنا ذلك (الضمير يعود عليه وعلـى زميليه كمال الدين حـسين وحـسن إبراهيم) مـن أن نؤدى واجـبنا ونقـول رأينا إلى جـمـال عندمـا أحسسنا أن الحـرب بين مصر وإسرائيل على الأبواب ، وقد شـاهدنا بعض أحداثها عن قرب ومن داخل القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية نفسها ، ولـم تدم الحرب طويلاً ، بل جاءت الهزيمة بعد ساعات قليلة من قيـامها ، وكان ذلك صدمة أليمة على نفوسنا. وجرت أحـداث داخلية فى مـصر يومى ٩ و١٠ يونيو ١٩٦٧ بعـد قوع الهـزيمة ، وكنا نشاهد ما يجرى والحسرة تملأ نفوسنا والألم يعتصر قلوبنا ، وكنت قد دونت ما شاهدته من أحداث وما أحسست به من آلام فى يومياتى».

هكذا يؤكد البغدادى على المعنى الذى أشرنا إليه ، ويبدو واضحاً أنه يريد أن يستنكر استمرار القيادة السياسية بـعد ٩ و١٠ يونيو على حين أنه كان يتوقع أن ينتحر المسئولون عن هذه النكبة أو يختفوا على الأقل:

«... وقـد التزمت منذ البـداية أن أقـدم للقارئ وأن أذكـر له مـا كنت قد دونتـه فى يومياتى بكل أمانة ، وإننى لأعرف مقدماً أن ما سيأتى فى هذا الباب سيجر علىّ المتاعب من بعض الأفراد غـير المتفهمـين لحقيقـة ما جرى ، ولكن ليس أمامى من حـيلة غير أن أظل على التزامى قِبل القارئ متحملاً من هؤلاء الأفراد هذه المتاعب التى أتوقعها منهم. ولست أريد منهم غير أن يتحللوا من عواطفهم الشخـصية ، وأن يضعوا أنفسهم مكاننا أثناء تلك الأحداث ومـا كان يجرى ، وألا يتـحيزوا لأشـخاص بل يكون تحيـزهم فقط لمصر وللعرب. والواجب يتطلب منا أن نكون أوفيـاء لشعبنا ولبلدنا قبل أى شيء آخر. والوفاء للأشخاص مطلوب أيضاً بل وواجـب كذلك ، ولكن هذا الوفاء للأشخاص لا يجب أن نغلبه على وفائنا لشعبنا وبلدنا إذا تعارضا معاً».

«وما كـتبته فى يومـياتى هى أحداث وقـعت ومشاعرأحـسست بها على إثر مـا كان يجرى ، وألماً لبـلادى وما حاق بها من مـهانة وضيـاع ، وإن كان هناك ما سيـؤخذ على

هذه المشاعر منى فلى عذرى لأنى كنت أرى الظلام يحيط بنـا من كل جانب ، ومستقبل بلادنا فى الميـزان إن لم يكن قد قـارب الضـياع ، ومع هذه الأحـاسيس التى كـانت تملأ نفسى كنت أشاهد ما يجرى وكأن النصر هو الذى تحقق وليس هو الخزى والعار».

هكذا يصل البغدادى إلى جوهر ما ينتقده وهو أنه فوجئ بما كان يجرى عقب الهزيمة من مظاهرات ، وكأن النصر هو الذى تحقق وليس الخزى والعار ! ! ولايرى البغدادى أن المتهـمين بهذا التدليس قـد تجاوزوا فى كتابـاتهم المسمومة كل مـا كتبـه فى هذا الشأن ، وهى آية من آيات العجب مما وصل إليه حالنا تجـاه الهزيمة وهو ما لانزال نعانى منه على كل حال:

«وإننى لأعذر قلمى إن كـان قد خط هذه الأحاسيس على هذه الصـورة التى جاءت فى يومياتى ، وهو متأثر بما كان يحيط بنا ، وإننى لأود من الآخرين الذين سيعتبون على هذا الذى كتبت فى يومياتى أن يعذروا هم أيضـاً قلمى لأنهم ربما لم يحسوا بما أحسسنا به ولم يروا ما رأيناه».

❑

ولست أشك فى تقدير القراء لفهم عبد اللطيف البغدادى للسياسة الخارجية ولطبيعة الصراع الدولى فى أزمة الشـرق الأوسط ، ولكنى وجدت أن من الأفضل أن ألفت نظر القراء إلى طبيعة وحجم هذا الفهم مـن خلال هذه الرسائل الثلاث التى شارك البغدادى فيها كلها وشاركه فى بعضها زميلاه كمال الدين حسين وحسن إبراهيم ، والقارئ لهذه الرسائل التى كتبت فى الأيام التى سبقت اندلاع الحرب فى ٥ يونيو ١٩٦٧ يدرك بكل وضوح أنه كـانت لا تزال هناك فرصـة فى ٢٧ مايو لمراجعـة النفس والبعـد عن الإلقاء بالنفس إلى التهلكـة لولا أن نظامنا السياسى لم يكن فى ذلك الوقت قـادراً على الإفادة من مزايا الديـمقراطيـة وتعدد الآراء حـتى لو لـم يتبعـها كنظام للحكم .. ولـكن طبول الحرب كانت تدق بلا إبطاء ، وكانت الصحافـة هى الأخرى تدق الطبول بعدما اختفت منها الحرية والقدرة على التعبير عن أى رأى إلا الرأى الذى تقول به الدولة .

وربما يكون من المفـيد فى تـأمل موقف عـبد اللطـيف البغـدادى وآرائه تجاه حـرب ١٩٦٧ أن نبـدأ بإيراد الرسـائل الثـلاثـة التى شـارك البـغـدادى فى كـتـابتـهـا للرئيس عبدالناصر:

- الرسالة الأولى وتاريخها ١٧ مايو وهى رسالة ثنائية وقد وقعها البغدادى وحسن إبراهيم.
- الرسالة الثانية وتاريخها ٢٦ مايو وهى رسالة فردية وقد وقعها البغدادى فقط.
- الرسالة الثالثه وتاريخها ٢٧ مايو وهى رسالة ثلاثية وقد وقعها البغدادى وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم.

الرسالة الأولى، وأهم ما فيها هو تنبيه البغدادى وزميله حسن إبراهيم إلى أهمية أن نكون على بينة من أمرنا ولا ننساق إلى فخ بدأت إسرائيل تجهيزه على نحو خبيث ، وهذا هو نص الخطاب:

«السيد رئيس الجمهورية

تحية طيبة وبعد ،

«لقد تتبعنا بكل اهتمام ما ينشر فى الصحف عن الحشود العسكرية الإسرائيلية على الحدود السورية وكذا الإجراءات الحاسمة التى اتخذتها الجمهورية العربية المتحدة ردا على ذلك والاستعدادت التامة لتنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك بيننا وبين الشقيقة سوريا».

«ولما كان الموقف له أهميته القومية والوطنية ، رأينا أن نكتب إليكم برأينا فى هذا الموضوع بعد أن تدارسناه فى ضوء المعلومات المحدودة المتوافرة لدينا ، وذلك لإحساسنا بأن الواجب القومى يتطلب منا أن نساهم ولو بالرأى فى هذه المعركة».

«ونحن نحب أن نؤكد أننا نؤيد ونقف وراء كل قرار يتخذ ويكون الغرض منه التصدى لإسرائيل ومنعها من الاعتداء أو التوسع على حساب أى دولة عربية ، بصرف النظر عن طبيعة النظام السياسى والاجتماعى فى تلك الدولة ومدى موافقتنا أو معارضتنا لهذه الأنظمة».

«ومع تأييدنا المطلق لهذا الموقف نحب أن نبين أنه من الصالح أيضا أن نكون على بينة من أمرنا ولا ننساق إلى معركة تحدد إسرائيل زمانها ومكانها وهو أمر غير مرغوب فيه وكنت سيادتكم على حق دائما حينما ذكرت فى خطابكم أنه لابد لنا من أن نختار نحن موعد وأرض المعركة».

ونصل فى هذا الخطاب إلى فقرة تنبئنا أن الحديث المكثف عن الحشود الإسرائيلية

كان قد وصل إلى الدرجة التى صورت للمراقبين [ومنهم البغدادى وحسن إبراهيم] ، أن إسرائيل ماضية فى حشد حشودها بطريقة علنية ، وهذا ما جعل الرجلين صاحبى الخبرة بطبيعة الصراع العربى ـ الإسرائيلى يعجبان من أن تسلك إسرائيل هذا السلوك. وهذه هى قيمة مثل هذه الرسائل المؤرخة التى تعكس رؤية أصحابها فى وقتها قبل أن تكون الفرصة متاحة لادعاء الحكمة بأثر رجعى ، فهذه الرسالة تعكس بالفعل مشاعر اثنين من الوطنيين المتميزين فى بداية الأزمة حين كان الحديث مقتصراً على الحشود الإسرائيلية:

«ونحب أن نضيف أنه مما يثير الدهشة فى هذه الأزمة الحالية أن إسرائيل على غير عادتها تقوم اليوم بحشد قواتها بصورة علنية ، وهى الحريصة دائما على استغلال عنصر المفاجاة.. فما الدافع وراء ذلك؟».

ويمضى الرجلان فى طرح ما يعتقدانه بمثابة الأسباب التى تدفع إسرائيل ـ فى ظنهما ـ إلى مثل هذا التصرف فى ذلك الوقت ، ومن الواضح أن الحيرة كانت تسيطر على فكرهما وهما يتلمسان الأسباب سببا وراء سبب.

وتطلعنا الأسئلة التى تضمنتها الرسالة على قدرة جيدة على استقصاء الاحتمالات المختلفة وتحليلها بتفكير متميز ورؤية متأملة فى هدوء ، ونحن نرى الرسالة تستعرض ستة أسباب محتملة للموقف على النحو التالى:

- «... هل تقوم إسرائيل بمظاهرة عسكرية ، الغرض منها لفت أنظار العالم وتأزيم الموقف لحل مشكلة المنطقة المنزوعة السلاح؟».
- «... هل تستعد إسرائيل للدخول فى معركة مع سوريا واضعة فى اعتبارها الظروف المعينة التى تساعدها على النصر فى الموقف الحاضر؟».
- «... هل يقلق إسرائيل فعلا تغلغل الفدائيين فى أراضيها حتى يدفعها ذلك إلى اشتباك فعلى باسم الحرب الوقائية وحتى تدفع الهيئات الدولية للتدخل لوضع حل لهذه المشكلة بوضع قوات من البوليس الدولى على الحدود المشتركة بين البلدين؟».
- «... هل الدافع لإسرائيل من هذا التصرف هو معرفة رد الفعل عندنا ، وهل نحن

على استعـداد لتحقيق مـا أعلناه عن تنفيذ اتفـاقية الدفاع المشتـرك مع سوريا أم إننا لسنا على استعداد؟».

- «... هل الدافع هو وضعنا فى موقف حرج هو إما التقـاعس عن تنفيذ اتفاقيـة الدفاع المشتـرك فيكون لذلك رد سيىء فى العالم العـربى مما يؤثر على هيبتنا ومـوقفنا بين الدول العربيـة ، أو أننا سنحشد جزءا كـبيرا من قواتنا فى سـيناء الأمر الذى يكلفنا الكثير قطعا. وبذا يزيد الضغط على مواردنا المالية؟».
- «... هل الغـرض من الحشـود الإسرائيليـة يكمن فى معـركة اليـمن ، والقصـد هو تثبيت قوات لنا فى سيناء حتى لايمكن مـساندة قواتنا فى اليمن عندما يتطلب الأمر ذلك ، والواضح أن أعداءنا سـيستغلون هذه الفـرصة والقيام بمناوشـات واسعة فى اليمن».

وهنا نلاحظ أن الرجلين (البغـدادى وحسن إبراهيم) كانا يشـعران فى ذلك الوقت بالأزمة الاقتصادية أو الأزمة فى الموارد على الأقل ، وهو مـا لـم تكن صحافتنا تشير إليه بأية صورة من الصور.

ثم يصل الرجلان إلى محـاولة تقييم موقف المجتمع الغـربى بنفس النمط من التفكير العاقل المتـحسب ، و نحن نراهمـا يجيبـان على هذه الأفكار والاحتـمالات بما يراه كل منهما مرجحاً فى وجهة نظره :

«... لعل الدافع لإسـرائيل هو أحد هذه الأسـباب أو كلهـا مجـتمعـة ، ولكن الذى لاشك فيه هو أن الاسـتعمار وراء هذه العـملية أيضا ، فهو يعـمل بكل قواه فى الوقت الحاضـر مدافعا عـن كيانه فى منطقـة الشرق الأوسط ، وهو فى سبـيل ذلك يسعى إلى عزل الجمهورية العربية المتحدة عن باقى شقيقاتها العربيات وفى الوقت نفسه يسعى إلى استنزاف مواردنا الاقتصادية».

هكذا تبدو الرسالـة التى كتبها الرجـلان متشبعـة إلى درجة كبيـرة بما كانت الدعاية المصرية قـد روجت له فى الداخل من أن الجمهـورية العربية المتحـدة قد حققت تقـدما اقتـصاديا أصبح بمثـابة تحد للاستـعمار الغـربى ، ومن ثم فإن الرسـالة تبدأ مبـاشرة فى تأسيس بعض الأفكار علـى هذه المقدمات (التى نعرف الآن أنـها كانت خاطئـة تماما) ،

ونلاحظ أن الأفكار التالية فى الرسالة أقل فى قيمتها الفكرية من الفقرات السابقة ، ولكن هذا لا يعيب الرجلين على كل حال فقد كانا كغيرهما من أبناء الجمهورية العربية المتحدة يتعرضان لتضليل إعلامي مكثف لا تزال آثاره باقية إلى اليوم.

تقول الرسالة :

«ولعزل الجمهورية العربية عن غيرها من دول المنطقة يتخذ إجراءات أهمها:

«أ إيجاد جو من الخوف من حركة التحول التقدمى الذى تتحوله الجمهورية والتهديد بأن هذا التحول يقضى على مصالح الحاكمين فى هذه الدول».

«ب إيجاد جو من التشكيك فيما حققته الجمهورية من تقدم اقتصادى حتى لايطالب بمثله الآخرون(!!)».

«جـ تحطيم هيبة الجمهورية العربية بإيجاد جو من عدم الثقة فى تصريحاتها عن قدرتها على الدفاع عن الدول العربية إذا اعتدت عليها إسرائيل أو غيرها من الدول».

«د تحطيم كل مايدعو إلى الوحدة العربية الحقيقية ومايمت إلى القومية العربية الحقيقية.

ولاستنزاف مواردنا الاقتصادية يتخذ الاستعمار الخطوات الآتية:

«أ إرغامنا على حشد الجيوش العربية ووضعها تحت حالة طوارىء دائمة وذلك بإثارة بعض المناوشات هنا أو هناك وخصوصا فى اليمن».

«ب خلق جو متوتر يدفعنا إلى اتخاذ نفس الاجراءات من حشد جيوشنا فى حالة استعداد وبذا يصبح الضغط على اقتصادنا مضاعفا وهى محاولة للتغلب على سياسة (النفس الطويل) ».

وتخلص الرسالة بعد هذا كله إلى استنتاجاتها المنطقية التى يمثل نصفها الأول ما كان معروفا للكافة ، على حين يمثل نصفها الثانى ما حاولنا (بتأثير من صحافتنا !!) تجاهله والقفز عليه.

ولنقرأ ما فى الرسالة:

«المهم هو أن مصالح الاستعمار تلتقى دائما مع مصالح ربيبته إسرائيل والمهم أيضا أن نكون على أتم استعداد لنقضى على كل مايقومون به من مناورات أو تحركات وملاقاة أى خطوات تتخذ منهما ».

ثم تقدم الرسالة مقترحات عسكرية محددة تتبلور فى الاقتصار على استخدام القوات الجوية فقط ، ومن المفارقات أن خطتنا المعلنة قد عمدت إلى ما هو عكس هذا الاقتراح على طول الخط ، ومن المفارقات الأكثر مدعاة للأسف أن إسرائيل هى التى نفذت خطة الطيارين السابقين البغدادى وحسن إبراهيم.

«... وكل ما نأمله أنه فى المرحلة الأولى من الاشتباك إن وقع بين سوريا وإسرائيل أن نكتفى نحن من جانبنا باستخدام قواتنا الجوية دون استخدام باقى وحداتنا المسلحة إلا إذا تطلب الأمر وحتمت الضرورة استخدام قواتنا المسلحة بكل ثقلها ، وهذا أمر لايمكن تقديره إلا تبعا لتطورات المعركة وظروفها ومداها».

«إن كل ما نتمناه هو أن يحقق الله النصر لأمتنا العربية وأن يوفقكم فى اتخاذ القرارات التى تحقق هذا النصر سواء السياسية منها أو العسكرية والله الموفق».

والسلام عليكم ورحمة الله

البغدادى ـ حسن إبراهيم

القاهرة فى ١٧ مايو ١٩٦٧

❑

الرسالة الثانية: لعل أبرز ما تحتويه هذه الرسالة الثانيه هو طلب عبد اللطيف البغدادى من الرئيس عبدالناصر بأن يجد الرئيس له مكاناً فى الخطوط الأمامية بين صفوف الجنود. ومن العجيب أن الرسالة تبدى سعادة البغدادى بتمكن الرئيس عبد الناصر من استعادة السيطرة على شرم الشيخ ومزاولة السيطرة على الملاحة في مضيق تيران!! وهو ما يدلنا على أن البغدادى كان (شأنه فى هذا شأن عبد الناصر وعبد الحكيم) يشعر بالمرارة من هذا الموقف الذى جاء نتيجة لحرب ١٩٥٦ واضطرت الثورة لاخفائه عن الشعب طوال هذه السنوات !!

«السيد رئيس الجمهورية

بعد التحية ،

«اليوم ، وأمتنا تمر فى مرحلة من أدق مراحل تاريخها بعدما قررتم استرداد حقوق سيادتنا على قطعة من أرض الوطن .. على شرم الشيخ.. ومزاولة حقنا فى السيطرة

على الملاحة فى مضيق تيران ، وثورة بعض الدول الغربية الاستعمارية وربيبتهم إسرائيل على ممارستنا لهذا الحق دفعهم إلى التآمر والتهديد باستخدام القوة ضدنا».

«وإننا نرى أنه لزاماً علينا أن نشارك فى الذود عن حرية وطننا والدفاع عن حقوقه».

«وإنه ليشرفنا أن نجد لنا مكاناً بين صفوف جنودنا فى الخطوط الأمامية حتى ننال شرف الجهاد عن وطننا.. وهى أمنية طالما تمنيناها. وأننا نظن أن وطننا الآن فى حاجة إلى كل مجاهد ومقاتل فى سبيل حريته وعزته».

«والله يوفقنا جميعاً وأن يحقق لنا النصر».

«والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

عبد اللطيف البغدادى

٢٦ مايو ١٩٦٧

❑

الرسالة الثالثة:وفيها يؤكد البغدادى وزميلاه على فكرة أن يتاح لهم شرف المشاركة فى المعركة فى جبهة القتال أو فى أى موقع:

«السيد رئيس الجمهورية

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

« فقد جدت فى الموقف أمور ، إذ طالعتنا الأنباء والتصاريح بأن هناك احتمالا كبيرا فى أن تدخل إسرائيل المعركة وأن تستخدم أمريكا وبعض الدول الغربية القوة لفتح طريق الملاحة الإسرائيلية فى خليج العقبة».

«وفى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ أمتنا ينتظر الوطن من كل مخلص من أبنائه أن يؤدى واجبه كاملا لنصرته والذود عنه ، ولذلك فإن ضميرنا الوطنى يلزمنا بأن نتواجد فى الموقع الذى يتحتم علينا أن نكون فيه حيث نساهم فى التأهب للقاء العدو ».

« وإنا لفى انتظار تحديد موقع لنا فى هذه المعركة سواء فى جبهة القتال أو فى أى مكان ترونه حتى نتمكن من أداء واجبنا. وختاما نرجو الله أن يوفقنا جميعا وأن يكتب لوطننا النصر والسلام .

عبد اللطيف البغدادى ، كمال الدين حسين ، حسن إبراهيم

السبت ٢٧ مايو ١٩٦٧

بعد أن استعرضنا نصوص ومضامين هذه الرسائل الثلاث يجدر بنا أن نتأمل فيما يرويه البغدادى عن ذكرياته فى تلك الأيام التى سبقت الحرب ، وهو يروى أنه دعا زميليه كمال الدين حسين وحسن إبراهيم إلى اللقاء به ، وأنه ناقشهما فى مكانهما ومكانه من السلطة لو دعاهما عبدالناصر إلى العودة ، وهو يذكر أنه كان على خلافهما منتويا قبول أى موقع يعرضه عليه الرئيس عبدالناصر فى هذا الاتجاه ، ولكن المناقشة أبانت لهم أن عبدالناصر قد تجاوزهم بالفعل لأنه كان قد مضى بمفرده فى الطريق الذى كان يتصوره المجد الزاهر والنصر الباهر ، وأنه لن يقابلهم إلا لكى يقطع عليهم خط الرجعة.

على هذ النحو كان اعتقاد هؤلاء الثلاثة من نواب رئيس الجمهورية السابقين فى قوة رئيسهم ومجده على الرغم من الهواجس والوساوس الطبيعية التى دفعتهم إلى اللجوء إليه ظنا منهم أنه بحاجة إلى اللجوء إليهم ، ولنقرأ ما يرويه البغدادى:

«اجتمعنا نحن الثلاثة فى منزل حسن إبراهيم قبل ذهابنا إلى موعد جمال عبد الناصر بحوالى نصف ساعة».

«ودار الحديث بيننا حول التصرف منا إذا ما طلب جمال أن نعمل معه كنواب لرئيس الجمهورية أو أعضاء فى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى».

«وكانت هناك بعض التحفظات من كمال وحسن بأنهما استقالا لأسباب ، وهذه الأسباب لازالت قائمة ، ويفضلان العمل كمستشارين مثلاً فى هذه الظروف. وكنت أرى القبول دون أية تحفظات ، وأن تكون مزاولتنا للمسئولية التى تعرض علينا مرتبطة فقط بالمعركة واستمرارها وأن تنتهى بانتهائها ، وذلك حتى لا يكن موقفنا مناقضاً للخطاب الذى أرسل منا إلى جمال».

«ولكننا خلصنا فى النهاية إلى أن جمال غالباً لن يتقدم إلينا بمثل هذه العروض ، ذلك لأنه يعتقد أنه حقق نصراً وهو لا يريد أن نشاركه هذا النصر ، كما أنه لا يحب أيضاً أن يظهر وكأنه فى حاجة إلينا فى هذه الظروف ، وهو فقط أراد من هذه المقابلة أن لا يؤخذ عليه تاريخيا ـ مع هذه الظروف التى تمر بها بلادنا ـ أننا مددنا يدنا إليه وهو لم يقابلنا بنفس تلك الروح الوطنية التى دفعتنا إلى الكتابة إليه مرتين ، وأن المقابلة معه لن تكون إلا مقابلة مجاملة ليس إلا».

«بل وتناولنا بالحديث ما الذى سيقوله أيضاً لنا».

❑

ونأتى بعد كل هذا إلى ما ترويه مذكرات عبد اللطيف البغدادى عن مقابلة الرئيس عبدالناصر لنوابه (أو لزملائه) الثلاثة السابقين ، وسنرى قدر البشر والحبور اللذين كانا لايزالان مسيطرين على الزملاء الأربعة [الرئيس والثلاثة] بينما كانت الكارثة تنسج أطرافها:

«وقد صدق حدسنا فعلاً. وما حدث فى المقابلة أنه عندما دخل علينا فى حجرة صالون منزله وبدأ يسلم علينا وكنت بالمصادفة الأول فى السلام ، ولاحظت عليه أنه أطال النظر إلى شعر رأسى. فسألته عن السبب الذى جعله يطيل النظر إليه..».

«فأجابنى: بأنه زاد بياضا».

«فقلت : عجزنا».

«فرد : أنا معجزتش».

«وأعتقد أنه أراد بذلك أن يشير إلى ما كان قد جاء على لسانه فى مؤتمره الصحفى أمس رداً منه على سؤال لأحد الصحفيين الأجانب الذى سأله عما إذا كان لا يزال فى مقدوره مواجهة معركة عسكرية كما واجهها أثناء أزمة السويس بعد أن كبر سنه الآن».

«وقد أجابه جمال على ذلك بقوله: «إننى لست خرعاً كايدن» ، إشارة منه إلى الانهيار الذى كان قد حدث لايدن على إثر معركة السويس».

«لذلك عندما رد علىّ بأنه لم يعجز فقد ذكرت بعدها نفس إجابته على ذلك الصحفى ، وقلت: «أصلك ما انتاش خرع زى ايدن».

«وضحكنا جميعاً بعد هذا الحديث ، وقد ساعد هذا فى إذابة الثلج الذى كان بيننا إلى حد ما».

❑

على أن الأهم من هذه البدايات هو أن الرئيس جمال عبدالناصر كان لايزال حتى ذلك اليوم الذى شهد هذا اللقاء [التاريخى] يقرأ بعناية كل ما يكتبه له زملاؤه ، وهو أمر يستحق الإنصاف والإعجاب والتقدير ، بل كان يحتفظ لنفسه بحق التعليق على

بعض كلمات فيه ، ذلك أن الحديث يتطرق بسرعة إلى مدى الاستعدادات العسكرية فإذا بالرئيس يطمئن هؤلاء الزملاء الثلاثة إلى وجود خمس فرق كاملة مستعدة (اثنتان مدرعتان وثلاث مشاة) ، ولكنه مع هذا كان فيما يبدو شاردا فيما يتعلق بمساومات إسرائيل كما يتصورها البغدادى ، وفى المقابل فقد كان الرئيس واثقا كل الثقة من تأييد السوفيت.

ولنقرأ ما يرويه البغدادى عن تفصيلات مهمة فيما يتعلق بتقدير عبد الناصر للموقف:

«... وبدأ جمال حديثه بأن ذكر أنه كان يود الاتصال بنا عندما أرسلنا إليه الخطاب الأول ولكن لم يكن لديه الوقت الكافى لكثرة مشاغله ، وأشار إلى التحفظ الذى كان قد ورد فى خطاب كمال إليه ، وقوله فيه «بصرف النظر» ، وعقب كمال على ذلك بقوله إنه يقصد أنه لم يشترك فى تقدير الموقف وهو غير مسئول عن النتائج».

«ولم يعلق جمال على ذلك إنما استطرد فى الحديث قائلاً: «إن البلد بلدكم والثورة ثورتكم ، والواحد بيتخانق مع أخوه ومع مراته ، وإحنا برضه بشر ، يمكن كل واحد اختار له طريق يمشى فيه ، لكن البلد بلدنا كلنا ، والثورة ثورتنا ، وعلى العموم الموقف كويس ومطمئن».

«وأشار جمال إلى خطابنا الأول وتقديرنا للموقف وذكر أن الخطة مبنية من الأساس على سحب قوات الطوارئ الدولية والرجوع إلى شرم الشيخ».

«فقلت: إننا استنتجنا هذا يوم ١٨ مايو عندما طلبت مصر سحب قوات الطوارئ ، واستفسرت منه عما إذا كان لدينا فرقتان عسكريتان فى سيناء أو أكثر».

«فرد علىّ باعتزاز قائلاً: خمس فرق ، منها فرقتان مدرعتان وثلاث مشاة. وسألناه عن تقديره لموقف إسرائيل ، وهل من المنتظر أن تتحرك عسكريا وتحارب ، وهل لدينا أية معلومات تدل على ذلك ، لكنه استبعد هذا ، وذكر أنها إن تحركت فلن يكون ذلك قبل ستة أو سبعة شهور. ولما استفهمنا منه عن موقف أمريكا أجاب: ولا حاجة».

«ولما سألته عما إذا كان ممكناً كسب القضية فى هيئة الأمم إن أحيل إليها موضوع الخلاف».

«فرد بأنه مطمئن لذلك. وقد وجهت إليه هذا السؤال لاعتقادى أنه يؤزم الموقف مقدراً أن الموضوع سينتهى بأن يحال إلى مجلس الأمن».

«ولذا قلت بعد ذلك ربما تحاول إسرائيل الاستيلاء على قطاع غزة حتى تساوم به على شرم الشيخ إن انتقل الخلاف إلى هيئة الأمم».

«فسكت جمال ولم يعلق على ما ذكرت».

«ولما سألته عن موقف الاتحاد السوفيتى .. أجاب ـ إنهم مستعدون لمساندتنا إلى آخر درجة».

❑

ويبدو بوضوح أن عبد اللطيف البغدادى لم يكن ليعول على ثقة الرئيس عبد الناصر فى السوفيت فإذا به يعيد عليه السؤال مرة ثانية وإذا بعبد الناصر يعيد التأكيد ، ولكن تظهر فى حديث عبد الناصر معلومة تجعل كمال الدين حسين يتحفظ على صورة علاقتنا بالاتحاد السوفيتى فإذا بالبغدادى يتدخل حرصا منه على عدم تكهرب الجو بين كمال الدين حسين وعبد الناصر:

«فسألته ثانية: هل هم على استعداد للاشتراك فى المعركة ودخول حرب ثالثة من أجلنا لو تدخل الغرب».

«فأجاب: إنهم أبلغوا شمس بدران بمساندتنا عندما كان عندهم ، ووافقوا على جميع طلباتنا ، من إرسال طائرات بسرعة ، وتسليح فرقتين ، واحدة مدرعة وواحدة مشاة».

«وقال أيضاً : إنهم أرسلوا لنا ليأخذوا رأينا فى زيارة أشكول رئيس وزراء إسرائيل لهم ، وهو طلب منهم أن يقوم بزيارة لموسكو ، ووافقنا».

«فقال كمال: أنا خايف ليفهم أن مشاكلنا بتحل فى موسكو».

«فرددت عليه (أى على كمال) بسرعة حتى لا يتكهرب الجو مع جمال من هذا الذى ذكره كمال بقولى: إن براون وزير خارجية بريطانيا كان قد سافر إليهم وليس معنى هذا أن مشاكل بريطانيا بتحل فى موسكو».

❑

ومما تجدر الإشارة اليه أننا نجد فى صفحة ١٢٨ من كتاب «الصامتون يتكلمون »

للأستاذ سامى جوهر مضمون الحديث السابق ، وقد رواه البغدادى على نحو آخر يكاد يكون متقاربا وإن لم يكن متطابقا:

« يروى البغدادى أنه سأل عبد الناصر : متى تعتقد أن إسرائيل ستشن الحرب !

وأجاب عبد الناصر : مش قبل ٦ أو ٧ شهور.

وقال له كمال الدين حسين : إن إغلاقك مضايق التيران هو بمثابة إعلان الحرب على إسرائيل .. ومش ممكن تصمت ٦ أو ٧ شهور ؟

فقال جمال : احنا على كل حال مستعدين تمام .. واطمئنوا جدا .

وعاد كمال حسين يجادله قائلا : هل تعتقد أن أمريكا ودول أوروبا ستتركك تلقى بإسرائيل فى البحر وتزيلها من الوجود ؟ وأجاب عبد الناصر بسرعة : شمس بدران كان فى موسكو .. وأخذ وعداً من القادة السوفيت بالتدخل معنا إذا اشتركت مع إسرائيل أى قوى أجنبية .

ونطق الثلاثة فى صوت واحد : «يعنى روسيا مستعدة لحرب عالمية ثالثة . ورد عبدالناصر: أيوه هم وعدوا .. ولابد مستعدين .. وقام واقفا معلنا انتهاء الزيارة وهو يردد للثلاثة محاولا إشعارهم أنه قوى وكبير جدا .. أنا متشكر على مشاعركم .. واطمئنوا جدا ولو احتجنا لكم سننده (أى: ننادى) لكم .. ».

❑

ثم نأتى إلى الموضع المهم الذى روى فيه البغدادى عن عبدالناصر قوله أو اعترافه الخطير بأنه اتخذ إجراءاته هذه من أجل إيقاظ العرب حين وجدهم قد ناموا!!:

«وقال جمال أيضاً: إن الملك حسين قد طلب أن يأتى لزيارتنا ، وألح على سفيرنا فى عمّان حتى كاد يُقبل ..... [هنا لفظ محذوف لا يخفى إدراكه على فطنه القارئ الذى يعرف موضوع التقبيل فى مثل هذه التعبيرات الدالة على الإفراط فى الرجاء] .. من أجل أن نوافق على قيامه بهذه الزيارة ، وأنه على استعداد لتغيير حكومته بحكومة أخرى وطنية. وذكر جمال أنه وافق على أن يقوم الملك حسين بهذه الزيارة لمصر ولكن دون إعلان عنها ، وقال: إنه سيحضر باكر ، وسينزل بطائرته فى مطار ألماظة وليس فى مطار القاهرة الدولى. وأشرنا فى حديثنا معه بعد ذلك إلى ظاهرة تجمع العرب ووحدتهم فى هذه الأزمة وبصورة مشرفة لم تحدث من قبل».

«فقال جمال تعقيباً على ذلك: أصلى لقيت العالم العربى نايم ويائس.. فحبيت أصحيه».

❑

ونأتى إلى ما يرويه البغدادى عما حدث منذ وقعت الحرب ، ونحن نجد فى مذكرات البغدادى المختلفة تفصيلات كثيرة اعتمدت عليها كثير من الكتابات التاريخية بعد ذلك ، وسنكتفى بما يرويه البغدادى ببعض ما يصور الموقف الذى وجد البغدادى نفسه فيه ، ونحن نراه على سبيل المثال لا يخفى عجبه الشديد من أن جمال عبدالناصر قد فقد اتصاله بجيشه وبقيادات هذا الجيش إلى الحد الذى كان يقرأ فيه الاستراتيجية التى سيدير عليها عدوه الحرب من الصحف الإنجليزية ، وهو يقول فى مذكراته بلا أى إدعاء أو افتراء أو تأليف:

«ودخل (أى جمال عبدالناصر) ، وبعد أن سلم علينا قال لعبدالحكيم ببساطة: «إن استراتيجية اليهود مكتوبة اليوم فى جريدة إنجليزية ، إنهم يودون احتلال بورسعيد لضمان حرية الملاحة لهم فى قناة السويس» ، فدهشت من أن رئيس الدولة والذى قرر الحرب لم يعرف استراتيجية العدو من قبل ولم يتبينها إلا اليوم من جريدة إنجليزية ، واستطرد جمال عبدالناصر موجهاً كلامه إلى عبدالحكيم: «اليهود زى ما أحنا تعبانين هم تعبانين أيضاً ، ويمكن التصدى لهم ، ويمكنك استخدام الدبابات الخاصة بالحرس الجمهورى ، وعدد هذه الدبابات كما سمعت ستون دبابة».

بل إن عبد اللطيف البغدادى كان حريصا على أن يروى ما يدلل به بطريق غير مباشر على أن العشوائية فى اختيار وتحديد القادة العسكريين قد امتدت فشملته هو نفسه حيث رشحه عبد الناصر للمساعدة فى الإشراف على القوات الجوية(!!) وكأنما كنا لا نزال فى العصور الوسطى!! التى تحتفظ للقادة بلياقتهم المطلقة على الدوام.

ويبدو أن عبد الحكيم عامر كان أكثر وعياً من عبد الناصر فيما يتعلق بفهمه لمدى تقبل القوات الجوية أن يشارك البغدادى فى الإشراف عليها ، فهو ينصح زميله (البغدادى) بأن يتظاهر بأنه أراد أن يزور القوات الجوية وهو فى طريقه إلى منزله.. وهكذا فهم البغدادى أنه غير مرحب به فى هذه المهمة ففضل احترام نفسه وإن لم يمنعه هذا من تنفيذ اقتراح عبدالحكيم .. ولنا أن نقارن هذا بموقفه قبل بدء الحرب حين كان

يتمنى مكاناً ـ أى مكان ـ فى صف من صفوف الجنود المتقدمة!! ولكن هذا لم يمنع البغدادى بالطبع وعلى غير توقعنا من أن يمر بالقوات الجوية وأن يبقى معهم حتى الساعة الرابعة صباحا!!.

يقول البغدادى:

«... وطلب [أى الرئيس عبد الناصر] منى مساعدة عبدالحكيم عامر فى الإشراف على القوات الجوية ، وانصرف الجميع بعد أن صدرت الأوامر لعدة وحدات من الجيش بالتحرك ، تاركين عبدالحكيم ليتولى أمر مقابلة هذا العدوان ، وبقيت معه بعض الوقت وذكرت له ما طلبه منى جمال. ولكننى أحسست من حديثه أنه لا يرغب فى أن أقوم بهذه المساعدة لأنه قال : «اعمل على أنك رأيت أن تمر عليهم بالقوات الجوية كزيارة لهم عند ذهابك إلى منزلك». ففهمت أنه لايرغب فى أن أتدخل بصورة فعلية عكس ما كنت قد فهمته من جمال».

«وقد فضلت عدم إحراج نفسى ولا إيجاد مشاكل فى هذه الظروف ، خاصة أنه ليس هناك قرار واضح يحدد مسئوليتى المباشرة بالنسبة لهذا الشأن. والقائد العام المسئول الأول عن هذه العمليات ليس عنده الاستعداد فى قبول هذه المعاونة منى ، لذا فقد رأيت أن أكتفى بالمرور على رئاسة القوات الجوية كزيارة لها ، ولأطمئن على الموقف. وقد ظللت معهم حتى الساعة الرابعة صباحا».

❑

كذلك تدلنا مذكرات البغدادى بمثل بسيط جداً عن مدى خطورة القفز إلى أحكام خاطئة تنبنى عليها سياسات واستراتيجيات الحرب ، وهو ما حدث ـ على سبيل المثال ـ فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، وهو يروى فى هذا المجال كثيراً من الوقائع بدون تنظير ولكننا سننقل للقارئ هذه الفقرة المهمة التى كان الرئيس مبارك فيها بمثابة الحكم الذى أنقذ القيادة السياسية من ترديد أوهام كانت كفيلة بأن تدل العالم على مدى تخبطنا ، ومع هذا فإننا لم نمانع فى أن نردد هذه الأوهام بعد ذلك بأسلوب التلميح:

«.... وفى مرة طلب صدقى محمود (أى قائد الطيران الفريق أول محمد صدقى محمود) عبدالحكيم(أى المشير عبدالحكيم عامر) وأخبره أن طائرات العدو قد أغارت

على مطار الأقـصر وضـربت طائراتنا هناك ، وكـانت بعض طائراتنا قـد نقلت إلى هذا المطار بعد ابتـداء الضرب صباح اليـوم ، وكانت أصلاً فى مطار بنى سـويف ، وقيل إن أحد الطيارين القدامى واسمه حسنى مـبارك قد شاهد الطائرات المغـيرة وهى من النوع الأمريكى ، وأنه يؤكد ذلك ، وطـلب عبدالحكيم جمال عـبدالناصر تليفونيـاً وأخبره أن عدد الطائرات المغيرة كـثير جداً أكثر مما يملك العدو ، وأن هناك طائرات أمـريكية تغير على مطار الأقصر ، وقد تعرف عليها أحد الطيارين وهو طيار قديم وله خبرته ، وطلب عـبدالحكيم من جـمال فـى النهاية أن يبـحث عن حل سـياسى ، ولكن «جـمال» كـان حريصـاً ولم يتسرع ويأخذ برأى عـبدالحكيم ، وإنما طالبه بـأن يثبت له تدخل الطائرات الأمريكية ، وأن يحـضر له مثلاً طائرة منهـا يكون قد تم إسقاطها ، واتـصل عبدالحكيم بمطار الأقصر وتحـدث شخصيـاً مع الطيار حسنى مبـارك وسأله عن نوع الطائرات التى أغـارت على مطارهم هناك ، وهل هـى أمريكـية أم إسـرائيليـة ، فـأجـابه بأنهـا كـانت إسرائيلية».

❑

وحين يتـأمل عبد اللطيف الـبغدادى المواقف الصـعبة التى واجـهت بلاده فى حرب ١٩٦٧ فإنه يجـد نفسه يفزع إلى آراء زمـلائه ، وهو هنا يعبر دون أن يدرى عن نزعـته الجماعية التى كانت تضيف إلى قدرته الفردية الهائلة ، وهو ينقل لنا ـ على سبيل المثال ـ حواره مع كمال الدين حسين حيث يقول:

«.... لكن جـمال عبـدالناصر قـال له (أى لكمال الدين حـسين) إن الدول العـربية المنتجة للبترول تسمح للشركات الأجنبية بالقـيام بنقل البترول مقابل تعهد مكتوب منها بأنها لن تمون به أمريـكا ولا انجلترا ، وهذا يعنى ـ على حد قوله ـ أن المقـاطعة شكلية ، كما اتهم جـمال أيضاً الملك «فيـصل» بالتواطؤ مع الغرب ضدنا ، فطلـب منه كمال أن ننسى خلافاتنا مع باقى الدول العربية حاليـاً حتى يمكن الاستفادة بهم ، وأن يعمل على التفـاهم مع فيصل وتسوية مـشكلة اليمن. فرد عليـه جمال بقوله: «ونتـرك البدر يدخل اليمن» ، فقال له كمال: «إن مـصر أهم لنا من اليمن ، وأنا أقول لك ذلك مخلصاً ، ولما نيجى على أنفسنا مع بعض أحسن ما نيجى على أنفسنا مع اليهود».

❑

وعلى الرغم من أن عـبداللطيف البـغدادى كـان فى منتهى الألم وقـمة الإحـباط مما

وصلت إليه الحال فى أثناء حرب يونيو ١٩٦٧ ، إلا أنه كان شأن كل المؤمنين بالقدر يبحث بفطرته عن الجانب الذى قد يكون خيراً فى هذا الشر الماحق ، وهو يحدث نفسه ويحدثنا أيضاً بفكرته التى طرأت له فى ذلك الوقت العصيب بأن نتيجة هذه الحرب ربما كانت بمثابة إنقاذ للأمة من الدكتاتورية والمصير المظلم الذى كانت قد سارت فيه بالفعل ، وعبارات البغدادى فى تصوير شعوره فى أثناء متابعته للحرب تتدفق بصدق شعورى لا نهاية له كما تدل على مدى معاناته هو نفسه من النظام الذى شارك فى صنعه أو دعمه وهو يقول:

«... إننا نشعر وكأننا فى حلم ، كابوس رهيب ، هل يُدمر سلاحنا الجوى فى يوم ، وتدمر قواتنا الأرضية فى يوم واحد آخر ، هل هذه القوة الضخمة لا تصمد أكثر من ٣٦ ساعة ، وأخذنا نعود بذاكرتنا إلى التصرفات فى الجيش ، وأسلوب الحكم ، وهذه هى نهاية كل نظام مثل هذا النظام ، ومقامرة جمال عبدالناصر بمستقبل أمة بأكملها فى سبيل مجده الشخصى ، وكنا نعرف من قبل أنه يقامر وكنا نندهش من هذا التصرف ، وهو كان قد قدر أنه سيحقق نصراً يرفعه إلى السماء دون أن يخسر شيئاً ، فجاءت النهاية ، نهاية نظامه ، خزياً وعاراً على الأمة ، ربما يكون هذا خيراً من يدرى؟؟؟».

«ربما أراد الله إنقاذ هذه الأمة من استعباد جمال لها ومن تأليههم له ، واستمرار هذه الصورة كان سيؤدى بها إلى أسوأ مصير ، فربما أراد الله بهذه الأمة أن تصحو من غفوتها وتحطم الآلهة ، وتصحو لنفسها ، وألا تدع شخصاً آخر يسيطر عليها كما سيطر جمال ، من يدرى؟».

«وقدرنا هذا المساء أن «جمال» وعبدالحكيم لابد أن ينتحرا بعد هذا الذى جرى ، وليس أمامهما مفر من ذلك. ورأينا عدم الذهاب «باكر» إلى مكتب عبدالحكيم ، فالأمر قد انتهى ونحن فى انتظار ما يأتى بعد الغد ، من صور سوداء مظلمة لا يعرف مداها إلا الله».

❑

ولا يبدى البغدادى ارتياحه ولا قبوله لما حدث من مجلس الأمة عقب تنحى الرئيس عبدالناصر ، بل إنه يصف ما حدث بأنه المهزلة الكبرى ، وبعد أن يصف ما حدث فى المجلس يتساءل فى جدية: ماذا كان جمال عبد الناصر حريا أن يفعله لو انتصرنا؟ ومن العجيب أن أحداً من أعداء السادات اللاحقين لم يكلف نفسه عناء

الاستعانة بمثل هذه الفقرة فى الهجوم على السادات وعلى رئاسته لمجلس الأمة فى ذلك الوقت:

«... ياللمهزلة الكبرى ، بدلاً من أن يقوم المجلس بطلب مناقشة أسباب هذه الهزيمة وكيف يدمر لنا جيش من ست فرق ، وتحطم لنا أربعمائة طائرة ، وكل ذلك فى ظرف ست وثلاثين ساعة ، وبدلاً من أن يسأل عن الكارثة وكيف حدثت ومن المتسبب فيها ، ومحاسبة المسئولين عنها ، بدل ذلك يرقص طرباً وفرحاً ، ولا يسأل ولا يخطر على بال أحد من أعضائه أن يسأل».

«ولكن الذى حدث هو أن اختنق صوت أنور أثناء إلقائه رسالة جمال وأخذ يجاهد نفسه حتى يستطيع الاستمرار فى الكلام. وقام رئيس الوزراء محمد صدقى سليمان ، وحمد الله وشكر باسم الحكومة جمال عبد الناصر لاستجابته لرغبة الشعب. وقام سيد مرعى وكيل المجلس ليقول كلمة المجلس فى هذا الموقف التاريخى ، وقال إنه يطلب من الله أن يلهمه قدرة فوق قدرته وفوق قدراتهم جميعاً ليكبح جماح عواطفه التى تملأه وتملأهم جميعاً ، ويبكى بل ويغمى عليه».

«ثم قام المجلس بعد ذلك وخوّل جمال عبد الناصر سلطاته كلها ليقوم بالتعبئة الكاملة والشاملة لكل قوى الشعب العامل وإعادة البناء العسكرى والسياسى بما يكفل مناعته وقوته على مواجهة كل التحديات ، هكذا جاء قرار المجلس».

«هذه هى الصورة المصغرة لما حدث اليوم».

«ولم أكن متصوراً كيف سيذهب جمال عبد الناصر إلى مجلس الأمة فى عربة مكشوفة ويمر بها فى شوارع القاهرة يحيى هذه الجموع المحتشدة فى الشوارع. كيف يمكنه أن ينظر إليهم وهو يعلم الحقيقة. وإن كانوا هم مخدوعين فأظنه لا يمكن أن يكون مخدوعاً».

«ماذا يحدث لو انتصرنا؟

«وما الذى كان يفعله جمال عبد الناصر لو تحقق النصر إن كان يفعل هذا مع الفشل والعار؟ ما الذى كان سيحدث لو انتصرنا؟.

عبد اللطيف البغدادى
شهيد النزاهة الثورية

7

البغدادى والعلاقات العربية للثورة

الفصل الأول : موقف البغدادى من الوحدة مع سوريا

الفصل الثانى : البغدادى مارس المسئولية عن الملف السورى

الفصل الثالث : البغدادى يقيّم تجربة الوحدة

الفصل الرابع : نموذجان لمواقف عروبية عابرة

دار الخيّال

الفصل الأول : موقف البغدادى من الوحدة مع سوريا

ربما كان من الأوفق أن نبدأ هذا الباب بتقديم نبذة سريعة عن خلفيات عبداللطيف البغدادى فيما يتعلق بالبلاد العربية ، وهو ما كان يميزه ـ كما ذكرنا من قبل ـ عن بقية زملائه من أعضاء مجلس قيادة الثورة والضباط الأحرار ، بل هى ميزة لم تكن متاحة بالقدر ذاته لأنور السادات الذى كان على معرفة جيدة وعميقة بكل الطوائف والاتجاهات السياسية فى مصر ، لكن يبدو ـ مع هذا ـ أن هذه الخلفية الثقافية (أو المعرفية) للبغدادى لم تثمر ثمارها المرجوة فى دفع البغدادى نحو توجهات عروبية فاعلة ، والسبب فى هذا واضح وهو أن التوجهات الوحدوية العربية فى عصر عبد الناصر لم تتأسس على رغبات سياسية شعبية أو على تحالفات أحزاب متحدة الفكر وإنما ارتبطت بشخص الزعيم ، وفى هذا ما فيه من خطر لم يكن أقله أن الرئيس جمال عبد الناصر كان يتولى كل هذه الأمور بنفسه ولا يترك لزملائه إلا الحواشى (كذهاب أنور السادات وعبدالحكيم عامر من آن لآخر إلى اليمن) ، ولم يكن البغدادى ليقبل مثل هذه الأدوار الهامشية ، بل إنه كان فى الواقع متطرفاً فى رفض هذه الأدوار إلى حد أنه وهو نائب لرئيس جمهورية الوحدة بين مصر وسوريا ، رفض أن يتولى أمر سوريا على الرغم من أن المنطق يقول بأنه كان ينبغى عليه أن يبحث عن سلطاته التى يخولها له هذا المنصب ، ولكنه مصداقاً لرؤيتنا لم يفعل بل رفض مجرد فكرة القيام بالرئاسة بالنيابة فى سوريا ، وهو ما قبله عبدالحكيم عامر بعد ذلك وانتهى بالمأساة التى نعرف جميعاً أبعادها.

ومع أنى أشك فى أن الرئيس عبدالناصر (بطبعه الذى أصبحنا نعرف عنه الكثير بحكم ما قرأناه ورأيناه وسمعناه) كان سيفوض البغدادى فى نفس القدر من الصلاحيات التى فوضها لعبدالحكيم عامر حين أوكل إليه أمر سوريا فى الفترة الممتدة من أكتوبر ١٩٥٩ وحتى وقوع الانفصال فى نهاية سبتمبر ١٩٦١. على الرغم من هذا فإنى أدعو إلى التفكير الجاد فى الإجابة عن السؤال القائل بمدى إمكانية نجاح البغدادى (والنظام المصرى أو الناصرى بالتالى) لو كان البغدادى هو الذى فوض فى شئون سوريا بدلا من عبدالحكيم عامر فى تلك الفترة التى تولى فيها المشير صلاحيات الرئاسة فى القطر الشمالى من دولة الاتحاد ، ولست أظننى مخطئاً إذا قلت إن البغدادى كان قادراً على النجاح وعلى تدبير أمور سوريا والسوريين بأكبر قدر من الحكمة والحنكة والانضباط ، وكان كفيلاً بأن يحظى من جموع الشعب السورى والجيش السورى بالحب والاحترام والطاعة ، ولو أنه فوض حقيقة فى إدارة أمور سوريا لما حدث الانفصال ولاستمرت دولة الوحدة قائمة.

لكننى مع هذا أعود فأقرر فى وضوح أن النظام الناصرى لم يكن سيسمح باستمرار البغدادى فى هذا الموقع ، وكان لابد لهذا النظام إن عاجلا أو آجلا من زحزحة البغدادى (الذى نجح) عن هذا الموقع وإسناده إلى عبدالحكيم (المرشح للفشل).. ولم يكن هذا التتويج لعبد الحكيم فى سوريا قابلاً للتوقف إلا أن يحدث الانفصال ، ولست قاسيا فى هذا الحكم .. لكن هذا هو تشخيصى المتكامل لأزمة النظام الناصرى فإنه بكل عافيته كان يحمل عوامل التدمير الذاتى من داخله على نحو ما نعرف فى المرضى المصابين بمرض الذئبة الحمراء ، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

❑

وعلى كل الأحوال فسنقرأ فى هذا الباب تفصيلات مواقف طريفة من قبيل أن الرئيس عبد الناصر كلف صحفياً كبيراً (لا يهمنا الاسم الآن مع احترامنا له وهو ـ أى الاسم ـ موجود فى النص) بأن يتولى إقناع البغدادى بقبول هذه المسئولية ، ولست سيء الظن ، لكننى أعتقد أن الإنسان حين يلجأ إلى توسيط مَنْ هو أبعد عنه إلى مَنْ هو أقرب إليه فإنه يعنى بذلك توجيه رسالة إلى القريب أو إيحاء بأنه من الأفضل له أن يصرح برفض موضوع الوساطة ، وكثيراً ما أفعل أنا نفسى هذا ، وكثيرا ما يُفعل هذا معى أيضا.

والشاهد أن موقف البغدادى من قيام الوحدة مع سوريا كان واضحاً ، ولست أحب أن أفرض رؤيتى أو استنتاجاتى السابقة فيما يتعلق بهذه الجزئية ، ولكنى أستطيع أيضاً أن أذكّر القارىء بما يجده واضحاً فى روح كل الروايات المتاحة عن الأيام التى سبقت إعلان قرار قيام الوحدة ، وهو أن حالة من التوجس المبنى على عدم المعرفة الكافية كانت تسيطر على كل مَنْ كانوا على شاكلة البغدادى من رجال مسئولين بين رجال الحكم فى مصر فى ذلك الوقت. وقد كان البغدادى معارضاً تماماً للوحدة الاندماجية ، وقد ذكر هو نفسه ما يعبر هذا المعنى فى أكثر من موضع ، ونقلناه عنه فيما كتبناه [فى كتابنا الذى لم ينشر بعد عن عبد الحكيم عامر] الذى كان على ما يروى البغدادى الوحيد من رجال الثورة الذى وافق على الاندماج مع سوريا.

على أنه من الجدير بالذكر أن نشير إلى أن عبد اللطيف البغدادى فى حديثه لمجلة الشباب (ديسمبر ١٩٩٨) قد ظل على عقيدته فيما يتعلق بأهمية حرب اليمن لمصر ، كما ظل يردد وجهة النظر المفضلة لدى قادة الثورة (مع اختلاف آرائهم) فيما يتعلق بنجاح القيادة المصرية فى إحباط محاولة الشيوعيين السوريين إظهار مصر وقيادتها فى صورة مَنْ لا يريد الوحدة مع سوريا ، ولا أظن أن بقاء البغدادى على الاقتناع بمثل هذه الفكرة يعد أمرا غريبا على تكوينه وممارساته.

يقول عبد اللطيف البغدادى :

«يجب ألا نظلم عبدالناصر.. علينا أن نرى الأمور بموضوعية .. فلقد كان يريد فى البداية الاتحاد مع سوريا لا الوحدة معها حتى يضمن عدم حصول أى ردة أو انتكاسة على طريق الوحدة ، ولكن الشيوعيين فى سوريا حضروا لمصر [!! وعلامات التعجب من عندنا] يطلبون الوحدة لا الاتحاد لأنهم يعرفون أن جمال يريد الاتحاد لا الوحدة بحيث يقولون للجماهير العربية: إن عبدالناصر هو الذى يرفض ويقف ضد مطلب الوحدة الذى يتمسك به الشعب السورى ويضغط به عليهم .. ففوت عبدالناصر عليهم هذه الفرصة ولم تكن الوحدة مع سوريا مغامرة أبدا كما قال أعداء الثورة».

❑

أما فيما يتعلق بالفترة الممتدة بعد إعلان قيام دولة الوحدة فقد ذكر عبد اللطيف البغدادى مجموعة من الأسباب التى برّر بها موقفه من الاعتذار عن تولى الملف

السـورى وهى أسبـاب منطقيـة فى الظاهر ، لكنهـا لا تتناسب ولاتتـوافق ولاتتمـاشى بالطبع مع الروح الوحـدوية ، وهذه هى رواية البغـدادى نفسـه فى حديثـه لمجلة نصف الدنيا (١٩٩٦) حين سئل : «أصـررت على رفض تولى منصب حاكم الإقليم السورى بالرغم من محاولة مصطفى أمين إقناعك فلماذا ؟ وقد أجاب البغدادى بما نصه:

«حتى لايقـال إن المصريين استـعمروا سـوريا وأرسلوا مَنْ يحكمها ، بالإضـافة إلى أننى كنت لا أعـرف شيئـاً عن سوريا ولا عن مـشاكلهـا إلى أن جاءنى مصطـفى أمين بمنزلى بناء على طلب عـبد الناصـر ليخبـرنى عن الحالة العـامة والجيش والأحزاب فى سوريا والتى كان عـائدا منها لتوه وأضاف قـائلا : إن السوريين يعتقـدون أن مشاكلهم ستحل بعد ٤٨ ساعة بعد إتمام الوحدة ».

«وفى نهـاية الحديث زاد اقـتناعى بأنه من الخطأ إرسـال مـصرى لتـولى هذه المهمـة وأقنعت مصطفى أمين بالأسباب التى أبلغها لعبد الناصر ».

....

ولكن ... يبـدو أنه على الرغم من هذا الموقف الواضح للبـغدادى ضـد الاندماج ، وضد تولى مسـئولية الحكم فى سوريا فإن البـغدادى فيما يرويه من أحـاديث كان حريصاً بأن يوحى بأنه كان حريصاً جداً على أن تستمر هذه الوحدة وأن تنجح وليس أدل على هذا فى نظره من أنه أرجأ (أو سحب) اسـتقالته من مناصبـه حتى لا تؤثر على الوضع فى سوريا:

«.... قدمت استقالتى وعلمت أن عبـد الناصر سوف يقبلها ، ولكنه عاد وأرسل لى مجموعة من أعضاء المجلس أخـبرونى بأن إصرارى على موقفى سيؤثر على الوضع فى سوريا ، كنا فى فترة الوحدة . فـقلت لهم : إذا كان هذا هو تقديركم للموقف فأنا رجل وطنى لا أحب أن يضار وطنى ، ولذلك سحبت الاستقالة ».

❏

ونستعرض إحـدى الروايات التى ضمنها البغدادى قصة رغبـة عبدالناصر فى إسناد شئـون سوريا إليه ، ويبدو لـنا من نصوص هذه الرواية أن جوهر الفكرة كـان أن يتولى البغـدادى رئاسة المجلس التنفيـذى ، وهو منصب أقل من منصب رئيس الوزراء ، وربما كان هذا (الانـخفاض البـروتوكولى) بمـثابة أحد الأسـباب التى دفـعت البغـدادى إلى

الاعتذار ، خاصة مع ما نعرفه عن أن عبدالحكيم عامر حين قبل بتولى أمور سوريا تولاها فى إطار أنه رئيس بالنيابة وليس رئيس مجلس تنفيذى فحسب.

يقول عبد اللطيف البغدادى:

«... وكان جمال قد اتصل بى يوم السبت ١٥ فبراير ١٩٥٨ وطلب أن ألتقى به فى المساء بمنزله».

نتوقف هنا لنلفت نظر القارئ إلى أن هذا التاريخ يوافق ماقبل إعلان قيام الوحدة بأسبوع كامل !!.

«وفى هذا اللقاء اقترح علىّ جمال أن أتولى رئاسة المجلس التنفيذى المزمع قيامه فى الإقليم السورى بعد أن يتم الاستفتاء على الوحدة ، وكان الأمر مفاجأة لى لم أكن أتوقعها فتحفظت فى الرد وقبول ما اقترحه علىّ ، ومقترحاً أن يتولى هذه المسئولية أحد السوريين ومفسراً ذلك بحتى لا يقال أن المصريين قد استعمروا سوريا وأنهم أرسلوا مَنْ يحكمها. ولكنه ذكر أنه حتى يتلافى هذه الصورة فإنه سيعمل على أن يتولى رئاسة المجلس التنفيذى فى مصر شخص سورى».

«فقلت: إذا كان من الضرورى أن يتولى تلك المسئولية مصرى فربما يكون من الأفضل أن تكون هذه الخطوة تالية بعد أن يتولاها السورى وحتى يصبح هناك المبرر إن فشل ، ولأن نجاح المصرى فى مهمته نجاح للثورة وللوحدة أيضاً ، والبدء بالسورى يتيح للمصرى فرصة الدراسة والإعداد قبل توليه تلك المسئولية ، وتصبح بذلك فرصته فى النجاح أكثر تحقيقاً».

«ولكنه [أى الرئيس عبد الناصر] قال: إن المشكلة أنه ليس هناك شخص سورى يمكن أن يتولى هذا المنصب ويرضى عنه أهالى سوريا.. على حد تعبيره».

«ولما سألته عن صبرى العسلى وإمكانية توليه هذا المنصب ، اعترض عليه لأسباب ذكرها وهى تتعلق بسلوكه العام».

«وعندما اقترحت عليه أكرم الحورانى وأنه شخصية يمكن الاعتماد عليها فى تحمل تلك المسئولية كما أنه تقدمى وله دوره فى قيام حزب البعث الاشتراكى. أجاب بأن كل الأحزاب هناك ضده ، وأن من يؤيد حزبه من الشعب السورى لا يمثل إلا ١٠٪ منه فقط».

«وعندما ذكرت اسم صلاح البيطار ، اعترض عليه ذاكراً أنه ضعيف ولا يصلح».

هكذا فإن عبد الناصر ، فيما يتعلق بقدرة الزعماء السوريين على حكم بلادهم ، قد قاد الحوار مع البغدادى إلى «انسداد الطرق» وذلك على نمط النصف الأول والأطول من الروايات البوليسية حين يُواجه القارئ (والبطل أيضا) بالحوائط السادة فى نهاية كل شارع ، ونمضى مع الرواية:

«... ولما طلبت منه أن يمهلنى يومين لأفكر فيما اقترحه علىّ ، قال: «إن موضوع الوحدة ونجاحها متوقف على هذه العملية ، والناس فى سوريا فى انتظار المعجزات ، ويعتقدون أن حل مشاكلهم سيتم فى خلال ٤٨ ساعة بعد إتمام الوحدة».

«وقد أمنت على ما ذكره مشيراً إلى ما كتبه مصطفى أمين فى جريدة الأخبار بعد زيارته لسوريا حول هذا الموضوع. وهو فى كلمته التى كتبها أشار إلى نفس هذا المعنى الذى ذكره جمال ، وحاول جمال أن يحثنى على قبول اقتراحه ويدفعنى إلى الموافقة عليه. ولكننى ذكرت له أننى لا أعرف شيئاً عن سوريا ولا عن مشاكلها ولا أعرف أيضاً أحداً بها ، وأن الأمر يختلف فيها عن مصر التى عشت مشاكلها وأعرف عادات الناس بها كما أعرف مَنْ أثق بهم ، ويعرفنى أيضاً الكثيرون وهم يخبروننى عما يجرى من أخطاء ، ولكن الوضع سيختلف فى سوريا».

«فذكر أنه قد اتفق مع جريدتى الأهرام والأخبار على أن يقوما بفتح مكاتب لهما فى سوريا لتقوم بالإبلاغ عما يجرى هناك».

ربما نتوقف هنا لنتأمل طبيعة وحجم هذه الحلول(!!!) التى كانت كافية فى نظر الرئيس عبدالناصر للإحاطة بتفصيلات الأوضاع فى سوريا.. وربما كان الانفصال ـ لمثل هذا السبب وقبل هذا التفكير ـ منطقياً مادام مكتبا الأهرام والأخبار سيتكفلان بوضع نائب الرئيس أو الرئيس النائب أو الرئيس والنائب فى الصورة فيما يتعلق بالأخطاء والآراء.

ونمضى مع ما يرويه البغدادى من حديث الرئيس جمال عبد الناصر:

«... كمـا ذكر ـ أى الرئيس عـبد الناصـر ـ أن الناس فى سوريا كل مـا تحتـاجه هو العدل لأن الجـيش السورى ـ على حد قـوله ـ قد أوجد صـورة من الإرهاب فى أنحاء البلاد».

«وقال أيضاً : إن سوريا فى حاجة إلى تنفـيذ بعض المشروعات بها لأن الشعب هناك لم يلمس شيئا من هذا من فترة طويلة».

«وأشار إلى أن البنك الدولى كان قد وضع مشروعـاً لأغراض التنمية هناك منذ عام ١٩٥٤ . ولكن هذا المشروع لم يُنفذ منه شئ».

«كما أن سوريا أيضاً كانت قد اقترضت من روسيا مبلغ أربعة ملايين من الجنيهات، ولكن نصف هذا القرض قد أنفق كمرتبات على الفنيين الروس الذين يدرسون إمكانية وضع خطة تنمـية لها ، وأنه ـ أى جـمال ـ قـد اقترح علـى السوريين العمل عـلى إلغاء تلك الاتفاقية».

«وفى نهاية حديثنـا سلمنى جمال مشروع الدراسـة الذى قام به البنك الدولى لأطلع عليه ،كما اتفقنا على أن نلتقى بعد يومين لأبلغه بقرارى النهائى فيما اقترحه علىّ».

❑

وفى إطار هذا الذى نتـحدث عنه من تهـيب البغـدادى لتولى المسئوليـة عن الملف السورى ربمـا كان من المهم أن نتـأمل فى حقيـقة وطبـيعـة الدور الذى كلف به الرئيس جمـال عبدالناصر الأسـتاذ مصطفى أمين القـيام به فى سوريا والنتـيجة التى خـرج بها مصطفى أمين من لقاءاته فى سوريا.

يقول عبد اللطيف البغدادى:

«... وفى هذا اللقاء الثانى يوم الأثنين ١٧ فبراير ١٩٥٨ [نلفت نظر القارئ إلى أننا لانزال فى الأسبوع السابـق مباشرة على إعلان قيام دولة الوحـدة فى ٢٢ فبراير] طلب منى جمال مقابلة مصطفى أمين عندما علم بأنى لازلت عند موقفى السابق من اقتراحه، وذلك حتى يـطلعنى مصطفى أمين على مـا لديه من معلومـات ، والتى كان قـد حصل عليهـا أثناء زيارته لسوريا مؤخراً ، وحـتى أكون رأياً سليماً بـعد الاستماع إلـيه. وكان جمـال قد أرسل مصطفى أمين إلى هناك بـغرض الاتصال بالهيـئات المختلفة بهـا وكذا بالقيادات السـياسية ـ التقدمـية منها والرجعيـة كذلك ـ وقد تقابل معه جـمال فى اليوم

السابق للقائنا هذا بعد عودته ، وأعطاه مصطفى ـ على حد قول جمال ـ صورة سوداء عن الموقف هناك ، ومقترحاً عليه تعييني أو تعيين كمال الدين حسين رئيساً للمجلس التنفيذي السوري».

«ولقد التقيت مع مصطفى أمين يوم الثلاثاء ١٨ فبراير ١٩٥٨ في منزلي ، وأخذ يسرد عليّ تلك المعلومات التي أمكن له جمعها أثناء تلك الزيارة ، وقد كتبها تفصيلاً في مفكرة لديه ، وهي عن الحالة العامة هناك ، وعن الجيش ، وعن الأحزاب المختلفة القائمة في البلاد ، وكذا عن الأشخاص الذين التقى بهم من القيادات السياسية».

ويبدو أن طريقة مصطفى أمين في تقديم المعلومات كاملة ومتعددة وبالتفصيل للبغدادي قد حققت أثراً جعلت البغدادي أكثر اقتناعاً بصواب رفضه لهذه المهمة ، أو كأنما كانت المعلومة التفصيلية أدعى إلى تشجيع البغدادي على الرفض والاعتذار على حين أنه كان لا يزال متردداً بعد سماعه الآراء الملخصة التي قدمها الرئيس عبدالناصر:

«... وقد خرجت بنتيجة في نهاية الحديث معه ، وهي اقتناعي الكامل بأن إرسال أي مصري لتولي هذه المهمة في سوريا سيكون خطأ ، وأن النتيجة لن تبشر بالخير».

«ولم أشأ أن أترك مصطفى أمين يغادرني دون أن أناقشه اقتراحه الذي ذكره لجمال ، وأن أبين له موضع الخطأ فيه».

«وقد استأذن مني في إبلاغ ما ذكرته إلى جمال بعد أن أوضح أنها نقاط لها أهميتها ووجاهتها وأنه مقتنع بها».

«وقد انصرف مصطفى أمين بعد أن أبديت له هذه الأسباب ذاكراً لي اقتناعه بها ومستأذناً في إبلاغها إلى جمال».

❑

وربما كان من المهم أن نقرأ بالتفصيل مجمل وجهة نظر البغدادي بعد أن استمع إلى التفصيلات التي قدمها له مصطفى أمين ، ومن حسن الحظ أن البغدادي قد احتفظ بملخص لآرائه التي أبداها في ذلك اليوم على هيئة نقاط محددة ، وهي نقاط مهمة تكشف عن نضج في الفكر السياسي والتنفيذي للبغدادي في ذلك الوقت ، وإن كانت تكشف في ذات الوقت عن عقلية متحفظة في سن كان من المفروض فيه أن يكون

صاحبها أكثر اقتحاما للمصاعب ، لكن يبدو أن المناقشات المملة التى شهدها مجلس قيادة الثورة المصرى طيلة سنوات الثورة الأولى كانت كفيلة بأن تصيب أفكار العمل السياسى عند أعضائه الجادين من أمثال البغدادى بشيخوخة مبكرة فيما يتعلق بمواجهة المشكلات أو التحديات السياسية.

وهذه هى النقاط التى يلخص بها عبد اللطيف البغدادى المعاناة التى واجهتها فكرة الوحدة مع سوريا وذلك حيث يقول:

« من جهة الشكل العام فالأمر غير مقبول ، وربما يكون مقبولاً اليوم فى ثورة حماس قيام الوحدة ، ولكنه سيستغل من المغرضين بعد مضى فترة على قيامها بغرض إثارة حفيظة السوريين ، خاصة أن الأوضاع هناك ستدفع من سيتولى المسئولية بها إلى اتخاذ بعض الإجراءات التى ربما يترتب عنها صدام مع بعض الهيئات والأفراد».

«فالجيش هناك ربما يصطدم به لأنه سيبعد عن ممارسته للسياسة والسلطة التى كان قد تعود عليها لعدة سنوات مضت».

«وكذا الأحزاب أيضاً التى ستحل اسماً فقط ولكن نشاط أفرادها وتنظيماتها ستبقى دون شك ولكن بصورة سرية».

«وكذا هناك الرشوة والفساد كما قيل ، وللقضاء عليهما لابد من استخدام الحزم والشدة فى ممارسة الأمر».

«كما أنه توجد قوانين قيل إنها لا تنفذ ، والأمر يحتاج أيضاً إلى حزم وصرامة لضمان تنفيذها واحترامها».

«أما فساد السلطة التنفيذية هناك فستدفع مَنْ سيتولى الأمر إلى استخدام الشدة والجدية مع الموظفين حتى يضمن أن يسير العمل على ما يرام».

«كل هذا سيثير أغلب الناس والهيئات وحينئذ يمكن أن تستغل من المغرضين بأن المصريين يحكمون سوريا ، وأن الإقليم المصرى قد قام باستعمارها خاصة إذا عمل على تنفيذ فكرة تهجير بعض الفلاحين المصريين إلى هناك لاستثمار وزراعة الأراضى الزراعية غير المستغلة بها ، أو لو تمت الاستعانة ببعض المقاولين المصريين والخبراء الفنيين لتنفيذ بعض المشروعات هناك ، وحينئذ ستنسى الوحدة ويفتر الحماس لها».

«وأما القول بأن شخصاً سورياً سيتولى رئاسة المجلس التنفيذى فى الإقليم المصرى فقول مردود عليه بأن وضعه سيكون مختلفاً لأن الأحوال هنا فى مصر قد استقرت ولن يصطدم السورى بأحد ، ولن يكون إلا صورة فقط الغرض منها تغطية شكل سرعان ما سيتضح أمره للسوريين بعد فترة وسيكون محل تعليق منهم وانتقادهم بل وضيقهم أيضاً».

ويعود عبد اللطيف البغدادى ليؤكد على هذا المعنى بصورة تتمشى مع نظرية الاعتقاد فى فعالية ونفوذ وتأثير اسم عبدالناصر الضخم الرنان فى ذلك الوقت ، وهو يجاهر فى شجاعة بأن هذا الاسم الضخم نفسه لن يكفى بعد فترة:

«وعلى أساس تلك الصورة فلن يكون هناك فى سوريا من سند يؤمن الوضع والنظام بها غير إيمان الشعب السورى نفسه بالوحدة وثقتهم فى جمال عبد الناصر شخصياً ، ولكن هل هذا يكفى ، خاصة بعد أن تتعدد المشاكل ولا يتحقق لهم ما كانوا يأملونه من الوحدة فى زمن قصير؟ وهل يجوز لنا أن نلقى جانباً شعور الشعب السورى ونستند إلى الجيش هناك كقوة ضرورية لضمان استقرار النظام بها؟ وما تأثير ذلك على الوحدة نفسها؟ أم نعتمد على حزب البعث كقوة سياسية تقدمية ، وجمال تنتابه الشكوك منه ولا يمكن أن يأخذ هذه الخطوة؟».

❑

ويتناول عبد اللطيف البغدادى جوهر النقاط المنطقية التى أشار إليها من قبل بقدر أكبر من التفصيل:

«... يقال كما ذكر إنه مطلوب تحقيق المعجزات هناك فى ساعات ، ومن الطبيعى أن هذا لن يتحقق ، بل إن عجلة التنفيذ نفسها لن تبدأ فى المسير إلا بعد عدة شهور طويلة إلى أن تتم الدراسة ويستكمل البحث والإعداد. وهذا التأخير سيكون له رد فعله لأنه سيجىء على غير ما كانوا يتوقعون ويأملون».

❑

ويستطرد البغدادى إلى فقرات لم أكن أتصور أنه كان مقتنعا بها فى وقتها إذ نراه

يتحدث عن معرفة عادات وتقاليد الشعوب ونفسيات وفلسفة هذه الشعوب !! وهو كلام جميل، لكن الثابت أن القيادة الثورية المصرية ، والبغدادى واحد من أبرز رجالها ، لم تكن تفكر بهذه الطريقة ، ودليلنا على هذا أن البغدادى نفسه قبل تولى المسئولية الجزئية هو وزكريا محيى الدين وغيرهما فى ظل هذه الوحدة نفسها.

وعلى أى الأحوال فلنقرأ هذا النص للبغدادى :

«.... كيف يمكن لإنسان أن يحكم شعباً لا يعرف من عاداته شيئاً ولا من تقاليده ، وليس له علم بنفسياته ولا بفلسفته فى الحياة ، بل ولم يشاركه حياته على أرضه فترة كافية من الزمن حتى يمكنه التعرف على أحواله ومشاكله ، وكيفية التصرف والتعامل معه».

«إن تولى مصرى هذه المسئولية مع وجود تلك الظروف والمشاكل [يبدو] كأننا نكون كالذى استخدم احتياطى جيشه من بداية المعركة قبل أن يتعرف على خطط العدو وقوته ، ولا حتى على أرض المعركة نفسها. وقد يتسبب عن فشل هذا المصرى خسائر نحن فى غنى عنها لو تولى الأمر شخص سورى. وعلينا أن نحتفظ بالمصرى كاحتياطى يمكن لنا استخدامه عند الضرورة ، وبعد أن يكون قد أعد نفسه إعداداً كاملاً وتعرف على المشاكل والعادات و التقاليد هناك ، وحتى يصبح هناك أيضاً المبرر الذى يسمح لنا باستخدامه بدلاً من السورى فى حالة فشله ، خاصة أن الفترة الأولى من الوحدة ستكون فترة فيها تصادم مع بعض القوى التى كانت تسيطر على الأمور هناك من قبل».

❑

ويصل البغدادى فى تحليله إلى نقطة مهمة جداً كثيرا ما غفلت عنها الثورة فى سعيها إلى توزيع السلطة وإسنادها ، فكانت النتيجة ـ على نحو ما نعرف جميعا ـ أن انتقلت المسئولية إلى يد أشخاص غير مسئولين ، وهو يجيد عرض هذا المعنى حيث يقول:

«... إن تولى «المصرى» الأمر هناك سيكون كالشخص الذى عصبت عيناه ووضع فى مكان معين ، وطلب منه أن يتحرك إلى هدف محدد ، وهو لا يدرى شيئاً عما يحيط به ، وإن أراد الوصول إلى ذلك الهدف فلابد له من أن يستعين بشخص ما تجنباً له من التخبط ، ومن الطبيعى فإنه سيتصرف طبقاً لإرشادات ذلك الشخص وتبعاً لتوجيهاته

وعلى أساس ما سيدلى به إليه من المعلومات ، وهو ربما لا يدرى بنوايا هذا الشخص ولا اتجاهاته ، وسيصبح الأمر وكأن صاحب الكلمة النهائية هو ذلك الشخص الذى سيستعين به إلى أن تزال تلك [العصابة] من على عينيه ، ولن تستقيم الأمور على هذه الصورة لأن الرجل المسئول أساساً سيفقد بذلك احترامه وهيبته عند الناس لأن تلك الصورة ستكون لابد واضحة لكل ذى عينين ، وهو لذلك لن يحقق الهدف الذى من أجله قد أرسل إلى هناك».

❑

وإذا عدنا إلى الانطباعات المبكرة لعبداللطيف البغدادى فيما يتعلق بإدارة دولة الوحدة فإننا نلمح تصريحه الواضح بتحفظه الشديد على أفكار عبدالناصر فيما يتعلق بإدارته لدولة الوحدة ، وذلك على الرغم من أنه كان يفهم ويقدر ويعترف بالملابسات التى دفعت عبدالناصر إلى مثل هذا التفكير ، ولنقرأ ما يرويه عن ذكرياته عن ثانى يوم فى عصر الوحدة بعدما أعلنت فى اليوم السابق ٢٢ فبراير:

«... وفى ظهر يوم الأحد ٢٣ فبراير التقينا فى منزل جمال للنظر فى التنظيمات الجديدة التى ستترتب على قيام الدولة الجديدة ، ولكننا علمنا أن جموعاً غفيرة من المواطنين قد تجمعوا عند مبنى مجلس الوزراء للإعراب عن فرحتهم بقيام الوحدة ، فتوجهنا إليهم لتحيتهم ، وفى الطريق إليهم أخبرنى جمال وكنت أرافقه مع عبد الحكيم فى سيارته أنه قد وجد الحل لمشكلة سوريا والمجلس التنفيذى ـ على حد قوله ـ وقد أشار إلى عيوب تعيين شخص سورى أو مصرى فى هذا المنصب ومبيناً الخسائر التى ستترتب عن هذا التعيين ، وأن الحل الذى يراه هو أن لا يكون هناك مجالس تنفيذية ، وإنما يعمل على إيجاد حكومة مركزية مقرها القاهرة مع تعيين نائبين لكل وزير فى الوزارة المركزية ، أحدهما لإقليم مصر والآخر منهما لإقليم سوريا ، وأنه بهذا الحل ينهى المشكل على حد تعبيره».

«وبعد أن ألقى جمال كلمة فى الجموع المحتشدة وعدنا إلى منزله قام بذكر هذا الحل الذى أخبرنا به ونحن فى السيارة لباقى الزملاء ، وأما موضوع اقتراحه السابق والخاص بتعيينى رئيساً للمجلس التنفيذى السورى فلم يشر إليه فى حديثه كما أننى لم أحاول من جانبى إثارته».

الفصل الثانى: البغدادى يمارس المسئولية عن الملف السورى

نمضى مع عبد اللطيف البغدادى إلى مرحلة تالية [بعد عشرة شهور كاملة]حين كُلف برئاسة لجنة وزارية عليا ضمت اثنين من كبار رجال مصر وسوريا من أجل دفع عجلة الإنتاج فى سوريا ، ونحن نرى البغدادى وهو يعترف بصراحة بأن هذه اللجنة عانت معاناة شديدة ، ومع هذا فإنها أنجزت كثيراً من الأعمال ، وهو ما يؤكد ما ذهبتُ إليه فى مقدمة هذا الباب من أن دولة الوحدة قد خسرت بالفعل بتخلى البغدادى عن تولى المسئولية التنفيذية فى سوريا:

«... وكان جمال قد أعلن فى نفس خطابه فى بورسعيد فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ عن قيام لجنة ثلاثية مشكلة من أكرم الحورانى وزكريا محيى الدين ومنى وأطلق عليها اسم «اللجنة الوزارية العليا» ، وذكر أن الغرض من قيامها هو العمل على دفع عجلة الإنتاج فى سوريا ، وسرعة تنفيذ المشروعات بها ، وعينت رئيساً لتلك اللجنة ، ولم يحدد لها أية اختصاصات واضحة أو أية مسئوليات ، ولم تتضح سلطاتها كذلك ، وكان لابد لها من الرجوع إلى القاهرة فى أغلب القرارات التى ترى ضرورة صدورها ، ورغم ذلك قامت اللجنة بدراسة العديد من المشروعات ، وتعاونت مع الوزراء السوريين والأجهزة التنفيذية التابعة لهم مما ساعد على تنفيذ الكثير من الأعمال».

ولا يجد البغدادى فى معرض حديث عن نشاط هذه اللجنة حرجاً فى أن ينتقد أداء زميله عبدالحميد السراج فى سوريا بصوت عال ، وهو يشخص المشكلات التى نشأت عن أدائه البوليسى وعن انفراده بالسلطة فى سوريا:

«.... وقد وضح لنا من بداية عملنا هناك قوة عبد الحميد السراج وقبضته البوليسية

على الشعب السورى حتى أطلق عليه أفراد الشعب اسم «السلطان عبدالحميد» إشارة منهم إلى عبدالحميد سلطان تركيا المستبد فى عهد الدولة العثمانية».

«وكان قد أعيد تشكيل الحكومة المركزية لدولة الوحدة فى أكتوبر ١٩٥٨ ، ونقل فى هذا التشكيل كل من أكرم الحورانى وصلاح البيطار إلى القاهرة ، وترك السراج فى سوريا منفرداً بالسيطرة عليها ، وكان موضع ثقة جمال عبد الناصر ومساندته ، وتولى رئاسة المجلس التنفيذى فى سوريا عند إعادة هذا التشكيل المهندس نور الدين كحالة ، ولم يكن بعثياً ولكن كان مديراً لمرفأ (ميناء) اللاذقية قبل أن يتولى هذا المنصب ، وهو مهندس كفء ونزيه ولكنه لم يسبق له ممارسة الشئون السياسية ، ولم ينتم إلى أى حزب من الأحزاب السياسية هناك».

ويلخص البغدادى ما استطاع أن يلمسه فى أثناء وجوده فى سوريا كرئيس للجنة الثلاثية التى أشرنا إليها ، وسوف نعجب ما شاء الله لنا أن نعجب من أن هذا التشخيص الواضح كان واضحا ومتبلورا ومتاحاً أمام القيادة المصرية (والبغدادى جزء منها) ، ومع هذا فإن السلبية أو اللامبالاة ظلت بمثابة الرائد الذى حرك توجهات الصف الأول من رجال الحكم فيما يتعلق بسوريا وشعبها ، فالمزارعون لا يستطيعون الشكوى ولا إبلاغ وجهة نظرهم ، بل هم يُعتقلون لمجرد رغبتهم فى مقابلة رئيس وأعضاء اللجنة الثلاثية أى البغدادى وزكريا وأكرم الحورانى ، ولا يستطيع البغدادى (هو واللجنة) أكثر من إبلاغ عبدالناصر بما حدث ، والبعثيون يحتجون على فصل سبعين منهم من وظائفهم فى وزارة الحربية السورية دون جدوى أيضا.

يقول البغدادى:

«... ومنذ بداية تواجدنا هناك فى يناير ١٩٥٩ لمسنا عدم ارتياح الكثيرين من أفراد الشعب السورى لقانون الإصلاح الزراعى الذى صدر فى سبتمبر ١٩٥٨ ليطبق فى الإقليم الشمالى (سوريا) ، وكان ذلك القانون كثير الشبه بقانون الإصلاح الزراعى المطبق فى الإقليم الجنوبى (مصر) ، والذى صدر فى سبتمبر ١٩٥٢ عقب قيام الثورة ، رغم اختلاف الأوضاع والظروف الزراعية فى كل من الإقليمين ، لكن جمال كان قد صمم على ضرورة أن لا يكون هناك تفرقة بين إقليمى دولة الوحدة ، وأن تكون المبادئ الرئيسية فى كل من القانونين واحدة على قدر المستطاع».

«وكانت اللجنة قد علمت فى ٢٤ يناير ١٩٥٩ من عبد الحميد السراج أنه قام باعتقال بعض المزارعين السوريين لا لشيء إلا لأنهم رغبوا فى مقابلة أعضاء اللجنة ، وكان غرضهم من هذه المقابلة هو شرح وجهة نظرهم بالنسبة لهذا القانون ، وعندما قام السراج بمنعهم عن هذا اللقاء أرسلوا برقيات إلى جمال فمنعها أيضاً واعتقلهم على إثر ذلك».

«وكان من بين هؤلاء المزارعين الذين قام باعتقالهم بعض أفراد من عائلة صبحى العظمة والبرزى وغيرهم ، ولم تكن اللجنة تملك من السلطة شيئاً حتى يمكنها التصرف إلا إبلاغ جمال بما حدث ورأينا فيه».

«وفى هذا التاريخ أيضاً أبلغنا أكرم الحورانى [وهو أحد أعضاء اللجنة الثلاثية ، أى أنه أبلغ زميليه البغدادى وزكريا] احتجاج البعثيين السوريين على فصل سبعين موظفاً من موظفى وزارة الحربية بسوريا وكانوا قد فصلوا من وظائفهم بحجة أنهم ينتمون إلى أنظمة سياسية والتى حذر منها القانون».

❑

ويثبت البغدادى لأكرم الحورانى (وكان نائباً لرئيس الجمهورية شأنه فى ذلك شأن البغدادى) أنه (أى الحورانى) قد نبه إلى امتعاضه وامتعاض البعثين من تصريح لزكريا محيى الدين يفهم منه إبعاد البعثيين ، وأنه نبه كذلك إلى خطورة الفراغ السياسى الناشئ عن حل الأحزاب السورية :

«...... وقد تحدث أكرم الحورانى أيضاً عن التصريح الذى كان زكريا قد أدلى به إلى مجلة «روزاليوسف» ، الذى جاء فيه أنه ستشكل لجنة حيادية للإشراف على تنظيم الاتحاد القومى فى سوريا ، وقد تساءل أكرم الحورانى عن المعنى المقصود من هذا التصريح ، وهل هو إبعاد للبعثيين. وتكلم كذلك عن وجود فراغ سياسى فى سوريا بعد حل الأحزاب هناك وعن ضرورة ملء هذا الفراغ. وذكر أن أصلح مَنْ يشغله هو البعثيون لإيمانهم بالوحدة ودورهم فى قيامها ـ وهذا صحيح ـ ولكن جمال كانت تنتابه الشكوك فى نواياهم».

ويلخص البغدادى بعض الآراء التى نبه إليها أحد وزراء الوحدة البارزين وهو مصطفى حمدون المعروف بانتمائه البعثى ، وسنرى فى آراء مصطفى حمدون التى

يوردها البغدادى وعيا كاملا ومبكراً بوجود ونمو جذور واضحة لكل ما حدث من تطورات مؤسفة بعد هذا:

«... وقد أثار مصطفى حمدون وزير الإصلاح الزراعى بالإقليم الشمالى فى حديثه معنا أيضاً الحملة التى تشن عليه بحجة أنه قام بتعيين بعض البعثيين فى وزارته ، ونفى ذلك ، وأحضر كشوفا بأسماء موظفى وزارته ليؤكد لنا ما يقوله. وأشار إلى أن الإقطاعيين والشيوعيين هم الذين يحاولون إثارة مثل هذه المسائل بغرض الإيقاع بين جمال عبد الناصر وبين البعثيين السوريين».

«وتكلم أيضاً عن مقال جاء فى مجلة روزاليوسف ، وذكر أن الجيش السورى قد وصف فى هذا المقال وكأنه جيش من المرتزقة ، وكان متأثراً مما جاء فيه».

«وأشار حمدون فى حديثه إلى مواقف الجيش السورى الوطنية وحمايته لاستقلال البلاد ، وأن الانقلابات العسكرية التى قام بها ضباط الجيش لم يكن يعلم بها أكرم الحورانى كما يشاع».

«وأثار فى حديثه أيضاً تخوفه من تشكيل الاتحاد القومى فى سوريا فى هذه الظروف مع وجود تكتل من عناصر مضادة له ، وأوضح أن الاتحاد القومى سيكون هو آخر سهم فى المحافظة على هذه الوحدة ولابد من العمل على إنجاحه».

«ولقد أوضحنا له أن ما فهمناه من ذلك الذى جاء بمجلة روزاليوسف يختلف عن هذا التصور الذى ذكره لنا ، وأن كاتب المقال لم يقصد المعنى الذى فهمه حمدون عن الجيش السورى ، وإنما قصد به أن يقول إن السياسيين ورجال الأحزاب فى سوريا قبل الوحدة كانوا يتسابقون فى التعرف على ضباط الجيش لعلمهم أن الجيش هو القوة الحقيقية فى البلاد فى تلك الفترة».

على هذا النحو كان البغدادى يستطيع التبرير فيكتفى به دون أن يلتفت إلى النار التى تحت الرماد ، وربما نجد أنفسنا الآن نأسف لهذا بعد فوات الأوان.

❏

ولأن البغدادى كان يجيد تسجيل الأحداث ، وتذكرها ، ويحاول أيضا أن يسجل كيف تفهمها فى وقتها ، فإنه دون أن يقصد ودون أن يدعى ، نجح فى أن يصور المناخ السياسى فى ذلك الوقت على نحو دقيق ، وهو ينقل عن الصحفيين المصريين ما

اكتشفوه من حقيقة قصة رئيس الغرفة الزراعية فى حلب الذى أرغم على تكذيب تصريحه:

«... والتقى بنا أيضاً فى دمشق بعض من الصحفيين المصريين هناك ، وعلمنا منهم أن الناس فى سوريا تشعر بالخوف وعدم الأمان ، وليس هناك مَنْ يمكنهم الرجوع إليه ، حتى أن رئيس الغرفة الزراعية بحلب كان قد صرح فى الصحف أن الرئيس جمال قد ذكر فى حديث له معه أنه ـ أى جمال ـ يهمه أن يتعرف على المشاكل فى سوريا ، ويطالب السوريين بموافاته بها ، وأن يرسلوا إليه ما يرون من اقتراحات. ويقول الصحفيون : ولكن رئيس الغرفة الزراعية أرغم على تكذيب هذا التصريح الذى أدلى به ، وأن الذى قام بإرغامه على ذلك أناس سوريون مسئولون».

«وذكروا لنا كذلك أن الأهالى بحلب بعد أن تفهموا الهدف من قيام الاتحاد القومى وفلسفته ، رغبوا فى التقدم إلى اللجنة الوزارية بطلب تشكيل تنظيماته فى مدينتهم ، ولكنهم عادوا وتراجعوا ثانية مبررين التراجع منهم بالخوف من التوقيف أو الاعتقال».

«وكان قد طلب مصطفى حمدون وطعمة والسراج الاجتماع بى مع زكريا ، وذلك لإيضاح موقف الجيش السورى قبل قيام الوحدة ، والأوضاع السياسية التى كانت قائمة فى البلاد وقتذاك».

❑

ثم يفاجئنا البغدادى بعد كل هذا الفهم وكل هذا الجهد بأنه قرر الابتعاد عن سوريا وعدم العودة إليها ، وأن الرئيس عبد الناصر لاحظ تعمده البقاء فى القاهرة وسأله ، وأنه ـ أى البغدادى ـ أجابه بما يراه أو يعتبره وجهة نظر تفصيلية! ولا يذكر لنا البغدادى ما رد به عبدالناصر عليه ، لكنه يذكر أن عبدالناصر أصدر قراراً جمهورياً بتعيين عبدالحكيم عامر حاكماً لسوريا وفوضه سلطات رئيس الجمهورية ، وربما نقف هنا لنتساءل: ألم يكن الأولى بعبدالناصر أن يستصدر هذا القرار للبغدادى أو زكريا بدلاً من عبدالحكيم خاصة أنهما درسا سوريا ومشكلاتها من خلال عملهما فى اللجنة التى أشرنا إليها؟ ومع هذا يبدو لى مثل هذا السؤال من الأسئلة الحائرة فى تاريخنا المعاصر.

ولنقرأ ما يرويه البغدادى عن نهاية عمل اللجنة الثلاثية بعد ستة شهور من بدء عملها:

«... وقد استمر وضع اللجنة على هذه الصورة حتى يونيو من عام ١٩٥٩ ، وكان عملى موزعاً بين القاهرة ودمشق حيث إنى كنت وزيراً مركزياً للتخطيط منذ إعادة التشكيل الذى تم فى أكتوبر ١٩٥٨ ، بالإضافة إلى عضويتى باللجنة [هكذا يقول البغدادى مع أنه رئيس اللجنة] ، وكنت قد عدت إلى القاهرة فى يونيو لمباشرة مسئولياتى بعد قضاء فترة فى سوريا».

«وتعمدت البقاء فى القاهرة دون العودة ثانية إلى دمشق حتى لاحظ جمال ذلك وسألنى عن السبب فى عدم سفرى إليها ، وصرحت له بأن وجود اللجنة هناك دون أن تحدد سلطاتها ومسئولياتها رغم وجود نائبين للرئيس بها ، يضعف من هيبتها ويقلل من قدرتها على إنجاز ما هو مطلوب منها ، وأن الرجوع إلى القاهرة فى أغلب القرارات التى تتخذها ليس عملياً ، بل معطلاً للعمل أيضاً ، ولكنه لم يشأ أن يفسر لى الأسباب التى دفعته لاتخاذ هذا الموقف من اللجنة ، ولم يحاول أن يعدل عنه ، واستمر الوضع قائماً ، ورأيت أن أستمر على موقفى وبقيت فى القاهرة حتى أكتوبر من نفس العام [أى أكتوبر ١٩٥٩] حين أصدر جمال قراراً جمهورياً بتعيين عبد الحكيم حاكماً لسوريا وقد فوضه سلطات رئيس الجمهورية ، كما فوضه أيضاً فى الإشراف على انتخاب لجان الاتحاد القومى هناك».

الفصل الثالث: البغدادى يقيّم تجربة الوحدة

من حسن حظ تاريخنا المعاصر أن عبد اللطيف البغدادى وهو نائب لرئيس الجمهورية فى عصر الوحدة قد كتب فى مذكراته باستفاضة عن فترة هذه الوحدة ،

وهكذا أصبحت فى أيدينا وجهة نظر «مصرية» فى مقابل وجهات نظر سورية عديدة سجلتها كتب قيمة ومذكرات متميزة لعل أشهرها وأهمها مذكرات أكرم الحورانى نائب رئيس الجمهورية فى عهد الوحدة.

وحين نصل مع ما يرويه البغدادى إلى الأيام التى سبقت ثم شهدت وقوع الانفصال فإننا نجده حريصا على أن يلخص فى مذكراته أسباب الانفصال بطريقة دقيقة يشرح فيها هذه الأسباب وتداعياتها بعد أن تناول ـ على مدى صفحات طويلة من مذكراته المتعددة ـ كثيراً من تفصيلات أيام الوحدة وهو يبدو فى تحليله للانفصال وكأنه يخرج لنا بالعبرة حيث يقول:

«... وقد مرّ كل ذلك فى ذهنى وكأنه شريط سينمائى ولكنه لم يستغرق إلا لحظات، وأحسست ما حدث كأنه كابوس ثقيل ، وأن أملنا فى وحدة عربية شاملة قد انهار فجأة ، وفى ساعات محدودة ، وما حدث سيكون له تأثيره وعاملاً مؤخراً دائماً لإتمام هذه الوحدة التى هى أمل كل عربى مؤمن بوطنه وبعروبته».

ويتحدث البغدادى بقدر من الأسى والانتقاد عما يصفه بأنه ممارسات عبد الحميد السراج الخاطئة فيقول:

«ولاشك أن هناك أخطاء تسبب عنها تدهور فى قوة الوحدة وكان يمكن تداركها وعلاجها خاصة تصرفات السراج فى سوريا والطرق البوليسية التى كان يتبعها وتذمر الشعب السورى منها حتى أطلق عليه اسم السلطان عبدالحميد ، وكان جمال يعلم ما يفعله السراج وضيق الشعب السورى وشكواه من هذه الأفعال ، ولكن «جمال» كانت له طريقته الخاصة فى معالجة مثل هذه الأمور ، وكان يعتقد أنه بالصبر ومع الوقت يمكن حلها ، هكذا كان يردد دائما عندما تواجهه بعض المشاكل ، ولكن هناك بعض الأمور إن لم تعالج فوراً فغالباً ما يترتب عنها أضرار بالغة».

❑

ومن أهم الفقرات التى تعرض فيها البغدادى فى مذكراته المنشورة بالنقد لتجربة الوحدة مع سوريا ما يرويه البغدادى عن ملاحظات للوزير السورى البارز طعمة العودة لله فى أحد اجتماعات الوحدة ، والقصة تنبئنا عن مدى البلبلة التى كانت تحدثها صحافتنا الموجهة بما يؤثر بل وبما أثر بالفعل على الوحدة روحاً ومضموناً.

ونحن لا نستطيع أن نلوم الصحفى وحده فى هذه الواقعة ، فهذا هو البغدادى نفسه يدعونا ـ دون أن يدرى ودون أن يقصد ـ إلى أن نلومه هو نفسه هو الآخر ، لأنه بعد أن تفهم دوافع زميله الوزير السورى لم يفعل شيئاً إلا أن أنبأنا أنه فهم دوافعه!! وهكذا كان إخواننا السوريون (أو آباؤنا) يعانون أشد المعاناة من قياداتنا المصرية ، سواء فى السلطة أو فى الصحافة:

«..... وقد أثار طعمة فى نهاية الاجتماع الأخير معنا ذلك المقال الذى نشر فى الأهرام بقلم محمد حسنين هيكل ، والذى جاء تحت عنوان «ياسيادة الزعيم الأوحد» ، وقد قصد هيكل بهذا عبدالكريم قاسم ، وقال طعمة: «لماذا لا يكتب التاريخ على حقيقته؟ وما الذى دعاه إلى كتابة أسماء بعيدة عن الواقع الذى حدث؟» ، وفسر هذا التساؤل منه بأن ما ذكره هيكل فى مقاله عن اتصال السراج والنافورى بعبدالكريم قاسم أثناء قيادته لقوة عراقية كانت معسكرة فى منطقة المفرق فى شرق الأردن ، وقبل قيام الثورة العراقية ليس صحيحا ، وأن مَنْ سعى إلى هذا اللقاء كان هو طعمة نفسه ومعه البرزى وليس السراج والنافورى ، وأنهما قد التقيا مع قاسم ، وأنه يخشى أن يذكر قاسم الحقيقة رداً على ما جاء بمقال هيكل ويعلن عن أن اللقاء قد تم مع البرزى وليس معهما ، وأنه لو ذكر ذلك فسترتفع أسهم البرزى وسيستفيد منها شعبياً ، وذلك ليس فى الصالح».

وبعد هذا التحليل الدقيق والصائب لا يعلق البغدادى إلا بقوله:

«وشعرت أن ما ضايق طعمة من هذا المقال هو عدم ذكر اسمه فى هذه الاتصالات التى جرت مع قاسم قبل الثورة العراقية».

❑

ومن المهم هنا أن نشير هنا إلى أن هيكل فى أكثر من موضع من كتاباته كان حريصا على أن يرتفع بقامة عبدالحميد السراج وإنجازاته (!!) فى هذه الفترة إلى حدود لا نهائية يستحيل على البشر أن يحققوها ، وعلى سبيل المثال فإنه فى كتابه الأقدم عن حرب السويس والمسمى «قصة السويس» نسب إلى السراج مجموعة من الأدوار يستحيل أداؤها مع بعضها على فرد واحد.

❑

كذلك يتحدث البغدادى فى وضوح عن انتقاده لأسلوب عبد الحكيم عامر وما كان يجره من متاعب:

«وكان هناك أيضاً خطأ آخر جسيم ساهم فيما حدث فى سوريا وهو طريقة إدارة دفة الجيش وأموره ، وعبدالحكيم كان عادة يترك الأمور لمساعديه ، وهم كانوا يتخذون ما يرون من قرارات وأغلب مساعديه قلَّ أن يحسنوا التصرف ، وقد أدى تصرف البعض منهم فى سوريا إلى جرح كرامة وكبرياء كثير من الضباط السوريين ، وكثيراً ما كنا نسمع قصصاً تؤكد هذا المعنى وكانت تبلغ إلى جمال».

ويضرب البغدادى المثل على صحة حكمه على تصرفات عبد الحكيم عامر غير المسئولة بقصة عبد الكريم النحلاوى نفسه:

«وقصة عبدالكريم النحلاوى مدير مكتب عبدالحكيم وكاتم أسرار الجيش فى سوريا، وهو أحد قادة الانقلاب إن لم يكن أهمهم ، تؤكد هذا المعنى الذى سبق ، فقد عمد إلى إجراء حركة تنقلات بين ضباط الجيش السورى ووحداته تم له فيها نقل أغلب الضباط المتفقين على القيام بالانقلاب إلى قيادة الوحدات المهمة فى المناطق المختلفة ، وذلك حتى يضمن نجاح الانقلاب ، كما أوفد أيضاً الضباط السوريين المؤمنين بالوحدة إلى بعثات بالخارج زيادة منه فى الحيطة ، وقد تم له كل هذا دون أن يشك فى نياته عبدالحكيم أو أحد من معاونيه».

«بل إن مؤامرة الانقلاب نفسها كان قد سبق وعلم بأمرها وذلك قبل حدوثها بثلاثة شهور ، وذكر أثناءها أسماء ثلاثة من قادتها وكان النحلاوى نفسه أحدهم ، ولكن عبدالحكيم استبعد الأمر لثقته فى النحلاوى ولم يحاول التأكد من صحة هذه المعلومات أو يجرى تحقيقاً فيها ، وقد أثير معه هذا الموقف منه بعد عودته مباشرة من سوريا بعد الانقلاب فى منزل جمال ، فذكر أن النحلاوى غبى وقد استغل هذه العملية».

❑

كذلك يتحدث البغدادى عن سوء أداء شمس بدران الذى كان لا يزال مديراً لمكتب عبد الحكيم عامر فى القاهرة:

«وليس بخافٍ أيضاً ما كان يذكر عن مدير مكتبه فى مصر البكباشى شمس بدران ،

والطريقة التى كان يتعامل بها مع الضباط من ذوى الرتب الكبيرة إلى أن أصبح هذا موضع تعليق دائم ليس بين الضباط فقط بل وبين المدنيين كذلك ، ولم يحاول عبدالحكيم إبعاده عن منصبه أو حتى إيقافه عند حده رغم ضيق الضباط من هذه الأفعال إلى درجة أثارت حفظيتهم منه».

«وإنه لمن الغريب أن يعلم جمال كل هذا كما كان يعرف أخطاء السراج ولم يحاول معالجة تلك الموضوعات ووضع حد لها رغم استمرارها وتكرارها».

وبعد كل هذا التحليل الناقد للسياسة المصرية فى سوريا فى أثناء فترة الوحدة يتناول البغدادى ما يطلق عليه أسلوب جمال (أى الرئيس جمال عبدالناصر) فى الحكم بالنقد الشديد ، وهو ينبه إلى أن الشعب قد فقد دوره الإيجابى نتيجة لهذا الأسلوب ونتيجة لغياب التنظيم السياسى والرقابة الشعبية وغياب دور الصحافة ، فضلاً عن محاباة الضباط ، وهو ما أدى إلى سلبية الشعب فى النهاية:

«ولا يفوتنى كذلك أن أذكر أن من ضمن الأسباب التى أوصلت الحال إلى ما وصل إليه هو أسلوب جمال فى الحكم ، فالشعب لم يكن له دور إيجابى فى السياسة التى ترسم له ، وكان هذا الوضع له خطورته فى سوريا ومصر على السواء».

«ولم يكن هناك تنظيم سياسى اللهم إلا تنظيم الاتحاد القومى ، وهو نفسه كان تنظيماً فاشلاً ولا يشارك فى وضع السياسة العامة للبلاد ، وحتى قراراته نفسها إن اتخذ قراراً لم يكن ملزماً لأحد».

«ومجلس الأمة سلطة الرقابة الشعبية على أجهزة الدولة كان قد أصبح أضحكومة الجميع ، ولم يكن يباشر صلاحياته بل وصوته لم يكن مسموعاً على الإطلاق».

«والصحافة لم تكن تقوم بدورها الطبيعى فى إبداء الرأى الحر ومناقشة ما كان يجرى من أخطاء ، إنما اقتصر دورها فى الغالب على التمجيد والتهليل للحاكم ، وأصبح السباق بين الكتّاب فيها على التقرب إليه عن طريق الزلفى والنفاق».

«وكانت هناك محاباة زائدة لضباط الجيش الذين تركوا خدمته ، وقد أصبحت لهم الأولوية فى شغل المناصب الرئيسية فى الشركات أو التعيين فى سفاراتنا بالخارج».

ويصل البغدادى إلى أن يبلور الموقف كله من وجهة نظر تؤمن بأهمية دور الشعب والجماهير فى قوله:

«والشعب كان ينظر إلى ما يجرى من حوله ولا يملك من أمره شيئاً إلا أن يعلق على ما يجرى كعادته بنكاته وقفشاته لينفس بها عن نفسه وعما يعتمل فى صدره من آلام وحسرة ، ومتخذاً لنفسه موقفاً سلبياً من تلك المجريات حتى أصبح فى جانب ، والحاكم فى جانب آخر ، وبعيداً عنه».

❑

ونأتى إلى فقرة خطيرة يروى فيها البغدادى أن عبد الناصر صرح له بأنه لن يقدم على خطوة الوحدة مرة ثانية ، «وإذا أردتم اعملوها أنتم بقى» ، وقد جاءت هذه الفقرة ضمن حديث بين الرجلين يرويه البغدادى فيقول:

«قلت: لو سُمح بعودة الأحزاب فى سوريا بصورتها القديمة كما يعلنون الآن ، فسيترتب عنه انقسام داخلى فى البلاد ، وسيكون له تأثيره داخل الجيش ، وربما يعود إلى ما كان عليه قبل الوحدة ويفرض إرادته على الحكومات هناك ، وتعود ثانية حالة عدم الاستقرار التى من الممكن أن تدفع السوريين إلى المطالبة بعودة الوحدة ثانية ، وتعود أقوى مما كانت بعد أن نكون قد استفدنا من أخطائنا».

«وجاء رده بأنه لن يقدم على هذه الخطوة ثانية وقائلاً «إبقوا اعملوها أنتم». قلت: على العموم يجب عليك أن تستمر فى المناداة بالوحدة والقومية العربية. وأمن جمال على ذلك ثم انصرفت».

❑

هكذا يمكن لنا إدراك حقيقة أن مذكرات البغدادى المتعددة تحفل بكثير من التفصيلات الكثيرة التى يرويها عن المشكلات المختلفة التى صادفت دولة الوحدة ، ولا يتسع المقام فى هذا الكتاب للحديث عن المواقف المختلفة التى حفلت بها المعالجات الرئاسية (أو المصرية) لمثل هذه المشكلات ، وقد رأيت أن أكتفى بإحدى هذه القصص الكثيرة التى تنبئ عن مدى الإرهاق الذى كان يسم معالجة القيادة لمشكلات الوحدة ، وقد اخترت قصة توسط البغدادى لدى أحمد عبد الكريم وزير الإسكان المركزى للعدول عن استقالته ، فهذه القصة ـ فى رأيى ـ كفيلة بأن تصور لنا على نحو دقيق كثيراً

من السمات المميزة لأداء النخبة الحاكمة فى دولة الوحدة ، وهى السمات التى كان من الصعب مع وجودها ـ بحكم المنطق ـ أن تستمر الوحدة نفسها ، فنحن نرى وزيراً مصرياً تنفيذياً يحرص بكل دهاء (!!) على أن يضع الوزير المركزى (وكان سوريا) فى مواقف متتالية لا تتحملها كرامة إنسان مسئول على خلق ـ وذلك حسبما يصوره البغدادى بروايته ـ ونحن نرى الرئيس عبدالناصر مجهداً غير قادر على أن يحسم الموضوع فى اجتماع مجلس الوزراء فيطلب إلى الوزيرين المختلفين أن يجلسا مع بعضهما ليصلا إلى حل بينما الظاهر للجميع فى وضوح أن أحدهما وهو «التابع: الوزير التنفيذى» يتعمد التعدى على «المتبوع: الوزير المركزى» ، ومع هذا فإن البغدادى يلعب دور حمامة السلام وينجح فى الدور الذى قام به ، ويساعده على هذا مصادفة مواتية وهى أن على صبرى أنهى إليه خبر استقالة أحمد عبدالكريم قبل أن ينهيه إلى عبدالناصر ، ونحن نرى عبدالناصر وهو لايزال رحب الصدر ، لكنه مجهد إلى أقصى حدود الإجهاد ، سواء فى اجتماع مجلس الوزراء ، أو فى اليوم التالى حين قضى عشر ساعات فى المرور بين أجنحة المعرض.

لنقرأ رواية البغدادى الكاملة:

«... وعاود المجلس الاجتماع لمناقشة سياسة الإسكان ، وعُرض على المجلس فى هذا الشأن مذكرتان ، إحداهما من أحمد عبد الكريم الوزير المركزى للوزارة وهو سورى ، والأخرى من محمد أبو نصير الوزير التنفيذى عن الإقليم المصرى. وتكلم أبو نصير عن المشروع المتقدم به واعترض أحمد عبد الكريم على بعض ما ورد فيه ، ودارت حوله مناقشة طويلة ، وكان جمال مجهداً ويود أن ينهى الاجتماع عند منتصف الليل ، لذا اقترح عليهما أن يتفقا سوياً على مشروع واحد وأن يتقدما به بعد أسبوع فى الجلسة القادمة».

«لكن أحمد عبد الكريم أبدى أنه لم يطلع على مشروع الوزارة التنفيذية إلا قبل الجلسة مباشرة ، وأن المشروع لم يوزع على الوزراء إلا ظهر نفس اليوم ، واعترض بحكم مسئوليته كوزير مركزى وعن نفس الوزارة على هذا الوضع ، وأوضح أن المشروع المقدم منه قد أخذ شهراً فى دراسته وإعداده من اللجان المختلفة ، وأنه قد انتهى منه منذ ثلاثة شهور وأخطر به الوزارة التنفيذية ، وأن الفنيين المسئولين بتلك الوزارة ووكيلها قد اشتركوا معه فى تلك الدراسات وإعداد المشروع ، لكن أبو نصير نفى علمه

بهذا الأمر ، وعلى ما يظهر أن هذا الإنكار منه ضايق أحمد عبد الكريم لأنه ردد بعض الكلمات ولكن بصوت خافت غير مسموع ، ولم يعجب جمال هذا التصرف منه معتقداً أن هذه البرطمة ـ كما جاءت على لسانه ـ رد من عبد الكريم عليه ، لذا وجه حديثه إليه قائلاً: «إحنا مش تلامذة فى الفصل هنا ، حلوا مشاكلكم مع بعض».

«وتصرف جمال على هذا النحو لأنه لم يتبين سبب ضيق عبد الكريم ، فقال عبد الكريم إن سيادتكم كلفتم أبو نصير فى الجلسة الماضية بتقديم مشروع رغم إعدادى المشروع من مدة طويلة ، واعتقدت أن لكم رغبة فى إعداد مشروع آخر غير مشروعى».

«ولكن جمال أوضح أنه لم يقصد هذا ، ولم يكن فى ذهنه شىء مما ذكر».

«وصرح لى جمال بعد الانتهاء من الاجتماع عن تخوفه من أن يكون عبد الكريم قد اعتقد حقيقة أنه قصد أن يكلف أبو نصير بإعداد مشروع آخر متجاهلاً مشروعه».

«وقد توقعت أن يقوم عبد الكريم بتقديم استقالته بعد ذلك الذى حدث فى الاجتماع لمعرفتى أنه من الأشخاص الذين يحافظون على كرامتهم».

«وفى اليوم التالى ـ الأحد ٣ يناير ١٩٦٠ ـ وفى أثناء مرافقتى لجمال فى زيارة المعرض الصناعى الزراعى ، علمت من على صبرى أن أحمد عبد الكريم قد تقدم باستقالته ، وقام بإرسالها إلى على صبرى مع سكرتيره الخاص ، وقد تسلمها منه أثناء زيارتنا للمعرض».

«وانتهت زيارتنا للمعرض بعد الساعة العاشرة مساء ، ولم يكن جمال قد علم بعد بأمر هذه الاستقالة ، ولم أشأ أن أخبره بها إشفاقاً منى عليه لحالة الإعياء الشديدة التى كان عليها بعد أن أمضينا ما يقرب من العشر ساعات ونحن نتجول فى أنحاء المعرض المختلفة».

«وكنت قد قرأت فى الصحف فى اليوم التالى ٤ يناير خبر استقالة الكلاس وزير الاقتصاد فى سوريا ، ووددت أن أعرف أسبابها فاتصلت بجمال تليفونياً ولأطلب منه أيضاً أن يتيح لى فرصة العمل على تسوية موضوع استقالة أحمد عبد الكريم فعلمت منه أنه بعد عودته إلى المنزل بعد زيارة المعرض وجد برقية من عبد الحكيم عامر يبلغه فيها أن الكلاس قد تقابل معه بعد الظهر ـ الأحد ٣ يناير ـ وقدم إليه استقالته».

«ويقول جمال إنه قبلها فوراً عندما اطلع على البرقية وأبلغها إلى الصحف. وذكر

أنه سبق وطلب من عبد الحكيم سؤال الكلاس عما إذا كان يرغب هو الآخر كبعثى فى الاستقالة كباقى زملائه من الوزراء البعثيين أم لا ، ولكنه كان قد نفى لعبد الحكيم عن وجود أية نية عنده للاستقالة».

«واعتقد جمال أن أكرم الحورانى هو الذى وراء تقديم الكلاس استقالته ، وأنه هو الذى قام بالضغط عليه لتقديمها خاصة أن أكرم قد غادر القاهرة إلى دمشق بالطائرة صباح نفس اليوم الذى تقدم فيه الكلاس باستقالته».

«ولما تحدثت إلى جمال عن استقالة أحمد عبد الكريم ، وجدته لم يكن قد علم بها بعد ، وتساءل عن سبب تقديمه لها».

«فأجبته بأنه ربما يكون السبب هو ما حدث أثناء اجتماع الحكومة المركزية. فذكر أنه لو كان قد اطلع عليها بعد عودته من المعرض لقبلها هى الأخرى مع استقالة الكلاس. ولكننى أثنيت على خُلق وعمل عبد الكريم وطلبت منه أن يتيح لى فرصة لقائه والتحدث إليه لأسوى معه تلك المسألة».

«والتقيت مع أحمد عبد الكريم فى منزلى ، حاولت إقناعه بأنه قد تسرع فى الإقدام على هذه الخطوة لأن الأسباب التى بنى عليها استقالته غير صحيحة ، وقد بناها على أساس أن جمال شبههما بالتلامذة فى الفصل ، وذكر أن مسئولية الوزير لا يمكن أن يتحملها تلميذ. وربط بين حديث جمال هذا وبين ما كان قد سبق وذكره فى بداية الاجتماع عن مسئوليته الدستورية كرئيس واللى مش عاجبه يمشى».

«كما أبدى عبد الكريم عدم قدرته على التعاون مع أبو نصير ، وبيّن الضرر الذى نتج عن هذا ، وكذلك لأنه لم يعامل كباقى الوزراء المركزيين فى القيام بشرح برنامج الوزارة فى الخطة ومناقشتها فى اجتماع الحكومة المركزية ، وشعوره أيضاً أنه فقد شخصيته وكيانه وأصبح بذلك غير قادر على القيام بالرسالة التى آمن بها وعمل لها من قبل الوحدة ، لكنه أكد إيمانه بالوحدة ومن أنه سيعمل دائماً من أجل تدعيمها».

«ودارت بينه وبينى مناقشة طويلة حول هذا اللبس الذى حدث وحسن نية جمال ، وأنه لم يكن يقصد تكليف أبو نصير وتجاهل مشروعه كما يعتقد ، وأن جمال اعتقد خطأ أن ما ردده بصوت منخفض كان رداً منه عليه شخصياً ، وأنه كان مجهداً ».

«وأكدت له أن جمال لو علم بهذه الاستقالة التى لا تزال عند على صبرى لبادر إلى

الاجتماع به ليوضح له الموقف على حقيقته ، ولكن عبد الكريم ظل مصراً على موقفه من الاستقالة ، وقدرت أنه لو تقابل مع جمال لأمكن تسوية الموضوع لأن عبد الكريم سيشعر فى هذه الحال أن طلب جمال له ومصارحته بالحقيقة فيه رد اعتبار كاف خاصة بعد أن اتضح خطأ نقاط كثيرة ، وتلك كانت هى الحقيقة».

«وأبلغت جمال بما دار بين عبد الكريم وبينى وما يشعر به وطلبت منه مقابلته ، ووافق على الالتقاء به فى اليوم التالى ٥ يناير ، وسوى الخلاف بعد أن تقابلا ، وسحب عبد الكريم استقالته».

❑

بقيت نقطة مهمة فيما يرويه لنا عبد اللطيف البغدادى عن موقفه فى المسئولية عن بعض ديناميات العلاقات العربية السوفيتية فى أثناء فترة الوحدة مع سوريا حيث التبست الأمور على القيادة المصرية ، فبينما كانت هناك ثورة فى العراق بقيادة عبد الكريم قاسم كانت القيادة المصرية ، وقد امتدت حدود سيادتها حتى لاصقت العراق ، تخطط لثورة على الثورة وهى تلك التى عرفت باسم «ثورة الشواف» وكان من المخطط لهذه الثورة أن تنطلق من الأرض السورية ، وقد قدر الله ولم تصب هذه الثورة النجاح المنشود ، ومن المؤسف أن رد فعل القيادة المصرية كان عصبياً وقد أدى إلى إيذاء مجموعة الشواف الباقين منهم على قيد الحياة ، حيث أذاعت الجمهورية العربية المتحدة أسماءهم وهى تناشدهم التحرك ، وبذلك قدمت أرواح هؤلاء مجاناً لنظام عبد الكريم قاسم الذى أعدمهم جميعاً ، ونحن نرى البغدادى وهو يتغاضى تماماً عن هذه القصة التى أوردها أكرم الحورانى بالتفصيل فى مذكراته ، لكنه يدلنا على جانب آخر تجاهله كثيرون لأسباب معروفة .. وهو يذكر بكل تحديد ملخص أفكار عبدالناصر التى هاجم بها الاتحاد السوفيتى بعد فشل ثورة الشواف فى العراق فيقول:

«.... وكنت قد استمعت يوم الأحد ٢٢ مارس ١٩٥٩ إلى صورة صوتية لخطاب جمال من إذاعة القاهرة الذى كان قد ألقاه فى دمشق فى نفس اليوم ، وقد حمل جمال فى هذا الخطاب على الاتحاد السوفيتى ، وحاول أن يكشف حقيقة موقفهم أثناء الاعتداء الثلاثى على مصر ، وأعلن أنهم لم يتدخلوا فى المعركة التى كانت دائرة معنا ، وأن تحركهم جاء يوم ٦ نوفمبر ١٩٥٦ بإرسال ذلك الإنذار المعروف بعد أن اتضح لهم

أن القتال سيتوقف. وأشار كذلك إلى موقفهم السلبى عندما نزلت قوات مشاة الأسطول السادس الأمريكى على سواحل لبنان ، والقوات البريطانية فى شرق الأردن عام ١٩٥٨ عند قيام ثورة العراق ، وذلك رغم ذهابه إليهم فى موسكو وطلبه منهم اتخاذ موقف إيجابى إزاء هذه التحركات ، وقد أراد جمال بهذا التصريح منه أن يضيع الأثر الذى كان لدى الشعب العربى عن موقف موسكو من قبل ، وأن دورها كان سلبياً ولم تساندنا فى المعركتين بصورة فعالة كما يشاع» .

وهكذا تتضح لنا بجلاء فلسفة النظام المصرى من المشكلة الحاكمة فى ذلك الوقت من مثلث العلاقات السورية ـ العراقية ـ السوفيتية!! ومن ثم يمكن القول بأن البغدادى رغم شخصيته ومعرفته بالعرب من قبل الثورة لم يكن أفضل بكثير من عبد الناصر فى أدائه فى مثل هذا الموضوع.

الفصل الرابع : نموذجان لمواقف عروبية عابرة

١. لجنة تحويل نهر الأردن :

ومن الأدوار العربية المهمة للبغدادى أنه كان رئيسا للجنة التى تولت دراسة تحويل نهر الأردن وهو الموضوع الذى كان سببا فى اجتماع الزعماء العرب فى مؤتمر قمة فى ١٩٦٤ ، ومن مذكرات صلاح نصر نقطف للقارئ حديثه عن هذه اللجنة :

«.... ولكن المعلومات التى لدينا تفيد بأن الإسرائيليين يفكرون فى إجراء التحويل من المنطقة غير المجردة من السلاح على بعد خمسة كيلومترات بالقرب من بحيرة طبرية.. ومن ثم فهذه حالة مستجدة لم تنص عليها اتفاقية الهدنة ، لأن عملية التحويل ستتم من داخل الأراضى الإسرائيلية ، لذلك ينبغى دراسة الموضوع من الناحية القانونية».

«وانتهى الاجتماع بتشكيل لجنة فرعية لبحث هذا الأمر، ولتقديم تقرير عن ذلك فى الاجتماع المقبل.. وقد تشكلت اللجنة برئاسة عبد اللطيف البغدادى وعضوية كل من أكرم الحورانى ، وعلى صبرى ، والمهندس أحمد الشرباصى وزير الرى، وأحمد عبدالكريم ، وجادو عز الدين ، ومحمود رياض.. وانضم إلى هذه اللجنة السفير صلاح الطرزى على أساس أنه اشترك فى مناقشة الموضوع فى مجلس الأمن سنة ١٩٥٣.. وتم تكليف السفير الطرزى كى يضع بالاشتراك مع الدكتور سلطان الأستاذ فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة دراسة قانونية تتعلق بالناحية القانونية للأنهار الدولية».

❑

٢. موقف البغدادى من حرب اليمن:

فى أخريات حياته روى البغدادى علاقته المبكرة باليمن ، وكيف كرمه إمام اليمن بسيف لا يزال يحتفظ به ، ومع أن البغدادى لم يستثمر هذه العلاقة القديمة أو لم تستثمرها الثورة ـ فيما نعرف من تاريخها ـ من خلاله ، فانه فى الوقت نفسه لم يكن صاحب توجه معين تجاه اليمن ثم تجاه الموقف المصرى منها ، ونحن نراه فى مذكراته ينفى على النظام المصرى تورطه فى حرب اليمن وأثر هذا التورط على مكانة مصر واستراتيجيتها لكنه فى الوقت ذاته لا يمانع فى التدخل فى اليمن بصورة أو أخرى ، والحق أن وجهة نظر البغدادى فى أهمية حرب اليمن تبدو وكأنه يشجع المكيافيللية كما يتضح من نصوصه العفوية: «لماذا لا يكسب جولة» حتى لو كانت المعطيات خاطئة: «وصلت معلومات تفيد أن حاكم اليمن قد قتل» ، كما يحفل منطقه بتجريح بعض اليمنيين على نحو ما نقرأ فى هذا النص العفوى المهم ، ومن ناحية رابعة يعترف البغدادى صراحة بمدى فداحة الاستنزاف المصرى فى اليمن:

يقول عبد اللطيف البغدادى :

«... إننى أتساءل: بعد خمسة عشر عاما من استقرار الأوضاع فى اليمن بعد الثورة.. وبعد أن وصلت لجمال معلومات تفيد بأن حاكم اليمن قد قتل.. فلماذا لا يساعد عبدالناصر ثورة شعب اليمن الذى عانى عشرات السنين من التخلف والرجعية للحكم الإمامى فيها ؟ ولماذا لا يكسب جولة للقومية العربية فى هذه المنطقة يمكن أن تعوض أزمة الانفصال ؟ ولكن بعد أن ساعد عبد الناصر النظام الجديد فى اليمن عسكريا إذا بالإمام محمد البدر الذى قيل إنه قتل يظهر فجأة وتسانده السعودية وترشو القبائل اليمنية فتنقلب ضدنا.. وتعود إلينا هذه القبائل ثانية عندما نرشوها نحن.. ثم ترشوها السعودية مرة أخرى وهكذا كنا نستنزف ماديا بالإضافة لاستنزافنا عسكريا.. فقد كنا غير مستعدين لا لحرب العصابات ، ولا لطبيعة البلاد الجبلية فى اليمن ، حتى إننا ضحينا بوجود خمس فرق عسكرية كاملة فى اليمن ونحن فى أمس الحاجة إليها فى حرب ٦٧ ، فوقعت الحرب وهذه الفرق ذات الكفاءة العالية مازالت هناك».

عبد اللطيف البغدادى
شهيد النزاهة الثورية

8

البغدادى وعبد الناصر

دار الخيّال

الفصل الأول: علاقة الرجلين وهما فى السلطة

ربما يجدر بنا أن نبدأ بإثبات حقيقة مهمة ، وهى أننا لا نعرف أنه قد أتيحت للبغدادى وعبدالناصر الفرصة للاقتراب من بعضهما من خلال زمالة أو معيشة مشتركة فيما قبل الثورة ، مع أن الرجلين من دفعتين متتاليتين فى الكلية الحربية (ينتمى البغدادى إلى الدفعة السابقة وينتمى عبدالناصر إلى الدفعة اللاحقة) ، ولكن انخراط البغدادى المبكر فى القوات الجوية باعد بينه وبين زمالة عبد الناصر بالطبع فلم يحدث بينهما ما حدث بين عبدالناصر والسادات من اللقاء فى منقباد ، ولا بين عبدالناصر وعبدالحكيم عامر من المعيشة فى شقة واحدة ، هكذا فإن الرجلين كانا يعرفان بعضهما ويحتفظان بعلاقات جيدة ولكنهما لم يجربا ما نسميه «العشرة» ، بل ربما يمكننا لفت النظر إلى أن أول فرصة شهدت اقتراب الرجلين من بعضهما على المستوى العاطفى كانت فى أثناء العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ حين سافرا معا إلى القنال عبر طريق الإسماعيلية الزراعى.

لم تكن علاقة البغدادى إذاً بعبد الناصر تصل إلى مستوى علاقة شريكه عبدالحكيم عامر ولا علاقة خليفته أنور السادات ، وهذه حقيقة يدركها كل المتابعين والقراء.

وربما يجدر بنا ثانية أن نبدأ بالتنبيه على أنه لا يمكن مسايرة الادعاء السائد بأن البغدادى كان (ضد) عبدالناصر فيما روى من مذكرات ، بل يمكن القول إن البغدادى فى مذكراته كان صادقاً فى التعبير عن معاناته من ممارسات عبدالناصر ، وإن كان هذا لم يمنع البغدادى من أن يقدم التقدير اللائق لعبدالناصر فى كثير من المواقف ، و يبدو عبداللطيف البغدادى حتى من قبل الثورة أكثر إدراكاً لطبائع الأمور وأكثر حكمة من

جمـال عبدالناصر ، ولـكنه أقل منه تحكماً وفهـماً لطبائع الأشـخاص وأقل منه حنكة ، كأنما أريد أن قول إن عبد الناصر كان أكثر حنكة من البغدادى على حين كان البغدادى أكثر حكمة من عبـد الناصر ، كما أن عبد الناصر كان يفهم فى طبـائع الأشخاص أكثر مما يفهم البغـدادى ، عـلى حين كان البغـدادى يفهـم فـى طبائـع الأشيـاء أكثر مـن عبـد الناصر ، فهـو فى صفحـة ٤٤ من مذكراته يروى أن عـبدالناصر «كـان يرى عدم الاندفاع ، ويدعـو إلى التأنى وكـانت هذه عادته» ، ويأتى حكمـه هذا على عبـدالناصر فيـما كـان يثيـره البغـدادى من أهمية عـامل الوقت بعد انـتخابات مـجلس إدارة نادى الضباط ، ثم هو يروى موقف عبدالناصر من الاندفاع نحـو محاولة اغتيال حسين سرى عامر فى ٨ يناير ١٩٥٢ بعد انتخابات رئاسة اللجنة التأسيسية بخمسة أيام.

والبغدادى يروى مـوقفه من عبدالناصر ومن اللـجنة التأسيسية للضـباط الأحرار فى هذه الواقعة فى صراحة شديدة فيقول:

«... وكان جمـال قد قام بهذه المحاولة مـستقلاً دون أخذ قرار من الهـيئة التأسـيسية للضباط الأحـرار وأشرك معه فيـها كلا من حسن إبراهيم ، واليوزباشى كـمال رفعت ، واليوزباشى حـسن التهـامى من التنظيم ، وكنت قد اعـتبـرت هذا التصرف منـه عندما اجتـمعنا ثانى يوم لهذه المحـاولة خروجاً منه على رأى الجـماعة ، وهو مبـدأ رئيسى فى تنظيمنا ، وأن الحـرية والاستقـلال فى التصرف فى مثل هـذه الأمور لهما خطورتهـما ، بالإضافة للأضرار التى ربما تقع على التنظيم نفسه لو أمكن للبوليس اكتشاف أمر الذين قاموا بهذا الاعتداء».

«وقد بلغ من حدة المنـاقشة وعنفها فى ذلك اليـوم أن طلب جمال عبـدالناصر إعادة طرح الثقة به كـرئيس للجنة ، وقد حاز أغلبيـة الأصوات ، وكان صلاح سالم مـشاركاً معى فى هذا الرأى وضد خروج جمال على رأى الجماعة ، ولما وجدت أنه لا يزال هناك إصرار على عدم التحرك السريع رغم تلك الأحداث أعلنت لزملائى أعضاء اللجنة عن انسحـابى من حضور اجـتماع اللجنة الـتأسـيسية فى المسـتقبل حـتى يقرروا أن الوقت المناسب قـد حان لتنفـيذ خطتنا ، وأن يـعتبـرونى فى تلك الفـترة جندياً لهم فـى سلاح الطيران ، وأنهم سيـجدوننى وزملائى ضباط القـوات الجوية خير عون لهم حـينما تحين الساعة».

«ومن هذا التاريخ لم أعد أحضر اجتماعات اللجنة التأسيسية حتى يوم ١٦ يوليو ١٩٥٢. وهو اليوم الذى صدر فيه قرار حل مجلس إدارة نادى ضباط الجيش تلبية لرغبة فاروق ، وفى اليوم التالى لهذا القرار حضر حسن إبراهيم إلى منزلى عند الغروب ، وأبلغنى برغبة زملائى أعضاء اللجنة فى أن أحضر اجتماعاً فى مساء نفس اليوم ، وتوجهنا معاً إلى الاجتماع».

❑

لعلنا ننتقل الآن إلى التعبير المباشر عن طبيعة العلاقة ، ومن حسن الحظ أن عبد اللطيف البغدادى قد تولى فى مذكراته كثيراً من الجوانب المهمة والخفية فى شخصية الرئيس جمال عبد الناصر ، وسأكتفى بخمسة أمثلة من أمثلة كثيرة قدمها البغدادى فى منتهى الوضوح:

(١) ينبهنا البغدادى إلى إدراك عبد الناصر لغياب القاعدة الشعبية المؤيدة للثورة وهو معنى فى غاية الأهمية كان عبدالناصر مدركاً له فى مارس ١٩٥٤ وهو يورد حواراً أشرنا إلى نصه فى موضع آخر ولكننا لا نجد مانعا من تكرار قراءته .

يقول البغدادى:

«فى أثناء المناقشة ذكر جمال عبدالناصر أن هذه الثورة ليست لها قاعدة شعبية تعتمد عليها ، وليس هناك من يؤيدها لا من الشعب ولا من الجيش ، وأن الذين قاموا بهذه الثورة تسعون ضابطاً فقط وأنهم فى تناقص حتى أصبح عددهم خمسين ضابطاً الآن»، ثم يعقب البغدادى فيقول: «وعلَّقت على كلامه هذا بقولى: معنى هذا أننا نفرض أنفسنا على هذا البلد ، فرد علىّ بالإيجاب».

(٢) يشير البغدادى فى أكثر من موضع إلى مناورات الرئيس عبدالناصر الذكية ضد الرئيس محمد نجيب ، فهو يروى عن عبد الناصر أنه طالب بالإفراج فوراً عن رشاد مهنا «لإزعاج محمد نجيب الذى يخشى أن ينافسه رشاد مهنا فى الرئاسة» ، كما يروى قبل هذا أن الرئيس نجيب كان يطالب بمحاكمة على ماهر بخصوص الهلال الأحمر لمخالفات مادية ، وذلك للتخلص منه لأنه أشيع أنه ينوى ترشيح نفسه للرئاسة أمام نجيب.

(٣) يروى البغدادى أن الرئيس عبدالناصر أبلغه هو وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم أثناء أزمة ١٩٥٤ أن «الانفجارات التى كانت قد حدثت فى اليوم السابق وأشار إليها فى اجتماع المؤتمر ، إنما هى من تدبيره لأنه كان يرغب فى إثارة البلبلة فى نفوس الناس ويجعلها تشعر بعدم الأمن والطمأنينة على نفوسهم وحتى يتذكروا الماضى أيام نسف السينمات .. إلخ ، وليشعروا بأنهم فى حاجة إلى مَنْ يحميهم ـ على حد قوله».

(٤) يلقى البغدادى بعض الضوء على تفسير ذكى ومعقول لإصرار الرئيس عبدالناصر فى بدايات الثورة على الاقتداء بما كان قد حدث فى تركيا أيام مصطفى كمال أتاتورك عندما انسحب من السلطة تاركاً الأمر لعصمت أينونو ، ثم لما استفحل الأمر عاد ثانية وأعاد الأمور إلى نصابها.

(٥) من المواقف الطريفة التى يرويها البغدادى أن الرئيس عبدالناصر بعد أزمة مارس ١٩٥٤ تقدم باقتراح بإغلاق نادى الجزيرة لأنه مصدر الشائعات!

وفضلا عن هذا فإن البغدادى لا يتجاوز المحطات الكبرى فى مجد عبد الناصر دون الإشادة بالرجل وبإنجازاته ، و بعد حديثه المطول عن نجاح مصر فى تأميم قناة السويس يتحدث البغدادى بحب شديد عن الرئيس جمال عبدالناصر ويقول:

«... لقد كان لقرار تأميم قناة السويس صدى واسع فى العالم كله ، وفى العالم العربى خاصة ، وأصبح جمال عبدالناصر بعد هذا القرار بطل القومية العربية وزعيم العرب دون منازع ، وكان قد سبق ونال إعجاب الجماهير العربية عندما كسرت مصر احتكار الغرب للسلاح واتجهت نحو روسيا وتبعتها من بعدها سوريا فى أوائل عام ١٩٥٦ ، وأصبح جمال بذلك أمل الملايين من العرب فى كل مكان من الأمة العربية ، وسيزداد هذا الشعب وثوقاً وتعلقاً به بعد معركة السويس».

❑

ونتقل من هذه الأمثلة المحددة إلى بعض الروايات عن بعض المواقف .

يدلنا عبد اللطيف البغدادى بتلقائية شديدة على مدى ذكاء الرئيس جمال عبدالناصر فى استغلال الخطاب السياسى للإعلان عن قرارات لم يتم الاتفاق عليها مع زملائه ، وكأنه بهذا حريص على أن يفاجئ هؤلاء الزملاء من ناحية ، ويكسب الإيحاء بأنه يقف

مع مطالب الشعب السياسية من ناحية أخرى ، ومع هذا فإننا لا نعتقد أن عبدالناصر قد كسب على المدى الطويل بمثل هذه الإجراءات ، ويبدو أن عبدالناصر والبغدادى وغيرهما من أعضاء مجلس القيادة كانوا فى حاجة إلى أن يفهموا ما فهمه أنور السادات وعبر عنه بأكثر من صورة طوال سنوات عمره [بما فيها فترة رئاسته] من أن قرارات الثورة لا تؤخذ بالأصوات ولا بالأغلبية ، وأن هناك عقلاً مدبراً لها هو الذى يتولى كل ذلك ، ولنقرأ فقرات البغدادى التى تدلنا على ما أراد تصويره من ذكاء عبد الناصر حيث يقول:

«.... وفى مساء يوم الخميس ١٩ مايو ١٩٥٥ كنت قد علمت أن جمال عبدالناصر ألقى كلمة فى نادى ضباط الجيش بالزمالك ، وكان قد دعى لتناول الإفطار بمناسبة عودته من باندونج ، وكنا فى رمضان ، وكانت الدعوة فجائية ، ولم أحضرها لارتباطى من قبل على تناول الإفطار مع أصدقاء لى ، وعلمت فى نفس المساء أنه أعلن فى كلمته التى ألقاها عن انتهاء فترة الانتقال فى يناير ١٩٥٦ ، وهى نهاية مدة السنوات الثلاث ، كما أنه أعلن فى كلمته أيضاً عن عودة الحياة النيابية ، ولكنها ليست فى شكل أحزاب ، وإنما ستكون ممثلة فى هيئات ، ولم يكن المجلس قد ناقش هذا الموضوع من قبل ، وكان الأمر مفاجأة لى ـ لا للخبر نفسه ـ بل لأن جمال عبدالناصر قد أعلن هذا القرار منفرداً ، وبهذه الصورة العلنية دون الرجوع إلى مجلس الثورة ، وكانت هذه أول مرة يخطو فيها هذه الخطوة».

«وهل كان القصد منها ممارسة السلطة منفرداً وتثبيت حقه فى إصدار مثل تلك القرارات وإعلانها تنفيذاً لقرار الأغلبية فى مجلس الثورة ، أم إنه أراد أن يعطى الشعب انطباعاً بأنه هو الذى يعمل على عودة الحياة النيابية فى أقرب وقت؟ كان هذا هو الذى خطر فى ذهنى على أثر سماعى هذا الخبر فى نفس المساء».

« ولكن بعد إعلان هذا بأيام قليلة اتصل بى عبدالحكيم ليهنئنى بالعيد وفاتحته فيما أعلنه جمال عبدالناصر ، وفسّره لى بأن جمال عبدالناصر قد اضطر لإعلان ما أعلنه بحجة أن هناك شائعات تدور فى البلاد عن أن صلاح والبغدادى منقسمان على المجلس لرغبتهما فى عودة الحياة النيابية ، كما أن جمال سالم كان قام بزيارتى فى نفس اليوم الذى تحدثت فيه إلى عبدالحكيم وأثير ما أعلنه جمال أثناء حديثنا ، فأبلغنى أنه شخصياً

لم يعلم به إلا قبل قيام جمال عبدالناصر بإلقاء كلمته مباشرة ، وذلك أثناء جلوسهم على مائدة الإفطار ، وأن جمال عبدالناصر أبلغه أنه سيعلن ما أعلنه بحجة أن هناك شائعة عن أن جمال سالم [نلاحظ هنا أن جمال سالم قد حل فى هذه الشائعة محل البغدادى فى الشائعة الأولى التى تحدث عنها عبدالحكيم عامر] وصلاح منقسمان على المجلس بسبب نظام الحكم ورغبتهما فى عودة الحياة النيابية وبسرعة ، وأن مجلس الثورة معارض فى ذلك ، وأنه بهذا التصريح منه يريد أن يقضى على هذه الشائعة ، ولكننى لم أكن قد سمعت عن هذه الشائعة من قبل».

❑

ونأتى إلى ما يلخص به عبد اللطيف البغدادى أسباب نشأة الحساسية المبكرة بينه وبين الرئيس جمال عبدالناصر حيث يروى قصة حوارهما فى أبريل ١٩٥٤ وهو حوار طويل ومتشعب وقد شمل عدداً من الموضوعات ، لكنه ينبئنا بصدق ووضوح عن العقليات الحاكمة للعلاقات الثنائية فى هذه الجماعة الصغيرة التى قدر لها أن تتحكم فى مقدرات الشعب لفترة طويلة:

«... ثم تكلم جمال عبدالناصر عن الحساسية ذاكراً أننى حساس ، وأنه كان يحتاط دائماً لذلك ، وضرب مثلاً بقوله إنه بالرغم من أن مجلس الثورة قد فوض له كل السلطة فإنه لم يستخدمها (ينبهنا البغدادى إلى أن عبد الناصر يشير بهذا إلى اقتراح جمال سالم وموافقة المجلس عليه) ، ولو أعطى هذا الحق لشخص آخر غيره لاستخدمه دون الرجوع إلى المجلس ، وأراد أن يبين أنه قاسى الكثير فى سبيل المحافظة على وحدة المجلس ، وأنه ملاك وليس بشراً».

«ولكننى [يستطرد البغدادى] لم أشأ أن يمر ما أشار إليه من عدم استخدامه لهذه السلطة التى فوضها له المجلس دون أن أشير إلى بعض التصرفات التى صدرت منه وتدل على غير ما ذكر فقلت له: «ألم تذكر لضباط المدفعية أنك كل شىء فى هذا المجلس ومن أنك قادر على تمرير أى شىء فيه دون صعوبة؟ وأنك قلت لهم أيضاً لا يهمكم من أعضاء هذا المجلس ، فما هم إلا صورة داخل المجلس» ، وكان هذا الكلام قد أتى على ألسنة بعض من ضباط المدفعية الذين حقق معهم فى يناير ١٩٥٣ (وهم: محسن عبدالخالق ومجموعته) ، فحاول جمال الرد ولكنه لم يعرف كيف يرد ، هل ينكر ، إن ذلك غير ممكن لأنه يعلم أن المجلس كله يعرف هذه الواقعة ، أو يقول إن هذا

صحيح فيسبب بذلك إحراجاً لأعضاء المجلس. لذلك كان رده عليّ: «إنه يمكن إضافة هذا إلى الاعتبارات المختلفة التى تسبب عنها ما فى نفسك».

وتساءل: «هل هو يُستجوب أم ماذا؟».

«وتكلم عبدالحكيم قائلاً: «هل أنت مازلت متذكراً هذا من يناير ١٩٥٣؟» فأجبته بأنى أذكر هذا فقط بمناسبة حديثه عن السلطة وعدم اهتمامه بها رغم أن الشواهد تدل على غير ذلك ، فأراد جمال عبدالناصر أن يبين أن هذا الخلاف ما هو إلا لسبب دفين فى نفسى ، وربما يكون هذا صحيحاً ، وذلك لاعتقادى بأنه هو الذى أوجد هذا الشقاق والخلاف ، وهو الذى جعل الشعب يفقد ثقته فينا ، كما سبق أن فقدها فى زعمائه السابقين ، وليس هذا إلا بسبب سعيه الدائم وراء القوة ومركز الثقل ـ على حد قوله ـ وأن الناس عندما تشعر بهذه القوة تأتى إليه تسعى كما كان يردد ، وذلك هو الذى دفع محمد نجيب إلى الاستماتة فى سبيل الاحتفاظ بصورته كقائد ثورة ، وحتى لا يقال عنه إنه «فوزى سلو» [أى أنه أصبح كقائد انقلاب سورى فاشل] ، وهو ـ أى محمد نجيب ـ كثيراً ما كان يردد هذا. وأصبح هناك تسابق بينهما ومزايدات فى الخطب مما دفعنى إلى أن أبتعد عن كلا الطرفين وأقف موقف الحذر فى هذه الفترة الحرجة من تاريخ مصر » .

وفى إطار هذا الحوار وهذه المكاشفة يورد البغدادى فقرة مهمة لتاريخنا المعاصر يقول فيها:

«ذكرت من ضمن ما ذكرت أيضاً ما كنت قد سمعته عن إعطاء الصاوى محمد الصاوى رئيس نقابة عمال النقل بالقاهرة مبلغ أربعة آلاف جنيه تشجيعاً له ليدفع عمال النقل إلى الإضراب بعد أن صدرت قرارات ٢٥ مارس ١٩٥٤ ، ومنتقداً هذا التصرف ، ولكن جمال ذكر أنه أراد بذلك أن يسبق خالد محيى الدين ويوسف منصور صديق لأنهما كانا ينويان عمل نفس الشيء ـ على حد قوله » .

❏

كذلك نجد عبد اللطيف البغدادى حريصا على أن يروى وجهة نظره فى الرد على اتهام عبد الناصر له بالحساسية تجاه النقد على نحو ما نفهم من الفقرة التالية:

«ولكنى لمحت إليه عن تدخله فى اختصاصى ذاكراً له بعض الحالات ، وهو ما كان يأخذه على محمد نجيب ، وهو قد أخذها فى رده علىّ عندما لم يجد لها تفسيراً بأن اعتبر هذه الأشياء من الرواسب العالقة عندي والتى تؤثر علىّ نفسياً. وقارن بين موقفى هذا ونقدى له من تدخله فى اختصاصى وموقف أحد الزملاء من المجلس ، وتدخل جمال فى اختصاصاته دون أن توجد عنده هذه الحساسية ، وضرب مثلاً بأنه عقد مؤتمرات مع موظفى الأجهزة الخاصة بأمن الدولة التابعة لهذا الزميل ويصدر إليهم الأوامر دون علمه ، بل وتصادف أن ذهب هذا الزميل إلى مكتب جمال عبد الناصر فوجده مجتمعاً ببعض الأجهزة التابعة له والخاضعة لرئاسته ، فاستأذن هذا الزميل ليذهب إلى السينما».

«وكان تعليق الزميل على هذا بأن موظفى وزارته والأجهزة الأخرى التابعة لرئاسته يعتبرونه ممثلاً للمجلس وليس وزيراً لها ، وأنه عندما يصدر جمال الأوامر إليهم فكأنه هو الذى أصدر هذه الأوامر. وأشار جمال إلى الفرق بين حساسيتى وحساسية هذا الزميل».

ثم يعلق البغدادى على هذا كله بعبارات رجل الدولة المسئول ويقول:

«.... ونسى كل منهما أن الأوضاع لا يمكن أن تستقيم على هذه الصورة ، وإذا كان الأمر كذلك فليس هناك معنى لتحديد الاختصاصات ، ولو كان من حق كل فرد أن يصدر الأوامر لكل من يشاء لتضاربت الأوامر فى هذه الحالة ونتجت عنها فوضى وضياع للمسئولية».

❑

هكذا نرى الاحساس المبكر بالتربص ينمو بين هذين الرجلين العظيمين منذ مراحل مبكرة من العمل المشترك فى الحياة العامة ، ولا نستطيع أن نجد ما ينفى هذا الاحساس ولا ما يشير إلى أنه خبا أو تضاءل مع تقدمهما فى السن .

وقد ظل شعور عبد اللطيف البغدادى تجاه هذه النقطه ثابتاً بل إنه يذكر هذا المعنى ذاته فى حديثه لمجلة نصف الدنيا (١٩٩٦) بعد قرابة عشرين عاماً من نشر مذكراته فإذا هو لايكرر طريقة التعبير عن المعنى فحسب ولكنه يكرر بعض الألفاظ والصياغات أيضا، وهو يتحدث عن توليه وزارة الشئون البلدية والقروية فى أول عهد الثورة على الرغم من صعوبة العمل المنوط بها ، وقبوله هذا التحدى ، وذلك حيث يقول:

«... نعم فقد أراد عبد الناصر إضعافى سياسيا ، خاصة وأن الدكتور مهندس وليم سليم حنا والمشهود له بالكفاءة لم يستطع تحقيق أية إنجازات ملموسة اثناء توليه هذه الوزارة (يقصد وزارة الشئون البلدية والقروية) والتى كان يشاع عنها فساد أجهزتها لذلك كان عبد الناصر متيقنا من فشلى الذريع فيها » .

هنا تساءلت منى الدحة : « إذن لماذا قبلتها ؟ » ، وبشموخ الثورى أجاب (هكذا تعلق المجلة) : لروح التحدى التى تملأ نفسى وجدتنى أقبل هذا المنصب وقد استطعت تحقيق إنجازات غير مسبوقة ومشروعات ضخمة تم تنفيذها فى أزمنة قياسية مما جعلها تحظى بإعجاب الشعب . وماذا كان صدى هذا النجاح على عبد الناصر (تعود المحررة لتسأل)؟: للأسف فقد حاول عبد الناصر أن يشكك فى أهدافى أمام زملائى فى مجلس قيادة الثورة مبررا نجاحى هذا بأنه سعى وراء السلطة ورغبة منى فى الحصول على شعبية كبيرة أمام الرأى العام ، بالرغم من أننى حاولت تقديم استقالتى عدة مرات فقد كانت هذه السنوات من أتعب سنوات حياتى وما منعنى من الاستقالة هو مصلحة الوطن خاصة وأنه لم يكن قد تم جلاء القوات البريطانية عن أرضنا » .

❑

ويروى البغدادى بالتفصيل قصة غضب الرئيس جمال عبدالناصر من قراره إجراء تحقيق مع عمه فى أثناء غيابه عن مصر ، ولابد لنا أن نتأمل كل التفصيلات التى يوردها عبداللطيف البغدادى فى هذه القصة ، لأنها تطلعنا بعمق على العوامل المتضاربة فى اتخاذ قرارات نزاهة الحكم ، فلا شك أن البغدادى وعبدالناصر كانا حريصين على هذه النزاهة ، ولكن المشكلة جاءت من أن القرار اتخذ بينما عبدالناصر فى الخارج ، هذا فضلاً عن أن الإنسان عندما يكون مسئولاً كبيراً يؤثر تصديق الروايات التى فى صالحه أو فى صفه أكثر من تصديق الروايات التى فى غير صالحه أو فى غير صفه ، فإذا ما تواترت الروايات الأولى لم يكن عليه حرج فى أن يبحث للرواية الأخرى عن أسباب أخرى ومعان كثيرة ، وليس من الصعب أن تطل هذه المعانى برأسها على ألسنة كثير من المحيطين بأى رئيس أو زعيم ، وها هو البغدادى يروى القصة بشىء من التفصيل المهم فيقول:

«... وكان قد حدث فى أثناء وجود جمال عبدالناصر فى مؤتمر باندونج أن علمت من مصطفى عبود وكيل الوزارة التى أتولى شئونها أن حسين خليل عبدالناصر (عم

جمال) قد تدخل لدى إحدى الشركات التابعة للوزارة لصالح أحد أصدقائه ، ولما كان عم جمال موظفاً بوزارة الإصلاح الزراعى فقد قمت بإبلاغ هذا التصرف منه إلى جمال سالم لمسئوليته عن تلك الوزارة ، وقد رأى جمال سالم إجراء تحقيق معه فيما هو منسوب إليه ، ولما عاد جمال عبدالناصر من المؤتمر وعرف موضوع التحقيق مع عمه تضايق من هذا التصرف وأخذه بمعان أخرى بعيدة تمام البعد عن الحقيقة».

«وكنت قد علمت بهذا الأمر من زكريا وحسن إبراهيم فاصطحبت معى جمال سالم وتوجهنا إليه لتوضيح هذا اللبس ، وكنا متأثرين منه لحالة الشك التى راودته وعاتبناه عليها ، ومما ذكره جمال سالم له أنه كان يعتقد أنه بهذا الإجراء الذى اتخذه إنما كان يحمى به جمال عبدالناصر ، وأنه قد تصرف كما لو كان هو جمال عبدالناصر نفسه ، كما أن هؤلاء الموظفين الذين يحقق معهم تابعون لوزارته وهو مسئول عن تصرفاتهم ، أما جمال عبدالناصر فقد أشار إلى أن هذا التصرف من عمه كان قد حدث من مدة ولكنه لم يثر إلا أثناء وجوده ـ أى جمال عبدالناصر ـ بالخارج حتى تفهم البلد ـ على حد قوله ـ أن عمه كان مستغلاً لنفوذه ، وكان محمياً منه ، ولكنه فقد هذه الحماية بعد سفره إلى الخارج ، وحاولت من جانبى أن أوضح أن الموضوع قد عُرِف مصادفة ، ولم أبلغ جمال سالم به إلا لكونه مسئولاً عن تصرفات موظفيه».

«وبعد حديث طويل أظهر لنا اقتناعه بملابسات الموضوع ، وأن الشك الذى كان يساوره قد زال ، ولكن تبين لىَّ فيما بعد أنه كان لا يزال عالقاً فى نفسه».

❑

وفى أحد المواضع من مذكراته يتحدث عبد اللطيف البغدادى عن جلسة مصالحة بينه وبين عبدالناصر من أجل إزالة الجفاء الذى نشأ بينهما فيقول:

«.... وبدأت المناقشة بينه وبينى وفى هدوء تام وكنت أتركه يتم حديثه حتى النهاية ثم أبدأ فى ذكر حقيقة الموضوع وأساسه ، فيسكت ولا يعقب على كلامى. حدث هذا فى كل مسألة من المسائل التى أثارها».

«وقد بدأ بمسألة عمه والتحقيق معه ، وتلاه بموضوع محاربتى لهيئة التحرير ، وأننى أقوم بتعيين أعضاء مجالس البلديات دون الرجوع إليه ، وبعض المسائل الأخرى ، وكلها مرتبطة بالأعمال التنفيذية ولا أحب أن أشغل القارئ بها».

«وانتهت الجلسة بهذه المناقشة بيننا والتى كانت تدور بهدوء دون أن يرفع أحدنا صوته على الآخر ، وكل منا أوضح وجهة نظره دون أى انفعال ، وحمدت الله على أن موقفى كان سليماً وواضحاً وقوياً ، وكان كل ما يهمنى أن يفهم زملائى موقفى على حقيقته من تلك المسائل التى كانت تذكر لهم ، ولقد وصلت إلى هذه النتيجة وشعرت بعدها براحة نفسية كبرى لم أكن قد شعرت بها من مدة».

❑

وهذه فقرة من الفقرات التى يحسن بنا أن ننقلها عن البغدادى فى تقييمه لدور عبدالناصر فى ١٩٦٤ ، أى فى الفترة التى شهدت استقالته الأخيرة ، ونحن نراه يصف عبد الناصر دون مواربة بأنه أصبح يستهين بالرأى العام ، بل يتحدى مشاعر الشعب.

«.... كما أن إصرار جمال على تعيين على صبرى رئيساً لمجلس الوزراء رغم فشله الواضح كرئيس للمجلس التنفيذى قبل ذلك التعيين مباشرة ، ورغم موقف شقيق زوجته جمال فؤاد أيضاً فى قضية الاستيراد والتصدير المعروضة حالياً [هكذا فى النص لأن البغدادى يشير إلى أنه كتب مذكرات يومية..] على القضاء ، واتهامه فيها بالرشوة ، وما يدور حولها كذلك من لغط كثير بين أفراد الشعب ليدلُ على أن «جمال» قد أصبح يستهين بالرأى العام ، بل ويتحدى مشاعر الشعب كذلك أو أن الغرور قد تملكه».

❑

ومن المهم أن نقرأ بعض ما قدمته الأدبيات المكتوبة عن الثورة من وجهة نظر من خلافات الرئيس عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادى .

يروى الأستاذ أحمد حمروش فى كتابه عن ثورة يوليو أن عبد اللطيف البغدادى قدم استقالته الأولى عام ١٩٥٤ خلال أزمة مارس ، ويحصر حمروش السبب وراء هذه الاستقالة فى تمسك البغدادى بالمبدأ عندما رفض الموافقة على عودة محمد نجيب وكان قد سبق له عدم الموافقة على خروجه أيضا :

«..... كانت بداية احتجاج عبد اللطيف البغدادى على تصرفات عبد الناصر وانفراده برأيه ، وكانت الاستقالة على هيئة أسئلة وعلامات استفهام مستنكرا من خلالها أن يكون قد سعى وراء القوة والسلطة والسلطان ، أو أنه يحاول فى يوم أن يركز السلطة فى يديه ، ومن الواضح أنه كان يقصد بهذا الاستفهام الاحتجاج على أسلوب

جمال عبدالناصربـالذات بطريقة غير مباشرة ، وهو ما فهمـه وأدركه عبدالناصر ، وقد قرأها كمال الديـن حسين أمام مجلس قيادة الـثورة مما جعل عبد الناصر يخـرج غاضبا ويقول : « هو إحنا جايين هنا علشان تلقحوا علينا بالكلام » وغادر المكان لفترة ، ثم عاد ليعـانق البغدادى قـائلا له : « أنا نزلت إلى مكتبى تفـاديا للصدام معك ، فـقد كنت فى حالة عصبية».

❑

ربما نعود مع الأدبيات المتاحة عن تاريخ الثورة لنتأمل مظاهر مبكرة لهذا الشقاق بين الرجلين.

يورد سامى جوهر فى كتابه «الصامتون يتكلمـون» نصا كاملا لاستقالة عبداللطيف البغدادى من مجلس قيادة الثورة « فى ١٤ أبريل ١٩٥٤ » وهذا هو النص:

« إخوانى .. أعضاء مجلس قيادة الثورة ..

أتقدم اليكم كـقضاتى لأنه لايملك أحد بمفـرده أن يتصرف فى أمرى فـالأمر أمركم أنتم .. وأقول .. إنه قـد تبين لى فى جلسـة ١١أبريل ١٩٥٤ أنكم كلكم «رسل» إلا أنا «فبشر» ... ولاحظت سكوتكم ولم يعترض أحـد منكم ، أى أن ما كان يلمسه أحدكم كنتم جميعا تلمسونه».

«وإذا كانت هذه حقيقة فيحق لكم ألا يتواجد هذا البشر بينكم».

«كـمـا أننى لا أنكر عليكم أننى أخـذت أبحث عن تـلك الرواسب التى فى نفـسى وأحللها لأتبين حقـيقة أمرى ونفسى ولأعمل على علاجهـا ما استطعت ، ولأحاول أن أعود إلى زمرتكم وقلت لنفسى : تذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين .. وفشلت فيما مضى منذ يوم قيام الثورة حتى الآن».

«وقلت لنفسى : هل سعيت يوما وراء السلطة والسلطان ؟».

«وهل وقفت يومـا موقفـا معيبا من أعضـاء هذا المجلس ؟ وهل سعـيت يوما وراء القوة وحاولت تركيز السلطة وثقلها بين يدى لتأتى الناس إلىّ تسعى لأنهم يحبون القوة ويخشونها طالما تتحكم فى لقمة عيشهم ؟».

«وهل انحرفت عن مبادىء الثورة ومثلها التى اعتنقتها من قبل قيامها ؟».

«وهل لمت أحداً لأنه يتدخل فى اختصاصاتى ، وسمحت لنفسى بهذا التدخل ؟ أو سعيت إليه؟».

«وهل كنت سببا فى إيجاد خلاف أو انقسام داخل هذا المجلس».

بعد هذا التلميح الواضح والتعريض المباشر بأسلوب أداء الرئيس عبد الناصر يبدأ البغدادى فى نفى هذه الأخطاء عن نفسه ويقول:

«كلا يا إخوانى .. والله بحثت وفتشت لم أجد ما يمس كل هذه المبادىء ، ولكننى وجدت نفسا طاهرة نقية عيبها أنها تكره الطغيان والاستبداد ، تعلمت الحرية واعتنقتها فآمنت بحرية الرأى والفكر والاستقلال فى إبداء الرأى مهما كانت النتائج . تعلمت الصراحة فكانت سببا فى شقائى وتعب الآخرين منى .. وهناك ضمير يحاسب تلك النفس على ما تقوله أو تفعله .. وهى تعلم أن هناك قاضيا سيحاسبها فى يوم من الأيام ولكنه ليس بقاض سياسى وإنما هو قاضى التاريخ الذى يسعى دائما وراء الحقيقة وهو الذى يظهرها ويكشفها للناس مهما طال عليها الأمد .. هذا القاضى ستقفون أمامه فى يوم من الأيام لا مفر من ذلك».

«كان هناك رادع آخر بجانب ضميرى أعمل له ألف حساب هو ذلك القاضى العادل.. قاضى التاريخ».

ثم يبدى البغدادى حيرته أو اعترافه بعدم القدرة على الاستمرار على هذا النحو حين يجد هذه الصفات وقد أصبحت محل انتقاد ووصفت بأنها رواسب ، ويصل البغدادى فى نهاية كتاب استقالته هذه إلى أن يهدد زملاءه جميعاً بأنه إذا كان اليوم لهم ، فإن الغد سيكون عليهم!!:

«وإذا كانت ياإخوانى الصراحة فى القول وحرية الرأى والفكر ، ومقاومة الطغيان والخوف من هذا القاضى الذى لا يحابى أحدا .. كل هذه رواسب يجب إزالتها .. فأقول لكم إنه لايمكننى أن أزيل تلك الرواسب من نفسى لأنها قد امتزجت بى وامتزجت بها وأصبح من العسير الفصل بيننا».

«ولكن لما كنت أضع مصلحة الوطن فوق كل اعتبار .. لذا أترك لكم حرية التصرف فى أمرى وأستحلفكم بالله أن تتوخوا الصدق والأمانة عندما تبررون تصرفكم معى ،

ولا تذكروا إلا الحقائق وإلا فستقتلون أنفسكم بأيديكم ، فالحقائق لابد لها أن تظهر فى يوم من الأيام ، واليوم لكم ، وغد عليكم . والله ولى التوفيق...».

عبد اللطيف البغدادى

١٤ أبريل ١٩٥٤

❑

ويروى البغدادى بنفسه وقع استقالته على زملائه حين تلى نص استقالته فى أثناء الاجتماع ، ويؤكد على أنه هو نفسه تأثر بما فى الاستقالة لشعوره بالإخلاص الصادر عنه هو نفسه:

«... وبدأ كمال فى قراءته (أى خطاب الاستقالة) وكان السكون مخيماً علينا جميعاً ، وكنت متأثراً بما جاء فى الخطاب أثناء تلاوته رغم أننى أعلم ما به ، ولكنه هز كيانى لشعورى بإخلاصى وإنكار ذاتى ، وأن ما قيل فى جلسة ١١ أبريل كان كله تجنيا علىّ. ولقد استخدمت فى خطابى كثيراً من الكلمات التى كان قد ذكرها جمال عبد الناصر ، وقصدت أن تكون بطريقة استفهامية ، كما أنى لمحت فيه أيضاً إلى القوة والسلطان ومركز الثقل والانقسام متسائلاً هل سعيت إلى هذا أم لا ، ومن الذى سعى إليه».

❑

وهذا تصوير دقيق يقدمه البغدادى لحالته النفسية بعد هذه الاستقالة ـ المبكرة ـ بعام حين التقى بصلاح سالم ودار الحديث حول المشكلات القائمة فى مجلس القيادة:

«وانصرفت من عند صلاح (أبريل ـ مايو ١٩٥٥) وذهبت إلى منزلى وأنا أشعر أننى مقدم على معركة وليس فى يدى أى سلاح غير سلاح الحق وإخلاصى لبلادى وأبناء وطنى ، وساءلت نفسى ماذا أفعل؟ هل أستسلم وأترك الحكم للتاريخ الذى سيظهر الحقيقة فى يوم من الأيام مهما طال عليها الزمن؟ أم تاريخ إيه ـ على حد قول صلاح ـ ومن أين سيعرف التاريخ هذه الحقائق؟ وكانت نفسى تنازعنى وتحدثنى ألا أستسلم بل علىّ أن أقاوم مهما حدث ، وأنه ليس من حقى الانسحاب من المعركة لأنها ليست معركتى إنما هى معركة بلدى ، ولكنى أعود ثانية وأحدث نفسى وأقول كيف أقاوم وأنا

مجرد من كل سلاح؟ ولم يكن أمامى غير الصمود والدعاء إلى الله أن يلهمنى طريق الصواب .. هذا ما سجلته فى يومياتى بعد أن عدت من زيارة صلاح».

❑

ومن المهم هنا أن نستجلى بعض الأسباب التى جعلت البغدادى يصل إلى هذا الموقف وتبدو لنا هذه الأسباب واضحة مما رواه فى موضع آخر عن حواراته مع صلاح سالم وما تضمنته هذه الحوارات من وجهة نظر عبد الناصر وعبد الحكيم فيما يتعلق بموقع البغدادى نفسه من كيان الدولة.

يجدر بنا أن نتأمل فيما يرويه البغدادى عن صلاح سالم ما يوحى بالحسابات التى كان الرئيس عبد الناصر يحسبها لوجود البغدادى ، وكيف كان البغدادى من ناحية أخرى يشعر بالغيظ من إدراكه أو معرفته المتأخرة بمثل هذه الحقائق.

يقول عبد اللطيف البغدادى :

«.... ويقول صلاح سالم إنه سأل عبد الناصر وعبد الحكيم عن وضع جمال سالم والبغدادى بعد انتهاء فترة الانتقال ، فقيل له «إننا مازلنا نفكر». وأبدى لهما صلاح حلاً مقترحاً أن يتولى جمال سالم رئاسة مجلس الإنتاج ، والبغدادى رئاسة مجلس الخدمات العامة ، حتى يتم إبعادهما ـ على حد قوله ـ عن السلطة التنفيذية ولا يصبحا أعضاء فى المجلس النيابى. لكن جمال عبد الناصر اعترض قائلاً: «إنك تريد بهذا الاقتراح أن يصبح هناك ثلاثة رؤساء وزارات». كما اعترض عبد الحكيم أيضاً ذاكراً أن معنى هذا أن يصبحا هما اللذين يؤديان الخدمات للشعب ويعملان على زيادة الإنتاج. كما قال جمال عبدالناصر إنه يحاول عدم جمع لجنة التخطيط ، وإنه يعمل على إماتتها تدريجاً وذلك خوفاً من أن يحصل داخلها (Corner) (محور) بين جمال سالم والبغدادى».

«ويقول صلاح إنه بعد ذلك تساءل عن الحل ، ومقترحاً عليهما العمل على تقريب جمال سالم إليهما حتى يتم بذلك عزل البغدادى لوحده. ويقول إن جمال عبد الناصر استجاب لهذه الفكرة قائلاًـ على حد قوله ـ إنها فكرة حسنة».

❑

أما استقالة البغدادى المؤرخة فى ٢٤ أغسطس ١٩٥٨ فقد قدمها عندما أصدر عبدالناصر منشوراً (خطابا دوريا) وزع على نوابه والوزراء وأشار فيه إلى أن البعض يتصل بالصحافة بهدف الدعاية الشخصية ومحاولة إبراز إنجازاته وظن البغدادى أنه

المقصود بهـذا ، فاحتج على هذا الاتهام .. ولـكن جمال عبد الناصـر أرسل له وفدا من زكريا محيى الدين وكمال الدين حسين وحسين الشافعى وأنور السادات أقنعوه بالعودة حيث عاد يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٨ .

....

ويشير البغدادى فى حديث له عن فترة تالية إلى هذه الاستقالة فيقول:

«وحاول [أى الرئـيس عبد النـاصر] أن يؤكد لىَّ هذا المـعنى الذى ذكره فـأشار إلى الخلاف الذى كان قد حدث بيننا عـام ١٩٥٨ وأنه أصر على التمسك بى رغم إصرارى على الاستقالة».

«وهذه الاستقالة التى أشار إليها كنت قد تقدمت بها على إثر خطاب دورى منه كان قام بإرساله إلى جميع نواب الرئيس والوزراء ، وكان قد جاء فيه:

«قد لاحظت فى الأيام الأخـيرة الجرى وراء الصحـف والصحفيـين وتوزيع نشرات عليهم تهدف إلى دعايات شخصية والتسابق فى نسبة الأعمال للأشخاص».

«وكنت قد ذكرت فى استقالتى رداً على ما جاء بهذه الرسالة:

«حاشا لله.. إننا لا نجرى وراء الصحف والصحـفيين ، وإن نفسى وعزتى تأبى علىّ هذا ، وأنكم لتعلمون أن كرامتى هى أغلى من أى شىء فى الحياة وعليها تتوقف حياتى كلها بل وسعادتى فى تلك الحيـاة ، ولم نخرج جنباً إلى جنب ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إلا للدفاع عن هذه الكرامة والقتـال فى سبيل حريتنا ، ولقد استهـان كل فرد منا بالحياة فى ذلك اليـوم ، وإننى مازلت أسـتهين بهـا حتى الآن لـنفس الأسبـاب ، وإننى أؤمن تمام الإيمان بأن الـثورة لا يمكن أن تحقق أهـدافها التى سـعينا جـميـعاً إلى تحقيـقـها إلا إذا توفرت الثقة المتبادلة بيننا وروح التعاون الكاملة حتى يمكن لنا أن نسير فى الطريق الذى رسمـه الله لها. لـكننى أشعـر أن هذه الثقـة لـم تصبح بالقـوة التى كنت أتمنى أن تكون عليـها ، لـذا أرجو أن تعـفـينى من تلك المسـئوليـات التى أوكلتـهـا إلىّ ، متـمنيـاً لك ولزملائك فى الكفاح النجاح والتوفيق دائماً لما فيه خير الوطن والعرب».

وتفضلوا بقبول احترامى ،

البغدادى

١٩٥٨/٨/٢

ويبلور البغدادى الأسباب التى جعلته يفكر فى الاستقالة النهائية ، وهو يجمل هذه الأسباب فى عودة عبد الناصر إلى عادته القديمة التى يحرص فيها على الظهور بمظهر الرجل القوى ، وسيادة مبدأ الحلول الوسط ، وإهمال الرأى الجماعى:

«وكنت قد اعتقدت فى البداية أن جمال جاد فى قيام التنظيم الذى تقوم فيه الدولة على مجموعة من المؤسسات السياسية ، وأنه حريص على تحقيق ونجاح القيادة الجماعية من أعلى مستوى فى القيادة إلى أدنى المستويات فيها ، خاصة أن هذه القرارات التنظيمية كانت قد صدرت على إثر انفصال سوريا من الوحدة والمأساة التى حدثت ، وصدورها لم يكن إلا كدرس مستفاد لنا من أخطاء الماضى ، ولكن سرعان ما نسى جمال هذه المأساة وعاد إلى عادته القديمة وهى محاولة الظهور بمظهر الرجل القوى وأنه المحرك لكل شىء ووراء كل قرار».

«وعندما تبينت ذلك بالإضافة إلى ما سمى بالحل الوسط وإهمال قرار مجلس الرئاسة ، فكرت فى أن أعتزل الحياة العامة وأن أكتفى بالدور الذى قمت به خلال الفترة السابقة من يوم قيام الثورة ، ولاعتقادى أيضاً أن هذا الأسلوب المتبع فى الحكم سيؤدى إلى نتائج وخيمة».

وفى موضع آخر يعبر عبد اللطيف البغدادى عن هذا المعنى نفسه بعبارات أكثر تركيزا وأكثر تحديدا فى الهجوم على الرئيس عبدالناصر فيقول:

« .... فى سبتمبر ١٩٦٢ كان قد تشكل مجلس الرئاسة كأعلى سلطة فى البلاد ولكن بعد فترة أصبح المجلس فى عزلة تامة عن مجريات الأمور ولا يملك من السلطة شيئا وقد اتضح لى أن عبد الناصر كان يخشى على قوته السياسية لذلك لم يكن يريد أن يكون للمجلس فعاليته فجمد سلطاته ، ولأنه لم تكن هناك جدوى من نقد أسلوب عبد الناصر فى الحكم فاعتبرت أننى مسئول أمام نفسى والتاريخ والرأى العام لذلك قررت الانسحاب من الحياة العامة ، ورأيت أن آخذ هذه الخطوة مع قيام مجلس الأمة فى يوليو ١٩٦٣ وبداية مرحلة جديدة ، ولكن تأجل قيامه حتى مارس ١٩٦٤ فأرسلت استقالتى إلى عبد الناصر يوم ١٦ مارس ١٩٦٤ وتضمنت أنه منفرد بالسلطة وهذا لا يحقق أمن ولا استقرار المواطنين وردا على ذلك حاول عبد الناصر الإساءة إلىّ».

❑

ويروى البغدادى فى موضع آخر كيف وجد نفسه يوازن بين خيارين متاحين أمامه

وأنه قضى قبل استقالته عدة شهور يحضر فيها الحفلات الرسمية ويخفى شعوره بعدم الرضا ويستعجل مرور الزمن ليأتى اليوم الذى يعتبره يوم الخلاص :

«وكان أمامى أحد حلين.. إما أن أتقدم باستقالتى فوراً أو أن أنتظر حتى تنتقل الثورة إلى المرحلة الجديدة من التنظيم بعد قيام مجلس الأمة فى يوليو ١٩٦٣ [تأجل موعد قيام هذا المجلس كما نعرف إلى مارس ١٩٦٤] ، ثم أستقيل مع بداية تلك المرحلة».

«وقد اخترت لنفسى الحل الثانى وكموقف منى فى سبيل المحافظة على مظهر وحدة المجموعة ، ولاعتقادى أيضاً أن فى ذلك صالح بلدى ولأن أضراره أخف على وطنى ولو أنه أقسى على نفسى».

«ولقد قمت بتنفيذ ما قررته لنفسى ، وكان واضحاً لزملائى أننى متخذ هذه السياسة رغم عدم حديثى معهم فيها ، ولم يفاتحنى فى ذلك أحد منهم غير حسن إبراهيم بعد عودتى من لندن التى كنت قد سافرت إليها فى أوائل أغسطس ١٩٦٣ لإجراء عملية جراحية بها وعدت منها فى يوم ٤ أكتوبر ١٩٦٣».

«وكان موعد انعقاد مجلس الأمة قد تأجل من يوليو ١٩٦٣ إلى فبراير من العام التالى ثم إلى مارس من نفس العام بسبب التأخير فى إعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكى. وقد اضطررت أن أتحمل تلك المدة الزائدة على يوليو ١٩٦٣ ولكننى كنت أقاسى فيها معنوياً ونفسانيا».

«وكان يهمنى أن أعتزل الحياة العامة فى سكون دون إثارة المتاعب لزملائى عند إعادة التنظيم ، وكنت أتصرف على هذا الأساس ، فأحضر الحفلات الرسمية وأحاول إخفاء شعورى بعدم الرضا ، ولا أذهب إلى مكتبى إلا مرة واحدة فى الأسبوع لأستقبل فيها بعض السفراء الأجانب وبعض المواطنين الذين يرغبون فى مقابلتى».

«وكنت أهدف بذلك إلى تغطية الشكل أمام الرأى العام ومنعاً لإثارة الشائعات».

«وكنت أستعجل مرور الزمن ليأتى اليوم الذى أستقيل فيه وقد اعتبرته يوم الخلاص مما كنت أقاسيه».

ونأتى مع البغدادى إلى اليوم الأخير فى هذه السلسلة من الأيام:

«وكنت أشعر أن الأيام تمر ببطء شديد حتى جاء يوم ٤ مارس ١٩٦٤ ودارت فيه مناقشة بين جمال وكمال ، وبينى كذلك وبحضور باقى الزملاء ، وتقدمت بعدها باستقالتى يوم ١٦ مارس ».

وفيما يلى نص استقالة البغدادى التى بعث بها إلى عبد الناصر يوم ١٦ مارس سنة ١٩٦٤ وقد بلور فيها ما سبق له أن ناقشه مع الرئيس عبد الناصر نفسه فى ٤ مارس من عدم وضع مبدأ القيادة الجماعية مبدأ التنفيذ ، مما أدى إلى شل فاعلية مجلس الرئاسة ، وهو ما عانى منه صاحب الاستقالة:

« السيد رئيس الجمهورية....

بعد التحية ..

إن موعد انعقاد مجلس الأمة الجديد قد قَرُب ومعنى ذلك بداية مرحلة جديدة من مراحل ثورتنا مما يتطلب بطبيعة الحال إعادة تنظيم الأجهزة السياسية وعلى الأخص القيادات العليا منها على ضوء تجارب الماضى .

ولما كنت غير راغب فى الاستمرار فى الحياة السياسية لأسباب سبق ذكرها فى اجتماعنا الأخير بمنزلكم يوم ٤ مارس سنة ١٩٦٤ وهى تتعلق بالمرحلة الحالية من التنظيم كما تعلمون أن مبدأ القيادة الجماعية مبنى أساسا على المسئولية التضامنية والمشاركة فى إصدار القرارات وهو أمر حتمى لنجاح مثل هذه القيادة فى مباشرة مسئولياتها ، ولكنه قد ترتب على عدم وضع هذا المبدأ الأساسى موضع التنفيذ عدم قدرة هذا المجلس على القيادة والقيام بواجباته الجماعية وهى فى نظرى أساسية وضرورية لضمان الأمن والاستقرار السياسى فى بلادنا فى المستقبل.

ومما لاشك فيه أن هذه النتائج لها انعكاسات على أعضاء مثل هذه القيادة.

وقد تأثرت أنا شخصيا فى خلال الفترة الماضية من هذه النتيجة فى تحمل تلك المسئولية الضخمة.

لذا قررت من فترة الانسحاب من الحياة العامة وعدم المشاركة فى المسئولية فى المرحلة القادمة من التنظيم التى تبدأ حسب تقديرى من أول يوم لانعقاد مجلس الأمة الجديد يوم ٢٦ مارس ١٩٦٤ متمنيا لك وللزملاء دوام التوفيق ».

عبد اللطيف البغدادى

❑

ونحن نرى البغدادى فى كل ما روى وسجل ونشر من مذكرات وهو يشكو من

سوء معاملة أجهزة الدولة المختلفة له عندما صمم على استقالته الأخيرة فى ١٩٦٤ ، وهو يسهب فى ذكر صور هذه الإساءة المنظمة وغير المنظمة ، ولا يقف البغدادى عند هذا الحد ، بل إنه يعبر عن بداية إحساسه بالخوف من عبد الناصر ، وهو خوف غير محدد الملامح ولكنه يتجلى فى الخوف من «إجراءات تعسفية» محتملة ، وحين يقوده تفكيره إلى الركون إلى أحد أصدقائه ليحتفظ بيومياته فإنه يفاجأ بأن هذا الصديق قد تعرض هو الآخر لهذه الإجراءات التعسفية التى خشى البغدادى أن يتعرض لها ، وإذا به يفقد وظيفته ، ولم يكن عند المراقبين فى ذلك الوقت تفسير لهذا إلا صداقة عبد الرءوف نافع هذا للبغدادى .

«.... وكنت قد اتصلت بصديقى عبدالرءوف نافع وطلبت منه الحضور إلى منزلى حتى أسلمه يومياتى ليخفيها عنده ذلك لأننى خشيت أن يقوم جمال بالمزيد من الإجراءات التعسفية معى ، ولكن عندما حضر عبدالرءوف إلى منزلى علمت منه أن «جمال» قد أمر بإعفائه من منصبه كعضو منتدب لدار الهلال ، وأنه قد علم بالخبر من الأستاذ على أمين الصحفى قبل أن أتصل به بنصف ساعة فقط ، وأن الدكتور عبدالقادر حاتم وزير الإعلام قد اتصل به أيضاً وأبلغه بالقرار».

❑

ومن المهم أن نعيد تأمل محاولات البغدادى المتكررة للخروج من الحكم ، ونحن نعرف أنه كان بمثابة العضو الذى بدأ التململ المبكر إن صح هذا التعبير ، وقد اعتزل تنظيم الضباط الأحرار قبل الثورة ثم عاد إليه قبل الثورة بوقت قصير على نحو ما ذكرنا ، ويقتضينا المقام أن نشير إلى أن فى الأدبيات المتعددة التى خلفها لنا البغدادى نصوصا بديعة وفريدة تجيد التعبير عن الدوافع التى دفعته وهو واحد من المشاركين الأوائل فى الثورة إلى أن يتخلى - سواء بصعوبة أو بسهولة - عن موقعه المتقدم فيها ، ومن أهم تلك النصوص نص كتبه البغدادى بروح أقرب إلى البرود والتعقل يحاور فيه نفسه ويحاول أن يناقش فيه مدى صواب قراره بالابتعاد:

«... كنت من ضمن الذين اشتركوا فى قيام ثورة ١٩٥٢ ، ومن الذين أعدوا لها سنوات قبل قيامها، وقد ظللت متحمساً لها وأعمل من أجلها بكل طاقتى طوال اشتراكى فى مسئولية تسييرها بعد قيامها ، وذلك لإيمانى بها وبأهدافها وأنها لم تقم إلا

لصالح شعبنا وبلدنا ، وكنت طوال فترة وجودى مشتركاً بها ، أميناً عليها وأعمل لصالحها ، وكنت لا أتردد فى قول أو فى عمل عندما أعتقد أنه يدعمها أو يجنبها المخاطر والأخطاء».

«وربما أكون قد أخطأت فى عمل أو فى رأى ولكن عذرى أننى كنت أعتقد أنه الصواب ، وربما أكون قد تجنبت الصدام من أجلها فى مسائل فرعية ولكننى كنت عكس ذلك فيما أعتقد أنه يمس الأساس الذى قامت من أجله الثورة».

«كانت الثورة جزءا منى هى بالتشبيه كابنى تماماً ، عملت لها وجاهدت فى سبيلها سنوات طوالا قبل وبعد قيامها ، وقد استنفدت من عمرى زهاء خمسة وعشرين عاماً. ولم أكن أفكر فى البُعد عنها إلا عندما أرى أن هذا هو الصواب وأن المسئولية التاريخية تحتم علىّ ذلك».

....

ثم يبلور البغدادى مشاعره المفعمة بالأسى والأسف فى قوله:

«وليس من السهل اتخاذ قرار يبعدك عن شىء عشت له وضحيت من أجله وأضعت جزءاً عزيزاً عليك من عمرك فى سبيله».

«واتخاذ قرار البُعد عن المشاركة فى مسيرة الثورة لم يكن سهلاً على نفسى ، ولابد أن يكون هناك الأسباب القوية التى جعلتنى مقتنعاً تمام الاقتناع أن هذا هو الصواب وأن فيه أيضاً صالح بلدى».

....

ويصل البغدادى إلى تحديد اللحظة (أو الفترة الزمنية) التى استقر فيها عزمه على الاستقالة والابتعاد ، فيشير إلى أنه وجد نفسه لا يفعل شيئا ، ولا يؤخذ برأيه حتى فى واقعة اعترض عليها كعضو فى مجلس الرئاسة عندما عرضت عليه بالتمرير:

«كنت قد مرضت وسافرت إلى الخارج لإجراء عملية جراحية هناك ، وعندما عُدت فى أكتوبر ١٩٦٣ وجدت أن مجلس الرئاسة أصبح لا ينعقد بتاتاً ، ولم يبق من دور يؤديه غير أن ترسل إلى أعضائه بعض المسائل الواردة من مجلس الوزراء للموافقة عليها بالتمرير. والمعروف كقاعدة عامة أنه لو اعترض عضو على مسألة مطلوب الرأى

فيها بالتمرير استحال إصدار قرار بهـا إلا بعد عرضها على المجلس مجتمعاً ، وكنت قد فوجئت بصـدور قرار جمهـورى فى مسألة سبق أن اعترضت عليها عندما تم عـرضها بالتمرير ، ولم يكن قد أعيد عرضها فى اجتماع للمجلس».

«وبعـد هذه الواقعـة رأيت أن أمتنع عن النظر فى أية مـسائل مطـلوب الرأى فيـها بالتـمريـر ، ونـفذت ذلك بأن أصـدرت أوامرى إلى مـدير مكتـبى بأن يعـيد مـثل هذه المسائل إلى سكرتير عام مجلس الرئاسة ثانية دون أن يفض غلافها».

❑

ما يـذكره البغـدادى نفسـه فى حديثـه لنصف الدنيـا (١٩٩٦) ملخصـا استقـالاته العديدة بطريـقة استـرجاعيـة ومقارنا بينـها وبين استـقالات عبـد الحكيم عامـر بصفـة خاصـة ، وهو يركـز على فكرة أنه كان يختلف على المبـدأ على حين كان عـبد الحكيم عامر كان يستقيل عندما تتعرض سلطاته للتقلص:

« قدمت ٨ استـقالات كلها مـوضوعية ، وعلى مـبدأ ، فكثيرا مـاكنت أختـلف مـع عبد الناصـر فى وجهات النظر ، وكان لايحتـمل أن يعارضه أحد أو يختلف مـعه ، أما بالنسبة لعبد الحكيم عامر فقد كان الصديق الصدوق لعبد الناصر ، ولم تكن هناك نقطة خلاف بينهما تجعل عامر يقدم استقالته لكنه كان يقدمها عندما يشعر أن سلطته تهتز».

❑

ويهمنا أن ننـقل للقارىء ما يرويه صـلاح نصر فى مذكـراته عن هذه الجزئيـة حيث يقول :

«.... وكان عـبد الناصر قـد قرر تأميم بعـض الشركات والمؤسـسات فدعـا مجلس الرئاسـة إلى الانعـقاد فى مـدينة الإسكندريـة فى شهـر أغـسطس سنة ١٩٦٣ ، ووافق المجلس على قرار التأميم».

«وكـان بغدادى وكـمال الـدين حسـين يعارضـان التـأميم بحـجـة أنه اعتـداء على الحريات.. وبدأ الصراع داخل مجلس الرئاسة يبدو جليـا ، وبخاصة بين أعضاء مجلس الثورة المنحل.. والواقع أن الاختلاف الأيديولوجى بين أعضاء مجلس الثورة الباقين فى مجلس الرئاسة ، فضـلا عن الصراع على منصب خليفة عبدالناصـر ، كانا من الأسباب الرئيسية لتفكك القيادة الثورية فى مصر».

«كان عبد الناصر قد أصبح متأثرا بالنظرية المادية التى سيطرت على فكره وسلوكه.. وظهر كمال الدين حسين يعارض هذا الخط ، ويطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية ، والابتعاد بالثورة عن الخط الماركسى.. وكان جمال عبد الناصر واضحا فى سلوكه ، ولم يخف تأثره بأفكار ماركس ، وإن كان ينفى بشدة انتسابه للشيوعية».

«كان عبد الناصر يرى أن الاشتراكية لن تتحقق فى مصر إلا بمزيد من القرارات الاشتراكية ، وكان يعلن دوما أن الاشتراكية ليست لها حدود ، وينبغى أن تصل إلى حد ملكية الشعب لوسائل الإنتاج.. وكان البغدادى يعارض هذا الخط.. وأحس عبد الناصر أن المعارضة فى مجلس الرئاسة سوف تحد من سلطاته.. وقرر بينه وبين نفسه التخلص من البغدادى وكمال الدين حسين ، لقد بدا له أن هناك تكتلا ثلاثيا بين كمال الدين حسين وبغدادى وحسن إبراهيم».

«وفى إحدى مقابلاتى مع عبد الناصر فى شهر مارس سنة ١٩٦٤ قال لى:

- «أنا قررت أحط النقط على الحروف.. سوف أعين عبد الحكيم نائبا أول وأخلص من مشكلة الأقدمية فى مجلس الثورة ».

«واستطرد عبد الناصر يقول:

- «ها أعمل إيه.. عبد اللطيف البغدادى عاوز يعمل ريس وكمال الدين حسين حقود».

هكذا يبلور صلاح نصر بعبارات صريحة رأياً ينسبه إلى الرئيس جمال عبد الناصر فيما يتعلق بهذين الزميلين ، ومن العجيب والطريف أن هذا الرأى نفسه كان يُنسب أيضاً إلى الرئيس السادات بطريقة مماثلة.

❑

ويشير صلاح نصر فى مذكراته إلى أحد أسباب الخلاف بين عبد الناصر من ناحية والبغدادى وآخرين من زملائه من ناحية أخرى ، فيقول :

«وتفجر أول خلاف على الاشتراكية داخل مجلس الثورة المنحل ، وتربع على عرش المعارضة عبد اللطيف البغدادى وحسن إبراهيم وكمال الدين حسين.. وقد أشرت أنهم لم يكونوا سعداء بما اتخذه عبد الناصر من إجراءات عام ١٩٦١ ».

«وفي الشهور الأخيرة من عام ١٩٦٣ ، علم البغدادى بأن المشير عبد الحكيم عامر سوف يُعيَّن نائبا أول للرئيس ، وقد تم هذا الإجراء بعد مصرع الرئيس كيندى فى نوفمبر سنة ١٩٦٣ ، إذ رأى عبد الناصر أن يعين خليفته ، مع أنه كان هناك دافع آخر وراء هذا القرار يكمن فى رغبة عبد الناصر فى وقف الصراع بين نوابه الخمسة».

«وعارض البغدادى تعيين المشير عامر نائبا أول ، لسبب واحد هو أن عبد الحكيم أصبح المرشح الوحيد ليكون خليفة عبد الناصر ، وكان بغدادى يعد أقدم فى ترتيب مجلس الثورة منذ بدايتها».

«واستقال عبد اللطيف البغدادى مع حسن إبراهيم وكمال الدين حسين».

الفصل الثانى : علاقة الرجلين بعد ابتعاد البغدادى عن السلطة

من الفقرات المهمة فى مذكرات البغدادى فقرة يتحدث فيها البغدادى إلى نفسه فى هذه المذكرات محاولاً التخلص من المرارة من صدور قرار بفرض الحراسة على شقيقه عند اعتزاله الحكم فى ١٩٦٤ ، وهى فقرة تدلنا على أن عبدالناصر لم يكن يأبه كثيراً بالدقة والصدق فى تواريخ صدور قراراته وغير ذلك من شكليات القرار [وقد تناولنا فى كتابنا «مذكرات وزراء الثورة» نقلاً عن ثروت عكاشة فى مذكراته قصة تصرف شبيه بمثل هذا التصرف حين أصدر الرئيس عبد الناصر قراراً بتعيين ثروت عكاشة رئيساً للبنك الأهلى بتاريخ سابق] ، وهذا هو البغدادى يقول:

«... وكنت قد علمت فى يوم الأربعاء ٢٥ مارس أن الذين كلفوا بوضع الأختام على مكتب شقيقى هم من جهاز المباحث العامة ، وأنه قد طلب بعد ذلك من إدارة الحراسات أن تتولى الأمر ، ولكن المسئولين فيها كانوا فى حيرة من أمرهم ولا يعرفون كيف يتصرفون ، لأن قراراً كان قد صدر بإلغاء تلك الإدارة يوم ٢١ مارس ١٩٦٤ ، وليس هناك أيضاً من سند قانونى لهم لتنفيذ أمر الحراسة لأنه صدر بتاريخ ٢٤ مارس وبعد إلغاء تلك الإدارة».

«ولكننى علمت فى مساء نفس اليوم أن تعليمات جديدة قد صدرت إلى إدارة الحراسات بأن تعتبر أن قرار فرض الحراسة كأنه صدر بتاريخ ١٣ مارس وليس بالتاريخ السابق الذى صدر به ، واستغربت التصرف ، ولذا جاء فى يومياتى تعليقاً على ذلك: إننى لا أعرف كيف رضى جمال لنفسه أن يتخذ هذه الخطوة وأن يغير من تاريخ القرار بعد أن أطلع عليه موظفون صغار ، وأن يعتدى بهذا الشكل على القانون الذى أصدره ولم يجف حبره بعد ، وعلى الدستور أيضاً الذى أعلنه فقط فى اليوم السابق لإصدار هذا القرار بالحراسة».

«ولا أعرف أيضاً لماذا اختار جمال يوم ١٣ مارس بالذات ، هل حتى يصبح وكأن خطاب استقالتى لاحق لهذا القرار منه ، وهل هو لا يعلم أن الحقيقة لابد أن تتضح فى يوم من الأيام ، وهل هو نسى أيضاً أننى أشرت فى خطاب استقالتى إليه أن الأسباب التى تدفعنى إلى الانسحاب من الحياة العامة قد سبق لى أن ذكرتها يوم ٤ مارس عندما اجتمعنا فى منزله ، وخطابى إليه ما هو إلا تأكيد لهذا الذى سبق أن قلته يوم الاجتماع».

❑

ويحاول عبد اللطيف البغدادى فى مذكراته أن يختزل [أو يتجنب] التعبير عن ألمه من المضايقات التى بدأت أجهزة مسئولة توجهها له قبيل استقالته ، وعلى الرغم من هذه المحاولة فإنه لا يستطيع أن ينكر أن هذه المضايقات قد أثرت على نفسيته وعلى حياته:

«.... وفى يوم ٢٦ يونيو جاء وجيه أباظة لزيارتى وأخبرنى أنه يلمس فى هذه الفترة أن هناك شائعات منظمة تطلق ضدى ، وأنه يعلم الشائعات المنظمة من غيرها [يقصد أنه يستطيع تمييز]. وذكر لى بعض هذه الشائعات ، وكلها غير صحيحة ، وطلب منى أن أسمح له بزيارتى من حين لآخر فى هذه الآونة ليبلغنى بما يسمعه أولاً بأول ، وذاكراً صداقتنا الطويلة وأننى السبب فى إشراكه فى هذه الثورة».

«وكان قد حصل لى كثير من المضايقات خلال تلك الفترة ، وليس هناك ما يدعو لذكر تفاصيلها هنا ، وهى مسجلة فى يومياتى. ونتج عن هذه المضايقات المستمرة أن شعرت فى يوم الاثنين ١١ يوليو عندما ذهبت إلى مكتبى لمباشرة مسئولياتى ، أننى غير ميّال للعمل إطلاقا ، بل إن عقلى قد توقف عن التفكير ، وأنه غير قادر على التركيز ، ولم أتمكن من حصر ذهنى فى الموضوعات التى عرضت علىّ ، وقد تكرر هذا معى خلال تلك الفترة الأخيرة ، وأعتقد أنه نتج بسبب ضغطى على أعصابى ، وتحميلها أكثر من طاقتها ، بدل أن أترك لها الزمام للانفجار حتى تستريح وترتاح نفسى كذلك ، ولأننى لم أكن قد تعودت على أن أهاجم وأن آخذ موقفا سلبياً من هذا الهجوم ، وهذه ليست طبيعتى التى أعرفها ، وكنت أعرف أنى لو تركت لنفسى الزمام لتسبب عن ذلك ضرر بالبلاد ، وهو ما لا أرضاه لنفسى ، لذا كنت أجدنى مضطرا إلى الضغط على أعصابى وعلى نفسى ، وما كان يشغل بالى هو إلى متى يمكن أن تتحمل أعصابى لهذا الضغط. وكنت أدعو الله أن يشد من أزرى ويجعلنى صابراً هادئاً. وفى هذا اليوم اضطررت أن أغادر مكتبى دون أن أستكمل عملى عندما شعرت بهذا الملل وعدم القدرة على التركيز».

❑

والشاهد أن مذكرات صلاح نصر فى بعض فصولها تلقى كثيراً من الضوء على طبيعة تصرفات الرئيس عبد الناصر مع عبد اللطيف البغدادى وزملائه الآخرين بعد ابتعادهم عن السلطة ، ويصل صلاح نصر إلى التصريح بمدى حرص عبد الناصر على الانتقام من عبد اللطيف البغدادى وإيذائه وهو يقول ما نصه:

«.... بعد استقالة البغدادى وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم ، قام عبد الناصر بمراقبة تليفوناتهم من جهاز المراقبة القائم فى منزله .. وتطوع أهل الدس والوقيعة فنقلوا لعبد الناصر أن البغدادى يهاجمه فى مجالسه الخاصة ، وينتقد استغلال الليثى عبد الناصر لشقيقه جمال للإثراء ، وفرض سيطرته على مدينة الإسكندرية.. وثار عبد الناصر ثورة عارمة ، فأمر بوضع سعد البغدادى شقيق عبد اللطيف البغدادى الذى كان يعمل فى مجال الاستيراد والتصدير تحت الحراسة .. ولكن تبين لعبد الناصر أن سعد البغدادى لم يكن له رصيد فى البنوك ، وجاءت إلى ذهن عبد الناصر فكرة كاد ينفذها لولا أننى أثنيته عنها».

«قال لى عبد الناصر:

«سوف أصدر أوامر للمباحث العامة بتفتيش [منازل] أسرة البغدادى فى القاهرة وشاوة (قرية البغدادى).. دول عاينين فلوسهم فى البيوت».

«قلت له:

«دى تبقى فضيحة لك ، وبخاصة لو لم تجد ما تبحث عنه.. لا داعى لهذه الإجراءات التى ستترك فى النفوس آثارا بغيضة لن تمحى».

«قال عبد الناصر:

«أنت عارف البغدادى قال إيه لما وضعت أخيه تحت الحراسة .. قال: أحسن لعبد الناصر يحط الليثى اللى واكلها من كل ناحية».

....

هكذا يروى صلاح نصر دون أن يعقب على المقارنة بين كل من الرئيس عبد الناصر والبغدادى... بل هكذا يروى عبد الناصر نفسه [على حد رواية صلاح نصر] دون أن يعقب على ما نسب إلى البغدادى من مثل هذا التعقيب الجارح الحاد.

❑

ويشير صلاح نصر إلى أنه كان صاحب الفضل فى كبح بعض تصرفات الرئيس جمال عبد الناصر ، وهو يعترف فى ذات الوقت بأن قلب عبد الناصر كان يمتلئ برواسب من الحقد من البغدادى وأسرته وهو يقول ما نصه بالحرف الواحد:

«ونجحت فى إقناع عبد الناصر أن يلغى فكرة التفتيش ، ولكن قلبه كان يمتلئ برواسب من الحقد على البغدادى وأسرته».

❑

ومع هذا فإن عبد الله إمام ـ كما هو متوقع من توجهاته وأسلوبه فى الانحياز التلقائى ضد أى موقف يهاجم صورة عبد الناصر ـ يورد فى كتابه « عبد الناصر والحملة الظالمة» وجهة نظر مخالفة انفرد بها من أجل ما يظن أنه إنقاذ ماء وجه عبد الناصر ويشكك عبد الله إمام فى مغزى قصة وضع شقيق أحد أعضاء مجلس الثورة تحت الحراسة ويؤكد أن هذا القرار الذى أصدره عبد الناصر لم يكن لسبب شخصى ، ونحن ننقل هنا نص عباراته كما هى مع الاعتراف بحاجتها إلى الترابط :

«... الحقيقة أن الشقيق وضع تحت الحراسة بناء على مذكرة تقدمت بها الرقابة الإدارية، وكان رئيس الهيئة العامة للإصلاح الزراعى الدكتور أحمد عامر النشرتى قد تقدم بمذكرة «صادر رقم ٣٥٦ بتاريخ ٢/ ٥/ ١٩٦٥ » إلى رئيس الرقابة الإدارية شرح فيها المخالفات التى ارتكبها شقيق العضو والتى أدت إلى تحويله لنيابة أمن الدولة هو وبعض السادة مهندسى إدارة الميكانيكا والكهرباء بالهيئة .. وقد رأت النيابة الإدارية محاكمة المهندسين تأديبيا وتمت محاكمتهم التأديبية بتاريخ ١٤ فبراير ١٩٦٥ وأخطرت الهيئة بالجزاءات التى توقعت عليهم. أما السيد شقيق عضو مجلس الثورة فقد وضع تحت الحراسة فلم تكن القضية التى حققت فيها النيابة ، وحولت إلى المحكمة ، وشاركه فيها عدد من المتهمين سجن معظمهم ، تتعلق بخلاف بين عضو مجلس القيادة وعبد الناصر ، وإن وضعه تحت الحراسة لم يكن أبدا لأسباب شخصية».

انتهت رواية عبد الله إمام ، وهى رواية لم تذكر البغدادى بالإسم وإن كان السياق كافيا جدا للإشارة إليه ، ولكننا نلاحظ على هذه الرواية بعض التناقض فى التواريخ من ناحية ، وفى الأسباب والنتائج من ناحية أخرى ، وفى المبررات والتعقيبات من ناحية ثالثة .. ولكن الحرص الشديد من جانب عبد الله إمام يتجلى فى إيراد رقم وتاريخ للصادر ، مما يحدث الأثر العكسى للمقصود بالقصة أو الرواية ، لأنه يدل على تبييت النية فى المقام الأول !! ونحن نلاحظ أن ما يورده عبد الله إمام يكتفى بالعموميات دون أن يحدثنا عن نوعية المخالفات وعن الجزاءات عن هذا الجرم المنسوب إلى شقيق عضو مجلس قيادة الثورة كما يقول.

....

ونواصل قراءة ما يرويه عبد اللطيف البغدادى فى حديثه عن شكاواه من معاملة عبد الناصر راوياً أن زوج ابنته قد تعرض للإيذاء بسببه ، وهو يقول :

«... ورغم هذا فلم يقف إيذاء جمال عند هذا الحد ، لكنه تعداه أيضاً إلى زوج كريمتى المهندس محمد محمود نصير. وهو كان يعمل بالخارج فى الأعمال الحرة ومقيم فى لندن منذ أن تزوج ابنتى بعد استقالتى بشهور قليلة. وكان قد حضر مع زوجته وطفله الصغير إلى القاهرة فى إجازة لمدة أسبوع فى شهر نوفمبر عام ١٩٦٦. ولكنه مُنع من السفر عندما أراد العودة إلى عمله وحجز فى مصر ، ووضع اسمه فى القائمة السوداء».

«وقد ضايقنى هذا التصرف من جمال ولكننى لم أحاول الاتصال به لرفع هذا الظلم الذى وقع على زوج ابنتى. وقد طرق زوج كريمتى جميع أبواب معارفه وهم كثيرون ومنهم زكريا محيى الدين وهيكل ، ولكن جمال صمم على موقفه ، ولم يستجب لأحد».

«ولقد تحطم ما كان قد بناه زوج ابنتى بالجهد الشاق والعرق وضاع عليه جهد عامين. وظل بالقاهرة يبحث عن عمل له لعدة شهور دون جدوى إلى أن عينه هيكل فى جريدة الأهرام ليتولى أمر وحدة العقل الحاسب الذى أنشئ بالجريدة ، وهو كان ذا خبرة سابقة فى هذا العمل قبل أن يتجه إلى الأعمال الحرة».

«ومن الطبيعى أن هذا التعيين لم يتم إلا بعد أخذ موافقة من جمال عليه. ولم يكن هناك من سبب لهذا الإجراء الذى اتخذه جمال ضد زوج ابنتى غير أنه كان قد استقبل مع زوجته من المسئولين فى الأردن أحسن استقبال مجاملة منهم لى. وكان قد سافر إليها فى عمل قبل منتصف عام ١٩٦٦ . ولكن لما أبلغ جمال بهذا الاستقبال لهما انتابه الشك ، واعتقد خطأ أن زوج ابنتى موفد من قبلى فى مهمة سياسية».

«وقد دفعه هذا الشك إلى أن يضع تحركاته تحت المراقبة السرية فى الخارج ولفترة بعد هذه الزيارة ، ولما لم يجد شيئاً أراد ـ على حد قوله ـ أن يريح نفسه وحتى يصبح تحت نظرهم فحجزه فى مصر ومنعه من العودة إلى عمله ، وكنت قد علمت أن هذا هو السبب الرئيسى فى هذا التصرف منه من أحد الزملاء الذى كان لا يزال مشاركاً فى المسئولية فى ذلك الحين».

❑

ويتحدث البغدادى عن بعض الإجراءات التعسفية الصغيرة التى اتخذها الرئيس عبدالناصر ضده:

«وقد اتخذ جمال إجراءات أخرى أوذيت بها حتى معاشى لم يسلم من التخفيض ،كما نبه على الصحف أيضاً بعدم ذكر أسمائنا فيها حتى فى الشكر على التعازى ، ولم ينج بعض أصدقائى من الفصل من عملهم لا لسبب إلا لأنهم استمروا فى علاقاتهم معى ولم ينقطعوا عن زيارتى».

«ولست أبغى ذكر تفاصيل هذه الإجراءات وإنما أردت أن أبين بما ذكرته أن مثل هذه

التصرفات التى كان يتخذها جمال كانت تصدر كرد فعل منه لأى سبب من الأسباب يدفعه إلى الشك أو الانفعال».

«ولكنه كثيراً ما كان يلغى مثل تلك القرارات التى يكون قد اتخذها ضد بعض المواطنين عندما يعلم أن مَنْ صدر ضده القرار قد اتخذ موقفاً فيه تأييد أو دفاع عنه».

«وقد عرف البعض من المقربين إليه هذه الخصلة فيه، وكانت تستغل منهم فى رفع ضير يكون قد وقع على أحد أصدقائهم أو معارفهم ، كما كانت تستغل أيضاً فى دفعه إلى إيذاء مَنْ يودون إيذاءه باختلاق تصرف يدّعون أنه قام به ويعلمون أنه سيكون له رد فعل عنده».

وفى حديث البغدادى المطول للأستاذ صلاح منتصر (مجلة أكتوبر ، يوليو ١٩٨٨) تفصيلات كثيرة عن بعض صور المعاناة التى عاناها بعد استقالته فى ١٩٦٤ ، ومن هذه التفصيلات ننقل قصة التضييق على زوج ابنته محمد نصير ، وهو التضييق الذى تطور إلى تلفيق حتى امتلأت ملفات بتقارير كانت كفيلة بزيادة أسباب القطيعة بين الزميلين عبدالناصر والبغدادى:

«... وفى خلال سنوات القطيعة فلقد تعرضت لوقيعة لم أعرف بحقيقتها إلا فيما بعد وفاة عبدالناصر ، وكان من بين الضغوط وأسباب الوقيعة التى تعرضت لها محمد نصير زوج ابنتى وكان قد تزوج ابنتى شيرين فى يونيو ١٩٦٤ وقد غادر مصر مع زوجته للعمل فى لندن ، وبعد سنتين فى ١٩٦٦ عاد إلى القاهرة ولكنه عندما أراد السفر مرة ثانية فوجئ بأن اسمه موضوع على قائمة الممنوعين ، وحاول أن يجعلنى أتدخل وأكلم له عبد الناصر لكننى رفضت وقلت له يومها إنه حتى لو وصل الأمر إلى «نأكلها عيش وبصلة» فلن أتكلم أبدا.. وراح محمد نصير يتصرف وحده ويجرى اتصالاته إلى أن جاءنى يسألنى إذا كان يقبل عرضا من الأستاذ هيكل بالعمل فى الأهرام ، وقلت له على الفور: لازم تقبل ، لأنك إذا لم تعمل مع هيكل فلا يمكن أحد سيقبلك فى العمل معه. وكان اعتقادى أن هيكل لابد أنه أخذ موافقة عبد الناصر على عمل محمد نصير فى الأهرام ، كما كان اعتقادى أيضا أن ما تعرض له محمد نصير كان بسبب دعوة وجهت إليه فى أثناء وجوده فى لندن من الشريف ناصر خال الملك حسين لزيارة الأردن عندما تعرف عليه وعرف أنه زوج ابنتى ، وقبل محمد نصير الدعوة وقام بالفعل بزيارة الأردن وهو فى طريقه إلى القاهرة ، وقد فوجئ فى الأردن

بترتيبات الاستقبال والحفاوة التى قوبل بها هو وزوجته ، وكان من بين ما حدث مثلا أن الشريف ناصر أقام لهما حفل عشاء وبحضور جميع الوزراء وزوجاتهم ، وفى أثناء العشاء قال لمحمد نصير إنه إذا كان يريد إجراء أى اتصال خاص بالعمل فمجلس الوزراء كله أمامه ويستطيع التحدث فى أى موضوع ، وفى اليوم الثانى تلقيا دعوة من وزير الداخلية ، وفى اليوم الثالث دعاهما ولى عهد الأردن على العشاء...».

«فيما بعد عرفت أنه تم إبلاغ عبد الناصر بأن زوج ابنتى يهاجمه فى أحاديثه وهو ما لم يكن صحيحا ، فكان أن قال عبد الناصر للذين أخبروه: «خلاص خليه جنبنا هنا وراقبوه».. وقد تحدث معى عبد الناصر فى بداية عودة علاقتنا سنة ١٩٧٠ عن هذه التقارير وقال لى: «على العموم إحنا شغلناه في الأهرام وبمرتب كبير».. وبعد وفاة جمال عبد الناصر وفى أثناء زيارة لأنور السادات لى بمنزلى فإنه شاهد محمد نصير وطلب إليه أن يذهب إلى أشرف مروان سكرتير شئون المعلومات للرئيس السادات فى ذلك الوقت [هكذا تعقب المجلة أو البغدادى من أجل التعريف بأشرف مروان.. وربما كان الأفضل للمجلة أن تعرفه بأنه زوج ابنة عبدالناصر ، وأنه هو الآخر رجل الأعمال المشهور ، أو باختصار فإن أشرف مروان ومحمد نصير نظيران مع الفارق بالطبع] ويطلع على ملف التقارير التى كانت تكتب عنه ، وبالفعل ذهب محمد نصير ووجد ملفا منتفخا من كثرة التقارير التى كانت ترسل عنه ، وكانت كلها تلفيقا وكذبا.. ولابد أن الذين كانوا يكتبون هذه التقارير ـ بهدف زيادة أسباب القطيعة بينى وبين عبدالناصر ـ لم يكن كما قلت يسعدهم إطلاقا أن أعود مرة أخرى».

❑

هكذا ساءت علاقة البغدادى بعبدالناصر بعد اعتزاله السلطة وتعددت المضايقات التى تعرض لها البغدادى عقب ابتعاده عن السلطة فى ١٩٦٤ .

ومن المهم أن نشير إلى حقيقة مهمة وهى أن علاقة عبد الناصر بزملائه الذين اعتزلوا العمل السياسى لم تكن منقطعة تماماً ، وإنما كانت شأن علاقة المصريين بعضهم ببعض تخضع للشد والجذب والمد والجزر دون أن يعنى ذلك شيئا محدداً.

❑

ولست أظننى فى حاجة إلى أن أفيض أكثر من هذا فى الحديث فى هذه الناحية من علاقة البغدادى بعبد الناصر أو بغيره من زملائه من أعضاء مجلس قيادة الثورة فقد

صدرت فيها كتب كاملة وفصول كاملة من كتب فضلاً عن أن مذكرات عبد اللطيف البغدادى حافلة بكل تفصيلات العلاقة مع عبد الناصر على مدى السنوات التى عاشها.

ولكنى أجد من الضرورى أن أتناول بشيء من التحليل البسيط موقفين مهمين يلقيان الضوء على علاقة الرجلين ولكنهما استخدما ـ حتى الآن ـ فى أدبيات تاريخنا المعاصر بطريقة بعيدة كل البعد عن المنطق والموضوعية والعقلانية.

الموقف الأول يتعلق بهذا التقارب العاطفى الذى حدث بعد عام من القطيعة ، ذلك أن البغدادى اعتزل المناصب التنفيذية كلها فى مارس ١٩٦٤ بانتهاء عهد مجلس الرياسة وتشكيل المجلس التنفيذى برئاسة على صبرى ، وفى ١٩٦٥ أعلن دستور مؤقت جديد ، وتم الاستفتاء عليه وعلى رئاسة عبدالناصر. وقد نقلت أجهزة عبد الناصر الأمنية « التى كانت نشطة جداً فى مثل هذه الجزئيات » أن البغدادى قد ذهب إلى لجنة الاستفتاء ليدلى برأيه ، وكان تسجيل مثل هذا الخبر يعد بمثابة إنجاز كبير لبعض هذه الأجهزة المهمة ، وقد نقل هذا الخبر إلى عبد الناصر الذى كان بطبعه قلوقاً وعصبيا ، وقد روى الناس بمن فيهم البغدادى نفسه عن هيكل (وهو المصدر المعتمد لهذه القصة) أن عبد الناصر أخذ يفكر فى الرأى الذى حرص البغدادى على الإدلاء به: هل هو الموافقة على عبد الناصر أم لا ؟ وهكذا ظل عبد الناصر مستيقظا حتى اطمأن إلى أن نتيجة تلك اللجنة الفرعية التى أدلى فيها البغدادى بصوته كانت ١٠٠٪ وبهذا انشرح صدر الرئيس جمال عبد الناصر ، وأصدر فى اليوم التالى قراراً برفع الحراسة عن شقيق عبد اللطيف البغدادى.

ولأن هذه القصة طريفة (حتى مع ما يعتقده البعض فى تفاهة مضمونها) وحافلة بالمشاعر الإنسانية التى لايليق بنا أن نجملها فى سطر أو سطرين ، كما أنها حافلة بأنماط غريبة من تفكير السياسيين فسوف ننقل للقارئ نص رواية الأستاذ محمود فوزى (فى كتابه : ثوار يوليو يتحدثون) على لسان البغدادى عن هذه الواقعة حيث يقول :

«... عندما أعلن دستور ١٩٦٥ وبدأ الاستفتاء على رئاسة عبد الناصر للجمهورية.. رفض كمال الدين حسين أن يشترك مرة أخرى فى اختياره وبقى فى منزله لا يدلى بصوته .. أما عبد اللطيف البغدادى فقد ذهب وأدلى بصوته موافقاً على اختياره رئيساً

للجمهورية. ويعلل [أى البغدادى] تصرفه هذا وأنا أنقله كما قاله تماماً أمام كمال الدين حسين فى كابينته..إنه قبل الذهاب الى اللجنة أخذ يوازن بين إيجابيات عبد الناصر وسلبياته فى الماضى .. فوجد أن كفة إيجابيات الماضى ترجح .. وأخذ يوازن بين كفته فى المستقبل ، وكفته فى الماضى فوجد أن يترك له فرصة فربما يعود إلى ما كان عليه فى الماضى.. وأعطاه صوته .. ويضيف إنه سمع من محمد حسنين هيكل أن عبد الناصر لم ينم فى ليلة الاستفتاء إلا بعد أن علم نتيجة صناديق الاقتراع فى لجنة البغدادى بعد أن وصله علم أنه أدلى بصوته ، وجاءت النتيجة ١٠٠٪ وتأكد أن البغدادى أعطاه صوته.. وفى اليوم التالى مباشرة أصدر قراراً جمهورياً برفع الحراسة عن شقيقه سعد البغدادى وأعاد له جميع ممتلكاته.. وكأن شيئاً لم يحدث.. هكذا كان ينص القرار».

ولا نستطيع مع إثباتنا لنص هذه الرواية عن القصة التى تجمع مع صحتها بين الكوميديا والدراما فى آن واحد إلا أن نتأمل تكنيكات المستشار الصحفى الدرامية فى تصوير الاستفتاءات على أنها تتم بمثل هذه الجدية البالغة التى تجعل الفرز يستغرق كل هذا الوقت حتى إن عبد الناصر تخطى موعد نومه مع أننا ندرك أن فرز هذه اللجنة مهما عومل بجدية وببطء لم يكن يستغرق فى حالات الاستفتاء أكثر من ساعة بعد إغلاق الصناديق فى الساعة الخامسة مساء ، ونحن نعلم أيضا أن عبد الناصر كان ينام ـ فى العادة ـ متأخراً !!.

❑

هكذا حدث التقارب الذى أشرنا إليه يوم الاستفتاء على رئاسة عبد الناصر. وعلى الرغم من أن هذا التقارب كان كفيلا فى الظاهر بأن يعيد الرجلين إلى علاقة شبه ودية إلا أن العلاقات بينهما سرعان ما تعرضت لنكسة ، وقد حدثت هذه النكسة نتيجة موقف للبغدادى تكررت قصته فى أكثر من مصدر ، ذلك أن البغدادى قد تعمد تجاهل السؤال عن صحة عبد الناصر حين كان يعالج فى الاتحاد السوفيتى فى العام الأخير من حياته ، وذلك على الرغم من أن محمود الجيار ومحمد أحمد ، وكانا من أبرز العاملين المقربين من عبد الناصر قد اقترحا عليه القيام بهذه الخطوة.

ومن حق القارئ بعد هذا أن يطالع تفاصيل هذه القصة الطريفة التى يروى بها ضياء الدين بيبرس هذا الموقف بطريقة أقل دقة وتحديداً على لسان محمود الجيار فى

كتاب «الأسرار الشخصية لجمال عبد الناصر» وهو يوحى من خلال روايتها بأن الرئيس عبد الناصر كان ينوى إعادة البغدادى إلى الحياة السياسية :

....

«وكنت أشعر (الضمير للجيار) أن الرئيس الراحل مستعد لإعادة البغدادى إلى صورة الحياة العامة . لماذا البغدادى : كان وراء هذا التفكير ثلاثة عوامل :

«أولها : أن التنافس بين المشير عامر رحمه الله وبين البغدادى كان من عوامل تباعد البغدادى عن عبد الناصر ... فكان ذهاب عامر بعد ظهوره بمظهر التآمر على فرض نفسه على القيادة السياسية عاملا من عوامل مراجعة النفس والحاجة إلى من يملأ الفراغ».

«ثانيها :أن موجة مراجعة النفس بعد نكسة ٥ يونيو ، امتدت إلى كل شىء .. وكان يتجلى فى أحاديث عبد الناصر أمامى فى تسخالطوبو أنه لم يعد يدهشه شئ فى محيط العلاقات الإنسانية والسياسية . فعبد الحكيم عامر الذى كان توءمه الروحى انتحر بعد ضبطه متآمرا عليه . والمقاومة الفلسطينية تفتح عليه النار وهو الذى كان قد دفع زهرة عمره وعمر ثورته من أجل فلسطين ، و .. إلى آخر قائمة من انتقال العواطف والأحداث والناس من اليمين إلى اليسار وبالعكس ».

«وثالثها : ... وأخيرا فقد شملت موجة مراجعة النفس تساؤلات تكررت أكثر من مرة فى عبارات مقتضبة ظهرت فى أحاديث عبد الناصر حول ضرورة أن يجدد عبد الناصر شباب ثورة يوليو بأن يقوم بانقلاب سلمى ضد بعض الذين وقعت الثورة فى أسرهم من المستغلين ، ودعاة الإرهاب والتعذيب . وهذا كان يقتضى صورة دستورية أشد رحابة وانفتاحا».

«وبدا أن للبغدادى مكانا فى عقل ووجدان عبد الناصر ، ومكانا فى الصورة التى بدأ يرسمها للانقلاب الذى ينوى أن يقوم به ، على أساس أنه لابد أن يعتمد على أكبر عدد من الباقين من الرعيل الأول للثورة ».

لسنا بحاجة إلى لفت نظر القارئ إلى حجم التناقضات الرهيبة فى هذا «الخطاب السياسى» الذى يتسم به حديث ضياء الدين بيبرس وهو خطاب حافل بالتناقضات ما

بين الانقلاب .. وأكبر عـدد من الباقين .. والدستورية الأشد رحـابة .. وتجديد الشباب .. إلخ.

ثم يردف الجيار هذا الحديث بقوله الذى سجله ضياء الدين بيبرس بقلمه فيقول:

«هكذا كان تفكير عبد الناصر فى تسخالطوبو . ولكن الغريب أن البغدادى رفض مجرد السؤال عن صحة عبد الناصر ! . وكنت أنا الذى وجهت إليه بنفسى ، بطريقة غير مباشرة ، من تسخالطوبو ، رسالة عبر أسلاك التليفون بأن يقوم بهذه المبادرة (الاستفسار عن صحة عبدالناصر) ... وقد تسبب تطوعى بهذا فى أن عبد الناصر فصلنى أنا ومحمد أحمد من الخدمة لمدة ٢٤ ساعة !" .

وبعد أن يورد ضياء الدين بيبرس نقلاً عن محمود الجيار تفصيلات قصة المكالمة التى طلب فيها من البغدادى أن يتصل بعبد الناصر للاطمئنان عليه يذكر لنا أن عدة عوامل سياسية قد ساهمت فى التفريق بين الرجلين منها أن البغدادى فوجىء بتخفيض معاشه تطبيقاً لقرار توحيد المعاشات ، ويمكن للقارئ أن يطالع هذه التفصيلات فى الصفحات ٨١ ـ ٨٦ من كتاب ضياء الدين بيبرس الذى أشرنا إليه.

❑

وفى كتابه «العشاء الأخير» للمشير يعلق عبد الصمد محمد عبد الصمد على أحد الجوانب المهمة فى هذه الواقعة التى رواها محمود الجيار على صفحات روزاليوسف ثم فى كتابين متوازيين كتبهما الأستاذان ضياء بيبرس وصلاح حافظ ، ويبدو عبد الصمد حريصا (بالطبع) على أن يتصيد فى تصرفات عبد الناصر الجانب المجافى للانسانية والعقل فيقول :

«... يكفى مثل واحد يعترف فيه محمود الجيار فى ذكرياته العجيبة التى يدفعه الحماس وبراعة كاتبها الأستاذ صلاح حافظ فى التشويق فيفلت منها بعض الصدق يفسد رغبة صاحبها فى الإطراء والثناء على عبد الناصر ! فيقول إن عبد الناصر أثناء وجوده فى روسيا للعلاج سنة ١٩٦٨ « وهو فى حاجة إلى كل إنسان فى أيام الهزيمة المريرة والضعف الشديد » يعلم أن الجيار أرسل يرجو البغدادى أن يبعث ببرقية لعبد الناصر يتمنى له فيها الشفاء وذلك لرقة وصفاء نفس الجيار كى يخفف من الوحدة النفسية لعبدالناصر بعد أن لم يبق حوله مَنْ يؤنس وحشته ويخفف مما قد يشعر

به من عذاب الضمير من قسوته فى الفتك بزملائه من أعضاء مجلس الثورة غير الجيار توأم روحه « كما يقول » وأيقونته الزرقاء التى يتفاءل بهما حينما يفتح عينيه ليراه كل صباح ويغمض عينيه على رؤيته قبل نومه كل مساء ! [هكذا كان الأستاذ ضياء بيبرس يمارس السخرية من الجيار بعد أن وقع بينهما الخلاف الشهير] وغير محمد أحمد الذى لا يفارقه ويقوم بتمريضه وكل شئونه ، والوحيد هو والجيار من حول عبد الناصر ولا يكرههما أحد».

«يعلم عبد الناصر بهذه الجريمة العاطفية البشعة والخيانة الرهيبة من الجيار لخضوعه لشعور إنسانى نبيل وحنين وأمل فى استعادة صداقات وذكريات ولت واختفت ، فيثور ثورة عارمة ويقول للجيار : « لم شنطك أنت ومحمد أحمد ، وامشوا ! .

❑

وقد كانت هذه الواقعة دائماً ما تثير استغرابى وشكى مع ما أعرفه عن سلوك البغدادى المتحضر ، ولم أكن أجد لها ما يبررها ، وظل الاستغراب يطبع شعورى تجاه هذه الواقعة ، حتى قرأت للبغدادى نفسه ما يدل على أن هذا حدث فعلاً وعلى السبب الذى دفعه إلى هذا الموقف غير الحضارى ، وهو أن عبد الناصر قد تعمد عدم زيارة زميلهما كمال الدين حسين حين كان يزور جمال سالم فى مستشفى قصر العينى ، ويبدو لى من المعلومات المتاحة عن مرض جمال سالم ودخوله قصر العينى أن هذا الموقف قد حدث فى بدايات ١٩٦٨ .

وعلى كلٍ فهذا هو مايذكره البغدادى نفسه فى نصف الدنيا (١٩٩٦) حيث يقول :

«... كنت أرغب فى أن يشعر عبد الناصر أننا أنداد له ، وأن التعامل يجب أن يكون بالمثل ، فعندما أصيب كمال الدين حسين أثناء ذهابه لزيارة أخيه بمصر الجديدة فى حادث سيارة يقودها ضابط مخابرات تم نقله إلى مستشفى قصر العينى ، وقد علمت بالحادث من زوجة جمال سالم الذى كان يعالج فى المستشفى فى نفس الوقت ، وأثناء زيارتى لكمال الدين حسين ، وكنا مستقيلين وقتها ، علمت بوجود عبد الناصر لزيارة جمال سالم ، وكانت إدارة المستشفى قد أعدت نفسها على أن عبد الناصر سيزور كمال حسين بعد جمال سالم ولكنه لم يفعل».

«وقد أخذت على عبد الناصر أنه لم يزر زميلاً له بالمستشفى مهما كان بينهما من

خلافات ، وترك هذا الموقف أثرا سيئاً بداخلى ، وردا عليه فلم أبادر بالسؤال عنه أثناء علاجه فى روسيا بالرغم من اتصال محمد أحمد ومحمود الجيار سكرتيرى عبد الناصر من روسيا بصديق لى وله وهو عبد الحميد بهجت وكان ملحقا تجاريا لمصر فى ألمانيا وموجودا بالقاهرة فى هذه الفترة ، فاتصل بى فى الإسكندرية ، وأخبرنى أن سكرتيرى عبد الناصر أبلغاه بضرورة أن أسال عن عبد الناصر وأخبراه بأنه [أى عبد الناصر] قال : « أنا سايب البلد فى فراغ ، والبغدادى هو الوحيد الذى كنت أستطيع الاعتماد عليه لكنه حتى لم يبادر بالسؤال عنى وأنا تعبان وجاى أتعالج ». وطلب منى عبد الحميد بهجت أن أحضر إلى القاهرة لأنهم سيتصلون فى اليوم التالى لمعرفة ردى ، ولكنى أخذت موقفا سلبيا ، وأخبرته أننى لن أستطيع السفر للقاهرة ، وفى اليوم التالى اتصلوا به وأخبروه أنه يمكن تجهيز طائرة خاصة لى لأسافر لزيارة عبد الناصر ولكنى رفضت».

«وتكرر اتصالهم بعد عودة عبد الناصر لكى أسأل عليه ولكنى لم أفعل فى هذا الوقت».

«كان سامى شرف يسجل هذه المكالمات ، وعندما اطلع عبد الناصر عليها تضايق وقام بطرد سكرتيريه ، وعادا [أى إلى العمل] بعد وفاة والد عبد الناصر».

«وأراد عبد الناصر أن ينتقم فأصدر قرارا جمهوريا بتخفيض معاشى أنا وكمال الدين حسين إلى الثلثين فبعد أن كان ٢٨٦ جنيها أصبح ١٩٣ جنيها ، وكان هذا تصرفا غير قانونى وظل الوضع هكذا حتى جاء السادات رئيسا للجمهورية وأصدر قرارا استطعنا من خلاله استرداد فرق المعاش ».

ربما نتوقف هنا لنشير ـ من باب الإنصاف ـ إلى أن عبد الناصر لم يكن مبتدعا فى هذا الذى فعله من تخفيض معاش زميليه ، ذلك أن إسماعيل صدقى فى الثلاثينيات لم يتورع عن أن يخفض معاش النحاس باشا الذى تألم من هذا ورفع قضية ثم عاد الحق إليه ، ولا أدرى هل رفع البغدادى أو كمال الدين حسين قضية أم لا.

❑

ويهمنى الآن أن أطلع القارئ على فقرة طريفة للبغدادى تحفل بتفصيلات نفسية طريفة تجعلنا نتعاطف مع عبد الناصر الذى كان يعانى الهزيمة والعمل من

أجل آثار العدوان ، ومع هذا فإنه لم يكن يسلم من تكرار العتاب من زملائه ، وهو يجيد الرد على أسئلتهم العاتبة بما يكشف عن مهارته فى توجيه الرأى العام:

«... وكنت قد سألت جمال فى مايو عام ١٩٧٠ بعد أن عادت علاقاتنا معاً عن سبب اتخاذه هذا الإجراء الخاص بالحراسة ، وذلك أثناء تناول العشاء بمنزلى ، والذى حضره معه كل من أنور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى ، وكان قد أجاب أن السبب هو عبد الرءوف نافع إشارة منه إلى أنه تضايق عندما علم أن عبد الرءوف قد تحدث عن استقالتى إلى بعض الصحفيين».

«ولكنه عاد وأجابنى إجابة أخرى بعد أن أعدت عليه نفس السؤال بعد ذلك بحوالى ستة شهور ، وكانت إجابته أنه لما وجد الناس تتكلم عن استقالتى فقد رغب ـ على حد قوله ـ فى أن يتحدثوا عن شىء آخر ، وذكر أنهم فعلاً قد نسوا الاستقالة وأخذوا يتحدثون عن موضوع الحراسة. واستغربت أن يجيبنى بهذه الإجابة. ولكنه على ما يظهر كان قد تعمد أن يقول ذلك ضيقاً منى لأننى أعدت عليه نفس السؤال ، وكنت ألقيه عليه كنوع من العتاب».

❑

ويبدو لى بعد هذا كله أن عبد اللطيف البغدادى كان فى أكثر الأوقات حريصا على استبقاء حبال المودة مع عبدالناصر ، وهو يروى كيف أنه استشار زملاءه فى كثير من هذه المواقف وأنه كان يستجيب لنصحهم:

ويروى البغدادى فى مذكراته كيف أن حسن إبراهيم نصحه بتأجيل إرسال خطاب استقالته الذى كتبه عقب الانفصال السورى ، وهو الخطاب الذى ناقشنا محتوياته:

«وكنت قد أطلعت حسن إبراهيم على هذا الخطاب قبل أن أقوم بإرساله إلى جمال ، واتفق معى على ما جاء به ، ولكنه أبدى تخوفه من أن يسىء جمال فهم قصدى من إرسال هذا الخطاب إليه خاصة فى تلك الظروف ، وربما يفسر الأمر تفسيراً بعيداً عن القصد الذى قصدته منه ، وأن هذا ربما يدفعه إلى التشدد وعدم الأخذ بما جاء فيه رغم محاولتى إبراز حُسن نيتى واعتمادى على وطنيته فى تفهم الدوافع وراء إرسال ذلك الخطاب .. ورأيت بعد مناقشة الأمر معه تأجيل إرساله إلى وقت آخر أكثر مناسبة».

«وفى يوم الأربعاء ٤ أكتوبر رأيت أنه ربما يكون من الأفضل الالتقاء مع جمال والتحدث إليه فى تلك النقاط التى سطرتها فى خطابى ، والذى كنت قد نويت أن أرسله إليه. وتقابلنا فى المساء فى منزله».

❑

ونعود إلى تطورات العلاقة بين الرجلين عبد الناصر والبغدادى بعدما فشلت هذه المحاولة من جانب الجيار (أو غيره) لتحقيق إعادة التقارب بينهما فمن الثابت فيما يبدو أن الرجلين قد عادا إلى التباعد .. ولكن يشاء القدر لهما أن يعودا إلى اللقاء والتلاقى مرة أخرى فيما قبيل وفاة عبد الناصر ، وقد كنت أبحث عن تعاقب الأحداث الذى جعل عبد الناصر يقترب ثانية من البغدادى فى ١٩٧٠ مثلاً على الرغم من أن الواقعة السابقة التى تتعلق بعدم سؤال البغدادى عن عبد الناصر كانت فيما بين ١٩٦٧ و١٩٧٠ على سبيل القطع ، وظللت فى حيرة إلى أن روى البغدادى نفسه السبب فى سياق حديثه لنصف الدنيا فى ١٩٩٦ ومن المفيد أن نورد للقارئ قصة التقارب الأخير كما رواها البغدادى بنفسه للأستاذة منى الدحة حيث يقول :

«... كانت بسبب مشكلة لابنى طارق الذى كان يدرس بالجامعة الأمريكية فقد كانت لوائح الجامعة تسمح بالانتقال من شعبة إلى أخرى على أن يعود بعدها لشعبته الأساسية ، وهكذا فقد انسحب طارق مؤقتا من شعبة الاقتصاد والسياسة ليدرس بشعبة الكمبيوتر ، وبعد إتمامه لدراسته أراد العودة لشعبته الأساسية ففوجىء بالمسئولين يرفضون ذلك ، بحجة أنه أصبح مخالفا للائحة وأن هناك أوامر عليا بعدم استثناء أبناء أعضاء مجلس قيادة الثورة».

«وعندما أبلغنى ابنى لم أصدق ، فاتصلت بالدكتور نزيه ضيف وكان وقتها حارسا على الجامعة الأمريكية [كان وزيراً سابقاً للخزانة] لأستفسر منه ولكنى وجدته مسافرا لامريكا وأحسست أن مستقبل ابنى سيضيع ، فقررت كتابة خطاب لعبد الناصر أخبرته فيه بتفاصيل ماحدث وأنهم أخبرونى أنك وراء هذا القرار ، ولكنى أعتقد أنهم فهموا قرارك بشكل خاطىء ، وأنا أرسل إليك لتبلغهم صحة قرارك ، وآسف فأنت تعرف قلق الآباء على الأبناء وأرسلت الخطاب ، ولكنى فوجئت بعدم رده ».

«وعلمت أنه سافر إلى روسيا سرا لمدة ٤٨ ساعة فى أعقاب الغارات الإسرائيلية على مدرسة بحر البقر وغيرها ».

«وعاد ليتصل بى ، ولكنى لم أكن بالمنزل فقد ذهبت مع حسن إبراهيم إلى النادى فوجدت زوجتى تتصل بى هناك لتخبرنى أن عبد الناصر ينتظر مكالمتى له ، وبالفعل اتصلت به من النادى وقد تعرف إلى صوتى قائلا : أهلا يابوغ لقد قرأت خطابك بعد عودتى من السفر ، وإذا كان هناك قرار بهذا الشكل فأنا أستثنى ابنك طارق حتى لاتفهمنى خطأ ، وعموما فقد أبلغت أمين هويدى وسامى شرف ليقوما بتسوية المسألة مع الجامعة ، ووجدها عبد الناصر فرصة ليقول لى : أنا عايز أشوفك فأنا فى عزلة لا أرى أحدا ، فقلت له : أنا فاضى وأنت مشغول ، اتصل بى وحدد الموعد الذى يناسبك فقال : النهارده الخميس أشوفك السبت ، وأذكر أن المكالمة استمرت ٤٥ دقيقة ، وتقابلنا بعد انقطاع دام سنتين وثمانية أشهر وعادت العلاقة وظلت قائمة حتى وفاته».

❑

هكذا عادت صورة من صور التلاقى بين الرجلين ، ويبدو أن هذا التلاقى قد أخذ أكثر من صورة من صور المشاركات الاجتماعية العابرة ، ومن الطريف أن الحديث عن تفاصيل هذه اللقاءات الأخيرة لم ينشر بتفصيل كثير إلا فى حوارات البغدادى الأخيرة مع مجلة نصف الدنيا كما ذكرت فى فقرة سابقة ، ورداً على سؤال لنصف الدنيا حول ما ذكر عن أن عبد الناصر كان قد خصص له سيارة من الرياسة أجاب البغدادى بقوله :

«... نعم ولكنى لم أتسلمها ، فبعد وفاة عبد الناصر اتصل بى سامى شرف ، وقال لى : عربية سيادتك وصلت فقلت له أرسلها ولكنه لم يفعل ، وانتظر أن أكلمه لأسال عنها ، ولكنى لم أفعل».

«وتبدأ القصة حينما كنت أزور عبد الناصر ذات مرة ورأى سيارتى ، فسألنى متعجبا: إيه القلعة اللى أنت راكبها دى ، فرددت : دى مرسيدس ٣٠٠ موديل ١٩٦١ أتوماتيك فقال ضاحكا : دى تدخلها المتحف وتركب سيارة أحدث ، وبالفعل أرسل لى سيارة شيفروليه لأستخدمها حتى وصول السيارة الجديدة التى طلب من سكرتيره محمد أحمد شراءها ولم يكتف بهذا ولكنه جهز لى مكتبا فى قصر القبة وأخبر معاونيه أنه سيقوم بتغيير وزارى فى أكتوبر القادم وسيكون للبغدادى دور» .

❑

الفصل الثالث: حقيقة فكرة استخلاف عبد الناصر للبغدادى

حدث فيما بعد وفاة الرئيس السادات أن بعض الفيروسات التى أرادت تشكيك الناس فى كل شىء وطرح كل موضوع لاحتمالات بعيدة وقريبة دفعوا إلى سوق التكهنات بشائعات قوية حول فكرة وجود نية عند الرئيس عبد الناصر فى أيامه الأخيرة لاستخلاف البغدادى، واستمر النفخ فى هذه الشائعة ينمو إلى حد أن صورت الأمور على أن الرئيس عبد الناصر كان فى اللحظات الأخيرة من حياته ينتظر أن تذيع الإذاعة قراره بتعيين البغدادى نائبا لرئيس الجمهورية ، وأنه استمع إلى نشرة أخبار الساعة الخامسة فوجدها وقد خلت من هذا الخبر ، وسرعان ما أسلم عبد الناصر الروح ومات.

وتطرقت شائعات أخرى لتشير إلى أن قرار تعيين البغدادى كان فى الخزينة الخاصة التى فُتحت عقب وفاة عبد الناصر بطريقة غير رسمية ، من أجل الحصول على بعض ما فيها مما لم يكن يتوافق مع هوى مَنْ فتحوها!! وكأنما هانت مصر على أصحاب هذه الشائعات حتى ظنوها تنتظر وجود القرار الخاص بالرئاسة فى خزينة.

ولست أدرى كيف فات هؤلاء أنه لو صح ووجد هذا القرار فإنه يحتاج أولا إلى التنفيذ بأن يقسم البغدادى اليمين الدستورية على الأقل كنائب للرئيس.. فأمام مَنْ كان يقسم النائب الجديد هذا اليمين؟

هكذا وجدت القوى السياسية نفسها فى مواجهة موقف صعب الفهم ، أو مستحيل الفهم ، وقد ازدهر الحديث فيه ، كما ذكرنا ، بعد وفاة الرئيس السادات وليس قبلها ، وكان كل المشاركين فى تنمية الجانب الدرامى فى هذا الموقف يحاولون بكل الطرق أن يثبتوا أن عبد الناصر كان تواقا إلى أن يعين البغدادى نائبا للرئيس ، ويقفزون إلى الإيحاء بأن ذلك كان يعنى أن يحل البغدادى فى موقع نائب الرئيس بدلا من أنور السادات .

على كل الأحوال فسرعان ما فهم جمهور القراء أن تنمية مثل هذه الفكرة لم تكن تصب في مصلحة البغدادى ولا تاريخه ولا مصلحة عبد الناصر ولا تاريخه ، وإنما كانت محاولة ساذجة من أجل إلقاء بعض الشبهات على شرعية خلافة السادات لعبد الناصر ، وبالتالى على شرعية حقبته كلها.. وقد كانت هناك جهود محمومة فى هذا السبيل لا تزال تطل برأسها من حين لآخر.

ومع هذا فمن المهم أن نبدأ مباشرة نتأمل فى مدى سلامة مثل هذه التفكير:

ومن الواضح أننا جميعا لانملك الوسائل الكفيلة بالحكم بترجيح مثل هذا الظن ، على حين أننا لحسن الحظ نملك ـ وبالتأكيد ـ الأدلة الكفيلة بتقليل احتمال حدوثه إلى أبعد حد وهى مجموعة كبيرة من الأدلة المقبولة والمعقولة :

❑ لم يكن عبد الناصر ميالا أبداً إلى إعادة مَنْ سبق له الاختلاف معهم من زملائه إلى السلطة التنفيذية ولم يحدث هذا فى عهده على الإطلاق ! وحين أعاد صلاح سالم فقد أعاده صحفيا أو رئيس تحرير لا وزيراً للارشاد ! وينطبق هذا أيضا على خالد محيى الدين.

❑ لم يكن عبد الناصر عاجزا عن أن يصدر مثل هذا القرار بمجرد التفكير فيه وبخاصة أنه كان يصدر معظم قراراته بعد التفكير فيها مباشرة ، ولم يكن مثل هذا القرار فى حاجة إلى هيكل ليكتبه ، لأن الذى يتولى كتابة هذا القرار هو التايبست على الآلة الكاتبة فحسب ، وكان هيكل بالطبع أكبر من تايبست ، حتى وإن كان بدأ حياته فى مثل هذه الوظيفة.

❑ لم يكن عبد الناصر فى ظل الضيق النفسى الذى كان يعانيه بعد ١٩٦٧ على استعداد لأن يخوص مناقشات ومجادلات مطولة مع البغدادى ، ولا مع أناس من وزن أو طبيعة أو شخصية أو عقلية البغدادى .

❑ لم يكن البغدادى نفسه فى حاجة إلى أن يمهد عبد الناصر لرجوعه فى أى منصب فقد كان يتمتع بسمعة طيبة جداً فى وجدان الجماهير والصحافة .

❑ لم يكن الذى تخطى البغدادى إلا عبد الناصر نفسه حين كان البغدادى فى عز مجده ، وقد فعل عبد الناصر هذا بتعيين عبد الحكيم عامر نائبا أول فى ظل وجود البغدادى حيا يرزق وفى منتهى الحيوية.. وصحيح أنه كان قد قدم استقالة مكتوبة ولكنها كانت على ما يرويه البغدادى نفسه الاستقالة الثامنة أى أنه عدل عن سبع استقالات قبلها ، وأن عبد الناصر لم يعتد بهذه الاستقالات السابقة .

هذه بعض أمثلة من دلائل كثيرة ومتعددة، لا نشك فى أن القراء يعرفونها، تدلنا على تضاؤل احتمال صواب كل هذه الروايات المتأخرة التى وصلت إلى حدود الميلودراما بدون أى مبرر ، كفتح الخزينة الخاصة بعبدالناصر، وكانتظار عبد الناصر لأن يستمع من الإذاعة إلى نبأ ما ساعة الاحتضار أو ساعة الموت.

ولكننا مع هذا كله لا نستطيع أن ننكر حقيقة مهمة وهى أن الرئيس عبد الناصر نفسه كان كثيراً مايفتأ يلوح (لأجهزة الاتحاد الاشتراكى والتنظيم الطليعى بصفة خاصة) بورقة البغدادى فيما بعد ١٩٦٧ ولكن هذا التلويح ـ فى نظر الذين يعرفونه جيدا ـ لم يكن ليصل به إلى الإتيان بالبغدادى إلى مقعد الرجل الثانى فى الدولة مرة أخرى ، ولا التمهيد له ليكون الرجل الأول .

ولهذا فإنى أفضل فى هذا الصدد أن أنقل عن مذكرات ثروت عكاشة نصا فى غاية الأهمية يعطينا الصورة الحقيقية [للدور الذى كان عبد الناصر يفكر فيه للبغدادى] بدون تكبير كثير أو تصغير كثير ، ونحن نفهم من سياق كلام ثروت عكاشة ، ومن نصوص أخرى تناولت نفس الفترة ، أن عبد الناصر كان تواقاً إلى أن يعطى البغدادى دورا إيجابيا فى المشاركة السياسية فحسب ، لا فى الحكم ، وذلك بأن يكون زعيما للمعارضة [الداخلية] أو شيئاً من هذا القبيل ، كأنه بلغة رجال التربية والتعليم كان يريد أن يعينه هو وغيره فى دور المفتشين لا فى دور الناظر ، وكأنه كان يريد أن يعطيه المكانة التى أعطاها أنور السادات فيما بعد لخالد محيى الدين أو لابراهيم شكرى أو لمصطفى كامل مراد.

ويستطيع القارئ أن يحكم على صواب ماذهبت إليه إذا ما تأمل فى النصوص والأدبيات المتاحة فى تاريخنا المعاصر وبخاصة محاضر اجتماعات الاتحاد الاشتراكى ولجانه المختلفة التى شارك فيها الرئيس عبد الناصر بآراء واضحة حول الممارسة السياسية، وغياب المعارضة ، والرأى الآخر وما إلى ذلك ، ولن أطيل على القارئ بنقل نصوص كثيرة من المحاضر التى نشرت ولكنى سوف أكتفى بأن أنقل ما يرويه الدكتور ثروت عكاشة فى مذكراته ملخصا به رأى عبدالناصر نفسه فيما حادثه به وقد صاغه ثروت عكاشة بأسلوب مذكراته المتميز حيث يقول:

«... إنى أرى [الضمير يعود على الرئيس عبد الناصر] من تلك التجربة الطويلة فى الحكم على مدى خمسة عشر عاماً أن لا بد من نظام سياسى جديد يتفق والظروف

المحيطة بنا بعـد أن استنفد نظامنا الحـالى طاقته ولم يعد يـصلح لتحمل أعبـاء ما نحن فيـه. هذا إلى أن الطهـارة الثورية قـد منيت بما يشـوبها ، كـما أن السنين التى مـرت بنا قضت على ما كان من وحدة فكرية تجمع بيننا».

«وأقول لك [الضمير يعود على الرئيس عبد الناصر] فى صراحة إنى لم أعد أؤمن بنظام الحزب الواحد ، لأنه يُفضى إلى دكتـاتورية الشلل ومراكـز القوى ، كـما أنه لا مناص أمـامنا من أن تكـون ثمـة معـارضـة، ولذا عنَّ لـى أن أطلب إلى عـبـد اللطيف البغـدادى وكمال الدين حـسين أن يشكلا حـزبا تكون له المعارضة ، وبعـدها تكون لنا نظرة تنظيمية لتـعديل مسار الاتحاد الاشتراكى ، ثم نجـرى انتخابات حرة على أن يكون الغالب فـيها هو الذى يلى الحكم ، والأقلية تؤلف المعـارضة والبقاء للأصلـح ، وتعتزل القوات المسلحة السياسة ، ويكون للبلاد نظام مـفتوح لا نظام مغلق كما هى الحال عليه الآن. وفى هذا ما يتيح للمعارضة الحقة أن تولد فلا تكون ثمة إقطاعيات ولا شللية ».

«فـعلقت قائلا (الكلام لثـروت عكاشـة): «إن هذا لو تم نكون قد خطونا بالبـلاد خطوة جريئـة إلى حياة مسـتقرة لا تتعـرض للأهواء والعواصف. فإذا هو يعـقب قائلاً: للأسف لقد عرضت هذا الرأى على اللجنة التنفيذية العليـا فأشارت بإرجائه إلى ما بعد إزالة آثار العدوان».

وهكذا نتـبين بوضـوح أنه حتى فى حـالة إعادة البـغدادى إلى الصـورة ، فقـد كان عبدالناصر لا يزال يرحب بمعارضة أعوانه الموجـودين وقتها للفكرة ، بل إنه كان يجعل معارضة هذه الفكرة بمثابة القرار الذى يتخذه فى النهاية!!

❑

ومما يؤيد وجهة نظرنا هذه ما يرويه صلاح نصر فى مذكراته عن شعـور عبد الناصر تجاه البغدادى بعد فـترة من ابتعاده ، حينما حاول صلاح نصر تشـجيع التوجه إلى عودة أعضاء مجلس قيادة الثورة إلى المشاركة فى المسئولية :

«وحينمـا جاء ذكـر البغدادى وكـمال الدين حـسين نظر إلىَّ نظرة تعـجب وقال لى بالنص:

«أتريد أن أحضـر البغدادى وكمـال الدين حسين علشان يأكلوها! وهل تـتصور إذا جاء الـبغـدادى وعينتـه رئيسـا للحكومة ، ألا يتـصرف كـرئيس دولة؟ تصور صـحف الصبـاح وبها عـمودين الأول لرئيس الجمـهورية وبجـواره عمود لرئـيس الحكومة ، إن الحكم فى مصر لا يتحمل وجود رئيسين!».

هذا هو مجمل رأينا فى قضية استخلاف عبد الناصر للبغدادى ، ومن المهم أن نطلع القارئ على ما هو متاح فى الأدبيات المتاحة حول هذه القضية ، وأن نتدارس هذه النصوص المتاحة مع القارئ ونبدأ بأن نقرأ فقرة تمثل أقصى درجات الحكمة والتعقل ، وردت فى حديث البغدادى للأستاذ صلاح منتصر (مجلة أكتوبر ، يوليو ١٩٨٨) وفيها يشير البغدادى بكل وضوح إلى عدم جدوى الحديث فى هذه الجزئية [اليوم] ، فليس هناك إرث مستحق يطالب به ، ولكن البغدادى فى الوقت ذاته يشير إلى أهمية رواية الوقائع من أجل التاريخ ليس إلا:

«لقد تكلم كثيرون عنى وآخرون كتبوا فى التاريخ ، والأمانة تقتضى أن أقول كلمتى عما حدث .. إننى اليوم قد تجاوزت السبعين ، مستقبلى كله أصبح ورائى ، وسواء كان عبد الناصر قد رأى أن أشاركه مسئولياته أو لا أشاركه ، فإن الحديث اليوم عن كل ذلك لن يغير شيئا ، ليس هناك إرث مستحق أطالب به ، ولا وصية مغلقة أريد فض أختامها ، والحصول على ما تقول به ، وحتى خلال حكم السادات فلم يكن مطلبا خاصا أن نزاحمه سلطاته ، كان الهدف هو مواجهة فترة خطيرة من الفترات التى تعرض لها الوطن .. نفس الشعور الذى جعلنا نقوم بما قمنا به فى يوليو ١٩٥٢ قبل ٣٦ عاما.. وخلال هذه السنوات قد أصبنا وأخطأنا ، لكن لكل منا دور قام به ، وقد قمت بدورى بما أعتقد أنه كان الصواب ، وبحسب ما اعتقدت أنه حق اخترت موقفى ، وأية كلمة أقولها اليوم فإنما لأضيف إلى التاريخ ، هذا التاريخ الذى سيصبح ملكا لكل أبناء هذا الوطن ، وعندما يأتى من يقلب الأوراق التى تركناها فإنه يستطيع أن يستشف بإحساسه المجرد من أى تأثير: أين كانت الحقيقة».

❑

وبالإضافة إلى هذا القول الفصل الذى أدلى به البغدادى للأستاذ صلاح منتصر فإن عبد اللطيف البغدادى فى حديثه لمجلة الشباب (ديسمبر ١٩٨٨) حرص على أن يسفه تماما الفكرة التى روج لها محمد حسنين هيكل من أن عبد الناصر عين السادات نائبا له ثم نسيه(!!) ، ويقول إن هذا أمر لا يقبله عقل:

«إن الحكاية التى رواها هيكل عن أن عبد الناصر عين السادات نائبا له كإجراء احتياطى مؤقت ، ثم نسيه فى هذا الموقع المهم ، هو أمر لا يقبله عقل .. إذ كيف تشغل

عبد الناصر أى أحداث مهما كانت أهميتها عن إغفال هذا الأمر؟! ثم إن جمال ـ كما قال لى بنفسه عندما عادت علاقتنا سنة ١٩٧٠ ـ أختار السادات نائبا وحيدا بسبب التنافس الذى كان يحدث بين السادات وبين النائب حسين الشافعى على المسئولية والاختصاصات فى أثناء سفر عبد الناصر إلى الخارج.. فأراد أن يضع حدا لهذا التنافس فاختار السادات نائبا وحيدا أو نائبا أول.. كان الأقدم.. والأكبر سنا».

ربما يجوز لنا أن نتحفظ هنا على جزئية الأكبر سنا ، فمن الطريف أن حسين الشافعى ولد قبل الرئيس السادات. وربما أن البغدادى لم يقل هذا اللفظ على نحو ما رواه المحرر فى حديثه وإنما قاله باللفظ الانجليزى المتداول Senior ، واللفظ فى بعض الأحيان يعنى الأكبر سنا لكنه فى المقام الذى نحن فيه يعنى الأسبق فى كشف الأقدمية فى القوات المسلحة ، وقد كان السادات بالفعل أقدم فى هذا الكشف من حسين الشافعى.

❑

ومن الجدير بالذكر أن أول حديث للبغدادى عن فكرة استخلاف عبد الناصر له جاء فى حديث أدلى به البغدادى لجريدة الأهالى فى يوليو ١٩٨٢ بمناسبة مرور ثلاثين عاما على الثورة، وفى ذلك الحديث نسبت الأهالى إلى البغدادى القول بأنه قد تم الاتفاق بينه وبين الرئيس عبد الناصر على تعيينه نائباً لرئيس الجمهورية ورئيسا للوزراء عقب انتهاء مؤتمر القمة الذى عقد فى سبتمبر ١٩٧٠ لإنهاء مذبحة الفلسطينيين بالأردن ولكن كما يقول البغدادى : « القدر كان أسبق». بل وقد اعتقد البغدادى على حسب النص الذى صدرت به الأهالى أن «قرار تعيينه قد سرق من خزانة عبد الناصر عقب وفاته » .

❑

ويشير البغدادى فى حديثه لصلاح منتصر إلى حقيقة مهمة ، هى أنه لم يحاول أبدا فتح موضوع استخلاف عبد الناصر له ، وأنه اعتبر الموضوع سرا بين كليهما ، وأنه انتهى بوفاة عبد الناصر ، ولكن حديث الآخرين ـ المتأخر عنه هو الذى جعله يتحدث فى هذا الموضوع.

يقول عبد اللطيف البغدادى :

«... أولا أنا لم أكن مصدر فتح الخزينة أو الإشارة إلى أى قرار وقعه عبد الناصر ، بل أجزم لك أن موضوع اتفاقى مع عبد الناصر لم يكن أبدا واردا فى أى حديث نُقل

عنى بعد وفاته .. لأننى اعتبرت أو تصورت أن الموضوع سر بيننا نحن الاثنين وبوفاته أصبح ما بيننا فى ذمة الله ، ولكن تبين أن هناك مَنْ كان يعرف وبدأ يتكلم ويقول عن قرار مسروق .. وقد سمعت بهذا القرار فى سنة ١٩٧٩ من المرحوم محمد عبد السلام الزيات ، وكنت مدعوا يومها على العشاء فى منزل د. مراد غالب ، وقال لى الزيات: إن القرار سرق من الخزينة فور وفاة عبد الناصر وأنا شخصيا لا أعتقد أن وجود قرار مثل هذا كان يمكن أن يغير فى الأمر شيئا ، لأن مثل هذه القرارات ليست وصايا يتركها الرؤساء للتنفيذ .. ولكن ربما كانت هناك مذكرات أشار فيها ، سواء إلى ما كان بيننا فى الفترة الأخيرة ، أو إلى الذين حوله ، وتعمدت اليد التى امتدت إلى الخزينة ، وامتدادها [يقصد امتداد اليد] تؤكده أكثر من رواية ، تعمدت أن تخفى هذه الأوراق».

❑

ويشير عبد اللطيف البغدادى أيضاً فى سلسلة أحاديثه للأستاذ صلاح منتصر (مجلة أكتوبر ، يوليو ١٩٨٨) إلى أنه لم يكن من الممكن أن يثير موضوع استخلاف عبدالناصر له فى أثناء حياة الرئيس السادات وتوليه الحكم وهو يقول:

«... كيف كان ممكنا فى فترة حكم أنور السادات أن أنشر وأقول إن عبد الناصر تحدث معى أو عرض علىّ أن أشاركه مسئولياته ، صحيح أنه كان معروفا أنه يعد لتغيير كبير وواسع يجريه فى أكتوبر ، وهذا التغيير كان كثيرون يتحدثون عنه ، الأستاذ هيكل نفسه أشار إلى أن عبد الناصر لم يكن مطمئنا إلى أنور السادات ، وأنه كان يفكر فى إعادة ترتيب الأوضاع الداخلية ، ولعل أول سؤال يمكن أن يسأله أى واحد هو: إذا كان الأمر كذلك فما هو البديل؟ مع ذلك فقد كان كبريائى يمنعنى أن أنشر كلمة واحدة عما حدث بينى وبين عبد الناصر فى خلال السنة الأخيرة قبل وفاته ، لقد كان ما جرى بينى وبينه ولم يكن أنور السادات طرفا فيه بالنسبة لى حتى أدخل معه فى معركة ، بالعكس كان كل تفكيرى بعد وفاة عبد الناصر هو محاولة مساعدة السادات فى إنقاذ مصر من الهزيمة ، أما أن أقول أو أكتب أن عبد الناصر تحدث معى فى نية أن أكون نائباً له ورئيسا للوزراء فهذا أمر لم يكن معقولا أبدا أن أكتبه خصوصا فى خلال حكم السادات ، سواء لأن مذكراتى كانت قد توقفت عند عام ١٩٦٧ ولم أتجاوزها ، وأيضا لأن كبريائى يمنعنى».

❑

أما فى حديثه لمجلة نصف الدنيا فإن رواية البغدادى عن الموضوع ذاته تأتى بصيغة أخرى مخالفة للرواية الأولى التى هى أقرب إلى المعقولية ، وربما كان الفضل فى معقولية الرواية الأولى راجعا إلى صياغة الأستاذ صلاح منتصر:

«... كنت فى منزل الدكتور مراد غالب أنا وعزيز صدقى ومحمد عبد السلام الزيات الذى كان اليد اليمنى للسادات فى مجلس الأمة ، ثم أصبح نائبا لرئيس الوزراء وقد حكى لى الزيات فى أثناء هذه الزيارة أنه كان بخزانة عبد الناصر قرار بتعيينى نائبا لرئيس الجمهورية ورئيسا للوزراء ، لكن العابثين بخزانة الرئيس أخفوا الأوراق التى لا يريدونها ، وأن هذا هو سبب فتح الخزانة لسرقة القرار. وأضاف الزيات أن السادات قد طلب من «هدى» ابنة عبد الناصر فتح الخزانة ليأخذوا مالهم بها».

«ويتعجب البغدادى قائلا: «وكان هذا أمرا غريبا ، فقد كان المفروض التحفظ على الخزانة حتى يتم حصر ما بها ، وقد اشتكى السادات فيما بعد أن الخزانة فتحت ، كما قيل إن مجموعة سامى شرف هم الذين فتحوها ليأخذوا القرار ويخفونه ، وهكذا تضاربت الأقوال ، وتاهت الحقيقة ، ولكن المؤكد هو ما قلته لك من أن عبد الناصر اتفق معى على السفر إلى الإسكندرية بعد مغادرة وفد القمة العربى لإصدار قرار تعيينى نائبا له ، أما عن كلام الأستاذ هيكل فهو غير صحيح ، فهيكل لم يكن وصيا على عبد الناصر ، إلا إذا كان كذلك وأنا لا أعلم!».

❑

ويضيف البغدادى ما يؤكد به هذا المعنى فيقول:

«هناك أربعة سطور فقط جاءت فى كل مذكراتى التى نشرتها عام ١٩٧٧ تشير إلى ما كان بين عبد الناصر وبينى قبل وفاته ، وقد جاءت هذه السطور فى صفحة ٢٣١ من الجزء الثانى عندما كنت أتحدث عن فهم عبد الناصر لوجود محور بينى وبين كمال الدين حسين وقلت فى هذه السطور: كان جمال يعتقد أن هناك محورا بين كمال وبينى ، وهذا غير صحيح ، ولكن هذا الاعتقاد ظل يلازمه حتى توفاه الله رغم نفى ذلك له عدة مرات آخرها عام ١٩٧٠ عندما عادت العلاقة بيننا فى ذلك العام بعد قطيعة دامت ست سنوات».

«هذه السطور الوحيدة التى أشرت فيها إلى عودة العلاقات مع عبد الناصر ، وهو بالفعل كانت لديه حساسية من علاقتى بكمال الدين حسين ، وفى أكثر من مرة خلال

سنة ١٩٧٠ أشار إلى أنه كان يعتقد بما كان يسميه Click (ما معناه علاقة خاصة بإشعال المواقف المثيرة) ، ولم يكن ذلك بالفعل حقيقة ، لكن ما كان يحدث هو أننى تجاه حدث معين كنت أتصرف بطريقة معينة يتضح أن كمال الدين حسين تصرف تجاهها بنفس الطريقة ، فكان عبد الناصر يعتقد بضرورة وجود اتفاق مسبق بيننا على ذلك بينما الواقع أن كلا منا كان يتصرف وحده وبتلقائيته الوطنية».

❑

وقد سألت منى الدحة محررة نصف الدنيا البغدادى عقب ما رواه عن قصة السيارة التى أمر عبد الناصر بشرائها له : «هذا الكلام يؤكد المعلومات التى تقول إنك كنت مؤهلا لاستلام منصب وأن عبد الناصر سيعينك نائبا له».

وقد أجاب البغدادى بإجابته التى سنوردها هنا بالنص ، وهى حافلة بمعلومات تاريخية تستأهل التصحيح والتوضيح وسنتناولها بالتفصيل بعد أن ننتهى من إيراد النص المنسوب إليه والذى يقول فيه:

«كان عبد الناصر يريدنى أن أشارك معه ثانية ، على ألا أعترض على شىء... لذلك فمن يناير ١٩٧٠ وحتى سبتمبر جعلنى على علم ومتابعة لكل مايجرى فى البلد أكثر من زملائه الذين كانوا معه وهم حسين الشافعى وزكريا محيى الدين وعلى صبرى وأصبحت الرابطة بيننا قوية ، بعد أن تصافينا ونسينا الماضى ، وذات مرة وجدته يقول لى : أنا عايز أتفرغ للاهتمام بالجيش وأجهز للمعركة وأريد مَنْ يتولى أمر البلد ، وأنت أقدر واحد يقوم بهذه العملية وتتولى السلطة التنفيذية».

«واتصل بى بعد عودته من مرسى مطروح قائلا : كنت أنوى الرجوع للإسكندرية وأتصل بك لتحضر حتى ننتهى من إصدار قرار تعيينك نائبا لى ، ونحضر هيكل ليكتبه ، ولكنى فوجئت بحضور الرؤساء العرب بدون علمى بسبب مشكلة أيلول الأسود ، وقيام الجيش الأردنى بضرب الفلسطينيين فى الأردن ، وأضاف عبد الناصر : على العموم بعد ما أخلص منها نطلع على الإسكندرية لنتم الموضوع ».

....

هل لنا أن نبدى الآن التحفظات التى أشرنا إلى وجودها ، ونبدأ بأن نتحفظ على الفقرة المنسوبة إلى البغدادى ، وبوسعنا أن نتحفظ على ذكر زكريا محيى الدين الذى كان قد ترك السلطة تماماً فى مارس ١٩٦٨ ، كذلك بوسعنا أن نتحفظ على ورود اسم

على صبرى بين الزملاء ذلك أنه أى على صبرى لم يكن أبداً يعامل على أنه من طبقة زملاء عبد الناصر ،كذلك لابد لنا أن ننتبه إلى أن أنور السادات لم يرد له ذكر بين هؤلاء الزملاء بينما كان لا يزال باقيا..

هذا من ناحية الوقائع التاريخية التى وردت فى هذه الفقرة ، أما من جهة المنطق فإننا نفاجأ فى هذا النص بموقفين غير منطقيين، الأول هو قول البغدادى فى صدر الفقرة كان عبد الناصر يريدنى «أن أشارك معه ثانية على ألا أعترض على شىء» ، هل هناك عرض بالمشاركة على هذه الصورة ؟ وهل وصل الحال بالبغدادى أن يقبل عرضا كهذا بينما هو رجل يقظ الضمير؟ الثانى هو إحضار هيكل لكتابة القرار فهل كان هيكل مجرد «تايبست» الرئاسة الذى يتولى كتابة هذه القرارات على الآلة الكاتبة؟

وأظن القارئ بعد هذا كله قادراً على فهم المقصود من فقرة البغدادى.

❑

ويشير الأستاذ صلاح منتصر فى مجلة أكتوبر (يوليو ١٩٨٨) إلى ما رواه له البغدادى من أنه كانت هناك إشارات من عبد الناصر لم يفهم البغدادى عمق دلالتها إلا فيما بعد ، ومن هذه الإشارات ما تتضمنه الفقرة التالية:

« ... صيف ١٩٧٠ اقترح عبد الناصر على البغدادى أن يرتب له دعوة لزيارة روسيا مع السيدة زوجته ، ولم يتحمس البغدادى للزيارة ، لكنه عرف من مراد غالب سفير مصر فى موسكو فى ذلك الوقت أنه تم استدعاء السفير السوفيتى وإبلاغه توجيه دعوة رسمية للبغدادى ، وجاءت الدعوة من روسيا متضمنة قائمة بـ١٤ شخصا بينهم البغدادى ، ولكن عبد الناصر كما عرف البغدادى كل ذلك فيما بعد من مراد غالب ، طلب أن تكون دعوة البغدادى بصفة شخصية وإن كانت الزيارة لم تتم بسبب وفاة عبد الناصر وتغير الظروف.. وكان المعنى الواضح لذلك (يقول صلاح منتصر) أن عبد الناصر كان يريد تقريب المسافات المتباعدة بين البغدادى والاتحاد السوفيتى بحسب العلاقات الخاصة التى كانت تربط بين القاهرة وموسكو فى ذلك الوقت ، خصوصا بسبب اعتماد القاهرة فى السلاح على موسكو».

❑

بقىّ بعد كل هذا أن نشير إلى أن الدكتور محمد مراد غالب قد تعرض لهذا الموضوع فى المذكرات التى نشرها عام ٢٠٠١ ، وليس فيما ذكره الدكتور مراد غالب

جديد مغاير لما تدارسناه من راويات منسوبة إليه ، أو إلى غيره ، لكنه يشير بكل وضوح إلى أنه هو الذى كان قد استنتج أن الرئيس عبد الناصر ينوى تعيين البغدادى نائباً له ، وأنه هو الذى نقل هذا الاستنتاج إلى البغدادى.. ومع هذا فإن الدكتور مراد غالب نفسه فى نهاية روايته يقدم رؤيته القائلة بأن السادات «والحق يقال» على حد تعبيره كان منسجماً مع الشرعية:

«... كان الرئيس يقضى شهر أغسطس فى الإسكندرية فى استراحة المعمورة ، وهى استراحة متواضعة الأثاث . وكنت أتطلع إلى هذه المقابلة بعد ما ذكره «البروفيسير شازوف» اخصائى القلب فى الكرملين ، والذى أسرّ لى عندما كنا فى موسكو بأن حالة قلب الرئيس غير مطمئنة وأن شرايين القلب الفرعية لم تنفتح وما زالت مسدودة ، رغم كافة الأدوية وتزويده بالأوكسجين المخصص لرواد الفضاء».

«وجدت الرئيس بادى النشاط وفى حالة استرخاء ومعنوياته عالية ولم يكن يعرف شيئا عن حالة قلبه وطبعا لم أذكر له شيئا عنها».

«تركز الحديث حول المرحلة المقبلة وأهمية تحريك حائط الصواريخ وكان هذا الموضوع بالغ السرية. وفى لقائى مع الرئيس شرح متطلبات تنفيذ أهداف المبادرة ومطالبة السوفيت بتصعيد مساعدتهم فى كافة الأسلحة ، خصوصا بالنسبة لدعم حائط الصواريخ الذى سيتقدم إلى ضفاف القناة. ثم شرح الرئيس رأيه فى الحل السلمى ولم يكن متفائلا ، وأخيراً انتهت المقابلة. وهممت بالانصراف وإذا به يقول: «لا... انتظر أنا عايزك فى مسألة مهمة» ولما استفهمت عنها قال: «أنا عايزك ترتب عدة مقابلات مع الزعماء السوفيت بريجنيف وكاسيجين وبادجورنى وجريتشكو وجروميكو... إلخ». مع السيد عبد اللطيف البغدادى الذى سيزور موسكو قريبا فلما قلت له: «إيه ده يا ريس ده الحكاية كبيرة» ، قال لى: «بلاش لماضه» أنت فاهم كويس! روح نفذ اللى قلتلك عليه». وخرجت من عند الرئيس ومعى كل الخلفية التى ذكرتها من قبل. وفهمت ما يرمى إليه الرئيس ، وذهبت مباشرة إلى بلاج «عايدة» فى المنتزة ، وكانت هناك مفاجأة غريبة تنتظرنى . فقد وجدت «البغدادى» فى كابينة الصديق المشترك سليمان جميعى فى بلاج «عايدة». فسألنى أين كنت !! انتحيت به جانبا وذكرت له إننى جئت توا من لقاء مع الرئيس ، وأخبرته بما ذكره الرئيس بالنسبة لزيارة لموسكو ومقابلة الزعماء السوفيت ولم يكن الرئيس قد أبلغه بعد . واستفهمت منه عن تطور

علاقـته مع الرئيس فأجاب بأنهـا تغيرت تماما ، وهـو يتصل به بالتليفون عـدة مرات فى اليوم ، كـما يرسل له الكثـير من التقـارير وبدأنا نتزاور . أمـا ما ذكرته الآن فـهذا يدفع الأمور فى اتجاه جديد . وقلت له ألا تشعر بأن هذا يعنى أنك نائب الرئيس القادم ؟ قال إن الرئيس أشعـرنى بهذا ولكنه لم يقلهـا صراحة ؟ وعلمت فـيما بعـد أن الرئيس كان ينوى إعلان هذا الخـبر فى اجتمـاع خاص باللجنة المركزية للاتحاد الاشـتراكى!! ولكن طغت أحداث الأردن والصـراع بين الملك حسين والفلسـطينيين وما نعـرفه جميـعا عن أحداث «أيلول الأسـود» . وتوفى جمال عـبد الناصر وهو يودع أمـير الكويت. وهكذا شـاء القدر أن يظـل أنور السادات هو نـائب الرئيس ، وتسـير الأمـور بعـد ذلك كمـا نعرفـها . وتبقى قصـة تعيين عـبد اللطيف البغـدادى نائب للرئيس معروفـة فى أضيق الحدود . ولـم يثـرها البغدادى ، فـقد كان حريصـا على كرامتـه وعزة نفسـه إلى أقصى الحـدود . كمـا أن وفاة عـبد الناصـر منعت الإعلان عنهـا . وهكذا انفـتح الطريق على مـصراعـيه لكى يصـبح أنور السادات رئـيس للجمـهورية . وكـان رجال عـبد الناصـر يفضلونه على البغدادى ظنا منهم أن السادات ألين عريكة وأسلس قيادة ، كما أنه والحق يقال منسجم مع الشرعـية ، فقد كان السادات نائب رئيس الجـمهورية الرسمى ، والتف حوله الكثيرون من كـبار رجال الدولة مثل المهندس سيد مرعى والدكـتور عزيز صدقى والأستاذ هيكل».

عبد اللطيف البغدادى
شهيد النزاهة الثورية

9

البغدادى وزملاؤه

دار الخيّال

نستعرض فى هذا الباب علاقة البغدادى بزملائه بدءا بعلاقته بالرئيس السادات وعلاقته بالرئيس محمد نجيب ثم نتأمل بعض عوامل الخلاف والاتفاق بين البغدادى وزملائه من أعضاء مجلس قيادة الثورة حسبما أوردتها الأدبيات المتاحة فى تاريخنا المعاصر، وذلك بعد أن تناولنا فى الباب السابع تطور علاقته بعبد الناصر ومدى تعاونهما واختلافهما ثم افتراقهما باستقالة البغدادى .

ويمكن لنا على سبيل الإجمال أن نبدأ بالقول بأن البغدادى فيما كتب وسجل من مذكراته كان يعتز بزملائه كمال الدين حسين وجمال سالم وحسن إبراهيم بصفة خاصة. ولكنه لا يفتأ يذكر لنا أن حسين الشافعى كان يؤثر السلامة فى كثير من المواقف ، أما موقفه من أنور السادات وزكريا محيى الدين فمتوازن إلى حد بعيد ، وأما موقفه من صلاح سالم فيحمل كثيراً من الانتقادات شأن موقفه من عبدالحكيم عامر ، ولكنه يبدو موضوعياً جداً تجاه مواقف هذين الرجلين. والحق أن عبداللطيف البغدادى لم يدخر وسعه فى أن يقف فى صف صلاح سالم وعبدالحكيم عامر ، وبإعطائهما العذر حين يستحقانه وبإعطائهما العذر حين يجده لهما، لكنه لم يكن يستطيع أن يقنع نفسه بأسبابهما أو وجهة نظريهما فيما اعترى حياتيهما ومواقفيهما من دراما سريعة الإيقاع.

أولاً: علاقة البغدادى بالرئيس السادات: يمكن لنا الزعم بأن أنور السادات و عبد اللطيف البغدادى كانا على علاقة طيبة ، وأنه ربما كان الدافع من كل هذه الروايات القائلة التى

أخذت تروج لفكرة أن أحدهما كان يهدد الآخر فى آخر أيام عبد الناصر هو محاولة تدمير مثل هذه العلاقة ، وكأن الخطاب الصحفى الذى بذل أصحابه جهدهم فيه باستماتة كان موجها باقتدار إلى البغدادى حتى لاينحاز إلى الدفاع عن السادات فى الحملة الشرسة المفاجئة التى أعقبت وفاته.

ومن العجيب أن البغدادى لأنه رجل عظيم فعلاً لم ينسق أبداً فى أعقاب وفاة السادات إلى الترهات والتجاوزات الكثيرة التى تورط فيها صحفيون كبار بل بعض رجال الثورة لمجرد تصفية حسابهم الوهمى مع السادات كورثة لعبد الناصر ، وذلك على الرغم من أنه لم ينف أن احتمال استخلاف عبدالناصر له أو تعيينه نائبا أو رئيسا للوزراء كان واردا.

وربما كان من الأوفق أن نبدأ حديثنا عن علاقة البغدادى بالسادات ، بمناقشة ما هو كفيل بأن يصور لنا طبيعة الدور الذى قدر للبغدادى أن يقوم به فى عهد السادات فى هدوء شديد.

❑

وهو فى رأيى من أهم الأدوار السياسية فى حياتنا السياسية المعاصرة.

ومن أهم الأدوار فى قيادة التحول الذى تم فى عهد أنور السادات.

وقبل هذين فانه من أهم الأدوار السياسية التى أداها البغدادى لوطنه .

ونحن نفهم أن البغدادى كان تواقاً إلى المشاركة فى الحياة السياسية بعد رحيل عبدالناصر ، وقد كان الرجل من أوائل الذين نشروا مذكراتهم ، وكان حاضراً على الدوام فى قضايا وطنه فى أحاديث صحفية وآراء معلنة. وليس من شك أن البغدادى بنشره المبكر لمذكراته قد تولى « دون أن ينتبه الكثيرون » قيادة النقد السياسى الذاتى لفترة الثورة الأولى ولعهد جمال عبد الناصر.

ولأن الكتابة السياسية فى مصر كثيرا ما تمضى فى طريق المحاكاة والنقل وتصبح أقرب إلى أن تكون ترداداً أو تكراراً لنغمة سائدة فقد توجهت الكتابات السياسة التى نقدت عهد عبد الناصر فى نفس الخط الذى بدأه البغدادى فى مذكراته من ناحية ، وتوفيق الحكيم من ناحية أخرى فى كتابه «عودة الوعى».

وهكذا تم التركيز على انتقاد الدكتاتورية أو الفردية ، وتم انتقاد عبد الحكيم

ورعونته وتم انتقاد الألعاب السياسية غير الصريحة .. إلى آخر كل ما انتقده البغدادى فى عهد عبد الناصر .

ومع أنه كانت فى عهد عبد الناصر ، رغم كل إيجابياته ، سلبيات أخرى واضحة إلا أن الحملة على عبد الناصر فضلت تضخيم ما نبهنا إليه كتابات من وزن كتابات البغدادى وتوفيق الحكيم فحسب ، ولانستطيع أن نجد كتابا تناول التجربة الناصرية بالنقد (أو بالدفاع) بدون أن ينقل عن البغدادى حتى ولو لم يثبت ، فى النصوص أو فى الهوامش ، أنه نقل .

وهكذا أدى البغدادى الدور الذى كان عبد الناصر يتمنى له أن يقوم به فى عهده ولكن بعد انتهاء هذا العهد بأكثر من خمس سنوات ! !

وبدلا من أن يؤديه فى عباءة عبد الناصر وبرضاه وفى حضوره فانه أداه كزعيم غير متوج لكل من نقد عهد عبد الناصر.

وقد تولى البغدادى [أو وُلى دون إعلان صريح] مهمة الزعامة الفكرية التى لايصيبها عنت التوفيق بين التابعين ولاجهد تحريضهم وإقناعهم .

وهذه فى الحقيقة هى طبائع الأيام بكل ماتحمل من تقلبات السياسة والساسة والسياسيين.

وقد كان السادات ونظام حكمه كما نعرف جميعاً بمثابة أكبر المستفيدين من هذا الدور الذى أداه البغدادى من دون اتفاق.

❑

أما علاقة البغدادى بالسادات فى السنوات العشر الأولى من الثورة فيمكن تلخيصها بأنها كانت علاقة مثالية رغم ما هو معروف من أن العسكريين الذين يتحولون إلى سياسيين فى المواقع المتقدمة يصبحون فى وضع غريب لا يمكن وصفه إلا بالعبارة القائلة «إنهم قوم لا يحب أحد منهم أحداً» ، ودليلى على حسن هذه العلاقة ظواهر كثيرة ، منها أن السادات وهو زميل مساو تماما لعبداللطيف البغدادى قد قبل العمل تحت رئاسة البغدادى مرتين ، المرة الأولى فى محكمة الثورة حيث كان البغدادى رئيس المحكمة والسادات عضو اليمين فى المحكمة. والمرة الثانية فى مجلس الأمة الأول (١٩٥٧) حيث كان البغدادى رئيسا وكان أنور السادات وكيلا.

ومع هذا فإن العلاقة بين الرجلين ظلت خالية من الشد والجذب ، وربما يُرجع البعض الفضل فى هذا إلى أنور السادات وقدرته على التكيف ، ولكنى لا أظن أن هذا هو كل ما فى الموضوع ، فعادة النفس البشرية فى مثل هذه الظروف أن تبحث عن أى أمر صغير يمكنها من التعبير عن التذمر من مثل هذا الوضع ، وما كان أسهل على أنور السادات أن يجد مثل هذا السبب ، وهنا تأتى الحقيقة التى أود أن ألفت النظر إليها وهى أن البغدادى كان يتمتع بدرجة قصوى من التهذيب الآسر والتقدير الرفيع فى معاملته لأنور السادات حين عمل معه فى محكمة الثورة أو فى مجلس الأمة ، ولولا هذا ما كان السادات قد أحبه ولا تحمله ، وهو ما يحسب للبغدادى بكل تأكيد.

وليس أدل على هذا من الانطباع الأول الذى صرح به السادات وهو رئيس للجمهورية من أنه يحب البغدادى دون غيره من الزملاء ، ومن أن يقابله دون غيره من الزملاء ، وفى حقيقة الأمر فإن البغدادى فى مذكراته بموضوعيته وأمانته أبان لنا فى أكثر من موضع عن أن أنور السادات كان يتمتع دون زملائه جميعاً بحس سياسى متميز وعلى سبيل المثال فإنه فى روايته لآراء أعضاء مجلس الثورة فى أكتوبر ١٩٦١ وعقب الانفصال ، روى البغدادى آراء زملائه فرداً فرداً إلى أن وصل إلى الفقرة التى قالها أنور السادات والتى تعطينا فكرة صادقة عن طبيعة شخصية السادات المتفهم للسياسة بأكثر من زملائه ، وها هو البغدادى يروى فيقول: «أما أنور فكان يؤكد ضرورة قيام مجلس ثورة ، وتحدث عن مقابلته مع أعضاء مجلس الأمة عن مدينة القاهرة ، وما أثاروه من نقد حول أسلوب الحكم وعن إهمال الدولة لمجلس الأمة ، وخرج من هذا بأنه قد وجد نفسه واقفاً موقف المدافع وأن هذا من الخطورة بمكان ، وأنه لابد من أن نقلب الوضع بحيث نقف موقف المهاجم وإلا نروح إلى بيوتنا ـ على حد قوله».

❑

ومن الثابت أيضا أن البغدادى حين نشر مذكراته فى عهد السادات لم يمالئ السادات فى شئ بل إنه ذكر بكل وضوح قصة ذهاب السادات للسينما ليلة الثورة ، وهى القصة التى أثارها أعداء السادات بعد وفاته وكأنهم قد عثروا على كنز ثمين ، مع أنها نشرت فى حياته وفى مذكرات البغدادى نفسه.

ومن العجيب أن المصادر التاريخية فى مرحلة تالية ذكرت أن عبد الناصر وعبدالحكيم ذهبا أيضا إلى السينما حيث قطعا تذكرتين واحتفظا بهما فى ملابسهما المدنية.

ولكن المشكلة الكبرى فى هذا الموضوع التى قد تواجه قراء التاريخ أن بعض خبثاء الطوية والنية خطر ببالهم أن يصوروا البغدادى فى مرحلة متأخرة أنه كان المرشح الطبيعى عند عبد الناصر لخلافته ، وأن السادات قد انتزع منه هذا الحق ، وقد تعرضنا لتفاصيل علاقة عبد الناصر والبغدادى وبرهنا للقارئ على رأينا القائل بأن عبد الناصر نفسه لم يكن ـ فيما قاده من سلوك أو تصرفات ـ يرحب بوجود البغدادى خلفا له.

ومع هذا فقد أصبح المجال فى وقت من الأوقات مشحونا بفكرة استخلاف عبد الناصر للبغدادى ليس من أجل هذه الفكرة ذاتها ولكن من أجل تصوير نزاع وهمى بينه وبين السادات الذى سطا على موقعه ، ومن حسن الحظ أن البغدادى ظل حتى آخر أيامه عاقلاً تماما كالعهد به فلم يتورط فى هذه الحملة ، ولم يجب على أى سؤال من الأسئلة التى تتعلق بها بأكثر مما يعرفة من حقائق أو ما شهده بنفسه.

❑

وقد كان أمين هويدى أول من لفت نظرنا إلى أن علاقة السادات والبغدادى كانت طيبة، وإلى أن السادات كان يحتفظ للبغدادى بمشاعر التقدير، وهو (أى أمين هويدى) يروى لنا فى كتابه « مع عبد الناصر » أن أعضاء مجلس القيادة الباقين على قيد الحياة أرادوا أن يقابلوا الرئيس السادات (ولم يكن قد توفى من أعضاء مجلس قيادة الثورة إلا صلاح وجمال سالم وعبدالحكيم عامر) ليقترحوا إعادة تشكيل مجلس قيادة الثورة أو بعبارة أخرى ليشاركوه (أو يساعدوه) فى الحكم بصورة أو أخرى ، لكن السادات رفض هذه المقابلة وقال إنه سيقابل البغدادى فقط لأنه يرتاح له دون الآخرين. وأمين هويدى يروى هذا كما ذكرنا فى إطار الحديث عن رغبة أعضاء مجلس قيادة الثورة فى العودة إلى الحياة السياسية فى عهد السادات .

وهذا ـ على كل حال ـ هو نص رواية أمين هويدى :

«وفى اليوم التالى مباشرة أرسل أعضاء مجلس الثورة القدامى إلى السيد أنور السادات مذكرة مكتوبة يعرضون فيها إعادة تكوين مجلس الثورة على أساس ديمقراطى ويتولى سيادته الرئاسة ، وقد وقع على المذكرة كل من السادة عبد اللطيف البغدادى ، زكريا محيى الدين ، حسن إبراهيم ، كمال حسين ورفض السيد أنور السادات مقابلتهم كطلبهم فى المذكرة وذكر أنه سيكتفى بمقابلة البغدادى لأنه يرتاح إليه دون الآخرين ، وقد تمت المقابلة ولا أدرى شيئاً عما تم فيها».

ويبدو لى أن هذه الروح التى حكمت موقف السادات من البغدادى .. حكمت أيضا موقف البغدادى هو الآخر من السادات.

فعلى الرغم من أن كمال الدين حسين شارك فى عصر السادات بفاعلية أكبر حين خاض انتخابات البرلمان وفاز ومارس النيابة وناقش تحت القبة ، إلا أنه سرعان ما اصطدم بالسادات أو اصطدم به أنور السادات .. على حين ظل زكريا محيى الدين متحفظاً إلى النهاية ، كذلك ظل حسن ابراهيم شبه متحفظ إلى قرب النهاية حين أعلنت الصحف فى العام الأخير من حكم السادات عن مقابلتهما !!

❑

وفى حديثه المطول للأستاذ صلاح منتصر (مجلة أكتوبر ، يوليو ١٩٨٨) روى عبد اللطيف البغدادى بالتفصيل محاولات اشتراك أعضاء مجلس قيادة الثورة فى السياسة بعد وفاة الرئيس عبد الناصر ، وأشار البغدادى بكل وضوح إلى أنه أحس بالحرج عندما أنهى إليه وزير السياحة الأسبق أمين شاكر نبأ دعوة الرئيس السودانى له للقاء به هو وكمال الدين حسين وزكريا محيى الدين وحسن إبراهيم فى صباح اليوم التالى ، وأن حسن إبراهيم بالاتفاق مع البغدادى أنهى نبأ هذه الدعوة إلى الرئيس السادات ، ويبدو أن السادات (حسب تصور البغدادى) طلب إلى جعفر نميرى إلغاء الفكرة ، وقد حدد السادات موعدا للقاء البغدادى بمفرده ، ومن الجدير بالذكر كما سنرى أنه فى ذلك اليوم نشر بيان عزيز صدقى الشهير الذى يتحدث عنه البغدادى فى لقائه مع السادات ، وقد تم اللقاء وفيما يلى من فقرات نروى تفاصيل ما رواه صلاح منتصر عن البغدادى :

«.... فى نفس اليوم [أى اليوم المحدد للقاء بين السادات والبغدادى] أصدر الدكتور عزيز صدقى وزير الصناعة والبترول فى ذلك الوقت بيانا ظهر فى الصحف فى اليوم التالى (الثلاثاء ٦ أكتوبر) وكان يبدو أن هدفه الأساسى أن يكون بيانا موجها إلى الأربعة: (البغدادى ، وكمال الدين حسين ، وحسن إبراهيم ، وخالد محيى الدين) الذين انسحبوا من العمل مع عبد الناصر. ففى هذا البيان قال عزيز صدقى:

«لقد سار خلف عبد الناصرأعوان له ، ساهم كل منهم بنصيبه فيما رأى جمال

عبدالناصر أنه قادر عليه ، وهناك مَنْ تخلف بعد جزء من الطريق ، وهناك من أكمل الشوط حتى نهايته ، وكان الشرط الذى لا يرضى الرئيس الراحل عنه بديلا لمن يبقيه معه فى مسيرته ، إيمانه بالمبادئ التى نادى بها الشعب إيمانه بالاشتراكية».

«وفى وقت الشدائد يجب أن نتصارح بالحقيقة ، فهى التى تقينا من الوقوع فى أوهام باطلة».

«لن يقود المسيرة - مسيرة الاشتراكية.. مسيرة جمال عبدالناصر بعد أن غاب عنا - إلا الذين يؤمنون بمبادئه الاشتراكية ، بحق الشعب العامل فى حياة أفضل ، فى الحفاظ على جميع المكاسب الاشتراكية التى حصل عليها العمال والفلاحون وباقى أفراد الشعب العامل ، فى ضرورة التنمية بمزيد من المصانع ، بمزيد من الأرض ، بمزيد من فرص العمل فى جميع المجالات».

«وإنى أطمئنكم [الضمير لعزيز صدقى] أننا لن نسمح لمن ارتد أو تخلف ، أو ظن أن الاشتراكية تنتهى بموت جمال عبدالناصر ، أن يرفع رأسه - وكان له وضع فى مسيرتنا - أن يكون له مكان فى مسيرتنا. إن جمال عبد الناصر فى أثناء حياته أصدر حكمه وعبر عن رأيه فى كل مَنْ عملوا معه ، لم يبق معه إلى نهاية الشوط إلا الذين آمن إليهم ، واطمأن إلى أنهم يعتنقون المبادئ الأساسية التى عمل من أجلها وأنهم سيكونون قادرين على الحفاظ عليها».

ويعلق البغدادى للأستاذ صلاح منتصر على بيان عزيز صدقى فيقول:

«.. انتابنى انفعال شديد وضيق مما كتبه عزيز صدقى ، ولم أجد نفسى إلا جالسا على مكتبى أكتب خطابا إلى محمد حسنين هيكل وزير الإرشاد ورئيس تحرير الأهرام ، إلا أننى لم أتمكن من إكماله لحلول موعدى مع أنور السادات ، وعندما ذهبت إليه فى الموعد المحدد وجدته جالسا فى الصالون ، فعانقنى وبدأت حديثى معه بأننى فى حالة عصبية لبيان عزيز صدقى ، وكيف يسمح بنشر مثل هذا البيان؟ وكيف يمكن اتهامنا بمثل هذه الاتهامات الواردة فى بيانه؟ فحاول (أى الرئيس السادات) إقناعى بأن المقصود زكريا محيى الدين ، وبيان عزيز صدقى الغرض منه طمأنة العمال على مكاسبهم لأنهم يخشون أن يكون لزكريا دور فى هذه المرحلة وهم لا ينسون أنه عندما كان رئيسا للوزراء أنه حاول حرمانهم من الـ ٢٥٪ الأرباح التى توزع عليهم ، أمال لو سمعت ما

قاله خالد محيى الدين فى اجتماع اللجنة المركزية تقول إيه وهو ابن عم زكريا فلا يقاس ما قاله عزيز صدقى بجانب ما قاله خالد. واستطرد السادات قائلا: إن خالدا قال هل معقول أن نلغى كل هذه المؤسسات السياسية من أجل أربعة ؟ ومن الطبيعى أنه كان يقصدنا نحن الأربعة أعضاء مجلس قيادة الثورة القدامى ، فقلت لأنور: أنت تعرف خالد ، وأن خالد بموقفه إنما يخشى من عودة هذه المجموعة للسلطة وضرر ذلك على الشيوعيين الذين يسعون للتغلغل داخل الأجهزة المختلفة. فرد بأنه فاهم طبعا ، ثم استطرد قائلا: إنه قرأ المذكرة والاقتراحات الواردة فيها ، ولكن نتيجتها هو إلغاء هذه المؤسسات السياسية القائمة ، ومعنى هذا التشكيك فى النظام الذى أقامه المرحوم جمال والشعب استفتى على نظام جمال عبد الناصر ، وسار فى جنازته خمسة ملايين من البشر ، ورددت عليه بأنك تعلم عدم ثقة الجماهير فى هذه المؤسسات وانتخابها لم يكن نزيها ، فرد بأنه هو شخصيا لم يحصل إلا على ١٢٠ صوتا فى انتخابات اللجنة المركزية ليكون عضوا باللجنة التنفيذية العليا ، وأنه علم باللعب الذى حصل لكنه لن ينتقم».

«ثم عدنا ثانية للحديث عن المذكرة وقلت له إن ما ورد بالمذكرة من اقتراحات هو ما نراه أفضل الحلول فى هذا الوقت العصيب ، وأنه من الضرورى أن يتولى الشعب حكم نفسه بنفسه ، وأن تنقل إليه السلطة ، ويجب أن نستفيد من أخطاء المرحلة الماضية وإن عملت على نقل السلطة للشعب تكون قد أديت لهذه البلاد خدمة جليلة ، وقال أنور: إن المرحوم جمال كان مركزا السلطة كلها فى يده ، لكنه ينوى أن يوزع المسئوليات على الأجهزة المختلفة ، وأن تكون مسئوليته المحافظة على التوازن بين هذه الأجهزة ، وطلب أن نعطيه فرصة إلى أن يتم الاستفتاء ثم نتشاور فيما يجب عمله مبينا فى الوقت نفسه أنه لا يمكنه التعاون مع زكريا ولا كمال الدين حسين».

«وعلل موقف زكريا من استقالته ورأيه فيه والسبب الحقيقى للاستقالة هو الهروب لاعتقاده ـ أى اعتقاد زكريا ـ بأن الوضع سينهار تماما ومظاهرات الطلبة فى حلوان ما هى إلا بدايته. (كان زكريا محيى الدين قد قدم استقالته إلى عبد الناصر سنة ١٩٦٨ فى أعقاب المظاهرات التى قام بها الطلبة فى ذلك الوقت)».

«وأضاف [أى السادات] إن زكريا ركبه الغرور من يوم أن تولى رئاسة الوزارة ، وأنه يعتقد فى نفسه أن له مدرسة خاصة. واستطرد قائلا: أما كمال الدين حسين فأنا كنت أسميه النبيل حتى تشكيل مجلس الرئاسة فوجدته انقلب شخصا آخر عندما انتقلت منه

السلطة التى كان يباشرها قبل تشكيل مجلس الرئاسة ، أما أنت فكنت فلاحا ورجلا فى كل مواقفك ، وجمال قال لى فى هذا الصيف ، إن البغدادى عايش معانا المعركة ، وأنك دائما لك رأى فى كل موقف ، وما يجب عمله رغم بعدك عن السلطة ، ولم أشأ أن أعلق على ما ذكره بالنسبة لأشخاصنا ، ولكنى قلت له إن ما أردناه من المذكرة هو أن نحدد أفكارنا والحلول التى نراها لحماية هذا البنيان من السقوط ، وليس وراءها غير ذلك ، فالصالح العام هو الذى أملى علينا هذا الموقف ، وحتى أمننا الشخصى مرتبط بحماية الوضع. فقال [أى السادات]: إن تجمعكم نتجت عنه بلبلة شديدة مما استدعى السرعة فى الإجراءات حتى يستقر الوضع ، فقلت له: إننا لم نكن نجتمع لنتآمر إنما للبحث عن أفضل الحلول ، ولو كنت قد اجتمعت معنا فور طلبى لهذا الاجتماع يوم الخميس الماضى لما تمت اجتماعاتنا بهذه الصورة ، ولكن تأخر هذا الاجتماع هو الذى دفعنا لأن نتقابل ، فقال بأن زكريا كان له نشاط واتصالات فى أثناء اجتماعاتكم حتى أن مصطفى عبد العزيز (مدير مكتب زكريا سابقا) ذهب لضباط البوليس وأبلغهم «بأننا جمعنا لكم الأربعة ومنتظرين إيه ما تتحركوا بقه» بخلاف اتصالات أخرى ، فقلت له: إننا لا نعلم بهذا ، فقال: أنا متأكد وكنت مطمئنا بوجودك معه ، وقال أيضا: إن الأمريكان فى حالة جنون وكادوا يقولون إحنا عايزين زكريا ، وكل صحافتهم وصحافة الغرب تنادى بزكريا ، ورددت عليه بأننا على العموم لم نجتمع إلا من أجل صالح عام ودافع وطنى وتقدمنا لك برأينا وأنت المسئول والمسئولية التاريخية ستقع عليك أنت ، ولك مطلق الحرية فى الأخذ بما اقترحناه أو بما تراه أنت ، فرد بأن نعطيه فرصة حتى يستقر الوضع بعد الاستفتاء ، وذكر لى اجتماعاته مع كوسيجين وما دار فيها ، وأنهم - أى الروس - أكدوا استمرارهم فى تأييد موقفنا من قضية فلسطين ، وأكدوا أن التعاون سيستمر كما لو كان عبد الناصر موجودا ، وكل مطلبهم أن نستمر أيضا فى العلاقة التى كان يسير عليها عبد الناصر معهم. وكذا أخبرنى عن استمرارهم فى توريد بعض الأسلحة الإلكترونية التى كان قد تم الاتفاق عليها مع المرحوم جمال فى أثناء زيارته الأخيرة لموسكو ، والأسلحة الأخرى فى حدود ٦٠٠ مليون جنيه. وأخبرنى عن مقابلته للوفد الأمريكى الذى كان قد حضر للتعزية فى وفاة جمال وما قاله لهم من أنه لن يسحب الصواريخ ، ولما سألوه عما إذا كان سيلتزم بما كان قد التزم به جمال فأكد لهم هذا الالتزام من جانبه أيضا».

«وبعد أن استعرض الموقف بهذه الصورة قال لى: هذا هو الموقف ، عرضته عليك

ولكننا سنحتاج للتشاور معا دائما، وأنا كنت قد اشتغلت معك وكيلا لمجلس الأمة ، ولم أشعر بحساسية من ذلك ، وكان كل واحد منكم متوليا عملا وشايله وماشى من أول الثورة ، وكنت أنا أقول المهم إن الثورة تستمر ولم يكن لى عمل ، وعندما يصبح أى منا رئيسا للجمهورية فالآخرون رؤساء لأنه لا فارق بيننا».

«وختمت حديثى «بأننى لا أود أن آخذ من وقتك أكثر من هذا ، ولكنى أود أن أخبرك بأننى سأرسل خطابا إلى هيكل ردا على بيان عزيز صدقى ينشره ، وهذا حقى لأنى لا أقبل أن أسكت على ما ورد فيه». فأخذ يهدئنى ، ولكنى أصررت على موقفى فوافق وقال: «ربما ينفع فى المستقبل» ، ولم أسأله ماذا يقصد ولم أفهم قصده ، ولكن ربما يكون الغرض هو محاولة إرضائى وإفهامى أنه متجه إلى طلب التعاون منى ، وعند انصرافى أبلغنى بأنه سينقل مكتبه إلى قصر الطاهرة لأنه لا يمكنه العمل فى نفس مكتب جمال بالقبة.. ثم صحبنى حتى باب قصر العروبة وركبت عربتى وانصرفت».

«وعدت إلى المنزل وأكملت خطابى لهيكل ، وكتبت خطابا آخر لعزيز صدقى».

ثانيا : علاقة عبد اللطيف البغدادى بالرئيس محمد نجيب: من المفارقات، وما أكثر ما فى التاريخ من مفارقات، أن السبب الوحيد لاستقالة البغدادى عام ١٩٥٤ كان معارضته فى قرار مجلس قيادة الثورة بإعادة محمد نجيب لأنه كان ينظر للأمر على أنه مسألة مبدأ.. وسنقرأ تفاصيل هذا الموقف الذى لم يقف فيه مع البغدادى إلا جمال سالم بينما رأى الباقون أن يحنوا رأسهم للعاصفة الشعبية الهادرة إلى أن تمر، ثم سرعان ما تخلصوا من محمد نجيب.

ولا يمكن لنا تأمل الموقف لو أن مجلس قيادة الثورة أخذ برأى البغدادى ورفض عودة محمد نجيب! هل كانت الأمور تمضى فى اتجاه ابتعاد مجلس قيادة الثورة من الحكم وعودة أحزاب ما قبل الثورة أو ظهور قوى ليبرالية جديدة أو تمكن القوى السياسية الناشطة (كالإخوان والشيوعيين) من تسلم مقاليد الأمور؟

كل هذا كان محتملا لكن شبق الثوار بالسلطة ألغى هذه الاحتمالات ونظر إلى موقف عبداللطيف البغدادى المستند إلى المبادئ على أنه موقف نظرى فحسب!!

ومن المفارقات أن مجلس القيادة رأى أن يعاقب خالد محيى الدين أو أن يحاكمه بينما كان البغدادى لا يرى هذا الرأى لأن خالد محيى الدين لم يخف توجهاته على زملائه.

وهذا على كل هو حال التاريخ.. وهو صدى الطبائع البشرية.

❑

لم تكن للبغدادى علاقة مباشرة بالرئيس محمد نجيب فيما قبل الثورة ، ولم تسجل الأدبيات المتاحة حدوث مشادات بينهما على نحو ما كان يحدث بين الرئيس نجيب والأخوين جمال سالم وصلاح سالم ، كذلك لم تسجل الأدبيات أى نوع من أنواع التحالف بينهما على نحو ما حدث بين الرئيس نجيب وكل مَنْ خالد محيى الدين ويوسف صديق ، ومع هذا فإن الأمر لم يخل من مشاركة عبد اللطيف البغدادى فى خداع محمد نجيب ، ولنأخذ على سبيل المثال ما يرويه هو نفسه عن الدور الذى قدر له أن يقوم به فى ١٧ أبريل ١٩٥٤ وهو تاريخ تخلى محمد نجيب النهائى عن رئاسة الوزارة قبل أن ينحى عن رئاسة الجمهورية بسبعة أشهر.

ونحن نرى عبد اللطيف البغدادى على حد اعترافه الصريح فى مذكراته قد لجأ إلى المناورة حتى استخلص من محمد نجيب بسهولة ما كان يريده منه هو وزملاؤه من فريق عبد الناصر.. وربما كان محمد نجيب واعيا لهذه المناورة ، وربما لم يكن على درجة كافية من الوعى ، خاصة أن البغدادى كان مباشرا ولم يكن معروفا عنه مثل هذه الأساليب. وقد دفع نجاح عبد اللطيف البغدادى فى هذه الواقعة إلى أن يمثل على زملائه أنفسهم أنه لم ينجح قبل أن ينهى إليهم خبر نجاحه ولنقرأ القصة:

«.... ومع هذا التشكيل الوزارى الجديد اقترح أيضاً فى الاجتماع - يوم ١٧ أبريل - أن يكتفى محمد نجيب برئاسة الجمهورية فقط ، وأن يتولى جمال عبد الناصر رئاسة الوزارة بدلاً منه، واقترح أن أتوجه إليه بهذا الاقتراح ومعى كمال وزكريا لمقابلته وإقناعه بذلك ، وكان الاتجاه الغالب أنه سيرفض، ولكن عندما التقينا به رأينا أن نعرض عليه الموضوع من زاوية أخرى. وبدأنا حديثنا معه على أن مجلس الثورة ينوى أن يتخذ إجراءات شديدة وعنيفة فى المرحلة المقبلة لمواجهة ميوعة الموقف الداخلى بالبلاد ، وأنه بحكم توليه رئاسة الوزارة فمن الضرورى عليه أن يتمشى معنا فى هذه السياسة وأن يكون حازماً ، وأخذنا نضرب له على هذه النغمة. لكن لما كان هو يسعى إلى التقرب من الناس عن طريق أنه رجل طيب ، وضد سياسة الشدة والعنف ، فقد رأى أنه من الأفضل له أن يبعد نفسه عن هذه المسئولية. واقترح بنفسه أن يكتفى برئاسة الجمهورية وقيادة مجلس الثورة. وعدنا إلى إخواننا بسرعة لم تكن منتظرة. وقد توقعوا أن النتيجة

التى وصلنا إليها هى الرفض منه. وكنا قد اتفقنا فى الطريق على أن نمثل هذا الدور قبل إبلاغهم بالحقيقة وموافقته. وقد قمنا فعلاً بتمثيل هذا الموقف فى البداية ، لكننا سرعان ما أبلغناهم بالحقيقة عندما لاحظنا الضيق الذى انتاب جمال عبد الناصر. وذكرنا لهم الطريقة التى تقدمنا بها إليه تاركين إياه ليقدم الاقتراح بنفسه».

❑

وعلى غير المتوقع من طبيعة البغدادى وأخلاقه وتحضره فإننا نراه كما أشرنا وحسبما يرويه فى مذكراته من أشد المناهضين [إن لم يكن أشدهم] لعودة الرئيس نجيب فى أزمة فبراير ١٩٥٤ ، وكانت وجهة نظره معبرة عما نسميه «الصدق الفنى» وهو ما يبلوره هو نفسه بقوله: «هدم للمثل والمبادئ» ، وبعبارة أوضح يقول: «كيف نستبعده اليوم لانحرافه ثم نعيده فى اليوم التالى»:

«وفى ليلة ٢٦ فبراير أبدى لنا جمال عبد الناصر استعداده لقبول الاقتراح بعودة محمد نجيب رئيساً للجمهورية وبدون سلطات ضماناً لوحدة الجيش وتفادياً لإيجاد انشقاق داخله. وقد وافقه جمال سالم على هذا الرأى ، لكن عبد الحكيم وزكريا وأنا قاومنا هذا الاتجاه لأن هذا فى حد ذاته سيكون هدماً للمثل والمبادئ التى نتحدث عنها. وكيف نستبعده اليوم لانحرافه عنها ثم نعيده فى اليوم التالى كرمز لها وللثورة ، وأن هذا يتناقض تماماً مع ما ندعو إليه. ثم كيف نسمح لأنفسنا أن نتخذ قراراً اليوم ثم تأتى قوة من الجيش وترغمنا على أخذ قرار آخر متعارضاً مع القرار السابق الذى أخذ ، وأنه بهذا الوضع لا تستقر الأمور ، وفى ظلها لا يمكن العمل ،كما أن عودة محمد نجيب ثانية فى ظل هذه الظروف ستمده بالقوة ولن يلزم حدوده وسيتعدى السلطات التى ستخوّل له مطمئناً بأننا لن نجرؤ على التصدى له خشية أن نقف نفس هذا الموقف الذى نقفه اليوم ، وربما يكون الموقف أسوأ لأن هذا سيشجع الكثيرين من المناهضين للثورة على العمل على مناوءتها بعد هذا التراجع منا ، ومعنى هذا أن الحل المقترح لن يكون إلا حلا مؤقتاً ولن يمنع الانشقاق ثانية فى المستقبل».

❑

«وتقدمت باقتراح تكليف شخص مدنى بتأليف الوزارة على أن يعيد الحياة النيابية فى أقصر وقت ممكن ، وأن يحل مجلس قيادة الثورة وتظل استقالة محمد نجيب قائمة».

وفى موضع آخر من مذكراته يشير البغدادى إلى حوار بينه وبين جمال سالم ، ويتضح لنا من هذا الحوار أن البغدادى وصل إلى اعتقاد بأن عبد الناصر هو الذى دفع بمحمد نجيب إلى اتخاذ موقفه وهو يقول :

«وقد شمل حديثنا (أى حديثه مع جمال سالم) أيضاً موقف محمد نجيب وجمال عبد الناصر ، وكيف أن محمد نجيب كان فى البداية خاضعاً ولا حول له ولا قوة ، ولكن محاولات جمال المستمرة بأن يظهر أنه المحرك الأساسى للثورة وأنه هو كل شىء ، وأن محمد نجيب ما هو إلا صورة هى التى دفعته إلى القيام بهذه التصرفات التى أخذها المجلس عليه وهو ـ أى محمد نجيب ـ كان يحاول أن يظهر أمام الشعب رداً على ذلك بأن له كيانه كقائد للثورة ، فأخذ يدلى بتلك التصريحات المختلفة ، وأصبح الموضوع مزايدات سياسية بينه وبين جمال فى خطبهم عن الدكتاتورية والحريات والحياة النيابية.. إلخ».

«ولقد تطور حديثنا إلى التفكير معاً فى إيجاد حل لهذا المشكل القائم داخل مجلس الثورة ، وكان جمال سالم يرى أن ينسحب الأعضاء المختلفون مع الأغلبية على أن يبقى الباقى منهم كمجلس للثورة ، وكنت مختلفاً معه فى هذا الرأى ، رغم أننى لست مستريحاً لتلك الأوضاع الجارية فى المجلس ، واعتقادى أن الحل الذى يراه سينتج عنه فقدان ثقة الشعب فينا لأنه لا يعلم الحقيقة ولن يعلمها ، واقترحت عليه حلاً آخر ، وهو أن يتولى محمد نجيب رئاسة الجمهورية مع تحديد اختصاصاته حتى لا يحيد عنها ، وعلى أن ينسحب أعضاء مجلس قيادة الثورة من السلطة التنفيذية ويبقى كمجلس له سلطة السيادة فى حدود الدستور المؤقت ، وتكون مهمته الأولى الرقابة للمحافظة على أهداف الثورة ورسم السياسة العامة ، وأن تشكل الهيئة الاستشارية وتحدد اختصاصاتها وتشكل كذلك وزارة مدنية تكون مهمتها تنفيذ السياسة التى ترسم لها».

«وكان لجمال سالم نقطة اعتراض على هذا الحل الذى اقترحته ، وهو أن الوضع سيظل قائماً كما هو ولن يتغير لأن الوزراء المدنيين سيلجأون إلى جمال عبد الناصر فى كل شىء ـ على حد قوله ـ فأجبته بأن الحل لذلك هو أن يعين جمال عبد الناصر رئيساً للوزارة المدنية لتغطية هذه النقطة التى أثارها ويصبح هو ـ أى جمال عبد الناصر ـ كحلقة اتصال بين مجلس الثورة ومجلس الوزراء ، فوافق جمال سالم على تلك الفكرة ومعلقاً عليها بقوله: إن ذلك يحافظ على بقاء مظهر وحدة المجلس ، وعليه أن يجتمع مرة كل أسبوع حتى يكون فى الصورة بالنسبة لما يجرى فى البلاد ، ونتجنب بذلك الحل الهوة التى نراها أمامنا ، وتصبح المسئولية التاريخية واضحة».

ثالثا : علاقة البغدادى وعبدالحكيم عامر : نستطيع أن نقول إن مصدر «الحيرة العظمى» فى مذكرات البغدادى المتعددة ربما يكمن فى عجزه عن تفسير تلك العلاقة الخاصة بين جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر ، ويهيأ لى كما يهيأ للقارئ لهذه المذكرات أن اختفاء عبدالحكيم عامر عقب حرب ١٩٥٦ مثلا كان كفيلاً بأن يغير صورة مصر والعالم العربى كله ، ذلك أن سرد البغدادى وتحليله للحوادث المتعاقبة كان يصب فى هذا الاتجاه.

ولا أستطيع أن أنكر أننى طوال قراءة هذه المذكرات كنت أحدث نفسى بضرورة القضاء على ذلك الشبح الذى تصوره شخصية وتصرفات عبدالحكيم عامر (مع أنى أعلم أن هذا لم يكن إلا مجرد حلم غير قابل للتحقيق) ، وهكذا فقد ظلت عقدة الأحداث تتصاعد إلى ذروتها طيلة وجود عبدالحكيم عامر فى بؤرة الأحداث ، ونقاد الأدب قادرون على أن يدلونا من خلال تطبيق الدراسات النفسية وتحليل المضمون أنه لم تكن مصادفة أن مذكرات البغدادى انتهت بوفاة عبدالحكيم عامر فى الصفحة الأخيرة منها.

ويخيل إلى بعض قراء التاريخ المكتوب حتى الآن أن أزمة البغدادى الحقيقية لم تكن فى هذا التناطح الواضح بين شخصية عبد الناصر وشخصيته ، بقدر ماكانت تتمثل فى وجوده قبل عبد الحكيم عامر فى الأقدمية ، وأنه كان لابد أن يفسح هذا المكان أو الموقع المتقدم أمام عبد الحكيم ، ومن ثم فقد كان مطلوباً من البغدادى أن يتراجع على نحو ما تراجع زكريا محيى الدين ، وذلك ليرضى عبد الناصر وعبد الحكيم كليهما وعلى حين فعل زكريا محيى الدين هذا حين قبل بتخطى عبد الحكيم له منذ مرحلة مبكرة برضاه فإن البغدادى لم يفعل ، ولم يتح لعبد الحكيم عامر أن يتقدم إلى موقع النائب الأول للرئيس إلا بعد خروج البغدادى بالاستقالة.

❑

هل كان البغدادى حساساً تجاه عبدالحكيم إلى هذا القدر؟ وهل قادته هذه الحساسية إلى أن يقدم صورة عبد الحكيم فى مذكراته فى صورة لا ترقى إلى حقيقة ذلك الرجل، ربما يسهل على بعض الباحثين أن يصل إلى هذه النتيجة فى يوم من الأيام ويعيد النظر فى كثير من الوقائع على ضوء هذا الزعم.

ولكننى أستطيع أن أقول إن الحقيقة كانت فى صف البغدادى بأكثر من مائة فى

المائـة ، ورغم تعـاطفى الشـديد مع عـبدالحكـيم عامـر إلا أننى لا أسـتطيع أن أزعم أن البغـدادى كان يحس تجاه عـبدالحكيم بشىء من الغيـرة أو الحقد أو أنه كـان ينفس عليه موقعه ، فقد كان البغدادى يشعر بكل تأكيد بقيمة نفسه وبتفوقه على عبدالحكيم فى كل شىء.. بل وقد كان عبـدالناصر نفسه يشعر بذلك ، وعندى من الدلائل كـثير جداً على هذا الذى أقوله ، ولكنى أكتفى بأن أدل القارئ على أن عبدالحكيم نفسه عين قائداً عاماً للقوات المسلحـة عند إعلان الجمهورية ، ولـكن البغدادى كان قد عـين فى نفس اليوم وزيراً للحربية. وقـد كان تعيينه وزيراً فى نفس اليـوم الذى دخل فيه جمال عـبدالناصر الوزارة ، بينما لم يكن عبدالحكيم قد نال أى منصب وزارى بعد.

كذلك فإن البغدادى ظل دائماً متقدماً على عبدالحكيم عامر فى البروتوكول رغم أن عبدالحكيم تخطى كثيراً من زملائه بمن فـيهم زكريا محيى الدين وأنور السادات ، ولكن عـبدالناصـر نفـسه لم يـمكن عبـدالحكيم أبداً من التـقـدم على البـغدادى ولم يصـبح عبدالحـكيم نائباً أول لرئيس الجمهـورية ـ كما ذكرنا ـ إلا بعـد أن استقال البـغدادى فى مارس ١٩٦٤.

ربما يكون الاستثناء الوحيد أن عبـدالحكيم عامر كان نائب رئيس مجلس الدفاع فى سبتمبر ١٩٦٢ ولكن هذا كان بحكم منصبه ، وقد ظلت الرئاسة لعبد الناصر.

وقد رأس البـغدادى نفسـه مجلس الرياسة بالنيـابة عن عبدالناصـر فى الجلسة التى حضرها عـبدالحكيم كعضو فى المجلس وجرت فـيها مناقشة مشـروعات القرارات التى تقدم بها عبد الناصر فيما يختص بقواعد تعيين قادة القوات المسلحة.

ولكن هذا لا يمنعنا أن نذكر أن عبـدالحكيم كان ضائقاً بوجود البـغدادى وغيره فى موضع متقدم عنه ، ونحن نرى البغدادى كثيراً ما يحدثنا عن بعض الوقائع التى استشهد له بها جمال عبدالناصر فى معرض حديث لعبد الناصر مع البغدادى روى له فيه معاناته من عبدالحكيم ، واستشهد على هذه المعاناة بأكثر من قصة.

ومن مذكرات عبد اللطيف البغدادى نفسـه نقتطف ما يروى به البغدادى وجهة نظر عبد الناصر فى حديثه عن متاعبه من عبد الحكيم عامر:

«.... وذهبت إلى جمـال كمـا سبق أن اتفقنا وأخـذ يتحدث مـعى عن مشكلة عـبد الحكيم وموضـحا أن المشكلة قديمة وليـست وليدة الظروف الأخيـرة فقط ، وقص علىّ عدة قصص مختلفة يعتقد هو أنها قد أثرت فى تصرفات عبد الحكيم».

«وقصته الأولى هى أن زكريا كان قد اقترح فى أثناء التعديل الوزارى الأخير بعد الاستفتاء على الدستور وعلى رئاسة جمال للجمهورية أن يوضع عبد الحكيم فى أول القائمة فى التشكيل الجديد حتى يصبح عبد الحكيم بذلك أقدم وزير ، أى أن يتقدم علىّ وعلى زكريا أيضا ، وذكرنّى جمال بالاتصال التليفونى الذى كان قد أجراه معى وطلب فيه مقابلتى ، ومن أنه كان لهذا الغرض ، ويقول جمال: إن القصة كانت قد بدأت بذهاب زكريا إلى عبد الحكيم ، وقام بعرض هذا الاقتراح عليه ، ووافق عبد الحكيم على اقتراحه ، ثم قام زكريا بهذا الاتصال التليفونى بى لنلتقى معا وليعرض علىّ نفس الاقتراح ، وذهب إلى جمال قبل أن نلتقى وأخبره باقتراحه ، ولكن جمال اعترض عليه ، ولهذا فقد أعاد زكريا الاتصال بى تليفونيا ومن منزل جمال واعتذر عن اللقاء الذى كنا قد اتفقنا عليه ، وذاكراً لى قصة أخرى بعيدة عن هذا الاقتراح والذى كان يرغب فى لقائى بسببه».

«ويقول جمال عبد الناصر: إن سبب اعتراضه هو تأكده من أننى لن أعترض على اقتراح زكريا ، ولكن ربما هذا الأمر يضايقنى ، وأنه قال لزكريا إن سبب مشكلة صلاح سالم كانت هى هذه المسألة ، مسألة أقدميات أعضاء مجلس الثورة ـ على حد تعبيره ـ وذاكراً له أننا نسير على أقدميتنا بالجيش من يوم قيام الثورة حتى تلك اللحظة ، وليس هناك ما يدعو إلى تغييرها لأن هذا سيسبب لنا المتاعب. ويستطرد جمال ويقول لى: «وعلى أى أساس سيختار عبد الحكيم ، صحيح أن عبد الحكيم صديقى وأتمنى له أن يكون رئيسا للجمهورية ، ولكن مصلحة الوطن فوق كل شيء ، وأنا أعرف عبد الحكيم أكثر من أى شخص آخر ، زد على هذا البلد بتقول إن جمال عبد الناصر قد تخلص من جمال سالم وصلاح ليدفع عبد الحكيم إلى الأمام».

«وقال جمال أيضا: إنه كان قد اتصل بعبد الحكيم تليفونيا فى أثناء وجود زكريا عنده ، وأقنعه بخطورة نتائج هذا الاقتراح ، وأن عبد الحكيم وافقه على استبعاده ، ولكن زكريا تحدث مع عبد الحكيم بعد انتهاء جمال من حديثه معه ، وقام بعرض اقتراح آخر عليه ، وذلك بأن أظل أقدم وزير ثم يلينى عبد الحكيم ، ووافق عبد الحكيم على ذلك ، ولكن جمال عاد واعترض أيضا على ذلك الاقتراح وبرر اعتراضه بأن هذا سيفسر أمام الرأى العام على أن الغرض منه هو دفع عبد الحكيم إلى الأمام ، وذلك عن طريق التخلص من البغدادى أيضا ، بأن يصبح رئيسا لمجلس الأمة ، وكان قد تم الاتفاق

بيننا فى أثناء مناقشة مشروع الدستور بأن أرشح نفسى لتولى رئاسة المجلس ، ويقول إنه أصر على إعلان تشكيل الوزارة الجديدة بنفس الأقدميات السابقة لأعضاء مجلس الثورة السابقين دون تغيير».

«وقال جمال: «بعد حدوث هذا الموضوع أحسست أن عبد الحكيم قد فقد ميزته الوحيدة وهى عدم اهتمامه بتلك المظاهر ، وأصبح شخصية مختلفة عما كنت أعرفه من قبل».

«أما القصة الثانية ـ على حد قول جمال فقد كانت يوم تسليم قلادة النيل لأعضاء مجلس قيادة الثورة فى حفلة نادى ضباط الجيش بالزمالك ، وسألنى جمال عما إذا كنت قد لاحظت أن عبد الحكيم هو الشخص الوحيد من المجلس الذى وقف بعد أن تسلم القلادة ورفعها نحو ضباط الجيش فأخذوا يصفقون له ، وهذا فعلا كان قد حدث».

«ويستطرد جمال قائلا: «وفى ثانى يوم لتسليم القلادة حضر إلىّ عبد الحكيم وقال لى: هل تعلم ماذا يقول الضباط؟».

«ولما سأله جمال عما يقولون قال: «إنهم يقولون لماذا قائدنا أقدميته فى الديل كده؟».

«فرد عليه جمال بقوله بأنهم يبقوا...».

«ويقول جمال: إنه أحس أن غرض عبد الحكيم هو الضغط عليه ، وأنه قد أصبح يشعر بعد ذلك أن علاقة عبد الحكيم به لم تصبح كما كانت فى الماضى».

....

«أما القصة الثالثة فهى أنه عندما سافر جمال إلى يوغوسلافيا فى يوليو ١٩٥٦ ، وكنت مرافقا له فى تلك الزيارة ، وكان قد عين زكريا نائبا عن رئيس الجمهورية فى أثناء غيابه ، ويقول جمال: إنه كان قد رأى أن أسهل الحلول هو أن يعين مَنّ ينوب عنه حسب الأقدمية الموجودة بين المجموعة ، ولكن بعد عودتنا من يوغوسلافيا وقالوا له كيف يعين زكريا نائبا عن الرئيس؟ وأنهم كانوا يعتقدون أن الرئيس قد أخذ البغدادى معه فى هذه الرحلة ليعين عبد الحكيم نائبا عنه فى أثناء غيابه ، ذلك أنهم ـ على حد قولهم ـ لا يعترفون بزكريا».

«أما القصة الرابعة فقد حدثت عند دراستنا لموضوع تأميم القناة ، فرغم أن عبد الحكيم كان يعلم أننا نقوم بدراسة هذه العملية ، لكنه ذهب إلى الإسكندرية ، وبقيت أنت وزكريا معى فقط».

«وخامسها هو أن كمال الدين حسين كان قد عين قائدا لجيش التحرير ، وقد تم هذا بالاتفاق مع عبد الحكيم قبل أن يجتمع مجلس الثورة لمناقشة الموضوع ـ على حد قول جمال ـ ورغم هذا فقد حورب كمال بواسطة اللواء عبد الفتاح فؤاد وضباط آخرين من الجيش ، واضطر جمال أن يطلب من كمال ترك جيش التحرير ، وأما عبد الحكيم فلم يحاول وقف هؤلاء الضباط عند حدهم ، لكنه بدلا من هذا ذهب إلى جمال ، وقال له: «الضباط بتقول هل فيه قيادتان عسكريتان فى البلد؟ ولا كمال هو القائد العام المنتظر؟».

❑

ومن حسن الحظ أن رأى البغدادى فى أداء وشخصية عبد الحكيم عامر قد صيغ فى منتهى الوضوح عند حديثه فى مذكراته (١٩٧٧) عن تعيين عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للقوات المسلحة عند إعلان الجمهورية فى (١٩٥٣) حيث يقول:

«.... وكنت معتقدا أن جمال عبد الناصر لم يرشح عبد الحكيم لتولى قيادة الجيش إلا لغرض سياسى ، وأنه يهدف إلى أن تصبح له السيطرة السياسية دون باقى المجلس ، وذلك عن طريق مساندة الجيش له ، وأن الذى يضمن له ذلك هو تعيين عبد الحكيم قائدا عاما له معتمدا على قوة الصداقة المتينة والتفاهم القائم بينهما ، كما كنت أخشى أيضا من تولى عبد الحكيم أمر الجيش أن يصبح الجيش فى المستقبل أداة تدخل فى السياسة العامة ، ومدى خطورة هذا على مستقبل البلاد ، لذا رأيت أن أعترض على اقتراح جمال مبينا أنه من الأفضل أن يتولى أمر الجيش ضباط محترفون للتفرغ له والابتعاد به عن السياسة ، وذاكرا أن الجيش إذا تدخل فى السياسة فسد الجيش وفسدت السياسة أيضا ، وأن هذه محصلة تجارب على مدى التاريخ ، ولكن جمال عبد الناصر تمسك باقتراحه مبينا أنه من المستحيل أن يكل أمر الجيش لشخص غريب وليس منا

فيتحكم فى رقابنا على حد تعبيره. وموقفى هذا من تعيين عبد الحكيم خلق حساسية منه نحوى لم أعلم بها إلا فيما بعد من جمال سالم».

«وعندما أعلن قرار تعيين عبد الحكيم قائدا عاما للجيش تقدم قائد سلاح الطيران اللواء حسن محمود باستقالته من القوات الجوية ورفض أن يستمر فى منصبه احتراما لرتبة اللواء التى كان يحملها على حد قوله ، ولأن عبد الحكيم الذى كان صاغا ثم رقى إلى رتبة اللواء دفعة واحدة سيرأسه وهو لا يرضى لنفسه بهذا الوضع، وظل متمسكا بموقفه رغم محاولتى مع حسن إبراهيم إقناعه بالاستمرار ، وكان ذلك بتكليف من المجلس لنا ، ولكنه أصر على موقفه احتراما للأقدمية العسكرية ، وفرّق بين منصب القائد العام كمنصب عسكرى ومنصب وزير الحربية كمنصب سياسى ، وأنه لا يضيره من يشغله ، وتبعا لهذا الإصرار منه قبلت استقالته وعين بدلا منه الطيار محمد صدقى محمود».

ويستطرد البغدادى من هذا الحديث مباشرة إلى الحديث عن نتائج تعيين عبد الحكيم عامر قائداً للجيش فيقول:

«... وكان من نتائج تعيين عبد الحكيم قائدا عاما للجيش أن أبعد باقى أعضاء المجلس عن وحداتهم العسكرية تدريجيًا بحجة أن نترك حرية العمل لعبد الحكيم حتى لا نتسبب فى سوء تفاهم بيننا لو استمرت علاقتنا بزملائنا الضباط ، وعمل على إبعاد زملائنا عنا بواسطة ضباط مكتب عبد الحكيم ، وكان ذلك يجرى بتهديدهم أو بحجة ابتعادهم عنا حتى لا يضاروا ، وكان يعمل فى نفس الوقت على تقريبهم من عبدالحكيم بخدمات تقدم إليهم حتى أصبح لا هم للكثير من الضباط إلا التقرب من عبد الحكيم وجمال عبدالناصر ، أو إلى مَنْ هم قريبين منهما طمعًا فى منصب أفضل أو خدمة تؤدى لهم ، وأصبح الجيش بذلك مع مرور الوقت أداة قوة فى يد جمال وعبد الحكيم ، وانعزلنا نحن نهائيا عنه ، ونتج عن هذه السياسة فساد الجيش ، مما ترتب عليه نتائج وخيمة عسكرية وسياسية».

❑

وفى مذكرات البغدادى أكثر من فقرة مهمة جداً تصور انطباع البغدادى وانطباعات زملائه عن طبيعة العلاقة بين عبدالناصر وعبدالحكيم عامر والاختلافات بينهما ، ومن

هذه الفقرات تلك التى يرويها عقب حديثه عن الخلاف الذى وقع بين الرجلين فى نهاية ١٩٦١ وبداية ١٩٦٢ فيقول:

«... وجاء فى يومياتى أيضاً تعقيباً على هذا الحديث الذى جرى: لقد وضح لى من حديث جمال أنه قلق ويخشى أن يقدم عبدالحكيم على عمل يضعه ويضعنا معه فى مأزق يضار به الصالح العام ، وهو يود أن يبعده عن الجيش ، وعلى أن يكون ذلك بموافقة جميع الإخوان ، ولكن أغلبهم قد تعلم من الماضى ، ذلك لأن «جمال» غالباً ما ينتهى فى مثل هذه الخلافات مع عبدالحكيم إلى اتفاق معه ، وبتنازلات منه أيضاً لإرضائه ، وقد تكرر هذا فى الماضى وليس من المستبعد أن يحدث ذلك ثانية».

هكذا يرينا البغدادى بوضوح أن أحدا من زملائه (بمن فيهم هو نفسه) لم يعد على استعداد لأن يتدخل بين الرجلين اللذين كانا يعودان إلى بعضهما رغم كل شىء.

❑

وعلى كل الأحوال فإن العلاقة الثلاثية بين الزملاء الثلاثة : عبد الناصر وعبد الحكيم وعبد اللطيف البغدادى تحتاج إلى تأمل عميق جداً وسوف نتناولها بعد فقرات معدودة ببعض التفصيل الذى تستحقه من حيث هى تجربة إنسانية تتعلق بشبان أتيح لهم على حين فجأة نفوذ واسع وجاه عريض ، بينما كانوا لا يزالون غير مستعدين نفسيا ولا عقليا لهذا النفوذ ولا لهذا الجاه ، ولم يكن أى منهم أو من زملائهم ينظر إلى مقدار ما أنعم الله به عليه بقدر ما كان ينظر إلى ما يحظى به زميله الذى يعتبره أقل منه حظا فى القدرات أو أقل منه إسهاما فى إنجاز العمل الذى مكن من هذا النفوذ كله ، أو أقل منه محافظة على هذا المجد.

ومن الممكن لنا بعد التأمل فى نصوص كثيرة أن نجد دلائل قوية على ما يراه البعض من أن عبد الناصر كان قادراً على أن يستغل علاقته بكل من عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادى لمصلحته هو نفسه فى المقام الأول ، ولمصلحة بقائه هو مسيطرا ونافذا فى الموضع الأول ، ولكن يبدو فى نفس الوقت أنه (أى عبدالناصر) لم يكن قادراً على تطويع كليهما من أجل عمل الفريق ويبدو لى أنه لم يكن قبل هذا قادراً على تطويع نفسه هو لعمل الفريق.

وهذا هو جوهر ما أحب أن أذهب إليه بعيداً عن فكرة التآمر من عبد الناصر على كلا الرجلين أو على زملائه ؛ ذلك أن قيادة المجموعات الصغيرة تحتاج مهارات لاتقل

بحـال مــن الأحــوال عن المهـارات التى تتطلبها قيـادة المجموعات الكبـيرة ، وظنى أن عبـد الناصر كان أكـثر مهـارة فى قيادة المجـموعات الـكبيرة منه فى قـيادة المجمـوعات الصغيـرة ، ولقد كان مؤكداً أن عـبد الناصر سيكون أكثـر نجاحا وأقل فشلا لو اسـتمر رجال من طراز البغـدادى معه ولو استمـر عبد الحكيم نفسـه معه حسبـما يقضى المنطق الصحيح لا المنطق الشخصى.

وقصارى مـا أستطيع أن أشير إليـه اليوم بعد مرور الـسنوات هو أن نُعنى فى تربيتنا لأولادنا ولتلاميذنا بتدريبهم على روح الفـريق ، وتقبل الآخر ، والتسامح ، وسعة الأفق حتى إذا ما كـان اثنان منهما فى مـواقع متقدمة حـافظا على نفسيـهما ، وعلى بعضـهما كـذلك ، أمـا مـا عـدا ذلك فـهـو بكاء على اللبن المسـكوب وربما على البن (القـهـوة) المسكوب.

❑

رابعًا : علاقة البغدادى وزكريا محيى الدين: نأتي الآن إلى العلاقـة الثانية التى لايتوافـر عنها قدر كـبير من أدبيات تاريخـنا المعاصر مع أنها فى رأيـى أهم علاقة فى علاقـات الثوار جميـعا فقد كان هذا الـثلاثى (البغدادى ـ عبد الناصـر ـ زكريا) قادراً على أداء دور من أروع ما يمكن لمصر لو أن تعليمهم الأولى وتربيتـهم الأولى قد نميا فيهم روح الفريق ، ولوكان هذا قد حدث لسبقت مصـر بهؤلاء الثلاثة كل الدول التى بدأت تستعيد دورها بعد الحرب العالمية الثانية، ولكن هذا لم يحدث للأسف.

من ناحية أخرى فإن الأدوار التى لعبها كل من زكريا والبغدادى كانت محدودة جداً بالنسبة إلى قدراتهما المتميزة وجلدهما وحبهما لوطنهما.

وقد ترك لنا عبد الناصـر نفسه فى أكثر من موضع الانطباع الصـادق بتقديره لزكريا وعبـد اللطيف البغـدادى ويكفى ماذكـره عبـد الناصر بعد حـرب ١٩٥٦ من أن هذين الرجلين كانا أكثر زملائه حماساً وتأييدا له ودعماً فى حرب ١٩٥٦ .

وقد أوردنا فى موضع آخر فقرات مطولة عن ملازمة البغدادى لعبد الناصر كظله فى هذه الحرب ، وليس بخاف على أحد دور زكـريا محيى الدين فى قيادة المقاومة الشـعبية التى كانت قد أصبحت بمثابة جيش المواجهة المصرى فى هذه الحرب.

وبوسعنا أن نورد هنا شـهادة مهمـة لأحمد حمـروش فى كتابه قصـة ثورة ٢٣يوليو حيث يقول:

« .. قال جمال عبد الناصر فيما بعد إن أكثر اثنين من أعضاء مجلس القيادة أظهرا حماسا وتأييدا لاقتحام المعركة كانا عبد اللطيف البغدادى وزكريا محيى الدين . وعندما انتهت المعركة وانسحب جنود الاحتلال ، ذهب عبد اللطيف البغدادى إلى بورسعيد لإعادة تعميرها ، وأصدر أوامره بجمع السلاح من الأهالى ..... ولم يتردد أفراد الشعب فى تسليم أسلحتهم ، وكان يرضيهم فقط أن يحصلوا على شهادة تقول « فلان كان يعمل فى المقاومة الشعبية وأدى دوره بأمانة وشرف » .

ولست بحاجة إلى أن أنقل فقرات أخرى من مصادر أخرى تؤكد هذا المعنى الذى رواه أحمد حمروش فهو متواتر فى الكتابات المتوافرة عن تلك الفترة .. ولكنى سأنتقل بالقارىء مباشرة إلى تفنيد المعنى الذى أفاض فيه البعض عقب وفاة عبد الناصر وهو أن أحدهما (زكريا) كان المسئول الأول عن الإساءة إلى علاقة الثانى (البغدادى) بعبد الناصر.

ونحن نرى محمود الجيار وهو أحد الضباط الأحرار من الصف الثانى حريصاً على [إنجاز] هذا الإيقاع بين زكريا والبغدادى ، وعلى تصوير زكريا وكأنه كان يحفر الحفرات للبغدادى ، على حين لم يكن البغدادى ينتبه لهذا الحفر لولا تنبيه الجيار له.

ومن العجيب ، وليس هناك عجيب فى أمر النفس البشرية أن نقرأ روايات مفصلة من هذا النوع تزعم أنها تحيط بمدى التنمر الذى كان أحدهما (زكريا) يتربص به للآخر (البغدادى).

وأيًّا ما كان قدر الصدق فى رواية ضياء الدين بيبرس (وصلاح حافظ) عن محمود الجيار التى سننقلها بعد قليل فإن القارئ لا يجد نفسه إلا عاجزاً تماماً عن أن يصدق تفصيلاتها على هذا النحو الذى رُويت به القصة وبخاصة خاتمتها البيبرسية الدرامية.

كما أن القارئ يجد نفسه وهو يشعر بشعور مشاهدى السينما حين تحتدم الدراما وتسرع دقات قلبه، وهكذا يتمنى القارئ للزملاء الثلاثة: عبد الناصر والبغدادى وزكريا التوفيق فى علاقاتهم الأخوية ، وهو ما لم يحدث للأسف ، وكان الخاسر الأعظم هو وطننا العظيم.

نأتى إذاً إلى الرواية المطولة التى وردت فى كتاب «الأسرار الشخصية لجمال عبدالناصر» لضياء الدين بيبرس (فيما ينسبه إلى محمود الجيار) حيث يتعاطف

الراوى مع عبد اللطيف البغدادى على حساب زكريا محيى الدين الذى يزعم الجيار أنه كان يسعى للإيقاع بينه وبين عبد الناصر ، وهنا جاء دور محمود الجيار الذى نجح فى أن يفتح عينى عبد اللطيف البغدادى على هذه الحقيقة ، وسنورد من الرواية الطويلة الفقرات التى تتعلق بهذه العلاقة.

تتحدث فقرات الرواية عن أزمة مديرية التحرير فى مجلس الأمة التى تناولناها وروينا وجهة نظر البغدادى فيها إلى أن يصل الجيار إلى رواية تكليف عبد الناصر له بالعمل على اصطحاب البغدادى إلى الرئيس ، وهى الواقعة التى أشار إليها البغدادى نفسه فى مذكراته بالفعل ونقلناها عنه.

يقول ضياء الدين بيبرس على لسان محمود الجيار:

«... أسرعت أجرى وراء البغدادى وهو متجه إلى مكتبه فى مجلس الأمة ودخلت وراءه ففوجئت بأن زكريا محيى الدين هناك ، وفوجئت به يسألنى : رايح فين؟ قلت له: رايح أكلم رئيس المجلس ».

«وبدأت محاورة لا أنساها بينى وبين عبد اللطيف البغدادى. قلت له : لا يمكن أن ينتهى الأمر برجال الثورة إلى شىء كهذا .... قال : ولايمكن أن ينتهى الأمر بتحريض مجدى والطحاوى وطعيمة للنيل منى ، والطعن فىّ هنا وهناك».

«وإذا بزكريا محيى الدين يقول له: وهو انت بس؟ ما أنا كمان بيهاجمونى ، كان واضحاً أنه ، بدلا من أن يهدئه ، يتعمد إثارته».

«وواصلت حديثى إلى البغدادى أقول له : أتحدى أن يكون عبد الناصر قد حرض مجدى والطحاوى وطعيمة عليك ، بل أتحدى مَنْ يقول إن عبد الناصر لم يأمرهم بالكف عن هذا الهجوم ، ولم أكن أكذب وأنا أقول ذلك ، فقد سبق فى إحدى جلسات مجلس الأمة أن كان مقعدى أمام مجدى والطحاوى وطعيمة ، وسمعتهم يهاجمون البغدادى رئيس المجلس ، طول الوقت ، ساءنى ذلك ، خاصة وأننا فى أول تجربة نعمل فيها خارج تنظيم الضباط الأحرار ، ونمارس فيها العمل السياسى فى إطار الدستور ومن مصلحتنا جميعاً ، بل من مصلحة مصر كلها ، أن تنجح الديمقراطية » .

« ويومها رويت لعبد الناصر ماحدث ، كعادتى فقد كنت لا أخفى عنه شيئا ، واستاء عبد الناصر أيضا ، وكان موجودا فى ذلك الوقت صلاح دسوقى . فقال

عبدالناصر لى : اذهب مع صلاح الآن وقابلهم وقل لهم إننى آمرهم بأن يكفوا ألسنتهم عن البغدادى وإلا فإنى سأقطعها! ولم يكن فى هذا التعبير إساءة كما قد يبدو للوهلة الأولى .فعبد الناصر كان مدرساً فى كلية أركان الحرب ، ويملك أن يعنف هذا الجيل من الشبان الذين يعتبرهم أخوته الصغار ، ويعلم أنهم سيحترمون توجيهه ».

ثم يردف الجيار :

«تذكرت هذه القصة وأنا أحاول أن أهدئ غضب عبد اللطيف البغدادى . وقلت له: ليس صحيحا أن عبد الناصر هو الذى يحرضهم ضدك ، وفى قاعة المجلس الآن صلاح دسوقى وهو صديقك ومن أنصارك . اطلبه واسأله عن الرسالة الشفوية التى كُلف معى بإبلاغها إلى الذين يهاجمونك ورويت له ملخص الرسالة . فبدأ (البغدادى) يهدأ ثم التفت إلى زكريا محيى الدين قائلاً: ما تيجى نتغدى سوا.قال زكريا : لا أنا تعبان رايح أنام. فانتهزت الفرصة وقلت للبغدادى: أنا جاى معاك ، ولم أكن اتوقع وقتها ماحدث بعد ذلك!».

❑

ونأتى إلى الموضع الذى اقترح فيه محمود الجيار على عبداللطيف البغدادى وألح فى اقتراحه أن يذهبا إلى جمال عبد الناصر حيث حدثت المفاجأة الدرامية ونحن نرى الجيار فى هذه الرواية ينسب الفضل فى هذه المبادرة إلى نفسه ، بينما نرى البغدادى فى مذكراته يشير إلى أن الجيار كان مكلفا من قبل الرئيس عبد الناصر:

يقول محمود الجيار فيما ينسبه إليه ضياء الدين بيبرس:

«... ركبت مع البغدادى سيارته وكان معه سعد البغدادى شقيقه فذهبنا نوصله إلى بيته أولا وبعد أن أوصلناه عدنا فى اتجاه بيت عبد اللطيف ، وفجأة خطر فى ذهنى خاطر قلت له :«إن عبد الناصر يتابع دائما جلسات مجلس الأمة من خلال خط تليفونى بمكتبه بالمنزل ، ولا أريد أن ينام وهو متألم مماحدث ، فما رأيك لو مررت عليه الآن وغسلت ما فى نفسه؟ فتردد البغدادى بعض الوقت ، ولكنى ألححت عليه إلى أن وافق واتجهت السيارة بنا إلى بيت عبد الناصر».

«وفى الطريق خطر لى خاطر آخر ، وضعت يدى فى جيبى ، فوجدت أن كل ما معى ١٢ جنيها فقلت لعبد اللطيف البغدادى: ما رأيك فى رهان بمبلغ ١٢ جنيها من

جانبى ، وقرش واحد من جانبك. قال: على ماذا ؟ قلت: على أننا سنجد زكريا محيى الدين الآن عند عبد الناصر قال البغدادى: ياراجل حرام عليك .. زكريا راح بيتهم علشان ينام قلت: فى هذه الحالة تكسب ١٢ جنيها ، ألا يسرك أن تكسب هذا المبلغ؟ وضحك البغدادى لأول مرة منذ غادرنا مجلس الأمة وقبل الرهان».

«ووصلنا إلى بيت عبد الناصر واذا بنا نجد سيارة زكريا بالفعل فى فناء البيت! واحتقن وجه عبد اللطيف البغدادى .. وصدر عنه تعليق ينبىء عن خيبة أمل فادحة . وتركت البغدادى فى حجرة الانتظار ، ودخلت أخبر عبد الناصر بقدومه ... فوجدت معه زكريا . وأمر عبد الناصر بأن يدخل فورا عبد اللطيف البغدادى ، فخرجت وعدت به ... وتركت الثلاثة معا».

❑

وعند هذا الحد يصل ضياء الدين بيبرس إلى الخاتمة التى يريد بها أن يدلنا على معنى غريب وشاذ قد نعجب له ، ولكنه يبدو غير غريب فى إطار الصورة التى كانت تقدمها حلقات المذكرات فى تلك المرحلة المبكرة التى كان الرأى العام فيها لا يزال مستعدا لتمرير أو ابتلاع كل المبالغات:

«كان محمود الجيار يشعر أن فى الأمر شيئا لم يتضح بعد . وكان عبد الناصر قد لمح بذكائه أن لديه شيئا يريد أن يقوله ، فطلب إليه أن ينتظر فى البيت ، ولا ينصرف . وانتظر الجيار إلى أن خرج زكريا وعبد اللطيف . ثم استدعاه عبد الناصر وسأله : ماذا كنت تريد أن تقول ؟ ».

« فروى الجيار له ما حدث عندما رأى عبد اللطيف البغدادى سيارة زكريا ، وكيف فوجىء ...... وعلق تعليقا جارحا . وأضاف الجيار : ولو تركتنى وقتا كافيا مع البغدادى لعرفت منه السر . ولكن عندى إحساسا بأنه كان بينهما تدبير ما ، ولو تركت لى الفرصة لعرفت هذا التدبير .فقال عبد الناصر : لا تدع الشكوك تعبث بك ، ومع ذلك ، لامانع من أن تحاول ، اذهب إلى البغدادى غدا ، وخذ معك « صلاح دسوقى » واعرف منه القصة كلها ».

ونواصل قراءة ما يرويه الجيار :

«... فى اليوم التالى ذهبت فعلا ، ومعى صلاح دسوقى ، وقابلنا البغدادى فى نادى

هيلوبوليس . حيث كان يلعب رياضته المفضلة وقتها ، الاسكواش راكيت ، وانتظرنا إلى أن فرغ من اللعب . وجاء يجلس معنا . وبادرته قائلا : فين القرش صاغ ؟ قال: قرش إيه ؟ قلت : قرش الرهان . هل نسيت؟ لقد جئت خصيصا لأطالبك به ! فضحك البغدادى طويلا ، ثم قال لى :لا أدرى كيف استدرجتنى إلى الكلام».

«ولكنه ـ أى البغدادى ـ على عكس ما يوحى رده ، كان مستعداً للكلام . وكان يعرف أننى لابد سأبلغ عبد الناصر ، ولكنه برغم ذلك لم يخف شيئا . قال بإيجاز إنه اجتمع مع زكريا محيى الدين ، وكمال حسين ، وزميل رابع ، وتناقشوا معا فى أن عبدالناصر لم يعد يستشيرهم أو يشركهم فى شىء بعد وجود دستور ومجلس نيابى منتخب . واتفقوا على عزله ! ومن هنا بدأت حكاية مجلس الأمة . واستقالة كمال حسين والبغدادى . فقلت للبغدادى : أنت تعلم طبعا أننى لابد أن أبلغ الرئيس بهذا الكلام . فلم لا تذهب أنت إليه. وتبلغه به من جانبك ؟ ووافق البغدادى!!».

ثم يروى الجيار :

«نهضت على الفور ، واتصلت بمحمد أحمد وطلبت منه إبلاغ عبد الناصر ، وتم اللقاء بينهما فعلا . فى نفس اليوم . وفوجىء عبد الناصر بما سمع من البغدادى . وأرسل يستدعى الثلاثة الآخرين : كمال حسين . وزكريا محيى الدين والعضو الآخر من مجلس الثورة . وأجرى مع الجميع تحقيقا تأكد فيه صدق ما قال البغدادى . فأمرهم بتقديم استقالاتهم ».

❑

ونحن نرى هذه النهاية التى وضعت لهذه القصة نهاية «بيبرسية» يستحيل حدوثها هكذا بالطبع ، ولا يمكن أن تكون قد حدثت على هذا الوجه ، لأن وقائع التاريخ نفسها لم تذكر شيئاً كهذا ، ولم يحدث أن تزامنت استقالات هؤلاء مع بعضهم ، ذلك أن زكريا ـ على سبيل المثال ـ بقى إلى ١٩٦٨ ، أى إلى ما بعد استقالة البغدادى نفسه بأربع سنوات ، وهناك شىء طريف آخر ، وهو الإشارة إلى الزميل الرابع بالعضو الآخر ، والأقرب إلى المنطق هو أن يكون حسن إبراهيم ، لكن المنطق نفسه ينبئنا أنه لم تكن هناك أية موانع فى إيراد ذكر اسم حسن إبراهيم بالاسم وعلى وجه محدد فى تلك الفقرة ، وبهذا يمكن التفكير فى أن تجهيل اسم العضو الرابع قصد به نوع من أنواع المشاكسة الخفيفة للرئيس السادات نفسه أو لحسين الشافعى ، مع بُعد كل منهما عن مثل

هذه الاتفاقات والمحاور ، ومن الثابت أن السادات لم يشترك أبداً فى محور من المحاور ضد عبدالناصر ، بل كان على العكس واضحاً كل الوضوح فى الوقوف مع عبدالناصر فى كل الأحوال ، وقد لخص هو موقفه منذ مرحلة مبكرة بأن جعل صوته فى جيب عبدالناصر.

وهكذا يقودنا التفكير [طبقا لعلم الاحتمالات] إلى أنه ربما كان عبد الحكيم عامر هو الشخص الرابع الذى حضر اتفاق البغدادى وزكريا وكمال الدين حسين ، وهو احتمال وارد ، ويؤكده أنه كان من الصعب فى ذلك الوقت إيراد اسم عبد الحكيم عامر فى أى موقف يرتبط بالإصلاح الحقيقى أو بالتأكيد على الديمقراطية فى مجلس قيادة الثورة.

ويرى القارئ أننا أعطينا لهذه القصة التى تحتوى بعد العناصر المصطنعة أبعاداً من التأمل فى أركانها ، ولا أظن أننا تجاوزنا حدودنا بهذا الذى فعلناه ، فالقصة التى أمامنا هى فى النهاية نسيج من بناء درامى لابد من تأمل أركانه لنتأمل ما أراد أصحابها أو صاحبها بها.

وخلاصة القول أن أحداً لم يكن ـ فى ذلك الوقت المبكر من حرية الحديث ـ ليمانع فى أن يصور الأمور بين الزملاء وقد حدثت على هذا النحو الذى قرأه القراء فى روزاليوسف على حلقات ، ثم قرأوه فى كتاب صاغه ضياء الدين بيبرس ، وفى كتاب آخر صاغه صلاح حافظ.

ونحن كما قلنا لا نثبت القصة لنصدقها ، ولكننا مع ذلك حريصون كما قلنا على أن نصور للناس وننقل لهم كل الروايات التى أحاطت بتاريخ مصر المعاصر وحاولت تلوينه حتى على مثل هذا النحو الفاقع .وسوف نذكر للقارئ الأسباب التى نظن أنها جعلت مثل هذه الروايات تنتشر فى تلك الفترة !

ومع إنكارنا الشديد لأن يكون هذا النقاش الأخير قد دار على هذا النحو الذى انتهى بالاستقالة ، فإننا لا نستطيع أن ننكر إمكان أن يكون هناك قدر واضح من الضيق بين زملاء عبد الناصر من تصرفات عبدالناصر فى هذه الأزمة ، ومن حسن الحظ أن الأستاذ محمود فوزى قد حاول تحقيق واقعة عزم بعض أعضاء مجلس الثورة على تنحية عبدالناصر عقب إحدى الازمات البرلمانية وفى ص١٠٤ من كتاب «ثوار يوليو يتحدثون» يورد رد عبد اللطيف البغدادى على سؤاله حول هذه الجزئية حيث يقول :

«نعم قال زكريا محيى الدين عن عبد الناصر « نشيلوه بأه» ولكن الحق يقال: إن الجو كله كان مشحوناً ومتوتراً وقالها زكريا فى لحظة غضب شديد ، وكان منفعلاً.. قال زكريا «جمال دماغه ناشفة ؛ يعنى نشيله » وعلى ما يظهر إن على صبرى كان قد أبلغ جمال بما حدث ، وذكر له كلمة «نشيله» التى جاءت على لسان زكريا ، وقد تسبب ذلك فى سوء العلاقة بين جمال وزكريا لفترة طويلة بعد ذلك.

❑

بقى بعد كل هذا الاستقصاء أن نشير إلى أن الجزء الرابع من مذكرات صلاح نصر التى نشرتها دار الخيَّال قد روى هذه الواقعة بصورة تبدو أكثر دقة واختصارا، ولم تخرج رواية صلاح نصر عن الإطار والوقائع التى نقلناها فى رواية الجيار ، وقد أشارت الرواية إلى أن صاحب الأسم الرابع الذى استقصينا احتمالاته كان شخصاً آخر من غير أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وكان هو بالتحديد على صبرى ، الذى لم يكن عضواً فى مجلس قيادة الثورة ، ولكن الطريقة التى رويت بها مذكرات الجيار لم تكن تمانع فى مثل هذه التجاوزات إذ أن هذه الفترة المبكرة من رواية المذكرات ونشرها لم تكن تعتمد على التحقق أو التحقيق وإنما كانت أقرب إلى ما كانت عليه من طبيعة الكلام الحر غير المدقق.

واتصالا بما ذكرناه فى فقرات سابقة من تصوير محمود الجيار (فيما يرويه عنه ضياء الدين بيبرس) عن طبائع العلاقة بين عبدالناصر وهذين العضوين البارزين أعضاء مجلس القيادة (عبد اللطيف البغدادى وزكريا محيى الدين) يجدر بنا أن نطالع ما يرويه رجل آخر من الرجال البارزين فى المحيط الإنسانى حول قادة الثورة ، وهو أحد أصدقاء المشير عبد الحكيم عامر ، وهو النائب البرلمانى عبد الصمد محمد عبد الصمد الذى ينبهنا بصراحة شديدة وبصوت عال فى كتابه «العشاء الأخير للمشير » إلى أن عبد الناصر كان يحرص دائماً على بث الفرقة بين عبد الحكيم عامر وكل من عبد اللطيف البغدادى وزكريا محيى الدين وهو يقول مانصه :

«..... أما زكريا محيى الدين فقد كان عبد الناصر يركز عليه هو والبغدادى ليفرق بينهما وبين عبد الحكيم عامر وكانت لعبته مع البغدادى وعبد الحكيم لعبة النائب الأول .. تركها عايمة ! يتعمد أثناء سفره فى الخارج أن يأخذ معه البغدادى مرة وعبد الحكيم

مرة فيكون كل منهما نائب رئيس الجمهورية [عبدالصمد يقصد: رئيس الجمهورية بالنيابة] فى غياب الثانى !».

ويستطرد عبد الصمد محمد عبد الصمد فى فقرة تالية ليقول :

«وكان للاثنين إباء وعزة نفس وشعور بالكرامة جعلتهما يتفوقان [يقصد: يتغلبان] على هذه الصغائر ، ويحتفظ كل منهما « رغم هذه المنافسة » للآخر بتقديره وحرصه على الزمالة والصداقة ، وأعتقد أنهما كانا يعرفان ولاشك أن كل واحد منهما سيؤكل على حدة !!».

هكذا يقدم عبد الصمد هذا الزعم المنطقى ، ويقدمه على هيئة كلام مرسل دون أن يقدم أى دليل على هذا الاعتقاد ، ومبلغ علمى أن عبد الحكيم لم يكن ليحيط بمثل هذا المعنى أو ليتصوره ، أما البغدادى فإنه كان قد أُكل بالفعل إذا كان الابتعاد عن السلطة مما يجوز وصفه بالأكل!!

....

وفى موضع آخر من نفس الكتاب يروى عبد الصمد محمد عبدالصمد ـ دون أن يقصد ـ ما يؤكد الظن الذى أبديناه لتونا:

«وكنت عرفت أن عبد الحكيم كان يسعى لإزالة سوء التفاهم بين عبد الناصر والبغدادى .. فقال له عبد الناصر: أنت عايز تصالحنا ، والبغدادى بيقول إنك أنت السبب فى زعلنا ؟! وغضب عبد الحكيم غضبا شديدا من سوء ظن البغدادى فيه ، وعلمت أنه لم يفاتحه فى الأمر ، وأحسب أن البغدادى لن يعرف سر غضب عبد الحكيم إلا إذا قرأ هذا الكتاب !».

❑

خامساً: علاقة عبد اللطيف البغدادى بجمال سالم: نأتى الآن إلى نموذج آخر للعلاقات الثلاثية التى كان عبد اللطيف البغدادى وجمال عبد الناصر طرفين فيها ، وكان لها طرف ثالث ، وربما يمثل النموذج الذى سوف نتعرض له فى الفقرات التالية نموذجاً أقل خطورة من خطورة العلاقتين الثلاثيتين السابقتين (عبد الناصر ـ عبد الحكيم ـ عبد اللطيف) ، (عبد الناصر ـ زكريا ـ عبد اللطيف) وهو نموذج (عبد الناصر ـ جمال سالم ـ البغدادى).

ونحن نعرف مدى ما كان من توثق العلاقة المبكر بين جمال سالم والبغدادى باعتبارهما زميلين وصديقين ومن سلاح واحد ومن دفعة واحدة ، وفيما بين مجموعة أعضاء مجلس قيادة الثورة كان الرجلان يميلان فى كثير من الأحيان إلى بعضهما حتى نشأت ظنون فى أوقات كثيرة بأنهما يكونان مع بعضهما محوراً.

ومع هذا فإن البغدادى فيما يرويه بعد وفاة جمال سالم بسنوات طويلة ، يرينا بوضوح شديد أن الاتفاق بينه وبين جمال سالم كان قد انقلب إلى خلاف ثم انقلب هذا الخلاف على غير ما يتوقع إلى جفاء ، وأن هذا الجفاء قد استمر وتأكد حتى اكتشف كل منهما بالمصادفة أن الرئيس عبد الناصر كان هو السبب فى الإيقاع بينهما ، وأن هذا الإيقاع قد حدث بصورة لا يتصورها عقل أى إنسان ، فقد صارح عبدالناصر صديقه البغدادى فى لحظة صفاء أن جمال سالم هو الذى أوقع بينهما ، ومن ثم فإن البغدادى نقم على جمال سالم دون أن يسأله إلى أن عرف الحقيقة المعاكسة بعد زمن طويل.

وقد وردت آراء البغدادى فيما يتعلق بهذه الجزئية فى مذكراته التى نشرها المكتب المصرى الحديث (١٩٧٧) ، كما وردت أيضاً فى مذكراته التى نشرتها نصف الدنيا (١٩٩٦) ، وعلى الرغم من أن المضمون لا يختلف فى المصدرين إلا أن رواية نصف الدنيا تقدم الوقائع بطريقة أكثر نضجا ، وسنبدأ بها ثم نورد روايته التى وردت فى مذكراته ثم بتعليقنا على الروايتين.

هذا أولا هو ما يرويه البغدادى نفسه فى حديثه لمجلة نصف الدنيا (١٩٩٦) حيث يقول:

«... كان (أى جمال عبدالناصر) يقصد موقفى معه ومساندتى له فى هذه الفترة خاصة [الإشارة إلى فترة العدوان الثلاثى] وأنه كانت بيننا أزمات وخلافات وبالرغم من ذلك فقد كنت ملازما له طوال الوقت فقد كان لايتحرك إلا وأنا معه حتى أننى كنت أبيت معه بناء على طلبه وكنت دائما ما أحاول أن أبدو متماسكا لشعورى أنه إذا انهار عبد الناصر ستنهار العملية بأكملها وقد قال لى يوم ٨ نوفمبر ١٩٥٦ : أنا لم أكن أعرفك جيدا من قبل ولم أعرف حقيقتك إلا من يوم ٢٩ أكتوبر الماضى ، وأخبرنى بأنه لم يقل لى هذا الكلام إلا بعد تفكير طويل فقلت له : الناس لاتعرف إلا وقت الشدة ».

«وأضاف عبد الناصر : إنه إذا كان قد حدث سوء تفاهم بينى وبينك فالسبب هو

صديقك جمال سالم ، والذى كنت السبب فى انضمامه لمجلس قيادة الثورة ولم أستوضح الأمر لأننى لم أشك فى أن عبد الناصر يمكن أن يعمل على إحداث وقيعة بينى وبين جمال سالم وصدمت فى صديقى وقاطعته لمدة عامين».

«وفى ١٩٥٨ جاءنى الدكتور حسن مرعى ـ شقيق سيد مرعى ـ وكان وزيرا للتجارة وسألنى عن مقاطعتى لجمال سالم فأخبرته بما قال لى عبد الناصر ، وأخبر هو بدوره جمال سالم الذى حضر إلىّ فى منزلى ، وصلى ركعتين ثم أقسم على المصحف بأن هذا لم يحدث منه وأضاف : كل ما أتمناه أن يصبح شريف ابنى فى مثل أخلاقك ، وأصبحت فى حيرة من أمرى ، وعادت علاقتى مرة أخرى بجمال سالم ».

وهذه ثانيا رواية أخرى مفصلة للبغدادى فى مذكراته عن نفس الموضوع ، ونحن نرى الرئيس عبد الناصر فى هذه الرواية التى أوردها البغدادى قبل روايته الحديثة بعشرين عاما يؤكد للبغدادى أنه لم يخطره بهذه الحقيقة عفوا ، ولكنه فكر فيها ليلة أمس وانتهى إلى قرار بضرورة المصارحة على هذا النحو:

«..... وفى صباح يوم الخميس ٨ نوفمبر ١٩٥٦ ذهبت إلى مكتب جمال عبدالناصر فى مبنى مجلس الثورة ، وكان قد سبقنى وتناول إفطاره بمفرده ، وبعد أن جلست معه بعض الوقت بادرنى بقوله: «أنا لم أكن أعرفك جيداً من قبل ، ولم أعرفك على حقيقتك إلا من يوم ٢٩ أكتوبر الماضى ، وإذا كان قد حدث بيننا سوء تفاهم فيما مضى فالسبب هو صديقك جمال سالم ، وذكرى هذا لك الآن لم يأت عفواً أو دون تفكير ، ولكننى فكرت فيه ليلة أمس ، ورأيت أنه من واجبى أن أقول لك هذا لأننا لا نعرف ماذا يخبئ لنا المستقبل ، والصورة سوداء».

«واستطرد قائلاً: إن ما قاله جمال سالم عنك كان يوم أن حدث بينك وبينى سوء تفاهم وأنت صممت على الاستقالة ، وأنا كنت قد تركتكم مجتمعين بالمكتب فوق ونزلت إلى هنا (مكتبه) ، ونزل جمال سالم وأعطانى صورة عنك ، وهو صديقك ، حتى أننى دهشت وذكرت هذا لعبد الحكيم وأنور ، وكلاهما نفى ما يدعيه جمال سالم».

نتوقف هنا لنشير إلى تجاهل البغدادى تلخيص هذه الصورة التى صوره بها جمال سالم ونفاها كل من عبد الحكيم عامر وأنور السادات :

«فقلت له [الضمير للبغدادى والمخاطب هو جمال عبدالناصر]: «إن كان هناك شخص قد تعب من جمال ، وتحمله كثيراً فى سبيل المحافظة على الصداقة فهو أنا».

«فقال: «إنك السبب فى أن أصبح جمال سالم عضواً بمجلس قيادة الثورة ، وكنت أعتقد أن هناك مجموعة متحدة من الطيارين بالمجلس لأنى كنت ألاحظ عليك أنك كنت تترك له القيادة».

«فقلت: «إننى لا أسعى إلى منافسة أحد ، وجمال سالم يحب أن يتكلم كثيراً ، وكنت أتركه يتكلم ، ولكن كان لى رأيى الخاص ، وهذا الرأى منى كان ينصب دائماً على ما أعتقد أنه فى صالح بلدى. وإذا تذكرت الأحداث التى مرت بنا فإنك من الضرورى ستلاحظ هذا. وعلى العموم فإنى أحمد الله على أنك قد عرفت حقيقتى اليوم وهو يوم شدة».

«وانقطع استمرارنا فى الحديث حول هذا الموضوع لحضور زكريا ، ولكننى شعرت بألم شديد وضيق لسماعى هذا الحديث وصدمت فى جمال سالم صديقى ، وصدقت ما قاله جمال عبدالناصر ، ولم يخطر فى ذهنى أدنى شك عن صدقه فيما ذكره لى لأنى لم أتصور أن يكون قد فكر ونحن فى هذا الموقف العصيب ولا نعرف ما يخبئه لنا القدر من أن يعمل على الإيقاع بين جمال سالم وبينى ، وما هدفه من ذلك؟».

ثم يعترف البغدادى بالجانب القاسى من الصورة ويقول:

«وقد تأثرت صداقتى بجمال سالم لفترة بسبب هذا الحديث ، ودام هذا الفتور فى علاقتنا حتى عام ١٩٥٨ إلى أن سمحت الظروف بمصارحتى عن سبب فتور علاقتى به ، وكان ذلك على إثر صدام وقع بين جمال عبد الناصر وبينى ، وكنت قد تقدمت باستقالتى على إثره فى صيف ١٩٥٨ وحضر جمال سالم لزيارتى عندما علم بالخبر ، وصارحته بما كان قد قاله لىَّ جمال عبد الناصر ، وتأثرى منه ـ أى من جمال سالم ـ وتصديقى لما قيل ، وذلك للظروف الصعبة التى كانت تحيط بنا عندما ذكر هذا الحديث. لكن جمال سالم نفى أن هذا الكلام قد صدر منه ، بل وأقسم على المصحف بعد صلاة ركعتين لله أن هذا لم يحدث منه. وأصبحت أنا فى حيرة من أمرى ، أيهما أصدق؟ وحاولت نسيان ما قيل».

على هذا النحو فإن أقصى ما يمكن لنا أن نفهمه من رواية البغدادى عن هذه الواقعة ، أن المصارحة كانت كفيلة بإزالة أسباب سوء التفاهم ، لكننا نفهم معنى أعمق

وهو أن كلاً من هؤلاء الزمـلاء الأصدقـاء الحلفاء ، كان على اسـتعداد فـى لحظة ما من اللحظات لأن يؤثر لأسباب نفسية داخلية أن يصدق ببساطة ما هو كفيل بتدمير صداقته للآخر دون أن يُعنى بإعمال العقل فى هذا الذى ينقل إليه.

ومبلغ مـا أستطيعه تجـاه رواية البغدادى التى نقلناها لتـونا أن أنتقد البغـدادى مرات ومرات على موقفه من جمال سالم قبل أن أنتقد جمال عبدالناصر على موقفه من هذين الرجلين.

ومع كل هذا فقد كان البغدادى فى كثير من فقرات مذكراته حريص على أن يعطى لجمال سـالم دوره الحقيقى والمقـدور فى إعداد مشروع قـانون الإصلاح الزراعى ، ومن الجـدير بالذكر أن دور جـمال سـالم فى هذا المشـروع وفى مشـروع السد العـالى وفى مشـروعات أخرى كـثـيرة من مشروعـات الثورة المبكرة قـد تعرض للنفى تمامـاً بفضل احتكار الكتابة عن إنجازات الثورة فى عهد الثورة لمن لا أمانة له!.

❑

سادساً : علاقة عبد اللطيف البغدادى مع كمال الدين حسين: ونأتى إلى علاقة البغدادى بكمال الدين حسين ، ومن الطريف أن هذه العـلاقة لم تبدأ فى التوثق إلا فى مرحلة مـتأخرة ، ربما بعد أن ابتعد جـمال سالم وصلاح سالم وحسن إبراهيم عن الـصورة (وقبلهم كان خـالد مـحـيى الـدين قـد ابتـعـد) ، وأصـبح الصف الأول مـركـزاً فـى عـبـد الناصـر وعـبـدالحكيـم ، على حين كان السـادات قد ابـتعد عـن العمل التنفـيذى بحكم توليـه مناصب موازية من قـبيل رئاسة السلطة التشـريعية ، وهكذا لم يعد مـوجودا من اللجنة التأسـيسـية فى المناصب الكبرى إلا الـبغدادى وكـمال الدين حسين (أمـا زكريا مـحيى الدين وحـسين الشافـعى اللذان كانا يتـوليان منـصبى نائب الرئيس ، فـقد كـانا بحكم طبعهمـا بعيدين عن المنافسة السـياسية وبعيدين عن بؤرة الأعـضاء المؤسسين للتنظيم ، فنحن نعلم أن كليهما قد ضم إلى مجلس قيادة الثورة فى أغسطس ١٩٥٢).

وهكذا أصبح عـبد الناصر وهو يحـسب حساباته يرى أن كل الأوراق قد أصـبحت فى يديه ما عـدا ما يعارضـه فيه كل من البـغدادى وكمال الـدين حسين ، وهكذا تكون محور البغدادى/ كـمال الدين حسين بفضل حسابات عبدالناصـر نفسه وشكوكه قبل أن يتكون نتيجة اتفاق أو توافق هذين الرجلين.

ويمكن للباحث الموضوعى المعنى بقراءة النصوص وتحليل مضمونها أن يجد اختلافات واضحة وجوهرية فى فكر وأداء كل من الرجلين ، ولكن عبد الناصر منذ بداية الستينيات كان قد أقنع نفسه وظل يقنعها بأن هذين الرجلين الباقيين معه فى السلطة التنفيذية متفقان ضده.!!

ومن العجيب أن هذين الرجلين تركا مناصب الحكم فى نفس الوقت ، وقد تركه معهما بصفة رسمية حسن إبراهيم الذى كان قد ترك العمل التنفيذى بصفة فعلية قبلهما بفترة. وإن كان قد قبل فى مرحلة موازية أن يتولى شئون التنظيم السياسى (الاتحاد الاشتراكى) فى مدينة الأسكندرية حيث عاش فى هذه المرحلة بعيداً عن القاهرة والصراعات الساخنة .. وظل فى الوقت ذاته على علاقة جيدة بعبد الناصر من ناحية والبغدادى وكمال الدين حسين من ناحية أخرى ، وهو ما نكتشفه بوضوح من مشاركته للأخيرين فى الرسائل التى كتبوها لعبد الناصر قبل حرب يونيو ١٩٦٧ ، وفى اللقاء الذى تم فى ذلك الوقت.

وسوف نجد فى محاضر المناقشات المنشورة التى دارت بين عبد الناصر وأعضاء الاتحاد الاشتراكى فى الستينيات (وفيما رواه لثروت عكاشة) ما يدل على اعتقاده فى إمكان إنشاء حزب معارض يتولى البغدادى وكمال الدين حسين قيادته.

وهذه إحدى فقرات البغدادى ـ العابرة ـ التى يصور بها عقيدة عبد الناصر الراسخة فى وجود محور بين البغدادى وبين كمال الدين حسين:

«... ولم يعلق جمال على ما ذكرته وهو كان يعتقد أن هناك محوراً بين كمال وبينى ، وهذا غير صحيح ، ولكن هذا الاعتقاد ظل يلازمه حتى توفاه الله رغم نفيى ذلك له عدة مرات آخرها عام ١٩٧٠ عندما عادت العلاقة بيننا فى ذلك العام بعد قطيعة دامت ست سنوات».

❑

وفى مذكرات البغدادى فقرة مهمة عن تقدير البغدادى أو إعجابه لإدراك كمال الدين حسين مبكراً لجوانب قضية الحرية حيث يروى البغدادى بعض المناقشات التى دارت بين عبد الناصر ورفاقه قبل إعلان عبد الناصر عن التوجه النهائى إلى الاشتراكية ، وقد كان البغدادى من الذكاء بحيث انتبه مبكراً إلى قيمة هذه المناقشة التى تكرر نقلها عنه (أى عن البغدادى) والاستشهاد بها فى كثير من الأدبيات المعاصرة ،

وعلى الرغم من أن البغدادى لم يكن منحازاً بوضوح إلى ما انحاز إليه كمال الدين حسين ، فإنه كان حريصاً على إثبات جوهر رأى كمال الدين حسين بكل حذافيره:

«...... وانتقل كمال (أى كمال الدين حسين) بعد ذلك فى حديثه إلى الحريات وعدم توفرها ، وأن لا أمن على حرية مَنْ يقومون بالنقد وأنهم مهددون فى مورد رزقهم ، وقال جمال ما يفهم منه أن «كمال» نفسه لا ينفذ هذا ، وأنه لا يسمح لأحد بمناقشته ، وسأله كمال «مَنْ الذى قال لك هذا ـ هيكل؟» ، وكان يقصد محمد حسنين هيكل رئيس تحرير جريدة الأهرام».

«عاود كمال الكلام عن الحريات وذكر عدم توفر الحرية للصحافة ، وانتقد ديكتاتورية القائمين عليها ، وعدم سماحهم لغيرهم بأخذ الفرصة».

«وتكلم أيضاً عما هو وارد فى الميثاق الوطنى عن الحرية ، وما جاء كذلك فى تقرير الميثاق عنها ، وذكر أنه كان يستغرب من طلب لجنة المائة التى كانت تعد تقرير الميثاق عندما كانت تتساءل عن ضمانات الحرية ، ولكنه قد فهم الآن».

❑

سابعاً : علاقة البغدادى بخالد محيى الدين: نأتى إلى علاقة البغدادى بخالد محيى الدين ، وربما يكون من المناسب أن نبدأ مباشرة بنقل الفقرة التى يلخص بها خالد محيى الدين رأيه فى شخصية البغدادى ضمن حديثه عن زملائه من أعضاء مجلس قيادة الثورة فى كتابه «والآن أتكلم» ، ومع أن هذا الرأى قد صيغ وأبدى فى مرحلة متأخرة ، فإنه يعطينا بلاشك صورة تقريبية للانطباع المحدد لمن يوصف ويصنف باعتباره السياسى الوحيد من بين أعضاء مجلس قيادة الثورة وزملاء البغدادى الذى لايزال يمارس السياسة ، ونحن نراه بالطبع ممتنا لموقف البغدادى منه حين هاجمه زملاؤه فنبههم إلى أنه (أى خالد) لم يخف آراءه.

يقول خالد محيى الدين:

«... أما عبد اللطيف البغدادى فهو صاحب عقلية سياسية مرتبة ، ورؤية واضحة وكان منذ البداية ضد عودة الحياة النيابية قائلا : نحن ثوار ولن نستطيع لا احتمال ولا مواجهة برلمان منتخب من الشعب ، ويمتلك البغدادى مقدرة تنظيمية وإدارية وتنفيذية فائقة ، وقد تولى مسئولية التخطيط فاستطاع بعقله المرتب أن يضع لمصر أول خطة ، وأن يقيم لمصر عديدا من المشروعات الهامة ».

«وقد أدهشنى البغدادى عندما دافع عنى عام ١٩٥٤ ورفض بشدة مسألة إبعادى ، قائلا : إن خالد لم يخف عنا موقفه المخالف ، وقد تعامل معنا بشرف ، ولم يتآمر ضدنا ولم يخف عنا شيئا ، بل لقد طلب الانسحاب ونحن أجبرناه على البقاء فلماذا نبعده الآن؟ وطلب أن أبتعد قليلا حتى تهدأ العاصفة ثم أعود ».

«والبغدادى رجل معتد بنفسه ، ولهذا فعندما كان رئيسا لمجلس الأمة وأثيرت مسألة تعيين بعض أعضاء مجلس الأمة فى مديرية التحرير وتدخل عبد الناصر ليفرض رأيا مخالفا لرأيه ، استقال البغدادى ».

ثم نأتى إلى فقرة يصور بها خالد محيى الدين ما يراه تناقضاً فى فكر البغدادى(!!) ، بينما الواقعة التى يستند إليها خالد محيى الدين فى إصداره لهذا الحكم لا تصور فى رأيى إلا لامبالاة خالد محيى الدين نفسه وتطرفه فى مقابل إحساس البغدادى بالمسئولية من ناحية ، واعتداله فى تقدير المسئولية من ناحية أخرى:

«... وكانت هذه النزعة دائمة عند البغدادى ولعلنا نذكر أنه عارض منذ البداية مسألة تفويض عبد الناصر فى اتخاذ قرارات نيابة عن مجلس قيادة الثورة فى حالة غياب المجلس. وقد ناقشنى طويلا فى ذلك وكان ردى عليه : أنت ياعبد اللطيف ترفض الديمقراطية ، وترفض الانتخابات ، وترى أن تسعة أشخاص يجب أن ينوبوا عن كل الشعب بملايينه الثلاثة والعشرين فلماذا لا ينوب شخص واحد عن تسعة أشخاص ؟ وقلت له : لقد قبلت وتحمست للخطأ الأكبر ، فلماذا لا تقبل تداعياته ؟ لكنه ظل متمسكا برأيه فى الحالين ».

❑

على أننا لانستطيع أن نمضى من دون أن نقول إن البغدادى حين كان أمامه أن يكون فى مجموعة عبد الناصر ورفاقه أو محمد نجيب وخالد محيى الدين ومؤيديهما فإنه آثر أن يكون من مجموعة عبد الناصر، وقد رأينا كيف أنه باعترافه أدى دوراً مهما فى الصراع مع محمد نجيب ، كذلك يبدى البغدادى دهشته الشديدة ويعبر عن دهشة زملائه أيضاً من أن الرئيس محمد نجيب قد قبل الموافقة على قرارات مارس ١٩٥٤ بمجرد مقابلته لخالد محيى الدين لمدة ثلاث دقائق فقط ، ومن العجب أن البغدادى نفسه يردف هذا بقوله:

«وبعد اتخاذ تلك الإجراءات هدأت الحالة» .

❑

ثامناً: علاقة البغدادى مع صلاح سالم: لعل أبرز ملامح علاقة البغدادى بصلاح سالم هو حرص البغدادى على إنصاف صلاح سالم على الرغم من اختلافه الظاهر معه فى رؤاه ، ونحن نرى هذا الحرص واضحاً فى الرأى الذى أبداه البغدادى فى مجلس قيادة الثورة عند عرض استقالة صلاح سالم من كافة مناصبه التنفيذية بعد فشله فى موضوع السودان ، ولا ينكر البغدادى أنه كان يغلب الجانب العاطفى فى تفكيره هذا.

ولعل أفضل ما يصور حقيقة هذا الموقف هو ما يرويه البغدادى نفسه فى مذكراته عن موقفه فى مناقشات مجلس الثورة من استقالة صلاح سالم:

«.... ثم قام جمال عبد الناصر بعد ذلك بعرض طلب صلاح فى الاستقالة من السلطة التنفيذية على المجلس ، وكانت أغلبية أعضائه موافقة عليها فيما عدا كمال الدين حسين وحسن إبراهيم وكاتب هذه المذكرات».

«وكانت وجهة نظرنا ترى أن يكتفى بتنحية صلاح عن الاشتغال بمسألة السودان وعن عمله كوزير لشئونها ، وأن يتولى هذا الأمر شخص آخر بدلاً منه ، وأن يظل صلاح وزيراً لوزارة الإرشاد القومى».

«وقد بنينا هذا الرأى على أن صلاح لم يكن إلا منفذاً لسياسة المجلس فى السودان ، ولم تكن تلك السياسة سياسته هو ، وإن كان قد أخطأ فى التنفيذ فليس هناك داعٍ لأن يستقيل من كل مسئولياته التنفيذية ، وأن انسحابه يجب أن ينصب فقط على تلك المسألة التى أخطأ فى تنفيذها».

«وكان الغرض من ذلك هو ألا يشعر صلاح بأن المجلس قد تخلى عنه كلية رغم الجهد المضنى الذى بذله فى هذه القضية ، وقد دام هذا الجهد منه متصلاً لمدة ثلاث سنوات تقريباً ، وكان صلاح نفسه مؤمناً إيماناً قوياً وعميقاً بالقضية ، وكان علينا أن نراعى ذلك عند أخذنا القرار ومدى انعكاسه على حالته النفسية».

ومع هذا المنطق الواضح والدفاع الجيد من البغدادى وزميليه فإن مجلس القيادة فضل ذبح صلاح سالم (على حد تعبير صلاح سالم نفسه). وفى موضع آخر من مذكراته نجد البغدادى وهو يطرح هذا المعنى (أو هذه الرؤية) بصورة أكثر تماسكا معترفا

أو معتزا بدوافعه فيما ارتأى من وجهة نظر واضحة فيما يتعلق بموقف صلاح سالم من مسألة السودان ، وهو يقول:

«... وبدأت أشرح وجهة نظرى بالنسبة لمشكلة صلاح واستقالته فقلت: «إننى إزاء عاملين: عامل العاطفة ، وعامل المصلحة العامة. وعامل العاطفة يذكرنى بتضحيات صلاح وخدماته رغم عصبيته ، لكنه تحمل مشاكل السودانيين لمدة ثلاث سنوات طوال ، وكان كل هذا على حساب أعصابه ، وأنه لم يكن فى مقدور أى فرد من أفراد المجلس أن يتحمل ما تحمله صلاح ، وما صدر من صلاح ليس بجديد علينا بل هذه هى طبيعته وكلنا نعرفها جيداً ، وعلينا أن نتقبل كل واحد منا بعيوبه ، حفاظاً على وحدة المجلس ، ولست متصوراً رد فعل استقالة صلاح سالم عند الرأى العام بمصر خاصة عند المخلصين للثورة ، وهل فى خروجه اليوم وقبول استقالته فائدة ترجى على قضية السودان؟».

ومن الجدير بالذكر أن البغدادى قد خصص فصلاً كاملاً من مذكراته لرواية تفاصيل الصورة فى السودان وما بذل هناك من جهود صلاح سالم وغيره من الضباط.

تاسعا: علاقة البغدادى بعبد المنعم عبد الرءوف: كان عبد المنعم عبد الرءوف زميلا للبغدادى فى العمل الوطنى منذ مرحلة مبكرة ولهذا السبب نراه فى مذكراته لايجد حرجاً فى أن يوجه إلى البغدادى بعض الانتقاد فى مذكراته ، لانه لم يقف الى جواره فى استرداد ماكان يعتبره حقه ، ويقول عبد المنعم عبد الرءوف:

«.... التقيت به بعد الثورة فى مناسبتين : الأولى : عندما اصطحبنى قائد الأسراب حسن عبد العظيم عزت لرئاسة الجيش ، كى يقنع قائد الجناح عبد اللطيف البغدادى بعودتى لسلاحى الأصلى وهو الطيران فلم يقبل. الثانية: فى ردهة مجلس الثورة وسألنى بدون مقدمات (هوه أنت الذى عملت الثورة)؟ فأجبته: إنه سؤال سيجيب عنه التاريخ. فهل يتذكر قائد الجناح عبد اللطيف البغدادى أنه كان عضوا فى العصابة التى كانت تحكم مصر؟ (كتاب «الصامتون يتكلمون» وكتابه: «عبد الناصر ومذبحة الإخوان») . وهل يتذكر قائد الجناح عبد اللطيف البغدادى أنه قال فى نفس الكتاب إن قائد الجناح على صبرى كان جاسوسا عليه ، ينقل كل حرف قاله إلى الرئيس جمال عبد الناصر الموجود فى الغرفة المجاورة؟ وهل يتذكر أنه تعاون مع مراكز القوى فى إلحاق الضرر بى حينما أعاد زميلى فى حادث الطائرة حسين ذو الفقار صبرى لسلاح

الطيران ، ولم يقبل إعادتى وقد حاق بى الظلم بعد ذلك حينما حوكمت غيابيا أمام محكمة الشعب برئاسة أحد أصدقائه المقربين ، وهو المدعو قائد الجناح عبد الرحمن عنان ، الذى حكم على غيابيا بالإعدام رميا بالرصاص ؟».

ويبدو أن البغدادى مدين لعبد المنعم عبدالرءوف على نحو ما كان عبدالناصر والسادات.

❑

عاشراً: آراء أخرى وعلاقات أخرى: بالإضافة إلى كل هذه الآراء فى الشخصيات المختلفة التى استطعنا استعراضها بطريقة فردية أو زوجية ، فإنه يمكن لنا أن نقرأ فى مذكرات البغدادى المتعددة ما تحدث به فى سلاسة عن كثير من التفصيلات ومن المواقف المهمة التى برز فيها الاختلاف واضحاً بين رجال الصف الأول بعد قيام الثورة .

ونحن نرى البغدادى وهو يقدم آراءه واضحة جلية دون أن يلعب على الحبال أو أن يلجأ إلى الغموض ، أو إلى محاولة إرضاء الأطراف كلها ، ويمكن لنا على سبيل التمثيل أن نشير إلى بعض هذه المواقف باختصار شديد:

١ ـ يصرح البغدادى بنية زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة منذ مرحلة مبكرة إبعاد محمد رشاد مهنا عن الجيش ويذكر أن رشاد مهنا قد «عبر عن شكره وامتنانه والدموع تترقرق فى عينيه من شدة الانفعال ، ولكنه لم يكن يدرى الغرض الرئيسى من وراء هذا التعيين».

٢ ـ يوضح هذا الكتاب أن الوزراء المدنيين لم يكونوا موافقين على قرارات الاعتقال فى أزمة مارس ١٩٥٤ ، يذكر البغدادى فى صراحة أن الدكتور عباس عمار أشار «إلى تكتل هيئة التدريس ضدنا بعد إصدار القرار الخاص بلجان الجامعة» ، وأن عبدالجليل العمرى تكلم عن «كيفية استمرار الحكم ، والناس يُقبض عليهم بدون تحقيق».

وبعد أن يروى ملخصاً لموقف الثوار يقول: «إن جمال عبدالناصر طلب تأجيل الاجتماع بغرض تفويت الفرصة على بعض الوزراء الذين كانوا يرغبون فى إثارة هذا الموضوع» ، ويحرص البغدادى كالعهد به فى إنصافه على تلخيص مواقف الوزراء المدنيين.

٣ـ كان البغدادى أول من أشار إلى حقيقة أن عبدالمنعم عبدالرءوف كان هو الوحيد

الذى اعترض على انضمام أنور السادات للجنة القيادية للضباط الأحرار ، وأن جمال سالم وأنور السادات كانا بمثابة العضوين المتممين للعشرة بين أعضاء هذه اللجنة ، وأن عبدالمنعم عبدالرءوف قد أسقطت عضويته من اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار قبل قيام الثورة بشهور قليلة ، وأن زكريا محيى الدين وحسين الشافعى وعبدالمنعم أمين ويوسف منصور صديق قد ضموا إلى عضوية مجلس قيادة الثورة برئاسة نجيب فى ١٥ أغسطس ١٩٥٢ ، وبهذا التحديد الحاد سبق البغدادى كل المذكرات التى نشرت بعد ذلك فى بيان الحقيقة فى تشكيل مجلس قيادة الثورة.

٤ـ يروى البغدادى كيف علم الملك فاروق بإقدام الضباط على القيام بالثورة ، ويرجع ذلك إلى تبليغ قام به قائد اللواء الجوى صالح محمود صالح وهو ما أكده أيضاً خالد محيى الدين فى مذكراته بعد ١٥ عاماً ، وإن كان خالد محيى الدين قد أضاف إلى معلوماتنا اسم شقيق اللواء صالح محمود صالح.

٥ـ بفضل التحديد الواضح فى مذكرات البغدادى المدونة فإن أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين سافروا إلى الإسكندرية عقب قيام الثورة كانوا هم: محمد نجيب ، وجمال سالم ، وحسن إبراهيم ، وأنور السادات ، وزكريا محيى الدين ، وحسين الشافعى ، ويوسف منصور صديق ، وعبدالمنعم أمين ، بينما بقى فى القاهرة كل من: جمال عبدالناصر ، وعبدالحكيم عامر ، وعبداللطيف البغدادى ، وصلاح سالم ، وكمال الدين حسين ، وخالد محيى الدين.

٦ـ يذكر البغدادى قصة مهمة جداً حول إعادة التحقيق فى مقتل حسن البنا بعد قيام الثورة ، ولا أدرى لماذا يتجاهل المؤرخون الإشارة إلى هذه الواقعة ، والبغدادى يذكر أنه لم يكن هناك من شهود إثبات فى هذه القضية غير شاهد واحد هو الأستاذ محمد الليثى المحرر بجريدة الأهرام ، الذى كان وقتها موظفاً بالقوات الجوية المصرية ، ولم يصمد غيره من شهود الإثبات بسبب ضغط وتهديد البوليس السياسى لهم ، حتى إن الحكومة قد أشارت فى حكمها إلى شجاعة هذا الشاهد لصموده ضد كل هذه الضغوط التى وقعت عليه ومواجهته لهذه القوى الطاغية.

عبد اللطيف البغدادى

شهيد النزاهة الثورية

10

دوره القضائى

دار الخيّال

كان من حسن حظ البغدادى أن تاريخه السياسى قد خلا إلى حد بعيد مما يتعارف عليه المثقفون بوصف «النقاط السوداء»، وهذا صحيح إلى حد بعيد ، فقد وفق الله البغدادى إلى النجاة من هذا الذى كان سهلاً إتيانه فى فترة عنفوان القوة وغطرستها ، ومما يُحسب للبغدادى أنه نأى بنفسه عن المشاركة فى محاكمة الإخوان المسلمين ، وقد تعرضنا [بإيجاز] لموقفه من هذه القضية فى الباب الخاص بفكره السياسى .. ومع هذا فإن البغدادى قد تولى فى بداية الثورة رئاسة محكمة الثورة التى تولت ما سمى بمحاكمة رموز العهد البائد ، ولا تزال هذه المحكمة وأعمالها وأداء قضاتها (وعلى رأسهم بالطبع رئيسهم البغدادى) بحاجة إلى الدراسة والتحقيق ، فقد كان لهذه المحاكمات وما دار فيها من مناقشات أثر كبير على التوجهات العامة فى العهد الجديد : عهد الثورة ، ومن الإنصاف أن نتناول فى هذا الباب بعض ملامح مشاركات البغدادى فى هذا الدور الفعال الذى أعطت الثورة نفسها الحق فى القيام به على النحو الذى قامت به بالفعل!.

ومما يشرف البغدادى أنه رغم كل شىء كان يأخذ الأمور مأخذ الجد ، فقد تصور نفسه قاضيا حقيقياً لا يجوز له أن يلون أحكامه بالأهداف السياسية قصيرة النظر ، ولكن عبد الناصر وبعض زملائه على الجانب الآخر كانوا يرون الأمر أمر سياسة أكثر منه أمر قضاء ، وبوسعنا فى هذا الباب أن نقرأ إحدى القصص التى دارت حولها المناقشات بين البغدادى وزملائه بمن فيهم الرئيس جمال عبدالناصر.

❑

ومن المفيد أن نبدأ بقراءة ما يرويه عبد اللطيف البغدادى عن ظروف إنشاء محكمة الثورة ورئاسته لها وما يعتقد أنه أهم إنجازاته فيها:

«.... وفى خلال شهر الصيف من عام ١٩٥٣ كانت قد بدأت حملة تشكيك واسعة ضد الثورة والقائمين بها ، وتبنى هذه الحملة أعضاء الأحزاب السياسية المختلفة على إثر حل تلك الأحزاب ومصادرة أموالها وإعلان قيام فترة الانتقال ، واستمرت هذه الحملة عدة شهور حتى ضقنا ذرعا بها فرئى محاكمة سياسيى تلك الأحزاب على انحرافاتهم واستغلالهم لمراكزهم فى الكسب غير المشروع ، وكذا لمواقفهم السياسية السابقة لقيام الثورة ، وكشف تلك المواقف للرأى العام الداخلى بغرض العمل على إفقاد الشعب الثقة فيهم».

«ولذا فقد أعلن صلاح سالم فى مؤتمر عام يوم ١٥ سبتمبر ١٩٥٣ عن وجود مؤامرة سياسية من بعض السياسيين ضد النظام القائم ، ومن أنه ستشكل محكمة ثورة لمحاكمتهم ، وقرر مجلس الثورة تشكيل هذه المحكمة منى كرئيس لها ، وبعضوية كل من أنور السادات وحسن إبراهيم ، وقامت المحكمة بمحاكمة بعض السياسيين لمواقفهم السياسية والبعض الآخر لاستغلال النفوذ ، كما حاكمت أيضا بعض الخونة من المصريين الذين كانوا قد تعاونوا مع الإنجليز وقاموا بإرشادهم إلى أماكن تجمع الفدائيين المصريين فى أثناء معركتهم مع القوات البريطانية بعد أن ألغت وزارة الوفد معاهدة ١٩٣٦ فى عام ١٩٥١».

....

«وعندما اجتمع مجلس قيادة الثورة فى ذلك المساء (٧ مارس ١٩٥٤) كان بادياً على جمال عبد الناصر أنه فى حالة عصبية ، وشعرت أن تلك العصبية التى كانت بادية عليه لها ارتباط بالحكم الذى أصدرته المحكمة [يقصد محكمة الثورة] على أصحاب جريدة المصرى (أحمد ومحمود أبو الفتح) فى ذلك اليوم والذى أعلنته عند إعلان الحكم فى قضية السيدة زينب الوكيل. وكان الحكم ينص على استرداد الحكومة منهم مبلغ قدره ٢١,٢٣٣ جم فروق الضرائب المستحقة عليهم لتجارتهم فى ورق الصحف. وكان ذلك هو تقدير اللجنة المشكلة من وزارتى المالية والتموين التى كانت محكمة الثورة قد أمرت بتشكيلها فى أثناء النظر فى قضية فؤاد باشا سراج الدين سكرتير عام حزب الوفد السابق. وكان جو اجتماع مجلس الثورة مكهرباً ومشحوناً. وعلى ما يظهر

أن جمال عبد الناصر كان قد وعد أحمد أبو الفتح - أحد أصحاب جريدة المصرى - بشىء خاص فى هذا الموضوع. وكان قد سبق وتكلم معى مرتين سائلاً عن قرار اللجنة وملمحاً بأنهم يتعاونون معنا. لكننى كقاض كنت أحكم بوحى من ضميرى ولا أعمل اعتباراً للأشخاص».

«وقد ظل جمال عبد الناصر فترة طويلة صامتاً من بدء الجلسة ولم يكن يعرف - على ما أظن - كيف يبدأ بفتح هذا الموضوع. ورأيت أن أكون البادئ لكسر هذا الصمت المخيم على جو الاجتماع ، فتقدمت للمجلس بالحكم الذى صدر فى قضية السيدة زينب الوكيل ، وكذا الحكم الذى صدر على أصحاب جريدة المصرى طالباً من المجلس التصديق عليهما».

«وعلى أثر هذا بدأ جمال عبد الناصر الكلام موجهاً إلىّ متسائلاً: «لماذا لم نتكلم معاً فى موضوع جريدة المصرى قبل صدور الحكم»، فأجبته بأنه لم يسبق للمحكمة أن عرضت قضية أو حكماً فى قضية سابقة على المجلس قبل النطق به فى المحكمة لأنه سر بين أعضائها حتى يتم النطق به».

«فقال: «هل أنتم مستعدون للدخول فى معركة مع جريدة المصرى خاصة بعد إعلان حرية الصحافة؟».

«فقلت له: «ومنذ متى كانت جريدة المصرى مؤمنة بكم؟ أليس أصحاب المصرى هم الذين تكلم عنهم صلاح فى المؤتمر الشعبى يوم ١٥ سبتمبر ١٩٥٣ وأشار إلى ملايين الجنيهات التى كانوا قد كسبوها من تجارتهم فى الورق فى السوق السوداء؟ وأليس هو أحمد أبو الفتح الذى كتب مقالاً يهاجمكم فيه خاصة صلاح مما اضطره إلى أن يرد عليه ببيان رسمى وحمل فيه عليهم حملة شعواء؟»، وشعر جمال أننى على استعداد للدخول معه فى معركة».

«وتكلم صلاح موجهاً الكلام إلىّ متسائلاً: «ألا يمكنك عمل شىء الآن؟». فأجبته بأننا نحكم كقضاة وعليكم أنتم أن تجاملوا إن شئتم».

«ثم تكلم جمال عبد الناصر موجهاً كلامه لكمال الدين حسين بصفته سكرتيراً للمجلس طالباً منه أن يرسل خطاباً لوزارة المالية لتقسيط المبلغ على أصحاب جريدة المصرى على خمس أو عشر سنوات».

«فعلقت على ذلك بقولى إنه لم يسبق للمجلس أن وافق على تقسيط أى مبلغ حكم به فى محكمة الثورة لأحد ، وأن أحمد باشا عبد الغفار وزير الزراعة السابق عندما طلب تقسيط مبلغ ٨٦ ألف جنيه الذى حكم عليه باستردادها منه لصالح الشعب على ستة شهور لم يوافق المجلس على طلبه ، وأن هذا التصرف لو تم فسيسىء إلى سمعة المجلس».

«وتدخل جمال سالم مقترحاً تقسيط المبلغ على خمس سنوات كقانون الضرائب بالنسبة للمبالغ المتأخرة على الممولين ـ على حد قوله ـ ومطالباً أيضاً بخصم قيمة أى خسائر من هذا المبلغ تكون قد وقعت على جريدة المصرى إذا كانت قد صودرت فى الماضى، ومستطرداً وأن نشير إلى أنه إزاء وطنية القائمين على تلك الجريدة فقد رأى المجلس هذا».

«فرددت عليه: «بأنى أفهم أن يكون الحل معقولاً لو أن فى هذا تعويضاً أدبياً لهم وليس مادياً ، لأن الناس ستفهم المقصود من ذلك الأمر، وهذا الحل سيضر بسمعة المجلس وجريدة المصرى كذلك».

«فتكلم جمال عبد الناصر ثانية قائلاً :«إن الحكم باسترداد هذه المبالغ معناه وصمة لهم ، وأنهم كانوا يتاجرون فى السوق السوداء».

«أجبته بأن فؤاد سراج الدين عندما كان وزيراً للمالية كان قد قدّر مبلغاً يمثل الضرائب المستحقة عليهم لتجارتهم فى الورق ، وأن الحكم الذى صدر عليهم من محكمة الثورة منصب فقط على تحصيل فروق ضرائب عن هذه التجارة مستحقة عليهم لصالح الحكومة ، وإن كان هناك وصمة لهم فيكون فؤاد سراج الدين هو الذى سبق ووصمهم بها».

«وبعد مناقشة طويلة حول هذا الموضوع اتفقوا فى النهاية على تقسيط المبلغ المستحق استرداده على خمس سنوات. وقد استمرت مناقشة هذا الموضوع حوالى ساعتين ثم بدأ المجلس بعد ذلك عمله».

❑

على أن عبد اللطيف البغدادى بعد صفحات قليلة ينتهز الفرصة ليخبرنا أن لهذه القصة بقية مثيرة حدثت بعد أقل من أسبوعين ، ونحن نرى البغدادى نفسه شأنه شأن مَنْ هم فى سنه ينتهز الفرصة الانفعالية ليعيد زملاءه إلى تبنى رأيه الذى كان ارتآه:

«.... وبعد الانتهاء من استقبال الملك سعود (٢٠ مارس ١٩٥٤) توجهنا إلى مبنى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة ولمسنا ونحن فى الطريق إليه تلك الروح التى تدفعنا إلى العمل المستمر من أفراد شعبنا الذين وقفوا على جانبى الطريق وهم يحيوننا بحماس شديد. فرفع ذلك من روحنا المعنوية المتدهورة. وكنت فى هذه الأثناء راكباً نفس السيارة التى بها جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين. وسألت جمال عما إذا كان قد قرأ مقالات أحمد أبو الفتح فى جريدة المصرى وكانت كلها هجوماً على القائمين بالثورة ؟ ولما أجابنى بالإيجاب ذكّرته بالمناقشة التى جرت بيننا يوم صدور الحكم على أخيه محمود أبو الفتح. فطلب من كمال إلغاء قرار تقسيط المبلغ المطلوب استرداده من جريدة المصرى والتى يملكها محمود أبو الفتح».

❑

ونأتى إلى بعض الفقرات المشرفة لتاريخ البغدادى والتى يروى بها قصة اعتذاره الواضح عن أى مشاركة فى محاكمة تبدو فى البداية والنهاية نوعا من الانتقام السياسى من قوى معارضة.

«وبعد أن تم التصويت [يشير إلى اجتماع ٢٩ مارس] على هذا القرار المقدم من صلاح ونال الأغلبية طلبت أمام جميع أعضاء المؤتمر إعفائى من رئاسة محكمة الثورة فى حالة عرض أى قضية عليها لها ارتباط بحوادث تلك الأزمة التى مرت بنا ، لأنى قدّرت أن مهمة المحكمة فى هذه الحالة ستكون ما هى إلا عملية انتقامية من بعض الأشخاص الذين كانوا قد عبروا عن آرائهم بعد إعلان حرية الصحافة وبعد إعلان قرارات ٢٥ مارس وما دمنا كنا قد قررنا هذا وهم بدورهم قاموا بهذا النشاط بناءً على قراراتنا فليس هناك مبرر لمحاكمتهم وإلا كانوا وكأنه قد تقررت محاكمتهم مسبقاً ، ولم أشأ أن أكون أداة تنفيذ هذا الانتقام منهم ، لذا قررت ألا أكون رئيساً لهذه المحكمة».

....

«ثم نوقش (أى فى اجتماع ٣٠ مارس ١٩٥٤) ما يجب عمله حيال رجال الأحزاب الذين ظهروا على المسرح فى تلك الفترة الأخيرة ومهاجمتهم للثورة ووجوب محاكمتهم أمام محكمة الثورة ، وأثير موقفى بالنسبة لهذا الاتجاه ورأيى فيه ، وهو إن كان لابد من محاكمتهم فتشكل محكمة خاصة تكون مهمتها مثلاً حماية الثورة

ومحاكمة كل من حاول أو يحاول أن يقف فى طريق تحقيق أهدافها أو تهديد النظام القائم عليها. ولقد حاولوا إقناعى بأن قيام محكمة أخرى لمحاكمتهم فى وجود محكمة الثورة ستؤول إلى معان مختلفة. ولكنى كنت متمسكاً برأيى وهو أن محكمة الثورة قامت فى ظروف غير تلك الظروف ، وكانت تنظر فى قضايا من تسببوا فى إفساد الحياة السياسية فى مصر، وكذا قضايا استغلال النفوذ بغرض الإثراء أو من كان يتجسس لحساب دولة أجنبية. وأن الظروف التى جدت تختلف عنها، وهى محاكمة أفراد ظهروا على المسرح السياسى بعد إعلان عودة الحياة النيابية وقيام الأحزاب. وإن كان من الضرورى محاكمتهم فلماذا لم يحاكموا من قبل، والمحاكمة ستظهر وكأنها انتقام منهم. وضربت مثلاً بمحمود أبو الفتح الذى يودون محاكمته ومصادرة أمواله ، وكيف يحاكم وقد كان بالخارج فى هذه الفترة ، ولماذا لم يحاكم من قبل، وموقفهم منه اليوم وموقفهم بالنسبة لجريدة المصرى التى هو صاحبها يوم أن صدر حكم محكمة الثورة عليها باسترداد مبلغ ٢٢ ألف جنيه فروق ضرائب مستحقة عليها، وما الذى غير الموقف ، أليس موقف جريدة المصرى من الثورة فى الفترة الأخيرة : أليس هذا انتقاما، وهم كانوا يتكلمون عن الشعب والحريات والحياة النيابية ، وهو كلام لا يمكن أن يؤاخذوا عليه».

«ولما وجدونى متمسكاً بوجهة نظرى انتقل الحديث حول سلاح الفرسان والعمل على تسوية حالة بعض الضباط فيه وإحالتهم إلى المعاش».

❑

هكذا عبر البغدادى عن مشاعره تجاه دور قدر له أن يؤديه على نحو لا يمكن القول بأنه كان سيئاً على الرغم من أن الدور نفسه لا يلقى الترحيب فى عصر يريد أن ينأى بنفسه عن كل إجراء استثنائى.

د.محمد الجوادى

كتب للمؤلف

■ **الدكتور محمد كامل حسين عالماً ومفكراً وأديباً**

سيرة حياة المفكر المصرى الكبير محمد كامل حسين (١٩٠٢ ـ ١٩٧٧) صاحب «قرية ظالمة» و«وحدة المعرفة» و«الوادى المقدس» و«النحو المعقول» و«التحليل البيولوجى للتاريخ».

فاز بجائزة مجمع اللغة العربية الأولى فى الأدب (١٩٧٨)، صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٧٨، وضمت الطبعة الثانية أبواباً وفصولاً لم تضمها الطبعة الأولى.

الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢.

■ **مشرفة بين الذرة والذروة**

سيرة العالم المصرى الكبير الدكتور على مصطفى مشرفة (١٨٩٨ ـ ١٩٥٠)، وإنجازاته العلمية ومدرسته الرائدة وأفكاره الاجتماعية وقدراته البيانية والموسيقية، وببليوجرافيا بإنتاجه وما كتب عنه، صدرت طبعته الأولى عام ١٩٨٠، ونال جائزة الدولة التشجيعية فى أدب التراجم (١٩٨٢).

الطبعة الثانية، مكتبة مدبولى، ٢٠٠١.

■ **سيرة حياة العالم الأديب الدكتور أحمد زكى**

يستعرض الإنتاج الفكرى والأدبى للدكتور أحمد زكى (١٨٩٤ ـ ١٩٧٥) فى كافة الميادين ويعرض آراءه وفلسفته فى الحياة والعلم والسياسة والفكر والاجتماع، وتتميز الطبعة الثانية باحتوائها على الببليوجرافيا الكاملة لإنتاج الدكتور أحمد زكى فى كتبه ودراساته وترجماته ومقالاته المتنوعة فى مجلات: الرسالة، والثقافة، والهلال، والاثنين، والدنيا، والعربى وغيرها.

الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٣.

■ **أحمد زكى حياته وفكره وأدبه**

يضم هذا الكتاب معظم فصول الأبواب الأولى من كتاب سيرة حياة العالم الأديب الدكتور أحمد زكى.

الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة أعلام العرب، ١٩٨٤.

■ **الدكتور على باشا إبراهيم**

سيرة حياة رائد الطب المصرى فى العصر الحديث د. على إبراهيم (١٨٨٠ ـ ١٩٤٧) وإنجازاته العلمية والحضارية، وآراؤه فى الحياة والعلم والطب والجامعة.

الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة أعلام العرب، ١٩٨٥.

■ **الدكتور نجيب محفوظ**

سيرة حياة الرائد الأول لطب النساء فى العالم العربى د. نجيب محفوظ (١٨٨٢ ـ ١٩٧٢)، الذى أضاف إلى العلم كثيراً من الإنجازات، وعرض لفلسفته وقدراته العلمية والبحثية والبيانية.

الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة أعلام العرب، ١٩٨٦.

■ **الدكتور سليمان عزمى باشا**

سيرة حياة أول أطبائنا الباطنيين د. سليمان عزمى (١٨٨٢ ـ ١٩٦٦)، وتحليل لآرائه فى التعليم الطبى والجامعى، وفلسفته فى ربط الطب والتعليم الطبى بالحياة العامة.

الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة أعلام العرب، ١٩٨٦.

■ **عثمان محرم .. مهندس الحقبة الليبرالية المصرية (١٩٢٤ ـ ١٩٥٢)**

يستعرض المقومات العقلية والفكرية والمهنية والسياسية التى أسهمت فى صنع إنجازات المهندس الوطنى العبقرى عثمان محرم (١٨٨١ ـ ١٩٦٣)، ويعرض لسيرته المهنية والسياسية والوطنية، ويتدارس أوراق محنته فى أول عهد الثورة حين قدم للمحاكمة كنموذج لكباش الفداء التى أراد العهد الجديد بها أن يمحو من الأذهان مهابة وقيمة رموز العهد السابق.

مكتبة مدبولى، ٢٠٠٤.

■ **سيد مرعى، شريك وشاهد على عصور الليبرالية والثورة والانفتاح (١٩٤٤ ـ ١٩٨١)**

سيرة حياة المهندس سيد مرعى (١٩١٤ ـ ١٩٩٢)، وإسهاماته السياسية والمهنية والزراعية فى ثلاثة عصور متتالية، وما تركته شخصيته من بصمات سياسية واجتماعية لاتزال آثارها باقية.

مكتبة مدبولى، ١٩٩٩.

■ **إسماعيل صدقى باشا (١٨٧٥ ـ ١٩٥٠)**

سيرة حياة واحد من أهم الشخصيات التى مرت بتاريخ مصر الحديث وأثرت فى تاريخها القومى تأثيراً كبيراً بالإيجاب والسلب، وعرض لإنجازاته الاقتصادية والحضارية، ونقد لعقليته السياسية، وتقدير لأفكاره الاستراتيجية.

الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين، ١٩٨٩.

■ **صانع النصر .. المشير أحمد إسماعيل (١٩١٧ ـ ١٩٧٤)**

سيرة حياة قائد عسكرى متميز أتيح له أن يتحقق على يديه أعظم نصر فى تاريخ مصر المعاصر، وملامح حياته وتكوين شخصيته وإنجازاته العسكرية على مدى حياته، ويناقش النقاط الخلافية فى تاريخه.

دار جهاد، ٢٠٠٣.

■ **مايسترو العبور .. المشير أحمد إسماعيل**

سيرة موجزة لحياة قائد القوات العربية فى حرب ١٩٧٣.

دار الأطباء، ١٩٨٤.

■ **سماء العسكرية المصرية الشهيد عبدالمنعم رياض (١٩١٩ ـ ١٩٦٩)**

سيرة موجزة لحياة ألمع العسكريين العرب، وعرض سريع لأفكاره العسكرية والاستراتيجية وإسهاماته التاريخية.

دار الأطباء، ١٩٨٤.

■ **توفيق الحكيم من العدالة إلى التعادلية**

إطلالة سريعة بترتيب موضوعى على شخصية توفيق الحكيم وحياته وآثاره الأدبية، من خلال رحلته فى الحياة، وتعريف موجز بآثاره الأدبية والفكرية.

الهيئة المصرية العامة للكتاب، المكتبة الثقافية، ١٩٨٨.

■ **عبداللطيف البغدادى .. شهيد النزاهة الثورية**

سيرة حياة عبداللطيف البغدادى (١٩١٧ ـ ٢٠٠٠) أبرز رجال عهد الثورة فى المجال التنفيذى، وتتبع لفكره الإصلاحى والسياسى، وإنجازاته الحضارية، وإسهاماته فى الحياة البرلمانية، والوزارات المختلفة، والعلاقات العربية، ومحكمة الثورة، ورؤاه الاستراتيجية والسياسية والحربية.

دار الخيال، ٢٠٠٥.

■ **مصريون معاصرون**

مجموعة من كلمات ومقالات التأبين التى نشرت فى رثاء بعض المصريين المعاصرين أو إحياء ذكراهم، متضمنة أضواء موحية على بعض من الجوانب التى تبدت فى حياة وإنتاج هذه الشخصيات.

الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.

■ **يرحمهم الله : كلمات فى التأبين**

تراجم انطباعية تأبينية لكل من: بدرالدين أبوغازى، وصلاح عبدالصبور، ومحمد زكى عبدالقادر، ود. يحيى المشد، ومحمد فهمى عبداللطيف.

دار الأطباء، ١٩٨٤.

■ **فن كتابة التجربة الذاتية : مذكرات الهواة والمحترفين**

مجموعة من القضايا النقدية والفكرية، المرتبطة بفن كتابة التجربة الذاتية، وأساسياته، وأركانه، وتطوره، ومدى الحاجة إليه، والنقاط الخلافية فيه مع محاولة لتأصيل مذهب المؤلف فى نقد أدبيات التجارب الذاتية المنشورة فى صور مختلفة.

دار الشروق، ١٩٩٧.

■ **فى ظلال السياسة.. نجيب محفوظ .. الروائى بين المثالية والواقع**

دراسة أدبية نقدية تحليلية تستعرض الفكر السياسى لنجيب محفوظ من خلال آرائه الصريحة المباشرة وأعماله الفنية ومذكراته المتعددة، وتثبت أنه فكر متقدم تناول القضايا الوطنية برؤية واضحة ونظر ثاقب وعبّر عن وعى سياسى من طراز متميز نجا من التقولب والأيدلوجيات واستشرف الأمل فى الآفاق الرحبة لمستقبل مزدهر لأمته ونجح فى لفت النظر إلى حقيقة الإيجابيات الليبرالية التى تحققت بفضل ثورة الشعب فى ١٩١٩.

دار جهاد، ٢٠٠٣.

■ **على هوامش الأدب**

مجموعة من الدراسات والبحوث فى اللغة والأدب والنقد، تحاول فهم النقد ووظيفته وتصور علاقة الإبداع بالحياة، وتحلل الوسائل الكفيلة بالارتقاء بالذوق الأدبى العام، وتناقش كثيراً من القضايا والإشكاليات التى شغلت الحياة الثقافية، وترتاد آفاقاً جديدة فى درس علاقة اللغة بالحياة فى عصر المعلومات، وفى علاقة النقد بالذوق فى حقبة تتسم بتسارع الخطى والانكفاء على الذات معاً.

الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢.

■ **ثلاثية التاريخ والأدب والسياسة**

يناقش التأثيرات المتبادلة بين السياسة والتاريخ والأدب من خلال مجموعة من الفصول الموثقة (٢٣ فصلاً) تستعرض وقائع ثقافية وأدبية ونقدية محددة بعضها مشهور وبعضها لا يتمتع بالقدر الكافى من المعرفة به.

دار جهاد، ٢٠٠٣.

■ **من بين سطور حياتنا الأدبية**

خمسة من الفصول التى يضمها كتاب ثلاثية التاريخ والأدب والسياسية نشرت مبكراً.

دار الأطباء ، ١٩٨٤.

■ **أدباء التنوير والتاريخ الإسلامى**

دراسة وتعريف وتقييم لجهد ثلاثة من أساتذة كلية الآداب فى الجامعة المصرية تصدوا لكتابة تاريخ الأمة الإسلامية، تلقى الدراسة الضوء على ملامح وسمات ومميزات هذه التجربة الرائدة التى أثمرت عملاً يجمع بين الأدب والتاريخ، وقد أصبح بمثابة المصدر المفضل لأهل التاريخ وتاريخ الأدب العربى، وكثير من الدراسات الإنسانية.

الطبعة الثانية، دار الشروق، ١٩٩٤.

■ **كلمات القرآن التى لا نستعملها**

دراسة تطبيقية لنظرية العينات اللفظية مع جداول تفصيلية كاملة بالكلمات ومعانيها والآيات التى وردت فيها من خلال تصنيف لغوى دقيق مع شرح موجز لفكرة اختلاف العينات اللفظية والعوامل المؤثرة فى هذا الاختلاف.

صدر فى طبعتين : دار الأطباء، ١٩٨٤، دار الشروق، ١٩٩٧.

■ **أوراق القلب (رسائل وجدانية)**

يضم أكثر من خمس وسبعين رسالة من الرسائل القصيرة تعبر بطريقة مبتكرة عن أحوال وجدانية متباينة، وتعكس قدرة عالية على التصوير والتعبير والقبض على لحظات الخصوصية والتفرد والمفارقة فى العلاقات الإنسانية.

الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٩٩٤، الطبعة الثانية، دار جهاد، ٢٠٠٥.

■ **أوهام الحب : دراسة فى عواطف الأنثى**

يتضمن خمسة وثلاثين فصلاً ترسم الملامح الجوهرية فى الطبائع الإنسانية المتباينة، وتقدم صوراً فنية ونفسية دقيقة أقرب فى طبيعتها إلى اللقطة اللحظية، كما تقدم استعراضاً دقيقاً لتقلبات الوجدان ودواعيها وتواعبها.

الطبعة الأولى، الكتاب الأول فى سلسلة كتاب الجمهورية الشهرى، أغسطس ١٩٩٩.

■ **رحلات شاب مسلم**

انطباعات ذاتية عن رحلات علمية مبكرة فى أمريكا وإيطاليا والهند وبريطانيا صورت فى دقة إبداعية بعض مشاعر الاحتكاك المباشر للمؤلف مع بيئات مختلفة وحضارات متعددة، كتبت بحرص شديد على الالتزام والدقة الموحية.

صدر فى ثلاث طبعات : دار الصحوة ١٩٨٧، دار الشروق ١٩٩٥، دار جهاد ٢٠٠٣.

■ **شمس الأصيل فى أمريكا**

يتميز بأسلوب مستحدث فى كتابة الرحلات لا يصف الطبيعة كما فعل السابقون، لكنه يحاول أن يصف الحضارة، وعلى حين أن وصف الطبيعة لا يستلزم إلا الحاسة الصادقة.. فإن وصف الحضارة يستلزم كذلك أقداراً متنامية من الدقة والإحاطة والتعمق والفهم والترتيب.. ويستلزم قبل ذلك أن تكون جندياً من جنود الحضارة لا فارساً من فرسان الطبيعة.

صدر فى طبعتين عن دار الشروق، ١٩٩٦، ودار جهاد، ٢٠٠٣.

■ **مجلة الثقافة (١٩٣٩ ـ ١٩٥٢) تعريف وفهرسة وتوثيق**

سيرة حياة مجلة رائدة، ودراسة صحفية وأدبية تحليلية للمجلة الشهيرة التى أصدرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر بصفة أسبوعية، وتشمل فهرسة كاملة للأعداد الـ ٧٣٣، وكشافات للموضوعات التى أسهم بها الكتاب الذين بلغ عددهم أكثر من ألف، مع تراجم وافية لحوالى ١٣٠ كاتباً بارزاً

الطبعة الثانية، دار جهاد، ٢٠٠٥.

■ **رحلات شاب مسلم**

انطباعات ذاتية عن رحلات علمية مبكرة فى أمريكا وإيطاليا والهند وبريطانيا صورت فى دقة إبداعية بعض مشاعر الاحتكاك المباشر للمؤلف

مع بيئات مختلفة وحضارات متعددة، كتبت بحرص شديد على الالتزام والدقة الموحية.
صدر فى ثلاث طبعات : دار الصحوة ١٩٨٧، دار الشروق ١٩٩٥، دار جهاد ٢٠٠٣.

■ **شمس الأصيل فى أمريكا**

يتميز بأسلوب مستحدث فى كتابة الرحلات لا يصف الطبيعة كما فعل السابقون، لكنه يحاول أن يصف الحضارة، وعلى حين أن وصف الطبيعة لا يستلزم إلا الحاسة الصادقة.. فإن وصف الحضارة يستلزم كذلك أقداراً متنامية من الدقة والإحاطة والتعمق والفهم والترتيب.. ويستلزم قبل ذلك أن تكون جندياً من جنود الحضارة لا فارساً من فرسان الطبيعة.
صدر فى طبعتين عن دار الشروق، ١٩٩٦، ودار جهاد، ٢٠٠٣.

■ **مجلة الثقافة (١٩٣٩ ـ ١٩٥٢) تعريف وفهرسة وتوثيق**

واظبوا على الكتابة للمجلة، وتعد بعض النبذات البيوجرافية المقدمة عن هؤلاء بمثابة النبذات التعريفية الوحيدة المتاحة عنهم.
الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣.

■ **البيليوجرافيا القومية للطب المصرى (٨ أجزاء)**

بيليوجرافيا كاملة للبحوث الطبية المنشورة فى مائة وخمسين دورية طبية مصرية (١٩٨٥ ـ ١٩٨٨)، مع معلومات ببليوجرافية كاملة وملخصات وافية للبحوث، صدر فى ثمانية أجزاء نشرتها الأكاديمية الطبية العسكرية على مدى الفترة من ١٩٨٨ وحتى ١٩٩١.

■ **مذكرات وزراء الثورة**

مدارسة أدبية نقدية تاريخية لمذكرات عشرة من وزراء ثورة يوليو ١٩٥٢ من ذوى الانتماءات المختلفة والأدوار المتباينة، فضلاً عن اختلاف آرائهم السياسية: كمال حسن على، وسيد مرعى، وعبدالجليل العمرى، وثروت عكاشة، وإسماعيل فهمى، وعثمان أحمد عثمان، وضياء داود، وأحمد خليفة، وعبدالوهاب البرلسى، وحسن أبوباشا.
دار الشروق، ١٩٩٤.

■ **المرأة والحرية ، مذكرات المرأة المصرية**

مدارسة أدبية نقدية تاريخية لقضية الحرية فى النظام الاجتماعى من خلال قراءة متأنية لمذكرات أربعة اتجاهات كاشفة عن دور المرأة المصرية فى الحياة العامة مشاركة للزوج فى مجده، أو ممارسة للسياسة، أو للوظيفة، أو عارضة لتجربة حياة متميزة: بنت الشاطئ، وجيهان السادات، ولطيفة الزيات، وزينب الغزالى، وإنجى أفلاطون، واعتدال ممتاز، وإقبال بركة، ونوال السعداوى، وسلوى العنانى، وثريا رشدى.
دار الخيال، ٢٠٠٤.

■ **مذكرات المرأة المصرية**

طبعة مختصرة ومبكرة من كتاب «الثورة والحرية» ، دار الشروق، ١٩٩٥.

■ **نحو حكم الفرد ، مذكرات الضباط الأحرار**

تصوير دقيق للفترة الأولى من حكم ثورة يوليو (١٩٥٢ ـ ١٩٥٤) ومقدماتها وصراعاتها والتحولات التى انتهت إليها من خلال مدارسة أدبية نقدية تاريخية لمذكرات كل من: اللواء محمد نجيب، وخالد محيى الدين، وعبدالمنعم عبدالرؤوف، وجمال منصور، ومحمد عبدالفتاح أبوالفضل، وحسين حمودة.
دار الخيال، ٢٠٠٣.

■ **مذكرات الضباط الأحرار**

طبعة مختصرة ومبكرة من كتاب «نحو حكم الفرد» تضم أيضاً باباً عن مذكرات عبداللطيف البغدادى لم تتضمنه الطبعة الثانية.
دار الشروق، ١٩٩٦.

■ **محاكمة ثورة يوليو ، مذكرات رجال القانون والقضاء**

دراسة لعلاقة ثورة يوليو ١٩٥٢ بالقانون، وكيف أعلت الثورة من قيمة القانون فى بعض المواقف والصراعات التى نشبت بين تنظيمات الثورة وبين رجال القضاء الوطنى وذلك من خلال مدارسة أدبية نقدية تاريخية لمذكرات مجموعة من أعلام القانون والقضاء الذين مارسوا السياسة أو شاركوا فى الحياة العامة، وتشمل مذكرات كل من: محمد عصام الدين حسونة، وممتاز نصار، ومحمد عبدالسلام، وجمال العطيفى، ومحمد عبدالسلام الزيات، وماهر برسوم، وحسن عبدالغفار.
دار الخيال، ١٩٩٩ .

■ **من أجل السلام ، مذكرات رجال الدبلوماسية المصرية**

تحليل ومقارنة لرؤى مجموعة من أعلام الدبلوماسية المصرية الذين شغلوا مواقع مختلفة وعاصروا حروب مصر الدبلوماسية من أجل استعادة التراب الوطنى : أحمد عصمت عبدالمجيد، ومحمود رياض، ومحمد إبراهيم كامل، وحسين ذوالفقار صبرى، ومحمد عبدالوهاب العشماوى، وجمال بركات.
دار الخيال، ١٩٩٩.

■ **الطريق إلى النكسة ، مذكرات قادة العسكرية المصرية ١٩٦٧**

مجموعة فصول تاريخية نقدية تتناول استعراضاً ومدارسة لمذكرات قادة الصف الأول فى حرب يونيو ١٩٦٧ وتحليل لآرائهم ورؤاهم عن الأسباب التى صنعت الهزيمة أو أدت إليها، أو حالت دون السيطرة عليها فى الوقت المناسب، والدراسة بمثابة أوفى مرجع لمذكرات عبدالحميد الدغيدى، وعبدالمحسن كامل مرتجى، وأنور القاضى، وصلاح الحديدى، ومحمد فوزى. وبعض هذه المذكرات لم تنشر إلا فى صحف محدودة التوزيع.
دار الخيال، ٢٠٠٠ .

■ **النصر الوحيد ، مذكرات قادة العسكرية المصرية ١٩٧٣**

مرجع أساسى لا غنى عنه لدراسة أمجد المعارك العربية التى خاضتها الأمة العربية فى ١٩٧٣، يتضمن الكتاب مدارسة ضخمة عن حقائق تلك الحرب ووقائعها من منظور وطنى وعلمى أمين مترفع عن الانحياز والغرض، ويقدم نظرات غير مسبوقة فى تحليل أحداث الحرب وتطورها ويستعرض بأمانة وتدقيق مذكرات خمسة من قادة حرب أكتوبر من مستويات مختلفة شاركوا بجهد وافر فى صياغة وصناعة النصر : محمد عبدالغنى الجمسى، وسعد الشاذلى، وعبدالمنعم خليل، ويوسف عفيفى، وعادل يسرى.
دار الخيال، ٢٠٠٠ .

■ **فى أعقاب النكسة ، مذكرات قادة العسكرية المصرية ١٩٦٧ ـ ١٩٧٢**

أوفى دراسة متاحة حتى الآن للفترة التى اصطلح على تسميتها بحرب الاستنزاف وهى فترة حافلة بالتناقضات فى الرأى والتصور والتكتيك ورواية الوقائع، ويقدم الكتاب تحقيقاً لكثير من هذه الجزئيات الخلافية من خلال مذكرات كل من: مدكور أبوالعز، ومحمد أحمد صادق، ومحمد صدقى محمود، ومحمد فوزى، والفريق صلاح الحديدى، والكتاب هو المصدر الوحيد لبعض هذه المذكرات التى لم تنشر إلا فى الصحف.
دار الخيال، ٢٠٠١ .

■ **على مشارف الثورة ، مذكرات وزراء نهاية الملكية ١٩٤٩ ـ ١٩٥٢**

دراسة أدبية نقدية تاريخية لمذكرات خمسة من وزراء السنوات الأخيرة فى عهد الملكية ينتمون إلى اتجاهات وتوجهات مختلفة، مع تحليل أدبى تاريخى لما تضمنته المذكرات من حقائق وروايات، وتشمل مذكرات كل من: أحمد مرتضى المراغى، وكريم ثابت، وإبراهيم فرج، وصليب سامى،

وعبدالرحمن الرافعى.
دار الخيال، ٢٠٠١ .

■ **عسكرة المجتمع المدنى : مذكرات الضباط خارج الجيش**

دراسة موسعة للتأثيرات العملية المباشرة وغير المباشرة لممارسة رجال القوات المسلحة للأدوار والمهام المدنية فى عهد الثورة فى مجالات الإدارة والوزارة والتنظيمات والسياسة والصحافة والقضاء والإعلام والدعوة والدبلوماسية والهندسة من خلال مدارسات مكثفة لمذكرات سمير فاضل، وأحمد طعيمة، وحلمى السعيد، ومصطفى بهجت بدوى، ورياض سامى.
الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥.

■ **مذكرات الصحفيين .. فى خدمة السلطة**

مدارسة أدبية نقدية تاريخية لعلاقات الصحافة بالسلطة على مدى عهد الثورة انتقالاً من عصر الليبرالية إلى التأميم والتنظيم إلى انفتاح محسوب، مع تحقيق لوقائع استغلال النفوذ ومصادرة الرأى: موسى صبرى، وأحمد بهاء الدين، وعبدالستار الطويلة، وفتحى غانم، وحلمى سلام، وجلال الدين الحمامصى.
دار الخيال، ٢٠٠٢ .

■ **مذكرات المفكرين والتربويين .. تكوين العقل العربى**

مدارسة أدبية نقدية تاريخية لمذكرات مجموعة من أبرز المفكرين والتربويين الذين أسهموا فى تكوين العقل العربى، وعرض لرؤاهم التربوية والفكرية ولوجهات نظرهم فى الحياة العقلية فى مصر المعاصرة من خلال تحليل انطباعاتهم ورؤاهم فيما يتعلق بتكوين عقلياتهم وعقلية تلاميذهم وأساتذتهم ومعاصريهم. وتشمل المدارسة مذكرات: شوقى ضيف، وعبدالرحمن بدوى، ومحمد عبدالله عنان، ومحمد على العريان، وأحمد عبدالسلام الكردانى، ونادية رضوان.
دار الخيال، ٢٠٠٢ .

■ **الثورة والإحباط : مذكرات أساتذة الأدباء والأدباء**

دراسة أدبية نقدية لمجموعة من المذكرات كتبها الأدباء وأساتذة الأدب وأضاءت علاقاتهم بالسياسة والحياة العامة وتفاعلات الأدب والكتابة فى عهد الثورة، وخبراتهم الفنية والأدبية، والعوامل التى شكلت وجدانهم، والتجارب التى عكستها آثارهم الأدبية، وتضم مذكرات الدكتورين: أحمد هيكل وعلى الحديدى، والأساتذة صالح مرسى، وفتحى أبوالفضل، وجليلة رضا، وعايدة الشريف، وأمانى فريد .
الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤.

■ **آراء حرة فى التربية والتعليم**

يتضمن هذا الكتاب مجموعة من الفصول عرض فيها المؤلف آراء حرة ومدروسة فى قضايا التربية والتعليم حاول بها أن يفتح الأبواب أمام الفهم المستقيم لهذه القضايا، وأن يقدم الحلول الأكثر مناسبة والأجدى فائدة لمشكلات مزمنة، وأن يؤصل للفهم التربوى المعاصر من خلال فكر مفتوح لا يخضع للأهواء الوقتية.
الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١.

■ **مستقبل الجامعة المصرية**

مجموعة مختارة من الأفكار والتصورات والمقترحات التى نشرها المؤلف فى الصحافة المصرية على مدى تسع سنوات مستهدفاً تجديد الرؤى فى إصلاح الجامعة على أسس علمية دون طفرة، ومعبراً عن رؤية علمية وعملية مختلفة عن تلك المطروحة على الساحة.
الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩ .

■ **منهجية العلوم والفنون: مذكرات الأكاديميين المؤسسين**

تحليل تاريخى وتوثيق تربوى للجانب المؤسسى فى أكاديميات التعليم المتخصص فى الشرطة والفنون والجامعات الإقليمية والاتحادات العلمية عبر مدارسة لمذكرات أربعة من الأكاديميين المؤسسين: سليمان حزين، وسمحة الخولى، وعبدالحليم منتصر، وعبدالكريم درويش.
الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥.

■ **القاهرة تبحث عن مستقبلها**

مجموعة من المقالات والفصول استهدفت تغيير وجه القاهرة من خلال أفكار علمية وعملية تستند إلى تحليل المعلومات وتوظيفها، والقدرة على تصور البدائل وطرح الحلول انطلاقاً من رؤية رحبة الأفق، وقد تحقق بعض هذه الأفكار، ونتمنى أن يتحقق البعض الآخر لتصبح عاصمتنا فى المكانة اللائقة بها بين بقاع الدنيا.
دار المعارف، ٢٠٠٠.

■ **التنمية الممكنة : أفكار لمصر من أجل الازدهار**

مجموعة مختارة ومنتقاة من المقالات والدراسات التى كتبها ونشرها المؤلف على مدى سبع سنوات (١٩٩٤ - ٢٠٠١) طارحاً فيها أسلوبًا جديدًا لمعالجة قضايا الوطن الاقتصادية والاجتماعية، معتمداً على منهج موظف للمعلومات من أجل الانطلاق بفكر رحب يفيد من تجارب الحضارات السابقة والنظم السياسية المعاصرة، وتتناول الأفكار مناحى متعددة فى حياة الوطن ومستقبله واقتصادياته ويجمع هذه الأفكار أنها صادرة عن رؤية عملية قابلة للتنفيذ دون أن تتطلب موارد جديدة، وهو ما يدفع إلى المطالبة بالإسراع فى الأخذ بها من أجل ما ننشده من ازدهار فى مستقبل الوطن.
الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١.

■ **مستقبلنا فى مصر : دراسات فى الإعلام والبيئة والتنمية**

مقالات ودراسات مستفيضة لبعض مشكلات الحياة العامة فى مصر، تقدم رؤى مختلفة الطابع تصدر عن فهم جديد لطبيعة الحضارة المعاصرة بعيداً عن الآثار الكلاسيكية للأفكار الأيديولوجية التى صبغت بعض مناحى الحياة العامة فى مصر بما يستحسن الخلاص منه فى ظل فكر إنسانى علمى جديد يعتمد على التعويل على العناصر الإيجابية فى الإنسان، وعلى إعلاء قيمة الحرية، والتمكين للقيم الفاضلة فى حياة المجتمع، وفهم المشكلات فى إطارها الخاص بعيداً عن التعميم، وعلى استنطاق الإحصاءات بالبعد التنموى الذكى والمحافظ فى الوقت ذاته على البيئة.
الطبعة الثانية، دار الشروق، ١٩٩٧ .

■ **الصحة والطب والعلاج فى مصر**

مجموعة من المقالات والفصول والدراسات تستعرض جوهر العلاقة بين الطب والصحة والمجتمع، وتقدم لمحات عن الدين والمرض، وعن مستقبل الطب الإسلامى، وعن طب الطوارئ. كما تقدم أفكاراً جديدة فى تطوير التعليم الطبى وتنظيم المؤسسات الطبية. وتتضمن الطبعة الثانية دراسات موسعة تستهدف تطوير الخدمات الصحية بإعادة استخدام الموارد المتاحة من خلال رؤى عصرية لسياسات العلاج والصحة.
الطبعة الأولى، جامعة الزقازيق، ١٩٨٧ .
الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥ .

■ **أقوى من السلطة : مذكرات أساتذة الطب**

استعراض للتاريخ الاجتماعى فى الحياة المصرية المعاصرة من خلال منظور طبى وتعليمى اصطبغ بالعلاقة المباشرة والتجربة الحية مع شخصيات السلطة المتعاقبة وتوجهاتها المتباينة على نحو ما تضيئه مذكرات الدكاترة: زكى سويدان، ومصطفى الرفاعى، ومصطفى الديوانى، ودمرداش

أحمد، وأرنست سليمان شلبى.
الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤ .

■ **الفلسطينيون ينتصرون أخيراً .. دراسات فى التنبؤ السياسى**

تقدم مجموعة من المقالات والفصول التى يتضمنها الكتاب أفكار المؤلف وتصوراته لمسار الصراع العربى - الإسرائيلى وقضية فلسطين، وهجرة اليهود العرب إلى فلسطين، ومعضلات السياسات الفلسطينية، وأخطاء السياسات العربية فى حقب متتالية، وحقيقة العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية والحركة الصهيونية وإسرائيل.
دار جهاد، ٢٠٠٢ .

■ **المسلمون والأمريكان فى عصر جديد**

مجموعة من الفصول والمقالات تتميز بجسارة فكرية وعقلية كفيلة بالنفاذ إلى جوهر المشكلات والتوجهات فى السياسة العالمية، ويجاهر المؤلف بأن الدعوة إلى الإسلام أجدى بكثير من الدفاع عنه. كما يستعرض مبرراته للتنبؤ بأن أمريكا قد تعتنق الإسلام، ويلقى الضوء على الدور الذى يلعبه الدين فى الانتخابات الأمريكية وفى غيرها من مواقع الأحداث فى عصر العولمة.
دار جهاد، ٢٠٠٢ .

■ **النخبة المصرية الحاكمة (١٩٥٢ ـ ٢٠٠٠)**

مجموعة من الدراسات البيوجرافية التى يمكن وصفها بلغة البحث العلمى بأنها أصيلة وغير مسبوقة، ومجموعة من المقالات (المستندة إلى دراسات) تتناول بالبحث والتعليق تكوين شخصيات النخبة الحاكمة فى النصف الثانى من القرن العشرين وعوامل صعود هذه الشخصيات إلى مواقع المسئولية.
مكتبة مدبولى، ٢٠٠١ .

■ **قادة الشرطة فى السياسة المصرية (١٩٥٢ ـ ٢٠٠٠) دراسة تحليلية وموسوعة شخصيات**

دراسة عميقة لدور جهاز مهنى حيوى فى الحياة السياسية فى النصف الثانى من القرن العشرين، وتعريف بيوجرافى بستين شخصية شرطية مع ذكر أدوارها التاريخية وذلك من خلال قراءات مكثفة، ومقابلات منتقاة، ودراسات عميقة.
مكتبة مدبولى، ٢٠٠٢ .

■ **البنيان الوزارى فى مصر (١٨٧٨ ـ ٢٠٠٠)**

المرجع الأول والأوفى فى مجاله، وهو دراسة تاريخية وفهارس كمية وتفصيلية لإنشاء وإلغاء وإدماج الوزارات والقطاعات الوزارية وتبعيات المصالح والهيئات للوزارات المختلفة، ودراسة لتوزيع المسئوليات الوزارية والوزراء الذين تعاقبوا على كل وزارة.
صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عن دار الشروق، وركزت على فترة الثورة.
الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠ .

■ **الوزراء ورؤساؤهم ونواب رؤسائهم ونوابهم ، تشكيلاتهم وترتيبهم ومسئولياتهم**

توثيق تاريخ الوزارات المصرية وتشكيلاتها منذ قيام الثورة ١٩٥٢، من خلال ثلاثة أبواب، الأول: ترتيبى، والثانى: زمنى، والثالث: شخصى، ويقدم معلومات عن الوزراء ورؤسائهم ونواب رؤسائهم ونوابهم وتشكيلاتهم وترتيبهم ومسئولياتهم.
صدر فى طبعتين عن دار الشروق، ١٩٩٦ ، ١٩٩٧ .

■ **التشكيلات الوزارية فى عهد الثورة (١٩٥٢ ـ ١٩٨١)**

طبعة مبكرة ومختصرة من كتاب الوزراء، تقف عند نهاية حكم الرئيس السادات، وتقدم فقط بعض ما شمله البابان الثانى والثالث من كتاب الوزراء.
الهيئة العامة للاستعلامات، ١٩٨٦ .

■ **المحافظون**

دراسة تأسيسية تشمل قوائم كاملة وترتيبية وفهارس تفصيلية وأبجدية وزمنية ودراسة لتسلسل وتطور اختيار المحافظين منذ بدء نظام الإدارة المحلية (١٩٦٠) وحتى نهاية القرن العشرين. مع الإشارة إلى خلفياتهم المهنية وعلاقتهم بالمناصب الوزارية والإدارية.
صدرت الطبعة الأولى عن دار الشروق، ١٩٩٦.
الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١.

■ **كيف أصبحوا وزراء .. دراسة فى صناعة القرار السياسى**

فصول بيوجرافية وتاريخية فى إطار دراسة تحليلية ونقدية لصناعة القرار السياسى فى مصر، وهى دراسة لا تخلو من استرجاع ومن إحصاء ومن استقراء ومن استنباط، ومن تحقيق للروايات ومن عرض للرأى والرأى الآخر، ومن وضع المقارنات على هيئة جداول وأرقام.
دار الخيال، ٢٠٠٢.

■ **دليل الخبرات الطبية القومية وتاريخ التعليم الطبى الحديث**

نبذات وافية ومعلومات كاملة تاريخية عن تطور مؤسسات وهيئات التعليم الطبى المصرية فى الجامعات ومراكز البحوث ووزارة الصحة.
الجمعية المصرية للأطباء الشبان، ١٩٨٧.

■ **يوميات على مصطفى مشرفة .. يناير ١٩١٨ ـ يوليو ١٩١٨**

تحقيق دقيق لمخطوطة من اليوميات التى وجدت فى آثار العالم المصرى الكبير عن الشهور الأولى من فترة بعثته إلى بريطانيا وما حفلت به مشاعره من حس وطنى ودينى، وتفاعل مع صورة مختلفة من الحياة، وحوارات عقيدية وفكرية، وخبرات علمية وحضرية وثقافية مكثفة.
مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣.

■ **القاموس الطبى نوبل فى ٣ أجزاء (بالاشتراك مع أ. د. محمد عبداللطيف)**

قاموس طبى ضخم يحوى ستين ألف مصطلح يسهل من خلاله الوصول إلى المصطلح المقابل من خلال أى لغة من لغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية، ويشمل مسارد كاملة لكافة المصطلحات الطبية الواردة فى اللغات.
دار الكتاب المصرى، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، القاهرة، ١٩٩٨.

■ **أمراض القلب الخلقية الصمامية ٢٠٠١**

كتاب طبى مرجعى يصلح أيضاً للثقافة العامة، يستعرض الخلقية الصمامية وأسبابها وطرائق تشخيصها وعلاجها وجراحاتها ومآلها.
دار المعارف، ٢٠٠١.

■ **أمراض القلب الخلقية ، الثقوب والتحويلات ٢٠٠٢**

كتاب طبى مرجعى يصلح أيضاً للثقافة العامة، عرض فيه المؤلف الأمراض الناشئة عن وجود ثقوب أو تحويلات فى تشريح القلب، مع تقديم صورة وافية عنها والاستعانة بكل ما يمكن أن يصور طبيعة المرض وحقيقته وسماته والطرق المتاحة لتشخيصه وعلاجه وجراحاته.
دار المعارف، ٢٠٠١ .



عربية للطباعة والنشر

٧-١٠ شارع السلام أرض اللواء المهندسين - تليفون: ٣٢٥٦٠٩٨٠ - ٣٢٥١٠٤٣